



مركز دراسات الوحدة العربية

الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية

دراسة حالات

المكسيك - التشيلي - البرازيل - البيرو - الباراغواي - الأرجنتين

خوسي ألبيرتو مورينو

فريد كحاط

سيلفيا مونتينيغرو

لورينزو عكر

ليلي برطيط

إشراف وترجمة: الدكتور عبد الواحد أكميز

الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية

دراسة حالات

المكسيك - التشيلي - البرازيل - البيرو - الباراغواي - الأرجنتين

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية: دراسة حالات المكسيك - التشيلي - البرازيل -
البيرو - الباراغواي - الأرجنتين/ خوسي ألبيرتو مورينو . . . [وآخ.]. إشراف
وترجمة عبد الواحد أكميز.

ص. ٣٥٨

يشتمل على فهرس.

ISBN 9953-82-101-1

١. الجاليات العربية - أمريكا اللاتينية. أ. مورينو، خوسي ألبيرتو.
ب. أكميز، عبد الواحد (مشرف).

305.892708

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣

الحمراء - بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ - لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧

برقياً: «مرعبي» - بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: http://www.caus.org.lb

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦

المحتويات

٧	قائمة الجداول
٩	تقديم عبد الواحد أكميز
	خلاصة تنفيذية : خصوصيات الحضور العربي في أمريكا اللاتينية
١٣
٦٥	الفصل الأول : الهجرة العربية إلى المكسيك فريد كحاط وخوسي ألبيرتو مورينو
	الفصل الثاني : العرب في التشيلي :
١١٥	سبل الاندماج الاجتماعي لورينزو عكر
١٧٥	الفصل الثالث : العرب في البرازيل سيلفيا مونتينيغرو
	الفصل الرابع : الحضور العربي في البيرو :
٢١٥	ذاكرة الأرز والزيتون ليلي برطيط
٢٦٧	الفصل الخامس : العرب في الباراغواي سيلفيا مونتينيغرو
٣٠٣	الفصل السادس : الجاليات العربية في الأرجنتين سيلفيا مونتينيغرو
٣٤٣	الفهرس ٣٤٣

قائمة الجداول

الرقم	الموضوع	الصفحة
٢٠	خلاصة تنفيذية - ١ رواد الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية
٢١	خلاصة تنفيذية - ٢ أعداد العرب المقيمين في بعض بلدان أمريكا اللاتينية خلال الثلث الأول من القرن العشرين
١ - ١	عدد العرب الذين دخلوا المكسيك ما بين الأعوام ١٨٧٨ - ١٨٩٩	٧٦
١ - ٢	التطور العددي للعرب في المكسيك ما بين الأعوام ١٨٩٥ - ١٩٣٠	٧٧
١ - ٣	العرب في المكسيك بحسب إحصاءات السكان، ١٨٩٥ - ١٩٥٠	٧٨
١ - ٤	العرب في المكسيك بحسب الانتماء الجغرافي عام ١٩٤٨	٧٩
١ - ٥	أعداد العرب في المكسيك بحسب سنوات وصولهم، ١٨٧٨ - ١٩٥٠	٨٠
١ - ٦	المهاجرون القادمون من لبنان بحسب انتماءاتهم الجغرافية	٨٣
١ - ٧	المهاجرون القادمون من فلسطين بحسب انتماءاتهم الجغرافية	٨٤
١ - ٨	المهاجرون القادمون من سوريا بحسب انتماءاتهم الجغرافية	٨٤
١ - ٩	المهاجرون القادمون من العراق بحسب انتماءاتهم الجغرافية	٨٥
١ - ١٠	أعداد العرب الذين دخلوا المكسيك ما بين الأعوام ١٨٧٨ - ١٩٥٠
٨٦	بحسب معدل العمر
١ - ١١	اللبنانيون في المكسيك ما بين الأعوام ١٩٤٨ - ٢٠٠٠	٨٧
١ - ١٢	تطور الساكنة العربية في المكسيك بحسب الولايات، ١٨٩٥ - ١٩٥٠	٨٩
١ - ١٣	التوزيع الجغرافي للعرب في المكسيك عام ١٩٤٨	٩٠

٩٦	١٤ - ١	ديانة المهاجرين العرب وقت دخولهم المكسيك، ١٨٧٨ - ١٩٥٠
١٠٥	١٥ - ١	النشاط المهني الذي مارسه بعض المهاجرين العرب وقت دخولهم المكسيك، ١٩٠٠ - ١٩٤٩
١٠٦	١٦ - ١	المهاجرون العرب بحسب المهنة، ١٩٢٥ - ١٩٥٠
١٠٧	١٧ - ١	اللبنانيون في المكسيك بحسب المهن عام ١٩٤٨
١٤٧	١ - ٢	نسبة الزواج المختلط بين العرب والتشيليين، ١٩١٠ - ١٩٦٩
١٦٢	٢ - ٢	أعداد العرب وغيرهم في قطاع النسيج والملابس الجاهزة، ١٩٨٢ - ٢٠٠٠
١٦٣	٣ - ٢	المؤسسات الصناعية العربية في التشيلي عام ٢٠٠٠ بحسب مناطق وجودها
١٨٤	١ - ٣	الأجانب الذين دخلوا البرازيل ما بين الأعوام، ١٩٠٠ - ١٩٣٩
١٨٥	٢ - ٣	الأجانب الذين دخلوا البرازيل ما بين الأعوام، ١٨٨٠ - ١٩٦٩
١٨٦	٣ - ٣	مهاجرو الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذين دخلوا البرازيل ما بين الأعوام، ١٨٩٣ - ١٩٣٩
١٨٧	٤ - ٣	السوريون واللبنانيون في أهم الولايات البرازيلية بحسب إحصاءي ١٩٢٠ و ١٩٤٠
٢٤٦	١ - ٤	التجار المتعاملون مع مؤسسة «ريكيتر» بحسب مناطق وجودهم
٢٨٢	١ - ٥	عدد الأجانب في الباراغواي ما بين الأعوام، ١٨٧٢ - ١٩٧٩
٢٨٢	٢ - ٥	المهاجرون العرب في الباراغواي بحسب أصولهم الجغرافية ما بين الأعوام، ١٩٨٩ - ١٩٩٢
٣٨٣	٣ - ٥	العرب الحاصلون على بطاقة الإقامة بحسب الجنسية، ١٩٩٩ - ٢٠٠١
٢٩٤	٤ - ٥	عدد حالات الزواج المختلط بين باراغواتيين وأجانب عام ٢٠٠١
٣٠٨	١ - ٦	عدد الأجانب في الأرجنتين عام ١٩١٤ بحسب جنسيتهم
٣٠٨	٢ - ٦	عدد العرب في الأرجنتين عامي ١٨٩٥ و ١٩١٤
٣١٥	٣ - ٦	الديانة التي صرح بها المهاجرون العرب لحظة دخولهم الأرجنتين

تقديم

عبد الواحد أكدير (*)

يأتي الكتاب (***) الذي نضعه اليوم بين يدي القارئ، في موضوع الجاليات العربية في أمريكا اللاتينية، تكملة لكتابين سابقين، صدرا عن مركز دراسات الوحدة العربية. الأول، ركّز على عرب الأرجنتين وهو في الأصل أطروحة دكتوراه كانت قد نوقشت في جامعة «كومبلوتنسي» Complutense في مدريد سنة ١٩٩٠، وصدرت طبعته الإسبانية عن الجامعة نفسها سنة ١٩٩١^(١) والثاني، ركز على العرب في أربعة عشر بلداً من بلدان أمريكا اللاتينية^(٢)، وهو في الأصل مشروع تولت الإشراف عليه وتمويله منظمة اليونسكو، وصدرت طبعته الإسبانية سنة ١٩٩٧^(٣). وتكمن أهمية الكتاب الذي نقدمه اليوم، في كونه يغطي أولاً جوانب لم يتم تغطيتها من طرف الدراستين السابقتين، وفي كونه يغطي ثانياً السنوات التسع الأخيرة التي تفصلنا عن صدور الكتاب الذي أشرفت عليه منظمة اليونسكو.

(*) أستاذ تاريخ أمريكا اللاتينية في جامعة محمد الخامس، ومدير مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات - الرباط.

(**) أجريت الدراسات التي يحتويها هذا الكتاب بتكليف من مركز دراسات الوحدة العربية لكل من الباحثين المذكورة أسماؤهم وجميعهم من مواطني بلدان أمريكا اللاتينية من أصول عربية. وقد أشرف على ترجمة هذه الدراسات - عن الإسبانية - وقدم لها الدكتور عبد الواحد أكدير.

Abdeluahed Akmir, *La Inmigración árabe en Argentina, 1880-1980*, tesis doctorales, (١) universidad complutense de Madrid; 123 (Madrid: Editorial de la universidad complutense de Madrid, servicio de reprografía, 1991).

وقد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية عام ٢٠٠٠ كتاب لعبد الواحد أكدير تحت عنوان: العرب في الأرجنتين: النشوء والتطور.

(٢) أنطونيا روبييدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، إشراف ماريا روزا دي مدارياغا؛ تقديم وترجمة عبد الواحد أكدير (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥).

(٣) المصدر نفسه. وعنوان الكتاب الأصلي هو: Lorenzo Agar Corbinos [et al.], *El Mundo árabe y América Latina*, memoria de los pueblos; 38 ([Madrid]: UNESCO; Liberatrias; Prodhufi, 1997).

وبجانب الخلاصة التنفيذية التي تمّ من خلالها إبراز خصوصيات الحضور العربي في جلّ بلدان أمريكا اللاتينية، يتناول الكتاب بنوع من التفصيل هذا الحضور في ستة بلدان، هي في تقديرنا معبرة بشكل كبير عن مسار الهجرة العربية في كل القارة، ليس لأن هذه الهجرة تشابه في خطوطها العريضة وأحياناً في جزئياتها بين بلد وآخر، وإنما لأن الكتاب أخذ بعين الاعتبار عدداً من الخصوصيات، نجملها في ما يلي:

- **الثقل العددي**، ميز الكتاب بين بلدين استقطبا أعداداً كبيرة جداً من المهاجرين هما البرازيل والأرجنتين؛ وبلدين بقيت الهجرة العربية إليهما متوسطة الأهمية هما التشيلي والمكسيك؛ وبلدين لم يعرفا هجرة عربية إلا بشكل محدود هما البيرو والباراغواي.

- **الانتماء الجغرافي**، ميز الكتاب بين ثلاثة بلدان، كان أغلب المهاجرين إليها من السوريين واللبنانيين، هي البرازيل والأرجنتين والباراغواي؛ وبين بلدين اثنين أغلب المهاجرين إليهما من الفلسطينيين، هما التشيلي والبيرو؛ وبين بلد واحد أغلب المهاجرين إليه من اللبنانيين، هو المكسيك.

- **التطور الكرونولوجي**، ميز الكتاب بين ثلاثة بلدان لم تتجدد فيها الهجرة منذ منتصف القرن العشرين إلا بشكل محدود، هي البيرو والتشيلي والمكسيك؛ وبين ثلاثة أخرى وصل إليها خلال الأربعين سنة الأخيرة أعداد مهمة من المهاجرين هي الباراغواي، والبرازيل والأرجنتين.

- **الثقل الاقتصادي**، ميز الكتاب بين بلدين يقودان قاطرة التنمية في أمريكا اللاتينية، ويعتبران من بين البلدان العشرة الأولى في العالم من حيث عدد السكان، هما المكسيك والبرازيل، وبلدين عرفا إقلاصاً اقتصادياً مهماً خلال السنوات الأخيرة، هما الأرجنتين والتشيلي، وإن لم يصل إلى أهمية البلدين سالفَي الذكر نفسيهما، وبلدين يعتبران من الكيانات الفقيرة داخل القارة، ويتخبطان إلى اليوم في العديد من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هما البيرو والباراغواي.

لقد سجلنا أثناء ترجمتنا المقالات التي يتضمنها الكتاب وكلها لم يسبق نشرها، أنها، وبسبب انعدام الأبحاث العلمية الرصينة التي يمكن اعتمادها، لجأت إلى الدراسة الميدانية التي تضمنت توزيع استمارات وإجراء سلسلة من الحوارات، وكذا إلى أرشيفات دوائر الهجرة ومؤسسات الجالية العربية، التي تتضمن، من بين أشياء أخرى، معطيات إحصائية سمحت بوضع تقييم عددي للحضور العربي في أمريكا اللاتينية خلال مراحل معينة. بجانب ذلك تمّ الاستئناس ببعض المقالات الصحافية،

وبخاصة ببعض الأطاريح الجامعية التي لم تنشر بعد، وكذا ببعض المقالات المنشورة في مجلات متخصصة، والتي تعاملت معها دراسات الكتاب بنوع من النقد العلمي البناء. والحقيقة أن نجاح الباحثين المشاركين في المشروع في تحقيق المبتغى، وكلهم من المتخصصين في موضوع الهجرات العربية إلى أمريكا اللاتينية، وجمعهم ما هو ضروري من معطيات لإنجاز هذا العمل، ما كان ليتحقق لولا إقامتهم في البلد نفسه الذي يغطونه في دراستهم، أو تنقلهم إليه مرات متعددة.

لقد تمكن الكتاب إذاً من تغطية الحضور العربي في أمريكا اللاتينية في بعده الشمولي، على امتداد أكثر من مئة وثلاثين سنة، تبتدئ مع وصول أوائل العرب إلى هذه القارة في النصف الثاني من ستينيات القرن التاسع عشر، وتتوقف عند تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، بحيث نجد محاور من قبيل أسباب الهجرة العربية، والقوانين المنظمة لها، وتطورها العددي، والحضور الاقتصادي، ومسلسل الاندماج، والممارسة السياسية، والصورة بعد تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر، نجدها تتكرر في أغلب المقالات، وإن اختلفت المقاربة، وطريقة التحليل، والمنهجية المعتمدة بين باحث وآخر، وهو ما فرض إعداد خلاصة تنفيذية يتم من خلالها إبراز مظاهر التماثل والتباين، أولاً بين الهجرة العربية في البلدان التي يتضمنها الكتاب، وثانياً بين هذه البلدان، وغيرها من بلدان القارة حيث توجد جاليات عربية.

خلاصة تنفيذية

خصوصيات الحضور العربي في أمريكا اللاتينية

هناك خمسة مظاهر تلتقي عندها الهجرة العربية إلى البلدان التي شملتها هذه الدراسة، مع بقية بلدان أمريكا اللاتينية حيث توجد جاليات عربية، هي: أسباب ومراحل الهجرة، والحضور الاقتصادي، ومسلسل الاندماج بالمجتمعات المضيفة، وطبيعة المؤسسات التي أنشأها المهاجرون، والممارسة السياسية للمتحدثين من أصل عربي. وسوف نحاول في هذه الخلاصة التنفيذية، ومن خلال مناقشة المظاهر المذكورة، إبراز أوجه التباين والتماثل بين الهجرة العربية في البلدان التي يتناولها الكتاب وغيرها من بلدان القارة.

أولاً: أسباب ومراحل الهجرة العربية

١ - الأسباب

أ - عوامل الطرد والجذب

كأي ظاهرة هجرة، ارتبط الوجود العربي في أمريكا اللاتينية بمعطين، نسبي الأول «عوامل الطرد»، ونقصد به الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والطائفية التي عرفت بها البلدان الأصلية للمهاجرين وقت مغادرتهم لها؛ ونسمي الثاني «عوامل الجذب»، ونقصد به الأوضاع الاقتصادية المغربية التي عرفت بها بلدان أمريكا اللاتينية، والتي كانت وراء انتقال عشرات الآلاف من المهاجرين العرب إليها من بلاد الشام.

لم تكن «عوامل الطرد» بالثقل نفسه، لأن العامل الأساسي للهجرة كان اقتصادياً، وهنا تجدر الإشارة إلى أن بدايات الهجرة العربية إلى العالم الجديد تزامنت مع

إعلان الدولة العثمانية عن إفلاسها في سبعينيات القرن التاسع عشر، بعدما تراكمت عليها الديون الخارجية التي صعب عليها تسديدها، ما جعلها تزكي سياسة التقشف التي فرضتها على الولايات العربية التابعة لها، وعلى غيرها من ولايات الإمبراطورية، ما كرّس حالة البؤس والفقير، في وقت ارتفعت فيه أسعار المواد الأساسية لمعيشة السكان، كما ارتفعت قيمة الضرائب المفروضة على مختلف المنتجات المحلية التي لم تعد قادرة على منافسة المنتجات المستوردة. هذه الوضعية المتأزمة التي بدأت في المدن، ما فتئت أن امتدت إلى المناطق القروية، وكانت لا تزال تعيش على نظام إقطاع لم يكن يترك أي أمل لأغلبية السكان من الفلاحين، لتحسين ظروف معيشتهم، وبخاصة خلال سنوات الجفاف. كلُّ هذا تصادف مع تزايد الكثافة السكانية، في المدن والقرى بعامة، وبخاصة تلك التي كانت تعرف بعض الانتعاش الاقتصادي.

وأمام انسداد الأفق، لم يجد الشباب من مخرج غير ترك بلدانهم إلى مناطق مختلفة من العالم، على رأسها أمريكا بشطريها الشمالي والجنوبي. وما ساهم في الرفع من إيقاع الهجرة إضافة إلى ما عرف به «سلسلة المنادة» كما سنرى، نشاط شركات الملاحة التي كانت تبعث بسماستها إلى القرى بما في ذلك القاصية منها، لإقناع الشباب بـ «الهجرة إلى أمريكا من أجل الحصول على الثروة». وكان العديد من هؤلاء الشباب يجهلون كلُّ شيء عن العالم الجديد، والحدود الجغرافية التي تفصل بين بلد وآخر. وقد سجلنا حالات لمهاجرين كانوا يقصدون بلداً معيناً لكنهم نزلوا في أمريكا وليس في ذلك البلد، والسبب تعرضهم لعملية احتيال من طرف القائمين على البواخر التي سافروا على متنها، أو عدم حصولهم على تأشيرة الدخول للبلدان التي يقصدونها. ومن أغرب الأمور التي سجلناها في هذا السياق، هو أن بعض المهاجرين الذين كانوا يقصدون بلداناً مثل الأرجنتين والبرازيل، انتهى بهم المطاف في السينيغال، ذلك لأنهم أثناء توقفهم بميناء مرسيليا من أجل تغيير الباخرة، ركبوا بواخر أقلتهم إلى ما كان يسمى بأفريقيا الغربية الفرنسية بدل أمريكا^(١).

أما بالنسبة إلى العاملين الطائفي والسياسي، نظن أن دورهما كان ثانوياً مقارنة بالعامل الاقتصادي. ومع ذلك، يمكن إيجاد علاقة بينهما وبين البدايات الأولى للهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية، فبخصوص العامل الطائفي، نعلم أن الصراع وصل ذروته خلال المرحلة التي بدأت فيها الهجرة، وهو صراع لفت انتباه القوى الأوروبية منذ الأحداث الدموية التي شهدتها لبنان سنة ١٨٦٠، والتي كانت وراء تدخل فرنسا لحماية الموارد الذين انتقل بعضهم إلى فرنسا في المرحلة نفسها تقريباً التي

(١) هذا ما أخبرنا به بعض قدماء المهاجرين اللبنانيين الذين التقينا بهم في السينيغال عام ١٩٩٢.

نُفي فيها الثائر اللبناني يوسف بك كرم إلى إيطاليا. وبحكم أن السفن التي كانت ترحل إلى أمريكا كانت تنطلق من الموانئ الفرنسية والإيطالية، لا نستبعد أن أوائل العرب الذين وصلوا إلى هذه القارة كانوا ممن هاجروا في مرحلة أولى إلى هذين البلدين.

وبالنسبة إلى العامل السياسي، تجدر الإشارة إلى أن الأوضاع لم تتغير في شيء بعد وصول السلطان عبد الحميد إلى سدة الحكم، بخاصة أن وعوده بوضع دستور ليبرالي للإمبراطورية ما لبثت أن تبخرت، ومعها كُـلّ الآمال في إصلاحات سياسية في الولايات العربية التابعة للباب العالي. وهذا ما شكل خيبة أمل كبيرة لنخبة من المثقفين العرب من ذوي الفكر المستنير الذين رفعوا شعار القومية العربية، وهو ما ووجه بعنف من طرف السلطة الحاكمة. وقد اضطر هؤلاء المثقفون إلى ترك بلاد الشام إلى مصر أولاً، ثم منذ مطلع القرن العشرين إلى بلدان مثل الولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين، حيث ساهموا في تأطير الجالية العربية من الناحية السياسية والاجتماعية، كما أنشأوا تياراً أدبياً عرف في ما بعد بالأدب المهجري، وكانت هجرتهم في درجة أولى إلى البلدان التي تعرف حضوراً عربياً مكثفاً^(٢).

مما سلف ذكره، يتبين أن الهجرة لأسباب طائفية أو سياسية تبقى محدودة الأهمية مقارنة بالهجرة لأسباب اقتصادية، التي تعتبر المحرك الرئيسي لأغلبية العرب الذين حلوا بأمريكا اللاتينية، وهي الهجرة التي ساهم في الرفع من تيرتها ما سمي بـ «سلسلة المناداة»، والتي لم يخل منها بلد من بلدان أمريكا اللاتينية حيث توجد جالية عربية؛ والعبارة تعني إعادة إنتاج نموذج العائلة، أو الطائفة أو القبيلة التي كانت متكثلة في الوطن الأصلي، بالمهجر، بعد أن يرسل المهاجر الأول في طلب عائلته وأقاربه وأصدقائه الذين تكون قد انسدت سبل الرزق في وجوههم. وتكون حاجة المهاجر لكُلّ هؤلاء مزدوجة؛ فهو يعول عليهم لمساعدته في تجارته، وهو يريد أن يشدّ بهم عضده في بلد غريب، أظهر رفضاً وأحياناً عداءً له ولعاداته. وقد كانت «سلسلة المناداة» هذه، مسؤولة أحياناً عن إفراغ قرى بكاملها في بلاد الشام، بحيث يجبرنا عفيف طنوس، الذي تتبع التطور الديمغرافي لقرية بشمزين اللبنانية منذ تأسيسها عام ١٨٧٠ إلى سنة ١٩٣٩، أن ساكنة هذه القرية تضاعفت ثلاث عشرة مرة بين الأعوام ١٨٧٠ و١٩٠٠، لكن ابتداءً من التاريخ الأخير، بدأت هذه الساكنة

(٢) يورد الأديب المهجري جورج صيدح في كتابه الموسوعي عن أدباء المهجر، أسماء خمسة وثمانين أديباً في البرازيل، وثمانية عشر في الأرجنتين، بينما لا يورد أسماء إلا ثلاثة أدباء في فنزويلا، وأدبيين في الإكوادور والأوروغواي، وأديب واحد في كُـلّ من التشيلي والمكسيك وبوليفيا. انظر: جورج صيدح، أدبنا وأدبنا في المهاجر الأمريكية، ط ٣ منقحة ومزودة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤).

تتراجع بشكل كبير نتيجة الهجرة إلى أمريكا^(٣) التي تحكمت فيها من دون شك «سلسلة المنادة». وتحدث سيلفيا مونتينيغرو (Silvia Montenegro) في دراستها عن عرب الأرجنتين التي توجد ضمن هذا الكتاب، عن إحدى قرى جبل العلويين في سوريا، هجرها سكانها جميعاً بين عام ١٩٠٩ وعام ١٩٢٦ نتيجة «سلسلة المنادة»، ليعيدوا تأسيسها في منطقة «لابامبا» (La Pampa) تحت اسم «سوريا الصغيرة».

ب - إقصاء العربي وإغراء الأوروبي

ومن العناصر الأخرى، التي تحكمت في مراحل الهجرة، وكانت تقف وراء توافد المهاجرين على بلدان بعينها في فترات معينة، صدور قوانين للهجرة معرقة لدخول العرب وغيرهم من الآسيويين، ومشجعة لهجرة الأوروبيين^(٤) الذين اعتبروا من دون غيرهم المؤهلين لتحقيق التنمية التي كانت تنشدها أمريكا اللاتينية من وراء فتح أبوابها للمهاجرين.

لقد تركزت هذه الأطروحة الإقصائية بشكل كبير في أمريكا اللاتينية خلال الثلث الأخير من القرن العشرين، واستمرت كمرجعية أحادية إلى غاية الحرب العالمية الأولى، وكانت مسؤولة عن العراقيل التي فرضت على الهجرات غير الأوروبية، ومن بينها الهجرة العربية. ونظن أن فهم الظاهرة يتطلب وضعها في سياقها التاريخي؛ فقد قامت النخبة السياسية الحاكمة التي قادت حركات التحرر، وكلها من أصول إيبيرية، بتطبيق سياسة الإصلاح الزراعي في عدد من بلدان القارة، غير أن هذا الإصلاح لم يكن موجهاً لخدمة مصالح الطبقات الفقيرة من الهنود والزنج، بل لخدمة مصالح الطبقة الإقطاعية، بحيث كان الإنتاج الفلاحي يلبي بدرجة أولى طلبات الأسواق الأوروبية، في وقت تحولت فيه أمريكا اللاتينية إلى سوق للمواد الأولية، على غرار ما أصبح عليه الأمر خلال المرحلة نفسها بالنسبة إلى آسيا أفريقيا، في إطار نظام اقتصادي يقسم العالم إلى مركز هو أوروبا، وإلى هوامش نجد من بينها أمريكا اللاتينية. وهنا تكمن خصوصية هذه القارة، فهي بخلاف أفريقيا وآسيا اللتين عرفتا بسبب موادهما الأولية، وكذلك بسبب الحاجة إليهما كسوق مستهلكة، ظاهرة الاستعمار الأوروبي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كانت أمريكا اللاتينية

Afif Tannous, «Emigration, a Force of Social Change in an Arab Village,» *Rural Sociology*, (٣) vol. 7, no. 1 (March 1942), and Luis B. Compoy, «La Inmigración libanesa en Mendoza,» papier présenté à: Ciclo de conferencias de la Unión Libanesa, Mendoza, 1974.

(٤) من بينها قانون ١٨٤٨ في البيرو؛ وقانون ١٨٧٦ في الأرجنتين؛ وقوانين ١٨٨١ و ١٨٨٥ و ١٩٠٣ في الباراغواي؛ وقانون ١٩٠٦ في الهندوراس؛ وقوانين ١٩٢٧، و ١٩٢٩، و ١٩٣٢، و ١٩٣٦ في المكسيك.

قد حققت خلال تلك المرحلة استقلالها، لكنه استقلال صنعه الأوروبيون الذين جعلوه تابعاً لأوروبا، بخاصة للرأسمال الإنكليزي، الذي ومن أجل الوصول إلى مصادر المواد الأولية الكثيرة التي تزخر بها أمريكا اللاتينية، بدأ بالاستثمار في السكك الحديدية التي استفادت منها بلدان مثل البرازيل والبيرو والأرجنتين^(٥). ومن أجل إنجاح المشاريع الاقتصادية الأوروبية، لم تتردد النخبة الحاكمة ذات الأصول الأوروبية، في القيام بإبادة جماعية للهنود الذين قد يعيقون وصول الأوروبيين إلى مصادر المواد الأولية، على غرار ما كان يحدث خلال المرحلة الاستعمارية^(٦). هذه الإبادة سمحت بالحصول على مساحات شاسعة وخصبة، في وقت تم فيه إلغاء الرق في معظم بلدان القارة، وكان العبيد من أصول أفريقية يعول عليهم بشكل كبير في الإقطاعات الفلاحية. وما زاد الوضع صعوبة بالنسبة إلى كبار ملاك الأراضي، أن التاج الإنكليزي أصدر قراراً سنة ١٨٤٥، يمنع تجارة الزواج الثلاثي.

لقد جعلت هذه العوامل مجتمعة مجيء المهاجرين إلى أمريكا اللاتينية أمراً حتمياً لتعمير الأراضي الشاسعة والخصبة. وبحكم أن الجنس المفضل لضمان «الصفاء العرقي» هو الأوروبي^(٧)، فقد قامت حكومات بلدان أمريكا اللاتينية، ومن أجل استقطاب هذا الجنس، بحملات دعائية نشطة في أهم الموانئ الأوروبية، للإخبار بالامتيازات التي سيحصل عليها كل من يريد أن يهاجر إلى بلدان مثل الأرجنتين، والمكسيك، والبرازيل، والتشيلي، والبيرو. وكانت هذه الامتيازات تشمل أحياناً بطاقة الباخرة، والإقامة بالمجان في فندق المهاجرين عند الوصول إلى المهجر، ومنح أراض لتأسيس مستوطنات فلاحية.

بخلاف ذلك اعتبر كل من هو غير أوروبي من «الأجناس الدخيلة»^(٨) التي يجب منع هجرتها، أو على الأقل تفادي الاختلاط بها عن طريق الزواج إذا ما قدر وحلت

(٥) لخص لينين بدقة تغلغل المصالح الاقتصادية الإنكليزية في بعض بلدان أمريكا اللاتينية، عندما سمي أحد هذه البلدان وهو الأرجنتين «شبه مستعمرة إنكليزية». انظر: James Joll, *Historia de Europa desde, 1870* (Madrid: Alianza editorial, 1983), p. 105.

(٦) من أشهر الإبادات الجماعية للهنود التي عرفتها أمريكا اللاتينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تلك التي تمت بمنطقة يوكاتان (Yucatán) المكسيكية، أو تلك التي تمت بمنطقة بتاغونيا (Patagonia) الأرجنتينية سنة ١٨٨٠، والتي كانت وراء التصفية الجسدية لآلاف الهنود.

(٧) من بين الذين نظروا لأطروحة الصفاء العرقي هناك المؤرخ الأرجنتيني خوان البيردى، الذي كتب في ثمانينيات القرن التاسع عشر ما يلي: «لقد أخذنا من أوروبا مفهوم النظام، ومبادئ الحضارة المسيحية، وفكرة الوطن، بل وأتانا منها كذلك الأشخاص الذين يشكلون هذا الوطن». انظر: Juan Bautista Alberdi, *Bases y puntos de partida para la organización política de la república argentina, la cultura argentina*; 2 reddición (Buenos Aires: La Cultura argentina, 1915), p. 80.

(٨) هذه هي العبارة التي استعملها قانون ١٩٢٧ الصادر في المكسيك، في حق غير الأوروبيين.

في البلاد، لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى حدوث تشويهات فيزيولوجية^(٩). وإذا كان قدوم الجنس الأسود قد أصبح متعذراً بعد إلغاء تجارة الزواج الثلاثي من طرف التاج الإنكليزي كما سلف ذكره، فإن الجنس المستهدف بهذا الإقصاء كان هو الجنس الأصفر^(١٠) الذي اعتبر العرب القادمين من الشرق الأوسط من المنتمين إليه، على غرار الصينيين واليابانيين وبقية مهاجري بلدان الشرق الأقصى، على الرغم من أنهم لم يكونوا كذلك^(١١).

لقد استفاد الأوروبيون من هذه الوضعية ليتوافدوا بالآلاف على أمريكا اللاتينية التي أصبحت بنيتها أوروبية أكثر من أي وقت مضى، بحيث بلغ مجموع الإسبان والإيطاليين والبرتغاليين الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية بين الأعوام ١٨٦٠ و١٩١٠ ستة ملايين^(١٢)، وهي أرقام لا يمكن مقارنتها بتلك المسجلة لدى الآسيويين مثل الصينيين والعرب.

٢ - المراحل

- رواد الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية

أوردت الدراسة المخصصة للجالية العربية في المكسيك وثيقة يعود تاريخها إلى عام ١٨٢٦ تتحدث عن مهاجر «توركو»^(١٣) في هذا البلد، كما أوردت الدراسة المخصصة للتشيلي معطيات عن إحصاء للسكان نظم في البلد المذكور سنة ١٨٥٤، يتحدث كذلك عن وجود مهاجرين «توركوس»، غير أن المصدرين لا يجازفان بالجزم

(٩) لمزيد من التفاصيل، انظر الفصل ١ من هذا الكتاب.

(١٠) بعد منع استخدام الرقيق من أفريقيا في منتصف القرن التاسع عشر، توجهت بعض بلدان أمريكا اللاتينية إلى استخدام الصينيين، الذين تم نقلهم في ظروف لا تختلف كثيراً عن تلك التي كان ينقل فيها الزنوج، وبسبب ذلك كان العديد منهم يموت أثناء السفر، بحيث إنّه ومن ٧٤,٩٥٢ وهو عدد الذين هُجروا إلى البيرو ما بين الأعوام ١٨٦٠ و١٨٧٤، توفي قبل الوصول إليها ما مجموعه ٧,٦٧٧، وكان من ينجح منهم في البقاء على قيد الحياة، يباع لملاك الأراضي الذين كان لهم حق استغلالهم لمدة ثماني سنوات، يتكفلون خلالها بمأكلهم وملبسهم وبدفع أجرة رمزية لهم. انظر: Gustavo Beyhaut y Hélène Beyhaut, *América Latina, vol. 3: De la independencia a la segunda guerra mundial, historia universal siglo XXI*; 23 (Madrid: [s. n.], 1986), p. 90.

(١١) كان إدراج العرب ضمن الجنس الأصفر وراء منع دخول المئات منهم إلى التراب الأرجنتيني في عشرينيات القرن العشرين، بعد صدور قانون يجرم على المنتمين إلى هذا الجنس الهجرة إلى الأرجنتين. وقد وصل عدد العرب الذين منعو من النزول بميناء بوينوس آيريس عام ١٩٢٩ إلى ١٢٠٠. انظر: *الجريدة السورية اللبنانية* (بوينوس آيريس)، ١٧/٩/١٩٢٩.

Beyhaut y Beyhaut, *Ibid.*, p. 52.

(١٢)

(١٣) الكلمة تعني الأتراك، وقد أطلقت على العرب، لأن أوائل المهاجرين كانوا يحملون جوازات سفر عثمانية.

أن الأمر يتعلق بمهاجرين عرب، وهو ما نشاطرهما فيه الرأي، مع ميلنا إلى الظن أن الأمر يتعلق بمهاجرين قدموا بجوازات سفر تركية من منطقة البلقان الأوروبية التابعة آنذاك للإمبراطورية العثمانية، ذلك، لأن وصول المهاجرين من جهات أوروبا المختلفة إلى المكسيك والتشيلي، بدأ بعد حصول هذين البلدين على استقلالهما في عشرينيات القرن التاسع عشر، وإن لم يأخذ طابع الأهمية إلا في منتصف القرن نفسه.

إضافة إلى ذلك نتحدث الدراسة المخصصة للمكسيك عن وجود أسماء عربية في السجلات التجارية لإحدى المدن المكسيكية، يعود تاريخها إلى سنة ١٨٤٢، من دون الجزم بأن الأمر يتعلق بمهاجرين عرب. وهنا نظن أن الأمر غير ذلك، لأننا نعرش في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية على أسماء عائلية عربية، من دون أن يكون لأصحابها أية علاقة جينالوجية بالهجرة العربية، التي بدأت في القرن التاسع عشر، وإنما يتعلق الأمر بمتحدرين من أصول مورسكية، أُجبر أسلافهم وكانوا من المسلمين واليهود الذين تخلفوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢، على اعتناق المسيحية، قبل السماح لهم بالانتقال إلى العالم الجديد خلال المرحلة الاستعمارية^(١٤).

إن أسباب الهجرة التي تحدثنا عنها في بداية هذا المحور، تؤكد أن وصول العرب من منطقة الشرق الأوسط إلى أمريكا اللاتينية، لم يتم قبل النصف الثاني من ستينيات القرن التاسع عشر، باستثناء حالات معزولة^(١٥). وبمقارنتنا سجلات دوائر الهجرة في بعض بلدان أمريكا اللاتينية، بتقارير مؤسسات الجاليات العربية، وبالتحريات الميدانية، وبالرواية الشفوية التي اعتمدها بعض الصحف العربية الصادرة في بداية القرن العشرين بعدد من بلدان أمريكا اللاتينية، وبأعمال توثيقية لمهاجرين ورحالة عرب^(١٦)، أمكن وضع الجدول التالي حول رواد الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية^(١٧).

(١٤) من بين هذه الأسماء العائلية نذكر «عباد»، و«عالم»، و«منصور»، و«مولاي عبد الله»، و«المنية»، و«مدينة»، و«بني أمية»، وهي الأسماء نفسها التي نجدها إلى اليوم في إسبانيا والبرتغال.
(١٥) مثل تلك التي يمثلها الراهب إلياس الموصل، والتي وردت تفاصيل بشأن رحلته إلى أمريكا اللاتينية، في الفصل ١ من هذا الكتاب.

(١٦) من بين المصادر المعتمدة في وضع الجدول: البدوي المثلث، الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية، ٢ ج في ٣ مج (بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦)؛ توفيق ضعون، ذكرى الهجرة: اعترافات وإذاعات (سان باولو: [د. ن.، ١٩٤٥]؛ جورج عساف، تاريخ الهجرة السورية اللبنانية (بوينوس أيريس: [د. ن.، ١٩٤٣]؛ يوسف العيد، رحلات في العالم الجديد (بوينوس أيريس: مطبعة رستم إخوان، [د. ت.، و]، Alejandro Schamún, *La Colectividad siria en la república argentina* (Buenos Aires: Assalám, 1910).

(١٧) اقتصر الجدول على المهاجرين المعروفة أسماؤهم، علماً أنهم ليسوا بالضرورة أول من هاجر إلى البلد =

الجدول رقم (خلاصة تنفيذية - ١)
رواد الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية

الاسم	تاريخ الهجرة	البلد الأصلي	بلد الهجرة
حبيب نشبي	١٨٧٠	-	الأرجنتين
حنا خليل وإلياس مرقص	١٨٧٠	فلسطين	المكسيك
الأخوان سلامة	١٨٧٠	فلسطين	الإكوادور
باسيل حجار	١٨٧٤	فلسطين	البرازيل
يوسف أبو فهد وأولاده	١٨٧٦		الأوروغواي
أنطوان فرح	١٨٧٩		كوبا
جبران دعيت	١٨٨٠	فلسطين	التشيلي
إسحاق وجورجي لوبية	١٨٨٠	فلسطين	فنزويلا
فضل شقر وفريد شاعر	١٨٨٠	لبنان	كولومبيا
سعيد ساحورية	١٨٨٤	فلسطين	البيرو
جاد الله ذكرت وسليمان جاسر	١٨٨٥		الهندوراس
بطرس سوما وسوزان تخان	١٨٨٧	لبنان	كوستاريكا
قسطنطين الرزة	١٨٩٠		الباراغواي
يعقوب المقدسي	١٨٩٠	فلسطين	جمهورية الدومينيكا

تباينت مراحل الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية بين بلد وآخر، كما توضح لنا دراسات هذا الكتاب، بحيث حصرتها بعضها في ثلاث، بينما حصرتها أخرى في أربع. هذا التقسيم تحكمت فيه أعداد المهاجرين الذين حلوا بكل واحد من البلدان المدروسة خلال مرحلة تاريخية معينة، كما تحكمت فيه الأوضاع السياسية والاقتصادية التي كان يعرفها كل واحد من هذه البلدان، وهي أوضاع قد تكون مغرية للمهاجرين، وبالتالي تشجعهم على الهجرة، وقد تكون غير ذلك، وبالتالي تجعلهم يختارون بلداً آخر. وهكذا نسجل على سبيل المثال أن الثورة المكسيكية سنة ١٩١٠، والتي أعقبتها حرب أهلية دامت عشر سنوات، كانت وراء تراجع دخول العرب إلى هذا البلد الذي فضلوا عليه الولايات المتحدة أو بلداناً أخرى في أمريكا الوسطى

= الذي استقروا فيه، كمثال على ذلك ورد عند الإسكندر شمعون أنه تعرف في مطلع القرن العشرين في الأرجنتين، على عرب هاجروا إلى هذا البلد قبل عام ١٨٦٨، إلا أنه لا يذكر أسماءهم. انظر: Shamún, Ibid., p. 36.

المجاورة، أو فنزويلا التي أصبحت مصدر إغراء للمهاجرين ابتداءً من عام ١٩١٧، بعد اكتشاف آبار البترول فيها^(١٨).

وبعض النظر عن التقسيم الذي وضعته الدراسات سالفه الذكر لمراحل الهجرة، نظن أن أهم حضور للمهاجرين العرب في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية سجل خلال الثلث الأول من القرن العشرين، وأن ثقل الجالية بعد ذلك أصبح يشكله المتحدرون المزدادون في هذه القارة وليس المهاجرون.

الجدول رقم (خلاصة تنفيذية - ٢) أعداد العرب المقيمين في بعض بلدان أمريكا اللاتينية خلال الثلث الأول من القرن العشرين

البلد	السنة	العدد
المكسيك	١٩٣٠	١٥,٠٠٠
البرازيل	١٩٢٦	١٦٢,٠٠٠
فنزويلا	١٩٢٦	٣,٢٨٢
كولومبيا	١٩٢٦	٣,٧٦٧
الإكوادور	١٩٢٦	١,٠٦٠
التشيلي	١٩٣٠	٦,٧٠٣
الأرجنتين	١٩١٤	٦٤,٣٦٩
كوبا	١٩٣٠	٩,٠٠٠

المصدر: اعتمدنا في وضع الجدول على سجلات إدارة الهجرة في البلدان المعنية، وإحصاءات السكان، وتقارير قنصليات فرنسا (الدولة المنتدبة في سوريا ولبنان) في بعض هذه البلدان، وتقديرات مؤسسات الجالية العربية.

ويعود السبب في التراجع العددي للمهاجرين بعامة، إلى الآثار السلبية التي تركتها الأزمة الاقتصادية العالمية على اقتصاديات عدد من بلدان أمريكا اللاتينية التي أرغمتها على وضع عراقيل جديدة على دخول الأجانب، بمن في ذلك الأوروبيون الذين فتحت لهم إلى ذلك التاريخ أبوابها من دون قيد أو شرط. ومن النماذج التي

(١٨) من بين العرب الذين استفادوا من هذه الوضعية، يذكر سامي عبيد مهاجراً لبنانياً اسمه جوليان حاتم، هاجر إلى فنزويلا في نهاية القرن التاسع عشر. وقد بدأ حياته في المهجر تاجراً متجولاً، قبل أن يصبح عقب اكتشاف البترول من كبار تجار الجملة، ما أهله للاستثمار في البترول، حيث تحول في مدة وجيزة إلى المتعاقد الرئيسي مع أهم شركة بترولية في ولاية «فالكون» (Falcón). انظر: سامي عبيد، الجالية العربية في فنزويلا (بيروت: دار الكتاب العالمي، ١٩٩٢)، ص ٩٧.

يتبين منها تراجع الهجرة العربية ما نسجله بالنسبة إلى الأرجنتين؛ فقد تراجع عدد الوافدين العرب عليها، بحسب سجلات إدارة الهجرة الأرجنتينية، من ٤,٧٠٤ سنة ١٩٣٠ إلى ٣٠٦ سنة ١٩٣٢. وعلى الرغم من أن الأرقام ستعود للارتفاع بعد الحرب العالمية الثانية، بخاصة بعد الانتعاش الاقتصادي الذي عرفته بلدان القارة المستفيدة من صادراتها الفلاحية إلى أوروبا المخربة، فإن التطور العددي للهجرة العربية لم يسجل نوعاً من الأهمية خلال العقود الموالية إلا وقت الأزمات السياسية التي عرفها الوطن مثل تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٨؛ وهزيمة حرب ١٩٦٧؛ واندلاع الحرب الأهلية اللبنانية سنة ١٩٧٥. وقد أثار اهتمام مناطق محددة في بلدان بعينها^(١٩)، أما بقية أنحاء القارة فلم يعد يتوافد عليها المهاجرون بغض النظر عن جنسياتهم، لأنها لم تعد مصدر إغراء اقتصادي، بل العكس هو الصحيح، إذ أصبح يغادرها الآلاف من أبنائها بحثاً عن غد أفضل في الولايات المتحدة المجاورة أو في أوروبا، في وقت وجد فيه المرشحون للهجرة من شبان الشرق الأوسط بديلاً في بلدان الخليج العربي القائم اقتصادها على النفط.

نخلص بصدد هذه النقطة إلى أن التقييم العددي للعرب في أمريكا اللاتينية، هو واحد من أكثر المواضيع تعقيداً، لأننا ومهما حاولنا اعتماد الصرامة العلمية فيه، يبقى إعطاء الأرقام تقريبياً فقط، ذلك لأنه بالنسبة إلى المراحل الأولى من عهد الهجرة، كانت السجلات الرسمية تتضمن الكثير من الثغر، مثل إدراج العرب ضمن الخانات المخصصة لـ «جنسيات مختلفة»، أو إدراجهم ضمن الخانات المخصصة للديانة وليس للجنسية، أو إدراجهم ضمن رعايا البلدان الأوروبية التي قدمت منها البواخر التي كانت تقلهم، هذا من دون ذكر دخول العديد منهم بشكل غير قانوني، وبالتالي كان يستحيل تسجيلهم من طرف دوائر الهجرة. وبالنسبة إلى المراحل المتأخرة التي قلنا إن السواد الأعظم من أفراد الجاليات العربية هم من المتحدرين، فإن هؤلاء وبسبب حملهم جنسيات البلدان التي ولدوا فيها، يتعذر معرفة عددهم من خلال إحصاءات السكان التي تنظمها هذه البلدان، لأن هذه الإحصاءات لا تأخذ بعين الاعتبار أصلهم العربي^(٢٠).

(١٩) يتعلق الأمر بمدينة مايكاو (Maicao) الكولومبية، ومدينة إيسلا مارغاريتا (Isla Margarita) الفنزويلية، ومدينة ثيوداد ديل إيستي (Ciudad del Este) البراغواتية، ومدينة فوث دي إغواثو (Foz de Iguazu) البرازيلية، ومدينة بويرتو دي إغواثو (Puerto de Iguazú) الأرجنتينية، ومدينة كولون (Colón) البنمية، ويسيطر العرب في المدن الأربع الأخيرة - وكلها مناطق تجارة حرة - على الحركة التجارية بشكل كبير.

(٢٠) تقدم القنصليات السورية واللبنانية في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية أرقاماً عن عدد المسجلين فيها من رعاياها، غير أن هذه الأرقام هي أقل من العدد الحقيقي، والسبب هو أن أغلب المتحدرين خصوصاً من =

ثانياً: العرب في اقتصادات أمريكا اللاتينية : من التجارة المتجولة إلى تأسيس البنوك

من الأمور التي تثير الانتباه في الحضور العربي في أمريكا اللاتينية، هو إقبال غالبية المهاجرين على النشاط التجاري، بمن فيهم أولئك الذين ينتمون إلى أصول قروية والذين كان نشاطهم قبل الهجرة هو الفلاحة. مرد ذلك أن الفلاحة تتطلب استقراراً طويلاً الأمد، بخلاف التجارة المتجولة التي كانت تتماشى مع طبيعة هجرتهم المؤقتة. وقد تزامن هذا الإقبال الجماعي للعرب على ممارسة التجارة، مع حرص حكومات أمريكا اللاتينية على أن تكون مساهمة المهاجرين في التنمية الاقتصادية من خلال ممارسة النشاط الفلاحي. والواقع أن رفض العرب المساهمة في السياسة الاقتصادية لهذه الحكومات كانت من الأسباب التي جعلت الصحافة بل والرأي العام يتحاملون عليهم، وهو ما مس سمعتهم، بل وأخر مسلسل اندماجهم، كما سنرى عند الحديث عن المحور الاجتماعي.

وقد خضع مسلسل الحضور الاقتصادي العربي للنسق نفسه في جل بلدان أمريكا اللاتينية حيث توجد جاليات عربية، على الرغم من وجود بعض الاختلافات بين هذه البلدان في بناها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهكذا نسجل مرور هذا المسلسل في المراحل التالية: التجارة المتجولة، تجارة التقسيط، تجارة الجملة، الصناعة، البنوك.

لقد حتم عدم معرفة البلد ولغته وعاداته، على التاجر المتجول العربي ممارسة نشاطه في بداية عهد الهجرة في المدن الساحلية التي نزل فيها^(٢١)، قبل أن ينتقل إلى بقية المدن في مرحلة ثانية^(٢٢)، ثم إلى المناطق القروية التي لم يكن قد وصلها أحياناً

= الجليل الثالث والرابع والخامس، مندمجون بشكل كامل في المجتمعات التي ولدوا فيها والتي يحملون جنسية بلدانها، ولا علاقة لهم بهذه القنصليات. كما تقدم بعض المؤسسات الدينية العربية، تقديرات عن أعداد العرب الذين يدينون بديانتها نفسها، وهنا نسجل أن الأرقام فيها الكثير من المبالغة.

(٢١) استقر أوائل العرب الذين حلوا في البرازيل بـ «ريو دي جنيرو»، و«سانتوس»، و«برا»، و«ريو كراندي»؛ وفي الأرجنتين بـ «بوينوس آيريس»، و«سانتا في»؛ وفي الأروغواي بـ «مونتيڤيديو»؛ وفي التشيلي بـ «سانتياغو»؛ وفي فنزويلا بـ «كراكاس»، و«برشلونة»، و«كاروبانو»، و«ماراكايبو»، و«بورلامار»؛ وفي الإكوادور بـ «كوياكيل»؛ وفي السالفادور بـ «سانتا آنا» و«سان سالفادور» و«سان ميغيل»؛ وفي الهندوراس بـ «بورتو كورتيس» و«بروغريسو».

(٢٢) نسجل استثناء بالنسبة إلى البيرو حيث لم يستقر أوائل العرب في المدن الساحلية، وإنما في تلك الواقعة جنوب منطقة الأنديس، وكان قدومهم إليها، كما تبين الدراسة المخصصة لعرب البيرو، من البلدان المجاورة وليس من بلدانهم الأصلية.

النظام النقدي بعد، بحيث كان التعامل مع سكانها وبخاصة الهنود يتم بالمقايضة^(٢٣)، وهو ما سمح بتحقيق أرباح مهمة، وبخاصة أن الباعة المتجولين العرب كانوا في العديد من الحالات أول من أوصل المنتوجات المصنعة إلى هذه المناطق. وقد شجع ما يحصلون عليه من أرباح^(٢٤)، العديد منهم على الاستقرار في هذه القرى وفتح محال تجارية فيها^(٢٥).

ويعود تأسيس العرب أول المحال التجارية في أمريكا اللاتينية إلى ثمانينيات القرن التاسع عشر^(٢٦)، وإن بقي عددها محدوداً إلى بداية القرن العشرين حيث تزايد

(٢٣) أخبرنا بعض المتحدرين من أصل عربي المزدادين في عشرينيات القرن العشرين وقبلها، أن بعض الباعة المتجولين العرب، استفادوا من المقايضة، ومن جهل سكان المناطق القروية بالقيمة الحقيقية للمنتوجات التي كانوا يبيعونها لهم. على العكس من ذلك تشير ليلى برطيط في دراستها عن عرب البيرو، إلى أن العرب لم يكن بإمكانهم المنافسة في اقتصاد قائم على المقايضة في بعض قرى البيرو، لذا فضلوا التعامل بالنقود، وكانوا بذلك أول من أدخل الاقتصاد النقدي إلى هذه المناطق.

(٢٤) نجبرنا ماتيو بوز (Mateo Booz)، في كتاب صدر سنة ١٩٤٤، أن التجارة المتجولة تراجعت في العقد المذكور بشكل كبير في الأرجنتين. وبحسب رواية بعض المهاجرين العرب في البلد المذكور، أصبح وجود باعة متجولين عرب في الأرجنتين في العقد الموالي أمراً نادراً، يسري هذا كذلك على بلدان مثل البرازيل والتشيلي، أما المكسيك فقد ارتبط تراجع التجارة المتجولة بقانون صدر عام ١٩٣٧ يمنع العرب من ممارستها، كما تجبرنا الدراسة حول عرب المكسيك. بخلاف ذلك نسجل أن بعض العرب ما زالوا إلى اليوم يمارسون هذا النشاط بعدد من بلدان أمريكا الوسطى، وإن تطورت الوسائل المستعملة، حيث تمّ تعويض الدواب، بالشاحنات. انظر: روبرتو مرين كوسمان، «المساهمة الاقتصادية والثقافية للمهاجرين العرب في أمريكا الوسطى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين»، في: أنطونيا روبييدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، إشراف ماريا روزا دي مدارياغا؛ تقديم وترجمة عبد الواحد أكمر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥)، ص ١٢٩، Mateo Booz, *Gente del litoral (leyendas, supersticiones y costumbres de los campos, pueblos y ciudades de la región)* (Buenos Aires: Comisión nacional de cultura, 1944), p. 172.

(٢٥) أسس العرب في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية قرى تحمل أسماء مدنهم وقراهم الأصلية، وتحدث سيلفيا مونتينغرو في دراستها حول عرب الأرجنتين، عن قرية «سوريا الصغيرة» التي تعتبر من القرى القليلة التي أنشأها العرب من أجل ممارسة النشاط الفلاحي ذلك، لأن أغلب القرى نشأت لدوافع تجارية. ومن بين هذه القرى تلك التي عرفت نمواً سكانياً سريعاً بسبب ازدهارها التجاري، هناك قرية جبل لبنان بكولومبيا والتي تصل ساكنتها اليوم إلى حوالي سبعين ألف نسمة. وقد أخبرنا رئيس النادي اللبناني في بوينوس أيريس ميغيل شاهين، أن والده كان من مؤسسي إحدى هذه القرى في الأرجنتين سنة ١٩٠٣، وأن ساكنتها لازالت تحتفظ بذكراه. انظر الحوار الذي أجريناه معه في: Abdeluahed Akmir, *La Inmigración árabe en Argentina, 1880-1980*, tesis doctorales, universidad complutense de Madrid; 123 (Madrid: Editorial de la universidad complutense de Madrid, servicio de reprografía, 1991), pp. 743-747.

(٢٦) فتح أول عربي محلاً تجارياً في البيرو سنة ١٨٨٧، حسب غاليندو فلوريس (Galindo Flores)، وكان ذلك في مدينة «أركيبا». خلال المرحلة نفسها كان العرب يمتلكون مجموعة من المحال التجارية متواضعة الأهمية بيونوس أيريس، راح عددها سنة ١٨٨٩ بحسب دراسة ميدانية قامت بها صحيفة أرجنتينية في السنة المذكورة، بين ٣٠ و٣٥. انظر الفصل ٤ من هذا الكتاب، و «Respecto a los mendigos turcos.» *El Diario* (Buenos Aires), 9/4/1889.

بشكل لافت، وبخاصة في البلدان التي عرفت هجرة عربية مهمة عددياً مثل البرازيل والأرجنتين. ويتحدث الإحصاء الصناعي لمدينة ساوباولو الذي اعتمده سيلفيا مونتينغرو، عن وجود ٣٢٠ محلاً تجارياً عربياً في هذه المدينة سنة ١٩٠٧، كما يتحدث الإحصاء التجاري الذي أشرفت عليه مؤسسة السلام في الأرجنتين سنة ١٩١٦، عن وجود ٣,٧٠١ محل تجاري عربي بهذا البلد في السنة المذكورة^(٢٧). لكن وبخلاف ما هو عليه الأمر في البلدين، بقي عدد المحال التجارية ذات الرأسمال العربي محدوداً في البلدان التي لم تعرف وجوداً عددياً مهماً للعرب. وتذهب سيلفيا مونتينغرو في دراستها عن الحضور العربي في الباراغواي، وهو من أفقر بلدان أمريكا اللاتينية، إلى أن المحال التجارية العربية للبيع بالتقسيط لم تظهر في هذا البلد إلا في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين. وعلى الرغم من أننا لا نستبعد وجودها قبل هذا التاريخ، فإننا نزن أن عدد هذه المحال بقي محدوداً حتى العقد المذكور، سواء في الباراغواي أو في بوليفيا المجاورة.

وقد ساهم في ظهور هذا العدد المرتفع من المحال التجارية في البلدان التي تعرف حضوراً عربياً مهماً، تحول هجرتهم من مؤقتة إلى دائمة، وتخليهم عن فكرة جمع قدر من المال والعودة إلى الوطن لإقامة مشروع هناك، كما ساهم في ذلك، النجاح الذي حققوه في التجارة المتجولة، وكذا ازدياد وتيرة «سلسلة المناداة» التي كانت وراء استقدام أوائل المهاجرين أفراداً من عائلاتهم أو أصدقائهم، لمساعدتهم في المحل التجاري كما مرّ بنا، أو ليعملوا لحسابهم كباعة متجولين يتولون ترويج منتوجات المحل في ضواحي المدن وكذا في المناطق القروية.

وسيسمح النجاح الذي حققه عدد منهم في تجارة التقسيط بعد الحرب العالمية الأولى ببلدان مثل البرازيل والتشيلي والأرجنتين والمكسيك، بتحول بعضهم إلى كبار تجار الجملة المستوردين للسلع من إنكلترا واليابان. وكانت المنتوجات التي يسوقونها هي النسيج بدرجة أولى، ثم بعد ذلك الخردة والملابس الجاهزة والأحذية^(٢٨).

وبموازاة الاستثمار في تجارة التصدير والاستيراد، نسجل حضور العرب في الصناعة منذ مرحلة مبكرة، إذ نعر على مؤسسات صناعية ذات رأسمال عربي منذ بداية عهد الهجرة تقريباً، حتى في البلدان التي لم تعرف حضوراً عربياً مهماً، مثل

(٢٧) انظر دراسة سيلفيا مونتينغرو عن عرب البرازيل في الفصل ٣ من هذا الكتاب، و Alejandro Schamún, *La Siria nueva: Guía a del comercio sirio-libanés* (Buenos Aires: Assalám, 1917), p. 24.

(٢٨) على سبيل المثال من مجموع المحال التجارية ٣,٧٦١ التي أحصتها مؤسسة السلام في الأرجنتين عام ١٩١٦، تخصص ٧٧,٠٨ في المئة في المواد المذكورة أعلاه. انظر: المصدر نفسه.

البيرو التي فتح مهاجر فلسطيني في عاصمتها ليما معملاً للنسيج عام ١٨٨٥، أو بوليفيا المجاورة التي فتح في عاصمتها «لاباث» مهاجر فلسطيني آخر محلاً في التخصص نفسه سنة ١٩١٢^(٢٩)، أو الإكوادور الذي أنشأت فيه عائلة دسوم العربية معملاً آخر للنسيج في العقد نفسه، هذا إضافة إلى المؤسسات الصناعية التي أسسوها في البلدان التي تعرف حضوراً عددياً مهماً لهم، مثل البرازيل، التي أسس فيها مهاجر سوري معملاً للأدوات البرونزية سنة ١٨٩٨ في ساو باولو^(٣٠)، أو الأرجنتين التي أسس في عاصمتها بوينوس أيريس مهاجر عربي معملاً للبرغل سنة ١٩٠٤^(٣١)، أو التشيلي حيث أسست عائلة عربية معملاً للنسيج في العاصمة سانتياغو عام ١٩٠٨، ثم معملاً للملابس الداخلية في المدينة نفسها سنة ١٩١٠^(٣٢)، غير أننا في كل هذه التجارب التي يمكن أن نعتبرها رائدة، نظن أن الأمر يتعلق بمجرد ورش بسيطة، شبيهة بتلك التي كانت توجد في مدن الشام التي قدموا منها، وليس في مؤسسات صناعية بمعنى الكلمة، وإن نجح بعض هؤلاء الرواد في تطوير هذه الورش إلى مؤسسات صناعية كبرى منذ عشرينيات القرن العشرين وبخاصة منذ مطلع الثلاثينيات^(٣٣)، مستفيدين في ذلك من عوامل طارئة، على رأسها الأزمة الاقتصادية العالمية التي قامت على أثرها بعض الحكومات الأمريكية اللاتينية بعد إغلاق عدد من الشركات الأوروبية والأمريكية العملاقة فروعها في بلدان مثل الأرجنتين والبرازيل والمكسيك، بوضع أسس صناعة وطنية تتمكن من تغطية حاجيات السوق الداخلية، بإجراءات وقائية من بينها مراقبة التبادل التجاري مع البلدان المصنعة، والرفع من الرسوم الجمركية على المتوجات المستوردة، وتخفيض الرسوم على الآلات الصناعية، وتسهيل حصول المستثمرين على المواد الأولية المستعملة في إنتاج النسيج، والملابس الجاهزة مثل الجلود والقطن والصوف، وكان عدد من بلدان القارة من أهم البلاد المصدرة لهذه المواد على الصعيد العالمي.

وإضافة إلى استفادتهم من هذه الأوضاع التي يمكن أن نعتبرها عامة، استفاد العرب من أوضاع خاصة تتمثل في وجود أعداد كبيرة من تجار الجملة والتفصيل من مواطنهم كانوا بمثابة السوق الرئيسي لإنتاج المؤسسات الصناعية العربية، ومن

(٢٩) لمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى الفصل ٤ من هذا الكتاب.

(٣٠) الملثم، الناظون بالضاد في أمريكا الجنوبية، ص ١٥٥.

(٣١) جريدة السلام (بوينوس أيريس)، ١١/٢/١٩٠٤.

(٣٢) الملثم، المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٣٣) من بين هذه العائلات نذكر عائلة يافت التي أسست معملاً متواضعاً للنسيج الفظني بمدينة ساو باولو سنة ١٩٠٧، غدا في مطلع الثلاثينيات، من أهم مؤسسات صناعة النسيج في أمريكا اللاتينية، كما سيأتي ذكره في الهامش رقم ٣٤ التالي.

وجود غرف تجارية وبنوك ذات رأسمال عربي في بلدان مثل البرازيل والأرجنتين والتشيلي والمكسيك، نجح من خلالها رجال الصناعة العرب في ربط تعاون مع مؤسسات صناعية عربية في بلدان أخرى في أمريكا اللاتينية.

وكان أهم بروز للصناعيين العرب في القارة المذكورة في البرازيل والتشيلي والأرجنتين^(٣٤). وقد وصلت نسبة ما تنتجه المؤسسات الصناعية ذات الرأسمال العربي في البرازيل قبيل الحرب العالمية الثانية، إلى ٧٥ في المئة من الإنتاج الوطني لمادة الحرير، و ٢٥ في المئة من الإنتاج الوطني لمادتي القطن والصوف^(٣٥)؛ ووصلت نسبة ما تنتجه المؤسسات الصناعية العربية خلال المرحلة نفسها في التشيلي إلى ٩٠ في المئة من الحرير والقطن والنيلون^(٣٦). وبحسب إحصاء اقتصادي نُظِم في هذا البلد سنة ١٩٣٧، كان يوجد في التشيلي في السنة المذكورة ١٤٧ مؤسسة صناعية ذات رأسمال عربي؛ ٦٦ في المئة منها متخصصة في النسيج و ٣٠ في المئة في الملابس الجاهزة^(٣٧)؛ أما في الأرجنتين فقد وصلت نسبة ما تنتجه المؤسسات الصناعية ذات الرأسمال العربي في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، إلى ٥٠ في المئة من مجموع النسيج المصنع في هذا البلد^(٣٨).

وستعرف مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تحولاً نوعياً في مساهمة العرب في الاستثمارات الصناعية في أمريكا اللاتينية، سواء من حيث الانتماء الجيلي للمستثمرين، أو من حيث نوع الاستثمارات؛ فالعربي الذي استثمر في الصناعة خلال هذه المرحلة ليس هو المهاجر وإنما المتحدر من أصل عربي، الذي ينتمي عادة إلى العائلات التي وضعت أسس الصناعة العربية في الماضي والذي بحكم انتمائه إلى جيل مختلف، ثم بحكم تكوينه الجامعي (عادة في مجالات مرتبطة بالصناعة

(٣٤) تعتبر عائلة يافت رائدة الصناعة العربية في البرازيل؛ إذ كانت تمتلك في ولاية ساو باولو في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين حياً صناعياً يشغل حوالى خمسة آلاف عامل. أما في التشيلي فقد أصبح آل جارور الذين دخلوا مجال الاستثمار الصناعي في الثلاثينيات، يمتلكون خلال الأربعينيات والخمسينات أهم مؤسسة صناعية في البلاد في مجال النسيج، حيث امتدت على مساحة ١٨٠ ألف متر مربع وكانت تشغل ما يفوق ثلاثة آلاف عامل، وفي الأرجنتين كان توفيق سركيس خلال الأربعينيات يمتلك أهم مؤسسة صناعية لإنتاج الحرير في هذا البلد. انظر: الملثم، المصدر نفسه، صفحات مختلفة.

(٣٥) انظر مجلة الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في الأرجنتين (11: *La Situación* (Buenos Aires) septiembre 1938), p. 33.

(٣٦) *La Situación* (24 marzo 1940), p. 150.

(٣٧) *Censo industrial y comercial, año 1937* (Santiago: Dirección general de estadísticas de Chile, 1939), pp. 10-21.

(٣٨) انظر تقارير الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في الأرجنتين لسنوات ١٩٣٢ - ١٩٣٤.

وبالاقصاد عامة)، أعطى نفساً آخر للاستثمارات الصناعية العربية، إذ قام بإعادة هيكلية المؤسسة الصناعية العائلية، التي لم تعد منحصرة في مجالات الاستثمار التقليدية بل انتقلت إلى مجالات أخرى، واستثمر هذا المتحدر أحياناً في مجال الصناعة الثقيلة في بلدان مثل البرازيل والأرجنتين^(٣٩)، واستثمر أحياناً أخرى في الصناعة الفندقية في بلدان مثل كوستاريكا^(٤٠)؛ كما استثمر في عالم البنوك في بلدان مثل الأرجنتين والبرازيل؛ كما سئرى في محور آخر، وفي بورصة القيم في بلدان مثل المكسيك وكوستاريكا^(٤١).

ثالثاً: العرب في مجتمعات أمريكا اللاتينية

١ - من الرفض إلى القبول

جعل انتماء المهاجرين العرب إلى بلدان لها البنى الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية نفسها، واستقرارهم في بلدان تتشابه في ما بينها كذلك من حيث بناها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، جعل مسلسل اندماجهم لا يختلف من بلد إلى آخر إلا بشكل طفيف. وقد عانى أوائل المهاجرين العرب بشكل عام من التهميش؛ وكان النشاط الذي يمارسونه، وتقتيرهم في العيش، وعدم اهتمامهم بهندامهم، وعاداتهم الغربية على المجتمعات التي حلوا بها، ما ساهم في تكريس هذا التهميش، وبالتالي خلق صورة سلبية عنهم، لدرجة أن لقب «التوركو» (Turco) الذي أطلق عليهم والذي لم يكن يعني في البداية غير الانتماء إلى منطقة جغرافية معينة، أصبح المقصود به مع تقدم الوقت وتزايد عددهم، مجموعة بشرية مرفوضة داخل المجتمع. هذا التحقير، وإن استهدف في البداية الباعة المتجولين، فإنه سرعان ما امتد ليشمل كلّ العرب بغض النظر عن مستواهم الثقافي أو الاقتصادي أو الاجتماعي، أو انتمائهم الديني أو العرقي؛ إذ لم يعد المجتمع المضيف يميز فيهم بين المسلم

(٣٩) يعتبر خورخي أنطونيو المزداد في الأورغواي والذي قضى معظم حياته في الأرجنتين، واضع أسس الصناعة الثقيلة ذات الرأسمال العربي في أمريكا اللاتينية، فقد وقعت مجموعته الاقتصادية اتفافية مع مؤسسة مرسيدس الألمانية من أجل تصنيع أنواع خاصة من الشاحنات والسيارات في الأرجنتين، وهو ما حوله منذ بداية خمسينيات القرن العشرين إلى أهم رجل صناعة في هذا البلد؛ الذي حصل فيه على لقب صناعي السنة مرتين.

(٤٠) يمتلك العرب في الوقت الحاضر عدداً من أهم فنادق كوستاريكا مثل فندق «بلازا» (Plaza)، وفندق «كاريارى» (Cariari)، وفندق «كوربيشي» (Corbici).

(٤١) من أبرز العرب الذين استثمروا في البورصة، نذكر ميغيل بزونة (Miguel Bazuna) الذي يرجع له الفضل في إنشاء بورصة القيم في كوستاريكا.

والمسيحي واليهودي^(٤٢)، وبين السوري واللبناني والفلسطيني. وقد حتم عليهم هذا إنشاء أحياء خاصة بهم، أساساً في المدن الكبرى والتي كانت وضعية التهميش التي عاشوها أكبر من تلك التي عاشوها في المدن الصغيرة وفي المناطق القروية. وهكذا نشأت أحياء عربية في بوينوس آيريس، وساو باولو، وريو دي جينيرو، وسانتياغو، من بين مدن أخرى، وكانت جميعها تعرف باسم «حيّ التوركوس»^(٤٣). وهي أحياء شبيهة بغيتوهات، تعكس إضافة إلى رغبة المهاجرين في التكتل^(٤٤)، حالة الإقصاء التي كانوا عرضة لها من طرف مختلف شرائح المجتمع^(٤٥). وتصف صحيفة أرجنتينية حيّ «التوركوس» في بوينوس آيريس سنة ١٩٠٢ على النحو التالي: «إن جلّ سكان الحيّ الموجود في العاصمة والممتد على شوارع لاريكونكيستا وشاركاس وقرطبة، من التوركوس، وهو ممتلئ بدكاكينهم... هذه الدكاكين باستثناء واحد أو اثنين، تعد متواضعة الأهمية... ومن المؤلف أن تعثر داخل الدكان بجوار المنضدة على سرير، وذلك على اعتبار أن صاحب المتجر يقيم فيه، أما بالنسبة إلى الذين يمتلكون منازل

(٤٢) تجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود من أصول شامية، شكلوا جزءاً من الجالية العربية إلى غاية سنة ١٩٤٨، حيث تأثرت هذه الجالية بالصراع العربي - الفلسطيني، الذي وقعت بسببه مواجهات بين أفرادها في عدد من البلدان مثل الأرجنتين والبرازيل وفنزويلا والتشيلي والمكسيك. وإذا كان التلاحم قد استمر بين المسلمين والمسيحيين العرب، فإن اليهود من الأصل نفسه، وجدوا البديل في أبناء ملتهم من اليهود المغاربة المنتمين لأصل سفردى، والذين كان لهم نفوذ اقتصادي وحضور عددي مهم خلال هذه المرحلة في بلدان مثل البرازيل وفنزويلا والأرجنتين.

(٤٣) على الرغم من أن الرغبة في التكتل لم تعد موجودة في الوقت الحاضر، بعد زوال أسبابها، فإن الأحياء العربية ما زالت موجودة بهذه المدن، غير أن دلالتها لم تعد اجتماعية كما كان عليه الأمر وقت تأسيسها، وإنما أصبحت اقتصادية؛ ذلك، لأن العرب وبعد أن نجحوا اقتصادياً، نقلوا مقار سكنهم إلى أحياء أخرى أكثر رفياً، لكنهم احتفظوا بنشاطهم الاقتصادي وبخاصة التجاري، في الأحياء نفسها التي أسسها أوائل المهاجرين، وهي بالنسبة إلى بوينوس آيريس حيّ «أونشي» (Once)، وبالنسبة إلى ساو باولو شارع ٢٥ مارس وضواحيه، وبالنسبة إلى ريو دي جينيرو حيّ «الفنديغة» (Alfandega)، وبالنسبة إلى سانتياغو «حيّ ريكوليتا» (Recoleta)، وبالنسبة إلى مكسيكو سوكا «لامرثيد» (La Merced) و«لاغونيا» (Lagunilla). ويصور الروائي الكولومبي غابرييل غارثيا ماركيز، في روايته مائة سنة من العزلة، التغيير الحاصل في هذه الأحياء على النحو التالي: «أصبح لها مظهر جديد بعد أن حلت المحال التجارية المزدهرة. محل تلك البازارات العتيقة التي كانت تعرض المنتوجات ذات الألوان الزاهية». انظر: Gabriel García Márquez, *Cien años de soledad*, selecciones: austral; 100, 4th ed. (Madrid: Espasa-calpe, 1982), p. 271.

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٦٧.

(٤٤) في البلدان التي لم تسجل فيها «سلسلة المناادة» بثقل كبير، لم يصل العرب إلى إنشاء أحياء خاصة بهم، لكنهم في المقابل استقروا بأحياء هامشية، وهنا كذلك وجدوا عداً وإقصاءً من طرف الطبقات الفقيرة من السكان الأصليين، بحيث عاشوا صدمة ثقافية حقيقية، بخاصة مع اختلاف المفاهيم حول العائلة وحول كيفية التعامل مع الجنس الآخر. ويشير لورينزو عكر في الدراسة المخصصة للتشيلي، إلى أن العرب الذين استقروا في هذه الأحياء، نظروا برية إلى قضية التحرش الجنسي المتفشية فيها. انظر الفصل ٢ من هذا الكتاب. (٤٥) هذا هو الحال في مدن ساو باولو وريو دي جينيرو، وسانتياغو وليما وبوينوس آيريس.

خاصة، فإن حالة هذه الأخيرة بشكل عام عبارة عن خراب، حيث لا توجد فيها إنارة ولا تهوية، ما يضيف عليها طابعاً حزيناً ومظلماً لدرجة أن من يمرّ بجوارها يعتقد أنها خمارات وليست إقامات بشرية»^(٤٦).

وإذا كان الرفض للمهاجر العربي هو السمة الغالبة إلى غاية أربعينيات القرن العشرين في مختلف مجتمعات أمريكا اللاتينية حيث توجد جالية عربية، وهو رفض ساهم فيه إضافة إلى الأسباب التي ذكرناها، غياب سياسة خاصة بدمجهم على غرار ما كان عليه الأمر مع الأوروبيين، فإن درجاته تفاوتت بين من طالب بطردهم ونظم حملات وتظاهرات لتلك الغاية مثلما كان الحال في البيرو^(٤٧)، ومن اكتفى بالتشهير بهم واعتبارهم «أجناساً دخيلة» جاءت لاستغلال خيرات البلاد، كما كان الحال في المكسيك^(٤٨) والباراغواي والأرجنتين والتشيلي. وكان يساهم في تأجيج هذه الحملات المعادية للعرب الصحافة وبعض مسؤولي الإدارة وبعض المثقفين^(٤٩).

وسوف يعاني المتحدرون من أصل عربي كذلك حالة الرفض التي كان المهاجرون عرضة لها، ما خلق لديهم أحياناً مركبات نقص كما أخبرنا بعضهم، بعد أن اقتنعوا أنهم ينتمون إلى ثقافة متدنية، وهكذا أصبحوا يخفون أصلهم العربي، وكانوا ينجلون من مرافقة آبائهم في الشارع وهم يرتدون اللباس الشرقي^(٥٠) وقد فاقت رغبة المتحدرين من أصل عربي في الاندماج رغبة المهاجرين. ولتسهيل ذلك فضل بعضهم الحدّ من علاقاته بالجالية العربية. ونسجل أن هذا الموقف كان أحياناً بمباركة من الآباء، الذين من أجل أن يجنبوا أبناءهم معاناة التهميش الذي عاشوه هم، لم يعارضوا أي تصرف يمكن أن يحقق لهؤلاء القبول في المجتمع الذي ولدوا فيه؛ بدءاً

(٤٦) «Los Turcos en Buenos Aires,» *Caras y caretas (Buenos Aires)* (marzo 1902).

(٤٧) تتحدث ليل برطيط في دراستها حول عرب البيرو، عن مظاهرة نظمت في مدينة كوثكو سنة ١٩٢٤ شاركت فيها مختلف الشرائح الاجتماعية، طالبت بطرد العرب من البلاد. انظر الفصل ٤ من هذا الكتاب.

(٤٨) نظم التجار الصغار والصناع التقليديون في المكسيك سنة ١٩٢٦ عدة حملات احتجاجية تطالب الحكومة بتشديد المراقبة على التجار العرب، لما يشكلونه من منافسة لهم.

(٤٩) من بين الصحف التي شنت حملة عليهم هناك صحيفة كاراس أي كاريتاس (*Caras y Caretas*) الأرجنتينية سالفة الذكر، والمركوريو (*El Mercurio*) التشيلية؛ ومن بين مسؤولي الإدارة الذين عبروا عن رفضهم للعرب، المدير العام لإدارة الهجرة الأرجنتينية الذي كتب سنة ١٨٩٩: «لم يرسل لنا أي شعب مهاجرين عاجزين عن العمل الجاد والمنتج مثلما هو الحال مع السوريين»؛ ومن بين المثقفين الذين كان لهم الموقف نفسه، نذكر «خواكين إدوارد» الذي عبر عن امتعاضه «لسيطرة السحنة السمراء» (يقصد العرب)، على بعض أحياء سانتياغو عاصمة التشيلي. انظر الدراسة حول العرب في التشيلي في الفصل ٢ من هذا الكتاب، و *Juán Alsina, Memorias de la dirección general de la inmigración del año 1899* (Buenos Aires: [s. n.], 1900).

(٥٠) هذا ما أكدته لنا عدد من الذين استجوبناهم من أبناء هذا الجيل.

بتغيير أسمائهم العائلية^(٥١)، مروراً بعدم تعليمهم اللغة العربية، وانتهاءً بعدم تعليمهم مبادئ الديانة التي يمارسونها هم، وهذا يسري على أصحاب كُُلِّ الديانات من موارنة وأرثوذكس ومسلمين وغيرهم. عن ذلك يقول الرئيس الأرجنتيني السابق كارلوس منعم: «كان والداي مسلمين، يصومان رمضان ويؤديان بقية الشعائر، لكنهما لم يطلبنا أبداً اعتناق الإسلام، وإنما تركا لنا الحرية المطلقة لاختيار الديانة التي نريد، لذا فأنا لم أنحل عن الإسلام، لأنني لم يسبق لي أن كنت مسلماً»^(٥٢).

إننا نجد أنفسنا أمام حالة اندماج ليست عادية، وإنما أمام حالة انصهار وذوبان، أو بتعبير الفيلسوف فيكتور مسوح، أمام حالة انتحار ثقافي^(٥٣)، لم نسجل مثلها لدى المهاجرين الأوروبيين الذين، وأمام وعيهم بالانتماء إلى ثقافة متفوقة، حرصوا دائماً على الحفاظ على هويتهم، رغم التشابه الكبير بين هذه الثقافة والثقافة الأمريكية اللاتينية^(٥٤). وهنا للتذكير لم يع المهاجرون العرب انتماءهم إلى حضارة عريقة، كما لم يعوا أهمية الميراث الحضاري الأندلسي المتجذر في ثقافة مختلف بلدان أمريكا اللاتينية^(٥٥)، ذلك لأن مفهوم الحضارة عندهم، وجلهم كان من ذوي التكوين الثقافي المحدود الذين ليس لديهم وعي بتاريخهم، لم يكن يستمد مشروعيته من الماضي، وإنما من الواقع المعيش الذي طبعه الأوروبيون بطابعهم في كل مجتمعات أمريكا اللاتينية. ورغم محاولة بعض مثقفي الجالية التعريف بالحضارة العربية، فإن محاولاتهم لم تصل أبداً إلى الجمهور الواسع من ساكنة هذه القارة، لسبب بسيط هو أن اللغة المستعملة في كتاباتهم كانت دائماً هي العربية، لذا فإن ما أنتجوه من إبداعات رائعة اصطلاح على تسميتها بالأدب المهجري، وصلت بسهولة إلى العالم

(٥١) هكذا حول من يدعى حدّاد لقبه إلى «هريرو» (Herrero) في أمريكا الناطقة بالإسبانية و«فرايرا» (Ferreira) في البرازيل، وأشقر أصبح يدعى «روبيو» (Rubio) في الأولى وسيلبا (Silva) في الثانية. وقد حكى لنا فنزويلي متحدر من أصل عربي في هذا السياق، أن والده قبل هجرته كان اسمه أنطوان أسمر، غير أنه أصبح بعد ترجمته إلى الإسبانية أنطونيو مورينو، ويعلق هذا المتحدر قائلاً: «إن والدي الذي لم يكن يعرف أية كلمة إسبانية وقت هجرته، أصبح اسمه فنزويلياً أكثر من الفنزويليين أنفسهم».

(٥٢) انظر «عرب أمريكا اللاتينية»، «برنامج وثائقي على قناة الجزيرة، حلقة ٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٥».

(٥٣) من الحوار الذي أجريناه مع فيكتور مسوح في بوينوس آيريس بتاريخ ٣ شباط/فبراير ١٩٨٧.

(٥٤) جرت العادة عندما تسأل مواطناً من سكان أمريكا اللاتينية لم يختلط دمه بدم غير أوروبي عن أصله، أن يذكر اسم البلد الذي يحمل جنسيته مع الإشارة إلى أن أجداده من أصل أوروبي. هذه الفئة تعيش أزمة هوية فهي تحس بعقدة النقص تجاه الأوروبيين، وعقدة التفوق تجاه مواطنيها من ذوي الأصول غير الأوروبية.

(٥٥) يظهر ذلك التأثير الذي نقله معهم الإسبان وكذا بعض المورسكيين الذين وصلوا إلى أمريكا اللاتينية خلال المرحلة الاستعمارية، في مختلف المجالات، مثل الهندسة المعمارية التي يمثلها الفن المدجن؛ واللغة حيث يصل عدد الكلمات ذات الأصل العربي في الإسبانية إلى حوالي خمسة آلاف، وفي اللغة البرتغالية إلى حوالي ثلاثة آلاف؛ أو مثل بعض الاحتفالات الشعبية، حيث ما زالت بعض مدن المكسيك تنظم إلى الوقت الحاضر، مهرجانات سنوية يشارك فيها آلاف الأشخاص تسمى مهرجانات «المسلمين والمسيحيين» (Moros y cristianos).

العربي لكنها لم تصل إلى رجل الشارع بل وإلى المثقفين في أمريكا اللاتينية بمن فيهم المتحدرون من أصول عربية، عن ذلك يقول فيكتور مسوح، الذي يعدّ في الوقت الحاضر من أبرز مفكري أمريكا اللاتينية، وهو في الوقت ذاته ابن الأديب المهجري جبران مسوح: «عندما سألتني مرة صحافي، هل يوجد مفكر عربي أثر في تكويني الثقافي، لم أستطع مع الأسف أن أذكر ولو مفكراً واحداً بمن في ذلك والذي الذي أجهد كل شيء عن أدبه، لأنه لم يبذل أي مجهود لتعليمي العربية. غير أن هذا لا ينطبق علي فقط، فعندما تسأل غيري من المتحدرين من أصل عربي يجيبونك بكل أسف بالنفي، وإن كان الوضع بالنسبة لي أكثر حدة لأن والذي كان أديباً»^(٥٦).

وستعرف صورة العربي تحسناً تدريجياً في مختلف مجتمعات أمريكا اللاتينية مع مرور الوقت، ساهمت في ذلك عوامل متعددة؛ فمن الناحية الاجتماعية سمح تخرج المتحدرين من أصل عربي من الجامعة والاشتغال بالوظيفة العمومية، بالاختلاط بزملاء الدراسة أو العمل من غير العرب عن طريق الزواج، وقد نجح بعضهم وبخاصة الجامعيون المنتمون إلى العائلات المترفة، في الارتباط بأبناء الأرستقراطيات المحلية^(٥٧)؛ ومن الناحية السياسية جاء الانخراط في الأحزاب السياسية ليساهم في تكريس وضعية الاندماج هذه، خصوصاً مع تحول عدد منهم إلى زعماء سياسيين (رؤساء جمهوريات، ووزراء، ونواب في البرلمان) يمنحهم الناخب - الواعي بأصلهم العربي - صوته^(٥٨)؛ ومن الناحية الاقتصادية سمح بتحسين هذه الصورة النجاح الذي حققوه، واستثمارهم لثرواتهم داخل بلدان المهجر، وليس خارجها كما كان يروج عنهم في البداية، إضافة إلى إنعاشهم قطاعات كانت تعدّ في الماضي هامشية، وتوفيرهم فرص الشغل، أساساً في قطاع الصناعة، لأبناء هذه البلدان^(٥٩).

ومن العناصر الأخرى التي ساعدت العرب على الاندماج، خصوصية تميز

(٥٦) من الحوار الذي أجريناه مع فيكتور مسوح في بونوس آيريس بتاريخ ٣ شباط/فبراير ١٩٨٧.

(٥٧) بخلاف ذلك وجد جيل المهاجرين صعوبة في الاختلاط عن طريق الزواج بنساء من بلدان المهجر، وإذا كان بعضهم قد تفادى ذلك من تلقاء نفسه وسعى إلى الزواج من نساء عربيات، فإن آخرين، وأمام رفض المجتمع لهم اختلطوا عن طريق الزواج مع الطبقات الدنيا، بل وفي حالات كثيرة، مع نساء من أصل هندي، والذين لم تكن تختلف النظرة التحقيرية التي للمجتمع عنهم، عن النظرة التحقيرية التي كانت له عن العرب.

(٥٨) إذا كانت هذه هي القاعدة، فإننا نسجل بعض الاستثناءات وإن كانت محدودة، من بينها حالة رفائيل طريبه بركولومبيا في أربعينيات القرن العشرين، وحالة أسعد أبو كرم بالإكوادور في ستينيات القرن نفسه، والذين كانت كل استطلاعات الرأي تؤكد أنهما سيفوزان في الانتخابات الرئاسية التي ترشحا لها، غير أن استعمال خصومهما السياسيين ورقة أصلهما العربي حال دون ذلك.

(٥٩) عندنا حالات لمؤسسات صناعية ذات رأسمال عربي في البرازيل والتشيلي والأرجنتين يراوح عدد العمال الذين يشتغلون فيها بين بضع مئات وآلاف العمال.

مجتمعات أمريكا اللاتينية، تتمثل في كون هذه المجتمعات وإلى منتصف القرن العشرين لا تزال في طور التشكل، بحيث طبعها مئات الآلاف من المهاجرين من مختلف الأجناس، وضمنهم العرب، بطابعهم الخاص^(٦٠)، ما خلق عادات وبنى اجتماعية وعرقية جديدة، وهذا ما سمته ليلي برطيط في دراستها حول البيرو، بعدم وجود «نموذج كامل للوطن» في البلد المذكور.

في ظلّ كلّ هذه التحولات ترك مصطلح «التوركو» حملته التحقيرية. وعلى الرغم من عدم قبول بعض قدماء المهاجرين بهذه التسمية إلى اليوم، فإن المتحدرين لم يعودوا يرون فيها أي بعد قذحي، بل إن بعض البارزين منهم تبناها كاسم شهرة^(٦١)، كما أصبح للمصطلح في بعض البلدان بعد سوسيو - اقتصادي، فهو يعني في البيرو التاجر الصغير بحسب دراسة ليلي برطيط ولو لم يكن عربياً، وذلك كناية عن مهارة العرب في ممارسة التجارة^(٦٢). وقد دفعت الصورة الإيجابية التي

(٦٠) من المظاهر الثقافية العربية التي نجح المهاجرون في طبع مجتمعاتهم المضيفة بها هناك الطبخ الشرقي الذي انتشر بشكل كبير في بلدان مثل البرازيل والأرجنتين والمكسيك، ثم هناك أسماء الأشخاص، وهذه ساهم في انتشارها من بين عوامل أخرى، علاقات الصداقة التي للعرب مع السكان الأصليين، الذين أطلقوا أسماء أصدقائهم العرب على أبنائهم، وكذا بعض الأعمال الأدبية لكبار المبدعين الأمريكيين اللاتينيين؛ وقد أخبرنا في هذا السياق مواطن كولومبي، أن إطلاق اسم ناصر على ابنه كان بتأثير من بطل رواية قصة موت معلى للروائي الكولومبي غابرييل غارثيا ماركيز. وتشير السياسية الكولومبية من أصل عربي سليمة حاتم إلى أن درجة تجذر الأسماء العربية في المجتمع الكولومبي في الوقت الحاضر وصلت إلى حدّ أن العديد من الكولومبيين يطلقونها على أبنائهم من دون أن يعرفوا أنها عربية. انظر: «عرب أمريكا اللاتينية»، (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة، حلقة ٩ أيار/مايو ٢٠٠٦).

(٦١) مثل الروائي خورخي عزيز المعروف في أمريكا اللاتينية بلقب التوركو عزيز. وقد أخبرنا الشخص المذكور أنه لا يحس بأي بعد قذحي للتسمية. من الحوار الذي أجريناه مع خورخي عزيز في بوينوس آيريس بتاريخ ٤ كانون الثاني/يناير ١٩٨٧.

(٦٢) تورد سيلفيا مونتينغرو، مثلاً شعبياً برازيليّاً يصنف المهاجر العربي حسب وضعيته السوسيو-اقتصادية؛ فعند وصوله إلى المهجر وقبل أن يبدأ بممارسة أي نشاط هو في نظر المجتمع مجرد «توركو»، وعندما يبدأ في مزاولة عمله الأول، يصبح في نظر المجتمع نفسه «سورياً»، أما عندما يكون ثروة في التجارة أو الصناعة يتحول إلى «لبناني». لكن إضافة إلى هذا التصنيف السوسيو - اقتصادي، نظن أن هناك تصنيفاً آخر ذا أبعاد سياسية؛ فتسمية سوري استعملت منذ بداية عهد الهجرة، حيث عرّف بها المهاجرون العرب أنفسهم إلى غاية فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والبريطاني على فلسطين، وكان عدد من المؤسسات التي أنشأها قبل هذه المرحلة يحمل هذه التسمية، كما إن سجلات المهاجرين كانت تعرفهم بهذه الصفة إضافة إلى تسميتي «توركوس» و«عثمانيين». أما تسمية «البناني» فقد بدأ استعمالها بخاصة منذ عشرينيات القرن العشرين مع تأسيس ما سمي بلبنان الصغير. وفيما يتعلق بتسمية «عربي»، وهي الأكثر شيوعاً اليوم، فقد بدأ انتشارها بشكل كبير منذ الخمسينيات، وهي ترتبط بأحداث سياسية يعينها عرفتها منطقة الشرق الأوسط، على رأسها العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، ونكسة ١٩٦٧، وأزمة البترول ١٩٧٣، وتفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، التي أضفت مصطلحاً آخر هو «إسلامي»، الذي أصبح يطلق على العرب، وبخاصة الذين هاجروا في السنوات الأخيرة، من دون تمييز سواء أكانوا مسلمين أم لا. انظر الفصل ٣ من هذا الكتاب.

أصبح يتمتع بها العرب بشكل عام، بعض المتحدرين، في سعيهم إلى استعادة هويتهم الثقافية المفقودة، إلى تعلم اللغة العربية أو إلى العودة لزيارة وطن الآباء، بل وأحياناً إلى العودة إلى هذا الوطن بحثاً عن زوجة عربية. وللغاية نفسها ألف عدد من المبدعين المتحدرين من أصل عربي أعمالاً أدبية، أساساً روائية، اتخذت من العربي بطلاً لها، كما قام آخرون ومن خلال المنابر الإعلامية للبلدان التي ولدوا فيها، بتقريب المجتمع المضيف من العالم العربي وثقافته، وهو ما لقي استجابة ليس فقط من طرف هذا المجتمع، وإنما كذلك من طرف الدوائر الأكاديمية، ولا أدل على ذلك سوى إنشاء كراس علمية في عدد من جامعات القارة للتعريف بالتاريخ والحضارة العربيين. وقد ساهم في تحسين هذه الصورة كذلك، تقديم العربي، غالباً بشكل إيجابي، في إبداعات كبار الروائيين الأمريكيين اللاتينيين الذين تتحول أعمالهم عادة إلى أفلام سينمائية ومسلسلات تلفزيونية^(٦٣)، ما يضمن وصولها إلى الجمهور الواسع. ومن الأعمال الإبداعية التي تجاوزت شهرتها حدود أمريكا اللاتينية والتي تتحدث بطريقة أو بأخرى عن الهجرة العربية هذه القارة، نذكر روايتي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز (Gabriel García Márquez)^(٦٤) مئة سنة من العزلة^(٦٥) وقصة موت معلن؛ سالفتي الذكر؛ ورواية البرازيلي خورخي أمادو (Jorge Amado) غابريلا، قرفة وقرنفل^(٦٦)؛ ورواية الغواتيمالي (نسبة إلى غواتيمالا) ميغيل أنخل أستورياس (Miguel Angel Asturias)^(٦٧) السيد الرئيس^(٦٨)؛ ومجموعة قصص التشيلية إيزابيل أليندي (Isabel Allende) حكايات إيفا لونا^(٦٩).

(٦٣) في شهر أيار/مايو ٢٠٠٦، قدمت عدد من القنوات التلفزيونية في إسبانيا وأمريكا اللاتينية، مسلسلاً مكسيكياً يعرف نجاحاً كبيراً، يحمل عنوان (Los Plateados) وهو لقب إحدى العائلات، يحكي قصة نجاح العرب في التجارة، وطبيعة علاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية بالمكسيكيين، وخصوصاً قضية الشرف عندهم.

(٦٤) حاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٢.

Gabriel García Marquez: *Cien años de soledad, et Crónica de una muerte anunciada* (México: (٦٥) Ed. diana, 1989).

وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب الأخير عام ١٩٨٧.

Jorge Amado, *Gabriela, clavo y canela* (Madrid: Editores record, 2005). (٦٦)

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٨٥.

(٦٧) حاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٧.

Miguel Angel Asturias, *El Señor presidente, el libro de bolsillo*; 829 (Madrid: Alianza (٦٨) editorial, 1996).

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٤٦.

Isabel Allende, *Cuentos de eva luna, plaza y janés/literaria*; 1, 3ra ed (Barcelona: Plaza y (٦٩) janés, 2002).

وقد صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٩٨٢.

وبجانب هذه العوامل الداخلية، ساهمت عوامل خارجية عرفها العالم العربي، في تحسين صورة العرب في مجتمعات أمريكا اللاتينية، نذكر من بينها أولاً، ربط سوريا ولبنان - بعد استقلالهما - بعلاقات دبلوماسية مع عدد من بلدان القارة، وتعيينهما للمهاجرين ومتحدرين منهم قناصل فخريين (حتى في المدن الصغيرة أحياناً)، كان من بين المهام التي اضطلعوا بها التعريف بواقع العالم العربي؛ وثانياً، بروز جمال عبد الناصر منذ الخمسينيات كأحد مؤسسي «منظمة عدم الانحياز» وأحد مناهضي الإمبريالية (شاع اسم جمال في أمريكا اللاتينية حتى بين الأطفال غير المتحدرين من أصل عربي)؛ وثالثاً، حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣ وأزمة البترول التي أعقبتها والتي كان للعرب فيها موقف موحد.

٢ - صورة العرب في أمريكا اللاتينية من غزو الكويت إلى غزو العراق

كما كانت أحداث الوطن وما يرتبط بها مسؤولة عن تحسين صورة العرب، فإنها كانت مسؤولة أحياناً عن المس بهذه الصورة، فالغزو العراقي للكويت سنة ١٩٩٠، واتخاذ بعض المهاجرين العرب موقفاً معاضداً لصدام حسين، مس بصورة العرب، بخاصة مع الحملة المعادية للعروبة التي شنتها بعض الصحف الأمريكية اللاتينية التي تدور في فلك الولايات المتحدة وحلفائها، والتي أعادت إلى الأذهان ذلك الرفض الذي تعاملت به مجتمعات أمريكا اللاتينية في الماضي مع المهاجر العربي. وتحدث ليلي برطيط في دراستها حول حرب الخليج الأولى في صحافة أمريكا اللاتينية، عن الخطاب الذي تبنته تلك الصحافة على النحو التالي: «إن الصورة التي تبناها الخطاب المدروس عن العروبة ليست بتلك التي تفترض احترام رأي الآخر وعاداته وتقاليده، والسبب هو أن هذا الخطاب لم يكتفِ بالتعامل مع الحدث الذي يريد أن يتناوله، وإنما تجاوزه إلى خلفية متراكمة لدى صاحب الخطاب»^(٧٠).

وقد شهد النصف الأول من التسعينيات حدثين آخرين أثرا سلباً في صورة العرب بأمريكا اللاتينية، هما تفجير السفارة الإسرائيلية في بوينوس آيريس سنة ١٩٩٢، وتفجير مقر جمعية التعاضد الإسرائيلية في المدينة نفسها سنة ١٩٩٤، واللذين خلفا عشرات القتلى، في وقت أشارت فيه أصابع الاتهام إلى تنظيمات إسلامية متطرفة. ويلفت الانتباه أن دوي التفجيرين وصل إلى مختلف بلدان أمريكا اللاتينية خصوصاً تلك التي يوجد فيها نفوذ قوي للولايات المتحدة واليهود. وتجبرنا

(٧٠) انظر: ليلي برطيط، «حرب الخليج في الصحافة الأمريكية اللاتينية»، في: روبيدو [وآخرون]،

الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، ص ٣٥٩.

سلفيا مونتينيغرو في دراستيها عن عرب الباراغواي والبرازيل ، أن الصدى السلبي للتفجيريين كان أكبر على بعض عرب هذين البلدين ، منه على عرب العاصمة الأرجنتينية. ومن انعكاسات التفجيريين ، حدوث نوع من التوتر بين عرب ويهود أمريكا اللاتينية ، شبيه بذلك الذي حدث عام ١٩٤٨ ، عندما حاولت كل مجموعة ممارسة ضغوط على حكومات البلدان التي تقيم فيها ، للتصويت لصالح الكيان الذي تنتمي هي إليه ، أثناء عرض قضية تقسيم فلسطين على هيئة الأمم المتحدة. وكما حدث سنة ١٩٤٨ ، وجد المتشددون من هذا الطرف أو ذاك ، الفرصة لانتقاد أبناء جاليتهم الذين ما زالوا يحافظون على علاقات مع أبناء الديانة الأخرى ، وهي علاقات يتحكم فيها تداخل المصالح الاقتصادية بين المجموعتين. ويتحدث أحد اليهود المعتدلين من أصول عربية ، عن التفجيريين على النحو التالي : «أما اليهود العرب فقد تأثروا بالحادثتين وشعروا بالمرارة وبعضهم شعر بتناقض المشاعر ، لأن الضحايا من أبناء ديانتهم ، وأصابع الاتهام تشير إلى أبناء قوميتهم»^(٧١) .

غير أن انعكاسات حرب الخليج الأولى وتفجيري بوينوس آيريس على صورة العرب في أمريكا اللاتينية تبقى محدودة إذا ما قورنت بانعكاسات تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ، بخاصة على عرب البرازيل والباراغواي والأرجنتين وباناما ، وهي البلدان التي شهدت خلال العقود الأخيرة هجرة أعداد مهمة من العرب المسلمين ، من فلسطين وسوريا ، وبخاصة من لبنان. وبسبب ضغوط الولايات المتحدة ، وبسبب تأثير الصحافة الدولية ، لم يعد الأمر يتعلق بالمهاجرين العرب فقط برفض أو قبول المجتمع لهم ، وإنما وصل الأمر إلى تعرضهم لمضايقات ؛ فقد أصبحت مساجدهم ، بل وهندامهم مثل اطلاق اللحية بالنسبة إلى الرجال ، وارتداء الحجاب بالنسبة إلى النساء ، مثار فضول إن لم نقل شبهة ، ووجهت لعدد منهم اتهامات بالتورط في عمليات إرهابية أو بتمويلها ، بحيث أعتقل بعضهم من دون استناد إلى أية أدلة محسوسة ، ما حتم في ما بعد إطلاق سراحهم. عن ذلك يقول أحد عرب باناما الذين تعرضوا لهذا المصير : «أوقفوني وأخذوا مني بطاقة الهوية ، وحققوا معي مدة ساعة ، سألت خلالها أسئلة تافهة . . . لأول مرة أرى مسؤولاً بانامياً يسألني اثني عشر سؤالاً من قبيل ما هي ديانتك؟ مع من تصلي؟ بمن تجتمع؟ كيف هي علاقتك بالجاليات الإسلامية في وطنك؟ وأسئلة أخرى مشابهة وجدتها غريبة. وقد أدركت أن هذا النوع من التصرفات ليس من إخراج بانامي ، وإنما مصدره الخارج»^(٧٢) .

(٧١) «عرب أمريكا اللاتينية» ، (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة ، حلقة ٨ آذار/ مارس ٢٠٠٦).

(٧٢) «عرب أمريكا اللاتينية» ، (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة ، حلقة ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥).

وتؤكد كلّ القرائن أن الضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة على حكومات الأرجنتين والبرازيل والباراغواي لتشديد المراقبة على عرب ما يسمى بمنطقة الحدود الثلاثية (تقاطع عندها حدود البلدان الثلاثة)، وكذا على عرب المنطقة الحرة باناما، يجرّكها، إضافة إلى الهاجس الأمني، رغبته في مراقبة اقتصاديات المنطقتين التي يسيطر عليها العرب بشكل كبير^(٧٣).

وإذا كانت تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر قد أثرت سلباً في صورة العرب في بعض بلدان أمريكا اللاتينية، فإنها كانت من جهة أخرى وراء اكتشاف عدد منهم، حتى من غير المسلمين، لهويتهم، لأن عدم تمييز ساكنة هذه القارة بين العروبة والإسلام، خلق لدى بعض العرب بمن فيهم المتحدرون، إحساساً ووعياً بهوية مختلفة عن الآخر الذي سلم بما يروج عنهم. وهنا نجد أنفسنا أمام رفض من نوع جديد لا يستند إلى أساس عرقي كما كان الأمر في بداية عهد الهجرة، وإنما على أساس عقدي.

غير أن تضرر صورة العرب بتفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر، لم يكن بالثقل نفسه على المهاجرين والمتحدرين، لأن هذه الفئة الأخيرة وبحكم اندماجها في المجتمعات التي ولدت فيها، كان وقع هذه التفجيرات عليها أقل. كما أنه لم يكن بالثقل نفسه في كل بلدان القارة، فقد كان الوقع أقوى في بلدان حيث نفوذ اللوبي اليهودي كبير^(٧٤)، وحيث المصالح الأمريكية متجذرة مثل الإكوادور وكوستاريكا^(٧٥) والتشيلي والأرجنتين والبرازيل^(٧٦)، منه في بلدان حيث يوجد عداً ورفض تاريخيان

(٧٣) تكمن أهمية منطقة الحدود الثلاثية في كونها أحد أهم خزانات المياه في العالم، وهي ثروة لا تقل أهمية عن البترول بالنسبة إلى الولايات المتحدة، بحسب الخبير الأرجنتيني ريكاردو لوبيز دوسيل (Ricardo Lopez Docil)، أما بالنسبة إلى باناما، فرغبة الولايات المتحدة في السيطرة على المنطقة الحرة فيها، تكمن أولاً في موقعها الاستراتيجي، وثانياً في كونها أهم منطقة حرة في العالم بعد هونغ كونغ، وهي تشكل المون الرئيس لأسواق أمريكا اللاتينية من المنتجات الإلكترونية، وبالتالي تمثل منافسة حقيقية لميامي. انظر: «Se ha estigmatizado mucho a los árabes.» (BBC Mundo, 18 marzo 2005).

(٧٤) قد يساعدنا الثقل العددي لليهود في بعض هذه الدول، على فهم النفوذ الذي يتمتعون به فيها؛ فمن ٧٥٠ ألفاً وهو مجموع عددهم في أمريكا اللاتينية، يقيم ٥٠٠ ألف في الأرجنتين والبرازيل، و٧٥ ألفاً في التشيلي والأوروغواي. انظر: <http://es.encarta.msn.com> «Sudamérica población».

(٧٥) وصل نفوذ اليهود في هذا البلد إلى حدّ إقناع حكومته بنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس، وهو بذلك البلد الوحيد في أمريكا اللاتينية إلى جانب السالفادور الذي أقدم على خطوة مماثلة.

(٧٦) على الرغم من أصله العربي، كان رئيس الجمهورية الأرجنتيني السابق كارلوس منعم، يعي أنه لا يمكنه الوصول إلى سدة الحكم، ولا تحقيق مشاريع سياسية ناجحة إذا عادى اللوبي اليهودي في الأرجنتين، وقد وصلت درجة محاباته لليهود إلى أن كان أول رئيس أرجنتيني يزور إسرائيل. وهو ما خلف امتعاضاً بين بعض قطاعات الجالية العربية في هذا البلد، وبحسب مستشاره السابق خوان لبيكي، كانت قناعة منعم هي: =

لليهود مثل المكسيك، وخصوصاً في بلدان تناصب الولايات المتحدة العداء لأسباب تاريخية وأيديولوجية، مثل كوبا وفنزويلا^(٧٧).

وستعرف صورة العرب في مجتمعات أمريكا اللاتينية بعض التحسن بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، إذ خرجت تظاهرات حاشدة في عدد من عواصم القارة منددة بالغزو الذي عارضته ٨٠ في المئة من ساكنة المكسيك كما تجربنا الدراسة المخصصة للعرب بهذا البلد، وهو الغزو الذي فسّر كانتقام غير منطقي للولايات المتحدة من العرب والمسلمين عقب تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر.

ومن الأمور الأخرى التي تساعد على تحسين صورة العرب في أمريكا اللاتينية، الدور الذي تضطلع به بعض فعاليات المجتمع المدني وكذا بعض التيارات السياسية التي أصبحت تعرف باسم «الماركسيين الجدد» والتي نسجل حضورها في السنوات الأخيرة بشكل قوي في بلدان مثل بوليفيا وفنزويلا والمكسيك والتشيلي والبرازيل. وقد تشكل لدى هذه التيارات نوع من الوعي، مفاده أن السياسة التي نهجتها الولايات المتحدة في أمريكا اللاتينية منذ عهد ثيودور روزفيلت والتي اصطُح على تسميتها بـ «التدخل المباشر»، تتكرر بعد قرن من الزمن في العالم العربي مع جورج بوش. وهذا سمح بظهور نقاش ما زال محصوراً حتى الآن بين النخب السياسية والثقافية، حول ما يروج عن العرب في أمريكا اللاتينية من طرف الولايات المتحدة والصحافة الأمريكية اللاتينية التي تدور في فلكها.

رابعاً: المؤسسات العربية في أمريكا اللاتينية

١ - المؤسسات الاجتماعية

ظهرت منذ بداية عهد الهجرة، وكان هذا الظهور مرتبطاً بوضعية التهميش التي عاشها أوائل المهاجرين في مختلف البلدان التي حلوا بها كما بيّنا في المحور السابق. وبحسب تعبير أحد قدماء المهاجرين، خلق لديهم الرفض من طرف «مجتمع المقهى»، الحاجة لمكان يجتمعون فيه وقت فراغهم. وكانت هذه المؤسسات في الغالب مقتصرة

= «أنا بشعبي العربي لن أفوز في الانتخابات، لكن باليهود سأفوز». انظر: «عرب أمريكا اللاتينية»، (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة، حلقة ٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٦).

(٧٧) عين رئيس الجمهورية الفنزويلي هوغو شافيز (Hugo Chavez) بعد تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر، أحد رؤساء الجالية العربية هو ريموندو قبشي، مستشاراً خاصاً له في شؤون الشرق الأوسط، وقد تلخصت مهمة هذا الأخير، في تحسين صورة العرب في فنزويلا، وفي فضح السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط، وفي تقوية التعاون بين العالم العربي وفنزويلا.

على أبناء القرية أو المدينة الواحدة وليس البلد ككل، لأن هذه الفئة من المهاجرين، كان وعيها بالانتماء يختزل في قريتها أو مدينتها. ومن أولى الجمعيات المتصفة بهذه الخصوصية والتي أقامها العرب في أمريكا اللاتينية، هناك جمعية الشبيبة الحمصية التي تأسست في سانتياغو (التشيلي) سنة ١٩١٣؛ والنادي الزحلي والمنتدى البردوني اللذان تأسسا في ساو باولو (البرازيل) خلال الربع الأول من القرن العشرين؛ و«الجمعية العكارية» التي تأسست في بوينوس آيريس (الأرجنتين) سنة ١٩٢٧.

وبجانب الجمعيات ذات الصيغة الإقليمية، ظهرت جمعيات تضم أبناء البلد الواحد، وكان نشوءها إما في المناطق التي يوجد فيها أبناء طائفة دينية واحدة، أو تلك التي تعرف عدداً محدوداً من المهاجرين الذين ينتمون إلى بلد واحد ولكن إلى مناطق مختلفة، ومن أقدم الجمعيات التي تستجيب لهذه الخصوصيات هناك النادي اللبناني الذي تأسس في سان خوان (الأرجنتين) سنة ١٨٩٩؛ والجمعية السورية التي تأسست في قرطبة (الأرجنتين) سنة ١٩٠٧؛ وجمعية التقدم السوري التي أنشئت في «لاهافانا» (كوبا) سنة ١٩١٨؛ والجمعيتان الفلسطينية واللبنانية اللتان أسستا في المدينة نفسها سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ على التوالي (تم دمج الجمعيات الثلاث في واحدة سنة ١٩٣٨ حملت اسم النادي السوري - اللبناني - الفلسطيني).

وإلى غاية ثلاثينيات القرن العشرين بقيت هذه الجمعيات متواضعة الأهمية، لكن ابتداءً من هذه المرحلة، عرفت تطوراً مهماً سواء على مستوى بنائها أو على مستوى المهام التي أصبحت تضطلع بها؛ فقد أنتقل عدد منها إلى بنايات فخمة، تتألف من عدة طوابق، مجهزة بكل وسائل ترفيه تلك الفترة، كما أصبحت تنظم أنشطة ثقافية يسهر عليها الأدباء المهجريون، وولائم تعرف بالطبخ العربي، يدعى إليها كبار شخصيات البلد المضيف. وقد قام بتشيد هذه النوادي والإشراف على تسييرها نخبة المهاجرة التي نجحت في تكوين الثروة. ومن بين تلك التي برزت بشكل كبير خلال العقد المذكور هناك النادي العربي الذي تأسس في سانتياغو (التشيلي) سنة ١٩٣٢؛ والنادي السوري - اللبناني شرف ووطن الذي تأسس في بوينوس آيريس سنة ١٩٣٢؛ والنادي اللبناني الذي شيد في المدينة نفسها سنة ١٩٣٦؛ والنادي الرياضي السوري الذي تأسس في ساو باولو والذي أصبح خلال هذه المرحلة أهم نادٍ عربي في البرازيل.

وبالرغم من أن الخلافات الطائفية والإقليمية كانت تؤثر سلباً في مسار هذه الجمعيات خصوصاً خلال مراحل الاضطرابات السياسية في الوطن، فإنها بقيت وإلى غاية ستينيات القرن العشرين تؤدي دوراً مهماً في حياة الجالية، أساساً في ما يتعلق بالحفاظ على الهوية العربية، غير أنه منذ هذا التاريخ وفي الوقت الذي بدأ فيه جيل المهاجرين في الاختفاء التدريجي بسبب الوفاة، بدأت هذه النوادي تفقد أهميتها نتيجة

عدم تجديدها بناها وجعلها تستجيب لمتطلبات الجيل الجديد الذي يكونه المتحدرون، وهكذا أغلق عدد منها أبوابه، بينما بقيت أخرى تكابد إلى اليوم من أجل البقاء، غير أنها لا تعيش إلا على أمجاد الماضي التي يذكر بها من يرتادها من المهاجرين الذين هم في خريف العمر. هذه الوضعية دفعت بالمتحدرين من أصل عربي خلال العقدين الأخيرين إلى تأسيس نوادٍ جديدة، راعت حاجيات الشباب مع عدم إغفالها طابعها العربي، ومن بين هذه النوادي نذكر، النادي الثقافي الهندوراسي - العربي في سان بيدرو سولا (الهندوراس)؛ ونادي الاتحاد العربي في «لاهانانا»؛ ونادي الأرز في بوينوس آيريس.

وسواء تعلق الأمر بالنوادي التي جددت هياكلها، أو تلك التي تأسست حديثاً، نسجل أنها فتحت أبوابها لغير العرب كذلك من الذين يريدون الاستفادة من خدماتها مثل ممارسة الرياضة، وتعلم الرقص الشرقي، وتذوق الطبخ العربي.

وتنضوي جلّ المؤسسات الاجتماعية الموجودة في الوقت الحاضر في أمريكا اللاتينية تحت لواء فدرالية الجمعيات الأمريكية - العربية (Fearab)، والاتحاد الثقافي اللبناني العالمي. وعلى الرغم من الاختلاف القائم بين الهيئتين والذي يأخذ أحياناً بعداً سياسياً يرتبط بطبيعة العلاقات بين التنظيمات والطوائف في الوطن، والتي يتعاطف معها بعض القائمين على الهيئتين، فإن كليهما ساهما أكثر من مرة في توحيد مواقف الجاليات العربية في أمريكا ككل، ولعل النجاح الذي حققه المؤتمر الرابع للمؤسسات العربية في أمريكا الذي نظّمته في كراكاس عام ١٩٧٩ «فدرالية الجمعيات الأمريكية - العربية» والذي شارك فيه ٥٣٠ من مجموع ٦٠٠ جمعية عربية توجد في أمريكا، لأبلغ دليل على ذلك. كما تحاول الهيئتان من خلال بعض النوادي التابعة لها، خدمة القضايا العربية وأساساً القضية الفلسطينية، وتمتلك بعض هذه النوادي نشرة عملت خصيصاً لهذه الغاية مثل النادي العربي الإكوادوري في كيتو.

٢ - المؤسسات الدينية

نشطت بشكل كبير في بداية عهد الهجرة، وساهمت في الحفاظ على الهوية الدينية للعرب من موارنة وأرثوذكس ومسلمين وغيرهم. ومن أقدم المؤسسات الدينية العربية التي رأت النور في أمريكا اللاتينية، نذكر الكنيسة الأرثوذكسية في ساو باولو عام ١٨٩٧، وكنيسة القديس مارون في بوينوس آيريس عام ١٩٠٢، والكنيسة المارونية في ساو باولو عام ١٩٠٣، وكنيسة القديس جاورجيوس في سانتياغو عام ١٩١٩، وكنيسة البروتستانت السوريين في ريو دي جنيرو عام ١٩٢٠، وكنيسة القديس جاورجيوس في قرطبة (الأرجنتين) عام ١٩٢٢، والرسالة

اللبنانية في مونتيفيديو (الأوروغواي) عام ١٩٢٤، وكنيسة الكاثوليك الملكيين في ريو دي جنيرو عام ١٩٢٨.

وبخلاف الكنائس المارونية والأرثوذكسية، ظهرت المساجد في وقت متأخر نسبياً، حيث تأسس مسجد بوينوس آيريس عام ١٩٤٩. أما في ساو باولو والتي توجد فيها واحدة من أهم الجاليات العربية المسلمة في أمريكا اللاتينية، فقد شُرع في تشييد مسجدها عام ١٩٣٨، إلا أن افتتاحه تأخر إلى عام ١٩٥٨، كما ورد عند رايmond ديلفال (Raymond Delval)^(٧٨).

وإذا كان يؤخذ على المؤسسات الدينية العربية في أمريكا اللاتينية في بداية عهد الهجرة مساهمتها في تأجيج الصراع الطائفي بين المهاجرين بسبب تأثيرها في الأحداث السياسية التي كان يعرفها الوطن، فإنها مقابل ذلك وقفت أكثر من مرة يداً واحدة متناسية - ولو بشكل مؤقت - خلافاتها القديمة. ونذكر في هذا السياق الدور الذي اضطلعت به الكنيسة الأرثوذكسية في الأرجنتين، قبيل عرض قضية تقسيم فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، حيث نظمت العديد من التجمعات الخطابية في المناسبة في مقر الكنيسة في بوينوس آيريس، ظهر من خلالها تلاحم مختلف الطوائف التي تشكل الجالية العربية، باستثناء اليهود الذين كانت تلك القضية سبباً في انسحابهم من كل مؤسسات الجالية، وإنشائهم مؤسسات خاصة بهم.

وبجاناب المؤسسات الدينية القديمة، رأت النور في السنوات الأخيرة مجموعة أخرى من المؤسسات الدينية، تم تشييدها بدعم مادي من دول الخليج العربي أو من طرف بعض أغنياء الجالية، وهي في مجملها مؤسسات إسلامية، ذلك لأن العرب المسيحيين تراجع تأسيسهم للدور الدينية بعد رحيل جيل المهاجرين، واعتناق نسبة كبيرة من المتحدرين للكاثوليكية، ديانة غالبية سكان أمريكا اللاتينية.

ويرتبط أهم حضور للمؤسسات الإسلامية في أمريكا اللاتينية بالهجرة الحديثة التي عرفتها بعض بلدان هذه القارة في العقود الأربعة الأخيرة، ونجد لهذه المؤسسات حضوراً لافتاً في «منطقة الحدود الثلاثية» التي تفصل البرازيل عن الباراغواي والأرجنتين، كما تبين لنا دراستنا سيلفيا مونتينيغرو عن الحضور العربي في البرازيل والباراغواي.

Raymond Delval, *Les Musulmans en Amérique Latine et aux Caraïbes*, recherches et documents. Amériques latines (Paris: L'Harmattan, 1992), p. 217.

تجعل سيلفيا مونتينيغرو في دراستها عن عرب البرازيل، تاريخ افتتاح المسجد عام ١٩٤٢، ونظن أن الأمر كذلك، وإن لم يتم الانتهاء من تشييده إلا سنة ١٩٥٨. انظر الفصل ٣ من هذا الكتاب.

ويقوم عدد من المؤسسات الدينية العربية في الوقت الحاضر بدور إيجابي في خدمة القضايا العربية، نذكر من بينها «الكنيسة الأرثوذكسية» في الهندوراس التي إضافة إلى تنظيمها عدداً من القداديس لضحايا الانتفاضة الفلسطينية، قامت بحملة جمع التبرعات لضحايا الاحتلال الإسرائيلي^(٧٩).

ويتبين لنا من خلال تتبع مسار المؤسسات الإسلامية في أمريكا اللاتينية في الوقت الحاضر، حدوث نوع من التطور في الوعي بالهوية لدى المهاجرين المسلمين، بحيث لم يعد هناك إحساس في الانتماء إلى القرية أو المدينة أو حتى البلد، والذي كان في الماضي وراء إنشاء جمعيات إقليمية أو قطرية أو قومية، وإنما أصبح هناك إحساس في الانتماء إلى الديانة الإسلامية. هذا الإحساس تكرر بخاصة بعد تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر، وما تبعها من مضايقات للمهاجرين العرب، تحدثنا عنها في المحور السابق. وما نلاحظه على هذه الجمعيات الدينية، أن الانتماء إليها لم يعد محصوراً في العرب المسلمين، وإنما تعداهم إلى مسلمين من أصول أمريكية لاتينية، مثل ما هو الحال في الوقت الحاضر في مسجد كيتو عاصمة الإكوادور الذي يشرف عليه مسلم إكوادوري، أو مسجد التوحيد في بوينوس آيريس الذي يؤم الصلاة فيه مسلم أرجنتيني، أو بعض مساجد البرازيل التي لا تخلو من مسلمين من أصول أفريقية حافظوا على ديانتهم الإسلامية في هذا البلد أباً عن جد.

٣ - المؤسسات الخيرية

بحكم ضعف إمكانيات جلّ حديثي العهد بالهجرة، وفشل عدد منهم في الخروج من وضعية الفقر التي كانت سبباً في هجرتهم، أنشأ المهاجرون العرب جمعيات خيرية في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية لمساعدة هؤلاء المحتاجين، وكذا لجمع التبرعات للمحتاجين في الوطن وقت النكبات، وكانت تشرف عليها عادة نساء الجالية. ومن أقدم الجمعيات العربية التي نشأت لهذه الغاية نذكر الجمعية الخيرية المارونية في ساو باولو سنة ١٨٩٧، وجمعية العهد الوطني اللبناني في مونتيفيديو (الأوروغواي) سنة ١٩٠٤، والجمعية السورية الأرثوذكسية للإسعاف المتبادل في بوينوس آيريس سنة ١٩٠٨، والجمعية اللبنانية في روساريو (الأرجنتين) سنة ١٩١١، وجمعية الاتحاد السوري في أسونسيون (الباراغواي) سنة ١٩١٩، وجمعية السيدات اللبنانيات في مونتيفيديو سنة ١٩٢٢، والجمعية اللبنانية للإسعاف المتبادل

(٧٩) انظر: نزهة نايف النبهان، «الجالية العربية في البرازيل بين التقليد والتجديد»، في: روببيدو

[وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، ص ١٧٣.

في المدينة نفسها سنة ١٩٣٠، وجمعية الاتحاد السوري اللبناني للإسعاف المتبادل في سانتا - في (الأرجنتين) سنة ١٩٢٤، والجمعية الخيرية الإسلامية في ساو باولو سنة ١٩٢٩، والجمعية الخيرية السورية - اللبنانية في كراكاس سنة ١٩٤٣ وكانت تقدم المساعدات لغير العرب كذلك.

وقد نجح عدد من الجمعيات الخيرية العربية في جمع تبرعات سمحت بإنشاء مستشفيات، معظمها يقدم خدمات مجانية للمرضى العرب والأجانب، ومن أقدم المستشفيات العربية التي ظهرت في أمريكا اللاتينية هناك المستوصف السوري^(٨٠)، الذي أنشأته جمعية الشبيبة الحمصية في سانتياغو عام ١٩١٣، والمستشفى السوري - اللبناني الذي أسسته في بوينوس أيريس جمعية معاضدة تأسيس المستشفى السوري - اللبناني النسائية عام ١٩٣٧، والمصححة السورية التي أشرفت على تأسيسها «جمعية السيدات الحمصيات في كامبوس دي جوردون (البرازيل) عام ١٩٤٩^(٨١).

٤ - المؤسسات التعليمية

كانت الغاية من إنشائها تلقين حديثي العهد بالهجرة مبادئ اللغة الإسبانية، وكذا تلقين أبناء الجيل الثاني مبادئ اللغة العربية. وقد اقتصر وجودها بخاصة على البلدان التي عرفت هجرة عربية مهمة عديداً، وبخاصة التي عرفت هجرة النخبة المثقفة التي ستسهر على إنشاء هذه المدارس، في موازاة نشاطها الأدبي. ومن أولى المدارس العربية في أمريكا اللاتينية «المدرسة السورية» التي تأسست في ساو باولو عام ١٨٩٧، و«المدرسة اللبنانية» في المدينة نفسها عام ١٩٠٠، ومدرسة الفلاح في ريو دي جانيرو عام ١٩٠٠، ومدرسة زهرة الإحسان في المدينة نفسها سنة ١٩٠٧، والمدرسة السورية في بوينوس أيريس عام ١٩٠٢، ومدرسة نعيم البائس في المدينة نفسها عام ١٩٠٧، و«مدرسة اللغة العربية» في سانتياغو (التشيلي) عام ١٩١٧، و«المدرسة المجانية» في المدينة نفسها عام ١٩١٨.

وباستثناء بداية عهد الهجرة، فإن المدارس العربية في أمريكا اللاتينية،

(٨٠) بحسب سجلات المستشفى فإن عدد المرضى الذين كانوا يعالجون فيه سنوياً في بداية خمسينيات القرن العشرين هو ٢٠ ألفاً. انظر: الملم، الناطقون بالضاد في أمريكا الجنوبية، ص ٥٠٩.

(٨١) بجانب هذه المستشفيات العمومية أنشأ بعض الأطباء المتحدرين من أصل عربي في العقود الأخيرة عدداً من المستشفيات الخاصة في المدن الكبرى، ويوجد في الوقت الحاضر أربعة من هذه المستشفيات في ساو باولو هي: «المستشفى السوري-اللبناني»، و«مستشفى ابن سينا»، و«مستشفى ٩ يوليو»، و«مستشفى الكوراثون»، كما يوجد في بوينوس أيريس بجانب «المستشفى السوري-اللبناني»، مصحة الدكتور منير حداد التابعة لمؤسسة الأرز، والتي يشرف عليها الشخص نفسه.

وبسبب صعوبة التوفيق بالنسبة إلى أبناء المهاجرين بين دراستهم في المدارس الحكومية والمدارس العربية الخاصة، لم تلقَ إلا إقبالاً محدوداً، وكان أكثر المهتمين بتعلم العربية هم أبناء المسلمين، وذلك بهدف التمكن من أداء الشعائر الدينية. ومن الأشياء التي تقف وراء غياب الاهتمام باللغة العربية، الرغبة في تحقيق الاندماج، وكان التكلم بها يعرقل مسيرة الأبناء في هذا الاتجاه بحسب بعض المهاجرين، وتحدث متحدرة من أصل عربي عن هذه الوضعية على النحو التالي: «كانت أمي واعية بأن الأرجنتينيين ينظرون باستهزاء إلى اللغة العربية على اعتبار أنها لغة «التوركوس»، التي كان يفضل في نظرها جهلها على تعلمها»^(٨٢). هذه الشهادة لا تختلف عن تلك التي أدلى بها متحدر من أصل عربي في التشيلي، حيثُ يشير إلى أن الرغبة في الاندماج جعلت الآباء يرون أن مسؤوليتهم لا تكمن في تعليم الأبناء العربية، وإنما في إرسالهم إلى المدارس وإلى الجامعات التشيلية، «وذلك حتى يحققوا الاندماج في المجتمع»^(٨٣).

وبشكل عام فإن غياب الاهتمام كان سبباً في اختفاء أغلب هذه المدارس، بحيث لم تكتب الاستمرارية إلا للتي أخذت بالبرامج الدراسية للبلد الذي توجد فيه، كما هو الحال مع «مدرسة القديس مارون» للتعليم الأساسي والإعدادي في بوينوس أيريس، التي أصبح معترفاً بها من طرف الحكومة الأرجنتينية، وفتحت أبوابها لغير العرب كذلك^(٨٤)، ولم تعدّ العربية فيها إلا لغة تكميلية؛ أو تلك التابعة للمراكز الدينية، وهذه تلقى الدعم المادي من هذه المراكز، وهي تنظم بالخصوص دروساً ليلية للكبار من المتحدرين من أصل عربي ومن غيرهم.

إلا أن هناك استثناء بخصوص مدارس تعليم اللغة العربية، يرتبط كذلك بالهجرة الحديثة التي تركزت في العقود الأخيرة بمنطقة الحدود الأرجنتينية البرازيلية البراغواتية، والتي أسس فيها المسلمون، بجانب المؤسسات الدينية التي أسلفنا الحديث عنها، عدداً من المدارس، تلقى نجاحاً كبيراً بين أبناء المسلمين العرب في المنطقة المذكورة.

Liban déraciné: Immigrés dans l'autre Amérique, [témoignages recueillis] par Sélim Abou, (٨٢) nouvelle éd. augmentée de «ethnopsychanalyse des autobiographies» en collaboration avec Carlos Hernandez et Marisa Micolis, terre humaine (Paris: Plon, 1978), p. 358.

(٨٣) «عرب أمريكا اللاتينية»، (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة، حلقة ٣١ آب/ أغسطس ٢٠٠٥).

(٨٤) من بين قدماء تلامذتها عدد من الذين تقلدوا مناصب عليا في الأرجنتين أمثال أرتورو فرونديسي (Arturo Frondisi) الذي تولى رئاسة جمهورية الأرجنتين ما بين عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٢.

٥ - المؤسسات المالية

يمكن أن نميز فيها بين البنوك والغرف التجارية وشركات التأمين. وهي جميعاً تعبر عن النجاح الاقتصادي الذي حققه العرب في المناطق التي أنشئت فيها.

وقد أدت البنوك دوراً مهماً في إنعاش الحركة الاقتصادية للعرب في البلدان التي يقيمون فيها، من خلال القروض التي كانت تقدمها لهم، ومن خلال حوالاتهم المالية التي كانت تتولى مهمة إرسالها إلى الوطن. ويرجع تاريخ إنشاء أول بنك عربي في أمريكا اللاتينية إلى عام ١٩٢٥، حيثُ أسس في بوينوس آيريس وحمل اسم «البنك السوري - اللبناني للنهر الفضي»، بعد ذلك وفي سنة ١٩٣١ أسست عائلة مراد في المكسيك «بنك مراد»، وفي سنة ١٩٣٧ أسس العرب في كلٍّ من سانتياغو وبالبارايسو (التشيلي) «بنك القروض والاستثمارات»، وفي سنة ١٩٤٣ أسسوا بنك «كروزيرو دو سول» (Cruzero do Sul) في ساو باولو، ثمَّ في سنة ١٩٥٣ بنك «ميركانتيل دي ديسكونتوس» (Mercantil de Descontos) في المدينة نفسها. وقد اختفت هذه البنوك في الوقت الحاضر. وفي المقابل ساهم بعض المتحدرين من أصل عربي في تأسيس بنوك أخرى خلال العقود الأخيرة، غير أن هذه البنوك مندججة بشكل كامل في النسيج الاقتصادي للبلدان التي توجد فيها، بحيث يصعب معرفة أهمية الأسهم التي يمتلكها العرب فيها، وإن كنا نعلم أن متحدرًا من أصل عربي بقي ولسنوات، المساهم الرئيس في البنك الوطني المكسيكي^(٨٥)، وأن أكبر حصة من أسهم بنك الكاريبي في فنزويلا توجد بيد متحدرين من أصل عربي كذلك^(٨٦).

أما في ما يتعلق بالغرف التجارية، كان ظهورها هي الأخرى مواكباً للنجاح الاقتصادي الذي حققته الجالية العربية في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية، بحيث يعود تأسيس أقدمها إلى نهاية العشرينيات، وهي المرحلة التي تمكَّن خلالها العرب من السيطرة على مجالات صناعية محددة على رأسها النسيج كما مرَّ بنا. وقد رأت النور أول غرفة تجارية عربية في أمريكا اللاتينية في سانتياغو عام ١٩٢٦ تحت اسم الغرفة التجارية السورية - الفلسطينية، تلتها الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في بوينوس آيريس عام ١٩٢٩، ثمَّ الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في ساو باولو عام ١٩٥٢. وستؤدي هذه الغرف منذُ تأسيسها دوراً مهماً في تدعيم التعاون الاقتصادي بين

(٨٥) يتعلق الأمر بحسب الدراسة حول عرب المكسيك، في ألفريدو هارب الحلو. انظر الفصل ١ من هذا الكتاب.

(٨٦) من أهم البنوك الفنزويلية، له فروع في خمسين قرية ومدينة بهذا البلد. انظر: «Banco del Caribe» < <http://www.InfoGuia.net> > .

العرب في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية، كما إنها ساهمت في إقامة علاقة تبادل تجاري بين سوريا ولبنان والبلدان التي توجد فيها. وقد رأت النور في السنوات الأخيرة غرف تجارية أخرى، من أبرزها «الغرفة التجارية الأرجنتينية - العربية» التي تنضوي تحت لوائها إضافة إلى المؤسسات الصناعية العربية، المؤسسات الصناعية الأرجنتينية الكبرى التي تستفيد من خدمات الغرفة في ما يتعلق بالتبادل التجاري مع عدد من البلدان العربية، والغرفة التجارية البراغواتية العربية التي تسهر هي الأخرى على دعم التعاون الاقتصادي بين الباراغواي والعالم العربي، كما تجربنا بذلك دراسة سيلفيا مونتينغرو حول عرب الباراغواي.

بالنسبة إلى شركات التأمين، تأسست أولها في ساو باولو سنة ١٩٢٦ تحت اسم «العالم الجديد»، بعدها أسس العرب شركة تأمين أخرى في سانتياغو سنة ١٩٣٩، حملت اسم «الوطن»، وهذه بخلاف الأولى كانت موجهة في الأساس لتلبية حاجيات الجالية العربية، ذلك لأنه خلال الثلاثينيات ونتيجة لتعرض عدد من المحلات التجارية العربية للحريق، اتهم أصحابها بتدبير ذلك قصد الاستفادة من التأمين، ما جعل شركات التأمين التشيلية ترفض التعامل معهم، وهو ما حتم تأسيس شركة تأمين عربية. وفي الخمسينيات كانت توجد شركة تأمين ضمن المجموعة الاقتصادية العملاقة التي كان يمتلكها في الأرجنتين الملياردير العربي الأصل خورخي أنطونيو.

٦ - المؤسسات الصحافية

تعتبر الصحافة العربية التي نشأت في أمريكا اللاتينية مصدراً فريداً من نوعه لدراسة تاريخ الهجرة العربية بهذه المنطقة، ذلك لأنها واكبت هذه الهجرة منذ مراحلها الأولى، وكانت مرآة للحياة اليومية للجالية العربية. ويمكن أن نميز في الصحافة العربية في أمريكا اللاتينية بين تلك التي كانت تزكي النعرة الطائفية، وهذه أسستها في الغالب البعثات الدينية أو التجار ذوو التكوين الثقافي المتواضع، وتلك التي أسسها أو تولى تحريرها بعض الأدباء المهجريين.

وقد تأسست أولى الصحف العربية في كُّل من التشيلي والبرازيل والأرجنتين^(٨٧)، وبلغ عدد الجرائد والمجلات العربية التي صدرت في البرازيل بين عامي ١٨٩٨ - ١٩٤٠، ١٤٠ صحيفة، بينما بلغ عددها في الأرجنتين ١٥٠ صحيفة

(٨٧) من بين هذه الصحف نذكر الفيحاء التي ظهرت في سانتياغو عام ١٨٩٤، والرقيب في ريو دي جنيرو عام ١٨٩٦، وصدى الجنوب والصاعقة في بوينوس آيريس عام ١٨٩٧، والأصمعي في ساو باولو عام ١٨٩٨، والسهام والشرق في مكسيكو عام ١٩٠٥، والعروة الوثقى والوطن في مونتيفيديو (الأوروغواي) عام ١٩٠٧، والجراة الأدبية في سانتو دومينغو عام ١٩١٠، والارتقاء السوري في لاهافانا (كوبا) عام ١٩١٤.

بين عامي ١٨٩٧ - ١٩٦٠^(٨٨). ولم تكن هذه الصحف عادة تعمر طويلاً، بحيث إن مجموع الأعداد الذي كان يصدر من الصحيفة الواحدة لم يتجاوز في الكثير من الحالات ثلاثة أو أربعة، ولم تكتب الاستمرارية إلا للقليل منها، وهذه كانت تشرف عليها الفئة المثقفة من الأدباء المهجريين ويمولها أغنياء الجالية، وكانت مادتها الأساسية إضافةً إلى مواكبة الحياة اليومية للجالية، إيراد أخبار الوطن اعتماداً على مراسليها هناك، أو على ما تحمله مراسلات الأقارب إلى مواطنيهم، أو ما يرويه حديثو الوصول إلى المهجر. كما كانت تتضمن صفحات أدبية يقدم فيها الأدباء المهجريون إبداعاتهم والتي لم تنشر بعد ذلك في أي مصدر آخر^(٨٩). وقد وصلت أهمية بعض الصحف العربية في البرازيل والأرجنتين خلال الثلاثينيات، إلى درجة أنها تحولت إلى ناطق باسم الجالية العربية في هذين البلدين، وتكفي الإشارة هنا إلى أن الجريدة السورية اللبنانية، وكانت جريدة يومية، اعتمدها خلال هذه المرحلة حوالي ١٥٠ جمعية عربية في الأرجنتين لتكون ناطقة باسمها.

وستدخل هذه الصحافة مرحلة الأفول منذ الأربعينيات. وإذا ما استثنينا البرازيل التي صدر فيها عام ١٩٤٢ قانون يمنع صدور الصحافة باللغات الأجنبية، فإن توقفها في بقية البلدان تمّ بشكل تدريجي نتيجة اختفاء محرريها وقرائها بسبب الوفاة أو العودة إلى الوطن، وعدم الاهتمام بها من طرف المتحدرين الذين يجهلون العربية. وعلى الرغم من أن بعضها حاولت أن تتأقلم مع الوضع الجديد، من خلال تخصيص صفحات للغة الإسبانية كما حدث مع الجريدة السورية - اللبنانية والسلام في الأرجنتين؛ أو صدورها فقط بالإسبانية كما حدث مع العالم العربي والشيخ في التشيلي، أو مع الوطن في الأوروغواي، فإنها لم تتمكن من تحقيق الاستمرارية.

وستشهد السنوات الأخيرة، عودة صحف ومجلات عربية قديمة للصدور ببعض بلدان أمريكا اللاتينية، أهمها مجلة الغربال في مكسيكو^(٩٠)، وصحيفة العروبة في ساو باولو، ويعود تاريخ ظهور الأولى إلى عشرينيات القرن العشرين، وتاريخ

Elie Safa, *L'Emigration libanaise*, préface du président Alfred Naccache (Beyrouth: (٨٨) Université Saint-Joseph, faculté de droit et des sciences économiques, 1960), p. 73.

(٨٩) تجدر الإشارة إلى أن هذه الصحف والتي تتضمن تلك الأعمال الأدبية وغيرها، توجد في الوقت الحاضر في حالة يرثى لها، حيث تتكدس في مخازن عدد من النوادي العربية وهو ما يجعلها عرضة للتلف، خصوصاً مع عدم الاهتمام بها من طرف المتحدرين الذين يجهلون اللغة العربية.

(٩٠) بجانب المجلة، تصدر عن المؤسسة نفسها ومنذ سنة ١٩٨٩، صحيفة نصف شهرية تحمل اسم أخبار الغربال يصل عدد النسخ التي تسحبها إلى خمسة آلاف. انظر: روبرتو مرين كوسمان، «المهاجرون العرب في المكسيك خلال القرنين التاسع عشر والعشرين: دراسة في التاريخ الاجتماعي»، في: روبييدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، ص ١٠٩.

ظهور الثانية إلى ثلاثينيات القرن نفسه. بجانب ذلك ظهرت صحف أخرى جديدة، غير أنها، وباستثناء تلك التي تصدر في البرازيل والتي تتحدث عنها دراسة سيلفيا مونتينيغرو، لا تصدر بشكل منتظم، وذلك للأسباب نفسها التي كانت وراء اختفاء الصحف التي صدرت خلال المراحل الأولى من عهد الهجرة.

وبجانب الصحافة المكتوبة، أنشأ العرب في أمريكا اللاتينية عدداً من القنوات الإذاعية بعضها تابع لهذه الصحف، مثل المحطة التي أنشأتها الجريدة السورية - اللبنانية في الأرجنتين خلال خمسينيات القرن العشرين، وبعضها تابع للمؤسسات الاجتماعية العربية مثل «أنغام الصحراء» التي تأسست في الأرجنتين عام ١٩٣٧، و«الإذاعة اللبنانية» التي رأت النور في الأوروغواي سنة ١٩٤٠. وستظهر في السنوات الأخيرة كذلك قنوات إذاعية جديدة مثل «الوطن العربي»، و«الجزور» في الأرجنتين؛ و«الصوت العربي»، و«العالم العربي»، و«ألف ليلة وليلة» في التشيلي. وبجانب هذه القنوات، تخصص محطات إذاعية غير عربية فضاءً خاصاً للجالية العربية، أبرزها إذاعة مكسيكو، التي تقدم منذ سنة ١٩٥٣ وإلى اليوم، برنامجها الإذاعي المتميز «الساعة اللبنانية»^(٩١).

خامساً: العرب والسلطة السياسية في أمريكا اللاتينية

يمكن أن نميز في العرب الذين خاضوا غمار الممارسة السياسية في أمريكا اللاتينية بين ثلاث مجموعات، تنتمي الأولى إلى الطبقة المترفة التي اعتمدت الثروة العائلية لدخول عالم السياسة، وهذه كان حضورها عادة في أحزاب اليمين والوسط؛ وتنتمي الثانية إلى الطبقة الوسطى، وهذه وجدت في الجامعة المكان الأنسب لبدء ممارستها السياسية، قبل أن تنخرط في التنظيمات السياسية اليسارية؛ وتنتمي الثالثة إلى المؤسسة العسكرية، وهذه مارست السياسة في إطار الأنظمة الديكتاتورية التي سيطرت على السلطة في أمريكا اللاتينية لسنوات طويلة، وكان أفرادها كذلك من أبناء الطبقات المترفة، لأن ولوج الأكاديميات العسكرية بقي في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية، حتى خمسينيات القرن العشرين، حكراً على أبناء النخب السياسية التقليدية وأصحاب النفوذ الاقتصادي.

١ - الثروة طريق السلطة

بدأت المساهمة السياسية للثروة التي اعتمدت الثروة من أجل الوصول إلى السلطة

(٩١) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

منذ ثلاثينيات القرن العشرين، وقد جاءت هذه المساهمة بعد النجاح الذي حققته في المجال الاقتصادي ابتداءً من هذا العقد، كما أوضحنا في محور سابق.

ويمكن أن نميز في العرب المنتمين إلى هذه الفئة والذين خاضوا غمار الممارسة السياسية خلال المرحلة المذكورة، بين جيل المهاجرين، الذين وبالرغم من اندماجهم الاقتصادي، بقيت المناصب السياسية التي شغلوها قليلة الأهمية، وكان تواضع مستواهم الثقافي، وعدم تمكنهم من لغة البلد المضيف، ورفضهم في بداية عهد الهجرة من طرف قطاعات واسعة من المجتمعات التي هاجروا إليها، واعتبارهم أجانب من طرف هذه القطاعات (رغم حصولهم على الجنسية)، سبباً في عدم توليهم مناصب مهمة^(٩٢)؛ وبين جيل المتحدرين الذين اندمجوا في مجتمعات البلدان التي ولدوا فيها، حيث اختلطوا عن طريق الزواج بأبناء البلد، وكان ذلك أحياناً مع أولئك المنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية، كما إن العديد منهم تخرج من الجامعة، ناهيك بحملهم جنسية البلد الذي ولدوا فيه. وبفضل هذا الاندماج الاجتماعي، وبخاصة بفضل الثروات التي ورثوها عن عائلاتهم، تمكن بعضهم من شغل مناصب سياسية مهمة في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية منذ العقد سالف الذكر^(٩٣).

ومن بين الأمثلة التي تعبر عن دور الثروة في البروز السياسي للعرب في أمريكا اللاتينية، نذكر حالة آل يافت في البرازيل، فهذه العائلة التي بدأ بروزها السياسي منذ الحرب العالمية الثانية، كانت تمتلك في أربعينيات القرن العشرين، واحدة من أكبر ثروات البرازيل. وقد تولى ريكاردو يافت خلال العقد المذكور أهم منصبين سياسيين في الدولة لهما علاقة بالاقتصاد، هما: رئيس بنك البرازيل ثم وزير المالية.

خلال المرحلة نفسها تولى متحدرين من أصل عربي آخرون في البرازيل، ودائماً من عائلات ثرية، مناصب سياسية ترتبط بالاقتصاد، نذكر من بينهم كميلو أشقر الذي شغل منصب وزير المالية بعد ريكاردو يافت، ونيكولاس تومة الذي شغل منصب وزير المحاسبة. ولم يكن الوضع يختلف في بلدان أخرى، فقد شغل كارلوس

(٩٢) نظن أن إقبال المهاجرين العرب على الممارسة السياسية يستجيب لدى بعضهم لحاجة سيكولوجية؛ فالحرمان من الحقوق السياسية في بلدانهم الأصلية على عهد العثمانيين ثم على عهد الانتدابين الفرنسي والبريطاني، ونظرة التقدير التي كانت تمنح في بلدانهم لكل من يشغل مناصباً سياسياً، خلق لديهم رغبة في شغل هذه المناصب في بلدان مهجرهم، عندما أتاحت لهم الفرصة.

(٩٣) تتحدث الدراسة المخصصة لعرب المكسيك في الفصل ١ من هذا الكتاب عن تعيين مستشار لرئيس الجمهورية من أصل عربي سنة ١٩١٥، وعن وجود عضوين من الأصل نفسه في البرلمان المكسيكي انتخبا عام ١٩٢٤، وهو ما يعتبر سابقة بالنسبة إلى مساهمة العرب في الحياة السياسية في أمريكا اللاتينية.

مسعد في العقد نفسه منصب رئيس البنك المركزي في التشيلي، وعين خورخي أنطونيو مستشاراً خاصاً في الشؤون الاقتصادية للجنرال بيرون في الأرجنتين في مطلع الخمسينيات^(٩٤)، وعلى الرغم من أنه رفض بعد ذلك تولي مناصب سياسية لها علاقة بالاقتصاد^(٩٥)، فإنه يعتبر واضح أسس الصناعة الثقيلة في الأرجنتين، بفضل الصفقات التي عقدتها مجموعته الاقتصادية العملاقة بعد الحرب العالمية الثانية، مع شركة مرسيدس الألمانية، لبدء تصنيع هذا النوع من السيارات في أمريكا اللاتينية.

وإضافة إلى خورخي أنطونيو، نسجل حضوراً متميزاً لأصحاب الثروات من المتحدرين من أصل عربي داخل الحزب البيروني في الأرجنتين، ذلك لأنهم وعوا أن هذا الحزب الذي تزامن تأسيسه عام ١٩٤٦ مع وصول العرب إلى مرحلة النضج السياسي والاندماج الاجتماعي والرفاه الاقتصادي، يمنحهم فرصة تاريخية ليؤدوا في الحياة السياسية الأرجنتينية دوراً شبيهاً بذلك الذي لعبه الإيطاليون والإسبان بعد الحرب العالمية الأولى. ويرجع هذا الحضور السياسي المتميز للعرب في الحزب البيروني، من جهة، إلى علاقة الصداقة التي كانت تربطهم بمؤسسه خوان دومينغو بيرون، الذي رأى فيهم قوة اقتصادية وسياسية يمكنه الاعتماد عليها لتحقيق مشاريعه السياسية^(٩٦)، ومن جهة أخرى، للنفوذ القوي الذي لخصومهم اليهود، في الحزب الراديكالي الذي يعتبر، حتى اليوم، القوة السياسية الثانية في الأرجنتين.

وبجانب بروزهم على الصعيد المركزي، أصبح لبعض البيرونيين المتحدرين من أصل عربي (جلهم من أصحاب الثروات)، حضور متميز في ولايات الأرجنتين الداخلية وبخاصة ولايات الشمال الغربي، التي تخبرنا سيلفيا مونتينيغرو في دراستها المخصصة للأرجنتين، أن نسبة المتحدرين من أصل عربي يسيطرون بإحداها على ما بين ١٠ و ٣٥ في المئة من المناصب السياسية. وقد ظهرت فيهم عائلات تحكمت ولسنوات في الحياة السياسية المحلية، حيث تناوب أفرادها على أهم منصبين سياسيين

(٩٤) عينه كارلوس منعم عندما وصل إلى رئاسة جمهورية الأرجنتين سنة ١٩٨٩، مستشاراً اقتصادياً كذلك.

(٩٥) من بينها منصب وزير التجارة ثم وزير الصناعة. هذا ما أكدته لنا في حوار أجريناه معه في يونيو س أيريس بتاريخ ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦.

(٩٦) لفت انتباه الجنرال بيرون شغف العرب بالسياسة، وقد سجل ذلك في مذكراته التي نقرأ فيها: «العربي إنسان عاطفي، وهو يهيم في ثلاثة أشياء هي: النساء والقمار والسياسة. وكان في حكومتي نواب في البرلمان، وأعضاء في مجلس الشيوخ، وحكام ولايات من أصل عربي». انظر: Torcuato Luca de Tena, Luis Calvo y Esteban Peicovich, *Yo, Juan Domingo Perón: Relato autobiográfico, espejo del mundo*; 2 (Barcelona: Editorial planeta, 1976), pp. 90-91.

في هذه الولايات، وهما حاكم الولاية وممثلها في مجلس الشيوخ. نذكر من بين هذه العائلات آل منعم في ولاية «لاريوخا»، وآل سعادة في ولاية «كاتماركا»، وآل صباغ في ولاية «نوكين»، جنوب البلاد.

غير أن البروز السياسي للمتحدثين من أصل عربي الذين اعتمدوا الثروة العائلية للوصول إلى السلطة، لم يقتصر على البلدان التي تعرف حضوراً عربياً مهماً من الناحية العددية مثل: البرازيل والأرجنتين والتشيلي، بل تعداها إلى بلدان أخرى مثل كولومبيا وفنزويلا والإكوادور، حيثُ شغل العرب مناصب سياسية رفيعة، ففي كولومبيا تولى رافائيل طربيه في مطلع أربعينيات القرن العشرين رئاسة الحزب الليبرالي (أحد أهم حزبين سياسيين في البلاد). ورغم إخفاقه غير المنتظر في الفوز في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٤٤، فإن كولومبيا كانت أول بلد في أمريكا اللاتينية يصل فيه متحدر من أصل عربي إلى الحكم، ويتعلق الأمر بخوليو سيزار طربيه الذي فاز في الانتخابات الرئاسية عام ١٩٧٨.

وفي الإكوادور وباستثناء الزعيم النقابي بيدرو سعد، الذي سنعود إلى تجربته في السطور الموالية، لم تتجاوز المناصب التي شغلها المتحدثون من أصل عربي، نواباً في البرلمان إلى غاية ستينيات القرن العشرين، عندما سيسطع نجم المليونير أسعد أبو كرم مؤسس حزب تجمع القوى الشعبية^(٩٧)، والذي شغل منصب رئيس برلمان الإكوادور عدة فترات برلمانية، غير أنه أخفق ثلاث مرات متتالية في الفوز بالانتخابات الرئاسية، بعد أن استعمل خصومه السياسيين باستمرار ورقة ولادته في لبنان وليس في الإكوادور، للحيلولة دون وصوله إلى رئاسة الجمهورية.

وبعد وفاة أبو كرم، وتراجع شعبية حزبه، أسس ابن أخيه عبد الله أبو كرم حزباً سياسياً جديداً له التوجه نفسه هو «الحزب الرولدوسي الإكوادوري»^(٩٨)

(٩٧) يعبر هذا الحزب عن مدى تشبع بعض السياسيين المتحدثين من أصول عربية بما يسمى بـ «الشعبوية» (Populismo)، وهي ظاهرة سياسية منتشرة بشكل كبير في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية، تراهن على كسب وذ الفئات المحرومة من خلال الإقدام على خطوات واتخاذ قرارات تروق هذه الفئات. وتكتل في «الشعبوية» تيارات متعارضة أيديولوجياً مثل البرجوازية، والطبقة الوسطى، والبروليتاريا، وصغار الفلاحين، وذلك من أجل مواجهة عدو داخلي تمثله النخبة ذات الجذور الأرستقراطية التي سيطرت على دواليب الحكم في أمريكا اللاتينية منذ القرن التاسع عشر، وعدو خارجي تمثله الولايات المتحدة ومصالحها المتجزدة بهذه القارة. ومن أبرز ممثلي «الشعبوية» في أمريكا اللاتينية في الوقت الحاضر هناك هوغو شافيز في فنزويلا، وإيفو مورالس في بوليفيا.

(٩٨) أطلق عبد الله أبو كرم هذا الاسم على حزبه، إكراماً لذكرى حميه رئيس الجمهورية المتوفى «خايمي رولدوس» (Jaime Roldos).

(Partido Roldisista Ecuatoriano)، تمكن من خلاله من الفوز في الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٩٦، وكان منافسه الرئيس فيها متحدرًا من أصل عربي آخر هو خايمي نبوت سعادة^(٩٩)، مرشح الحزب الاجتماعي المسيحي^(١٠٠).

وبجانب الحزبين سالفين الذكر، للمتحدرين من أصل عربي من أصحاب النفوذ الاقتصادي، حضور قوي في أحزاب محافظة أخرى، من بينها الحزب المحافظ الإكوادوري، وهو أقدم تنظيم سياسي في البلاد، يعود تاريخ تأسيسه إلى سنة ١٨٨٣، وكان على رأسه حتى سنة ١٩٩٥ متحدر من أصل عربي، هو ألبيرتو ضاحك، الذي اضطر في السنة المذكورة إلى ترك الحزب والتخلي عن منصبه كنائب لرئيس الجمهورية، بعد اتهامه في قضايا فساد إداري. ومن بينها كذلك حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي الذي كان يقوده في منصب التسعينيات جميل معوض عمدة العاصمة كيتو، الذي فاز في الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٩٨.

ويلفت الانتباه بالنسبة إلى الممارسة السياسية للعرب في هذا البلد الصغير شيبان، أولهما أن أربعة منهم خاضوا غمار الانتخابات الرئاسية في العقد الأخير^(١٠١)، فاز فيها اثنان؛ وثانيهما الحضور القوي للمرأة العربية في الحياة السياسية، بحيث إنّه إضافة إلى إليزا أبو كرم، التي شغلت منصب عمدة ولاية غواياكيل (ثاني أهم ولاية في البلاد)، وكانت بذلك أول امرأة في تاريخ الإكوادور تصل إلى هذا المنصب، نجد المرأة العربية ممثلة في الحكومة الحالية بوزيرتين هما: إيفون عبد الباقي وزيرة التجارة الخارجية، وغلاديس الخوري وزيرة السياحة.

لم تبرز المرأة العربية في الساحة السياسية بالأهمية نفسها في بقية بلدان أمريكا اللاتينية، ولكنّ مسارها عرف تطوراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة. ومن أهم السياسيات المتحدرات من أصل عربي في الوقت الحاضر، هناك سليمة حاتم التي

(٩٩) يعتبر نبوت سعادة إلى الوقت الحاضر الرجل القوي في الحزب الاجتماعي المسيحي، وهو يشغل حالياً منصب حاكم ولاية كواياكيل، العاصمة الاقتصادية للبلاد. ويعتمد نبوت بشكل كبير في تطبيق برامجه السياسية، وكذا في استمرارية نفوذه داخل الحزب، على الحضور السياسي والاقتصادي المهم الذي للجالية العربية بكواياكيل، والتي يسميها البعض بمدينة العرب في الإكوادور.

(١٠٠) بحكم حصولهما على الرتبة الأولى والثانية في الدور الأول من الانتخابات، مرّ عبد الله أبو كرم ونبوت سعادة إلى الدور الثاني، الذي حُسمت فيه النتيجة لفائدة أبو كرم بنسبة ٥٤,٤ في المئة من الأصوات المعبر عنها.

(١٠١) يتعلق الأمر بـ: إيفون عبد الباقي، وخايمي نبوت (ترشح مرتين، احتل في كليهما الرتبة الثانية)، وعبد الله أبو كرم، وجميل معوض.

شغلت حتى سنة ٢٠٠٥، منصب رئيسة برلمان كولومبيا، وهي أول امرأة عربية تشغل هذا المنصب (بما في ذلك داخل الوطن العربي). وما زالت سليمة حاتم حتى الوقت الحاضر نائبة في البرلمان الكولومبي عن ولاية قرطبة التي لعائلتها فيها نفوذ سياسي متجذر؛ فولدها خوسي فرانسيسكو حاتم، كان ولسنوات ممثل الولاية بمجلس الشيوخ، قبل أن يتولى رئاسة المجلس نفسه. ولعائلة حاتم، من الجنسين، امتداد سياسي في فنزويلا المجاورة، فقد شغلت نور حاتم ولفترتين برلمائيتين، مقعد ولاية فالكون (Falcón) في البرلمان، كما شغل بعدها ابن أخيها، دوغلاس حاتم المقعد نفسه عن حزب العمل الديمقراطي، وكان في الوقت ذاته رئيساً لإحدى اللجان البرلمانية.

٢ - عرب الطبقة الوسطى : من الجامعة إلى أحزاب اليسار

إن الفكرة الشائعة في أمريكا اللاتينية، هي أن العرب طرقت باب السياسة من خلال الثروة، وبالتالي اقتصر حضورهم على الأحزاب المحافظة، من دون الأحزاب اليسارية والتنظيمات النقابية، على اعتبار أنهم نادراً ما شكلوا جزءاً من الطبقة العاملة، بحكم امتهان أغلبهم التجارة كما مرّ بنا، غير أن التوقف عند سجلات الأحزاب اليسارية والتنظيمات النقابية، يبين لنا أن العديد منهم تولى مناصب ريادية في هذه الأحزاب وهذه النقابات منذ أربعينيات القرن العشرين، في وقت حكمت فيه هذه القارة الدكتاتوريات العسكرية بيد من حديد، وهو ما جعل العديد منهم، يسري عليه ما يسري على كلّ معارض يساري، من قمع ونفي.

وقد كان جلّ السياسيين العرب المنتمين إلى هذه الفئة من أبناء الطبقة الوسطى، الذين تخرجوا من الجامعة، قبل أن يلتحقوا بالأحزاب الشيوعية الماركسية أو بالتنظيمات النقابية. وسنكتفي ببعض النماذج التي نظن أنها معبرة، ذلك لأن تسليط الضوء بنوع من التفصيل على المسار السياسي لليساريين العرب في أمريكا اللاتينية، هو موضوع يستحق في تقديرنا دراسة منفصلة.

إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى، بقي التياران السياسيان الوحيدان اللذان لهما حضور في أمريكا اللاتينية هما الليبرالي والمحافظ، لكن ابتداءً من هذا التاريخ، وبوصول موجات المهاجرين الأوروبيين بإيقاع لم تعرفه القارة من قبل، ظهر على السطح وبتأثير من هؤلاء المهاجرين، تياران سياسيان جديداً هما الفاشية والشيوعية، سيعيشان، إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حالة تصادم في مختلف بلدان القارة. وقد وجدت الفاشية ملاذاً لها في النخب التقليدية الحاكمة، وفي العسكريين الذين سيسيطرون على السلطة لما يزيد عن نصف قرن. في المقابل وجدت

الشيوعية ملاذاً لها داخل الجامعة^(١٠٢)، وبين بعض المثقفين، ثم داخل النقابات العمالية. وسيتم تأسيس أولى الأحزاب الشيوعية في أمريكا اللاتينية في الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا (عام ١٩٢١)، وفي التشيلي والمكسيك (عام ١٩٢٢)، وفي كوبا (عام ١٩٢٥)، ثم في الإكوادور (عام ١٩٢٨). وكما سنرى في السطور الموالية، سيكون للمتحدثين من أصل عربي من ذوي التوجه الشيوعي حضور متميز في عدد من هذه البلدان، في وقت لم يعد وجودهم داخل الجامعة مقتصرًا على أبناء العائلات المترفة، وإنما سيُمتد ليشمل كذلك أبناء الطبقة الوسطى، والتي ينتمي إليها أغلب عرب أمريكا اللاتينية.

ونعثر في الأرجنتين على أوائل المتحدثين من أصل عربي الذين برزوا في اليسار الأمريكي اللاتيني، نذكر من بينهم فرناندو ندره، الذي بدأ مساره السياسي رئيساً لفدرالية طلبة جامعة قرطبة الأرجنتينية، ثم منذ سنة ١٩٤١ أميناً عاماً للفدرالية الجامعية الأرجنتينية، وهي أبرز تنظيم طلابي في البلاد^(١٠٣)، قبل أن يلتحق بالحزب الشيوعي، الذي استمرّ ولعدة عقود أحد أهم قاداته^(١٠٤).

وفي بوليفيا والتي لم يعرف حضور العرب بها الأهمية نفسها المسجلة في بلدان أخرى، برز ساسة عرب آخرون من ذوي التوجه اليساري، أشهرهم خوان لاشين الذي بدأ حياته عامل مناجم في الثلاثينيات، قبل أن يتخرج من الجامعة ويؤسس سنة ١٩٤٤ الفدرالية النقابية لعمال المناجم، ثم بعد ذلك الكونفدرالية العمالية البوليفية، وهي أهم تنظيم نقابي في بوليفيا إلى اليوم^(١٠٥). ومن خلال نشاطه العمالي وتوجهه الماركسي، ساهم لاشين في تأسيس حزب الحركة الوطنية الثورية، الذي قاد من خلاله ما سمي بالثورة الوطنية سنة ١٩٥٢، والتي تعتبر من أولى الثورات التي نجحت في الوصول إلى الحكم في أمريكا اللاتينية. وبحكم أنه رجل الثورة القومي،

(١٠٢) في سنة ١٩١٨ عرفت أمريكا اللاتينية موجة احتجاجات داخل جامعاتها، انطلقت من مدينة قرطبة الأرجنتينية لتمتد بعد ذلك إلى مختلف جامعات القارة، وقد كانت هذه الموجة الاحتجاجية وراء الإصلاح الجامعي الذي كسر القيود المفروضة من طرف النخبة الحاكمة على الجامعة وتوجهاتها الفكرية والسياسية، وهذا ما سمح للأيدولوجية الشيوعية بالانتشار بشكل كبير بين الطلبة.

(١٠٣) عن الأسباب التي دفعته للنضال السياسي من داخل الجامعة، يمكن العودة إلى نصّ الحوار الذي أجريناه معه. انظر: Akmir, *La Inmigración árabe en Argentina, 1880-1980*, pp. 189-192.

(١٠٤) إلى غاية وفاته سنة ١٩٩٥، كان يعتبر منظر الحزب، وقد ترك العديد من المؤلفات، حول الشيوعية كأيدولوجية وكنظام سياسي. انظر: < <http://www.geocities.com> >.

(١٠٥) منذ تركه هذه النقابة سنة ١٩٨٧ اعتزل الحياة العامة، وقد عاش السنوات الأخيرة من حياته وحيداً مهملًا، وبوفاته في آب/أغسطس ٢٠٠١ عن سنّ يناهز التسعة والثمانين، طويت صفحة من اعتبر - لأزيد من أربعة عقود - أبرز زعيم نقابي في أمريكا اللاتينية.

كان ينتظر بعد نجاحها أن يتوج رئيساً للجمهورية^(١٠٦)، لكنه اكتفى بوزارة المناجم والبتروول^(١٠٧) قبل أن يتراًس وبدعم لامشروط من الطبقة العاملة الحكومة ما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٤. خلال هذه الفترة سينشب نزاع سياسي بينه وبين رئيس الجمهورية، أدى إلى اندلاع حرب أهلية دموية، قام على أثرها الجيش بانقلاب عسكري، اضطر معه لاشين إلى مغادرة البلاد، بعد اعتقاله مدّة من الزمن، في وقت أصبح فيه رمز النضال العمالي في كلّ أنحاء أمريكا اللاتينية.

في تلك الأثناء برز في صفوف اليسار الماركسي الأمريكي اللاتيني، ثوري عربي آخر هو ألفريدو جبور معلوف، أحد الذين ساهموا في نجاح الثورة الكوبية التي قادها فيديل كاسترو عام ١٩٥٩. وترجع مشاركة معلوف في الحياة السياسية الكوبية إلى أربعينيات القرن العشرين، عندما سطع نجمه كأحد زعماء الحركة الطلابية التي ناضلت من داخل الجامعة ضدّ دكتاتورية فولخانسو باتيستا (Fulgencio Batista) وما زالت إذاعة لاهافانا إلى اليوم تتحدث عن تلك المواجهة التاريخية، التي كانت له، وهو طالب في الجامعة، مع الدكتاتور باتيستا سنة ١٩٤٤، عندما قام بتعنيفه أمام الملأ، مطالباً إياه بإعادة السلطة للشعب^(١٠٨). ومنذّ تخرجه من الجامعة كمحام، كرّس وقته للدفاع عن المعتقلين السياسيين، خصوصاً الطلبة وقادة الحزب الاشتراكي الشعبي المعارض، والطبقات المحرومة من الفلاحين الذين كانوا يعيشون حالة بؤس مطلق في ظلّ نظام اقتصادي شبه إقطاعي. وسوف يكون جبور معلوف من مؤسسي المجلس الثوري سنة ١٩٥٦ إلى جانب فيديل كاسترو، وشقيقه راوول كاسترو، وشبان ماركسيين آخرين. وعقب نجاح الثورة سنة ١٩٥٩، عين على رأس وزارة

(١٠٦) يقول المؤرخ البوليفي «سوليز رادا» (Soliz Rada) إن لاشين تفادى تولي رئاسة الجمهورية «خوفاً من جسامة المسؤولية»، انظر: <http:// Alejandro Blanca, «Ciberoamérica, México, 1 septiembre 2001.» > .
www.laisignia.org .

(١٠٧) كانت التيارات الماركسية النشيطة آنذاك في أمريكا اللاتينية ترى في لاشين وهو التروتسكي المتحمس، الرجل الذي بإمكانه أن يقدم على الخطوة التاريخية والتمثلة في فرض النظام الماركسي بأمريكا اللاتينية (سبع سنوات قبل الثورة الكوبية)، وظن البعض أن تفضيله لوزارة المناجم والبتروول على رئاسة الجمهورية، يستجيب لمخطط تأميم موارد الطاقة الذي كانت ترمي الحكومة الثورية تطبيقه، لكن يظهر أن تغلغل مصالح الولايات المتحدة، كان أكبر من طموحات لاشين وغيره من الماركسيين البوليفيين. ومن المفارقات التاريخية، أنّه لم يجرؤ أحد على الإقدام على الخطوة التي قيل إن لاشين كان ينوي القيام بها، إلا في أيار/مايو ٢٠٠٦، عندما قرر «إيفو موراليس» (Evo Morales) (أول رئيس من أصول هندية يتولى الحكم في بوليفيا) تأميم موارد الطاقة البوليفية، وهو ما أثار ضجة دولية.

(١٠٨) حلقة «من كوبا: ألفريدو جبور المحامي العادل» ضمن برنامج «الصوت القريب لمدينة عتيقة» الذي يبث على إذاعة «راديو لاهافانا» وقد بثت هذه الحلقة إذاعياً بتاريخ ٩ أيار/مايو ٢٠٠٦، ثم نشرت على الموقع الإلكتروني لـ «راديو لاهافانا» بتاريخ ١٢ أيار/مايو ٢٠٠٦. انظر: <http://www.habanaradio.cu/modules/news/articles> .

العدل، وكان عليه أن يبدأ مهمته بإجراءين اعتبرهما الأكثر راديكالية في الحكومة الثورية التي يقودها كاسترو، الأول، هو تغيير نظام القضاء الرجعي الذي كانت تعرفه البلاد بنظام ثوري، والثاني، محاكمة المسؤولين على سياسة القمع الدموي التي عرفتها كوبا طوال الخمسينيات.

وعلى امتداد أربع عشرة سنة تفصل نجاح الثورة عن وفاته، بقي جبور على رأس وزارة العدل، حيث طبع نظام القضاء الكوبي بطابع خاص، وكان يجلو للبعض أن يسميه محامي الثورة. واعتباراً للدور الذي كان يمثله بالنسبة إلى كوبا الثورية، وضع جثمانه عند وفاته في آذار/مارس ١٩٧٣ في ساحة الثورة، ليتسنى لآلاف الكوبيين إلقاء النظرة الأخيرة عليه، وكان أول زعيم سياسي في تاريخ كوبا يحظى بذلك الشرف^(١٠٩). وما زال اسم جبور معلوف حاضراً في الشارع الكوبي إلى اليوم، من خلال إطلاقه على أقدم تعاونية فلاحية توجد في البلاد، وذلك اعترافاً من الطبقة الفلاحية بالخدمات التي أسداها لها، يوم نصب نفسه، قبل اندلاع الثورة، محامياً لها.

وفي الإكوادور برز كذلك بعض العرب كزعماء داخل الأحزاب اليسارية، أشهرهم بيدرو سعد، الذي أصبح له حضور متميز داخل الحزب الشيوعي الإكوادوري منذ منتصف الأربعينيات، قبل أن يتحول ولمدة ثلاثة عقود تقريباً إلى الرجل الأول في الحزب، حيث شغل منصب الأمين العام ما بين الأعوام ١٩٥٢ و١٩٨٠، كما شغل وللسنوات مقعداً في مجلس الشيوخ ممثلاً للحزب نفسه. ويضطلع في الوقت الحاضر بيدرو سعد الابن، داخل حزب «اليسار الديمقراطي» بمهام شبيهة بالتي أضطلع بها والده في الماضي داخل الحزب الشيوعي. وقد شغل أثناء وجود حزبه في الحكومة، عدداً من المناصب السياسية، من بينها مستشار رئيس الجمهورية، ووزير المواصلات، وسفير الإكوادور في روسيا.

وفي فنزويلا بدأ الظهور السياسي لبعض المتحدرين من أصل عربي من ذوي التوجه اليساري منذ مطلع الأربعينيات كذلك. وكان أبرزهم خورخي ظاهر الذي أسس سنة ١٩٤١، بمعية سياسيين آخرين، حزب العمل الديمقراطي، الذي فاز عنه بمقعد في البرلمان الفنزويلي عام ١٩٤٦. وعلى أثر الانقلاب العسكري الذي قاده الدكتاتور بيريز خيمينيز (Perez Jiménez) سنة ١٩٥٢، أُعتقل ظاهر قبل أن ينفى إلى التشيلي، التي عاد منها سنة ١٩٥٨، مع عودة الديمقراطية. وقد انتخب في السنة نفسها مرة أخرى نائباً في البرلمان. وبعد دخول حزبه الحكومة، وتقربه من الأحزاب

اليمنية المشاركة فيها، قاد ظاهر تياراً ثورياً داخل الحزب، وأسس مع منشقين آخرين «الحركة اليسارية الثورية». وهو حزب أخذ بسرعة توجهاً ثورياً يميل إلى أقصى اليسار - من دون شك بتأثير الثورة الكوبية -، ما حدا بظاهر إلى تركه وتأسيس حزب يساري أكثر اعتدالاً هو «القوة الديمقراطية الشعبية»، الذي تحول في ظرف وجيز إلى ثالث أهم قوة برلمانية في البلاد. وقد ترأس ظاهر فريق حزبه في البرلمان، قبل أن يعين رئيساً للبرلمان سنة ١٩٦٩، ثم رئيساً لبرلمان أمريكا اللاتينية في السنة الموالية. وفي سنة ١٩٧٣ عينه حزبه مرشحاً للانتخابات الرئاسية، غير أنه انسحب من السباق لفائدة مرشح الحزب الاجتماعي المسيحي، بعد تحالف الحزبين لخوض الانتخابات بشكل مشترك. وفي الوقت الذي ترك فيه خورخي ظاهر عالم السياسة، بزغ نجم ابنه دوغلاس ظاهر، داخل الحزب الذي أسسه والده، حيثُ انتخب نائباً في البرلمان وعمره أربع وعشرون سنة، وكان أصغر نائب في البرلمان الفنزويلي^(١١٠).

وفي نيكاراغوا ساهمت مجموعة من اليساريين المتحدرين من أصل عربي، في نجاح الثورة التي أطاحت بنظام الدكتاتور أناستاسيو سوموزا (Anastasio Somoza) سنة ١٩٧٩. وقد تولى عدد منهم بعد ذلك مناصب المسؤولية في الحكومة الثورية التي شكلها دانييل أورتيغا (Daniel Ortega). نذكر من بينهم إضافة إلى موسى حسن أحد قادة اللجنة الثورية، أربعة وزراء هم: كارلوس زروق الذي تولى وزارة الدفاع، وسعاد فرج التي تولت حقيبة الداخلية، وشقيقها يعقوب الذي تولى حقيبة الصحة العمومية، وجيمس زبلخ، الذي عين وزيراً للاقتصاد^(١١١).

وإذا كان حضور الشيوعيين والاشتراكيين العرب قد تراجع في أمريكا اللاتينية خلال مرحلة السبعينيات والثمانينيات بسبب سيطرة الأنظمة العسكرية على الحكم، وخلال مرحلة التسعينيات، بسبب الأزمات الداخلية التي كانت تعيشها الأحزاب الشيوعية في العالم برمته بعد سقوط حاجز برلين، فإن عودة الأحزاب ذات التوجهات الاشتراكية إلى السيطرة على مقاليد السلطة بطريقة ديمقراطية في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية، مثل البرازيل والأوروغواي^(١١٢) وفنزويلا والتشيلي وبوليفيا،

(١١٠) عبید، الجالية العربية في فنزويلا، ص ٧٢.

(١١١) كوسمان، «المساهمة الاقتصادية والثقافية للمهاجرين العرب في أمريكا الوسطى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين»، ص ١٤٠-١٤١.

(١١٢) تعبر التجربة التي يمثلها في الوقت الحاضر «تباري فازكيز روساس» (Tabaré Vazquez Rosas) في الأوروغواي، عن الحضور الذي أصبح للتيارات اليسارية في بعض بلدان أمريكا اللاتينية، فقد تمكن بفوزه في انتخابات ٢٠٠٥، مثلاً لتحالف «القوى التقدمية»، من تكسير هيمنة قطبي التناوب اليميني؛ الحزب الوطني والحزب الملون على الحياة السياسية، والتي بدأت سنة ١٨٣٠.

سمح لبعضهم بالظهور من جديد في الساحة السياسية. ومن أبرز الوجوه العربية التي نجدها في الوقت الحاضر في بعض هذه البلدان، نذكر السياسي المخضرم سيرجيو بيطار الذي صقل فكره الماركسي في جامعة سانتياغو، قبل أن يلفت انتباه الزعيم التاريخي سالفادور الليندي (Salvador Allende)، الذي عينه سنة ١٩٧١ مستشاره الخاص وعمره واحد وثلاثون سنة. وقد عهد إليه الليندي بعد ذلك بحقيبة وزارة المناجم، وكانت من أخطر الحقائق الوزارية، لأن الليندي كان قد بدأ يخطط لتطبيق برنامجه المتعلق بتأميم الموارد الطبيعية للبلاد، وهو ما اصطدم مع المصالح المتجذرة للولايات المتحدة في التشيلي.

وسوف ينجو بيطار من مجزرة ١١ أيلول/سبتمبر ١٩٧٣، التي قادها الديكتاتور أوغوستو بينوشيه (Augusto Pinochet) بدعم من الولايات المتحدة ضدّ القصر الجمهوري، والتي نجحت في قلب النظام واغتيال رئيس الجمهورية المنتخب سالفادور الليندي.

وبعد سنة في سجون العسكريين^(١١٣)، نفي بيطار مع ماركسيين تشيليين آخرين، بعضهم من أصل عربي^(١١٤)، قبل أن يعود إلى البلاد إثر عودة الديمقراطية، ليساهم في تأسيس حزب سياسي جديد، هو «الحزب من أجل الديمقراطية»، الذي تولى كتابته العامة سنة ١٩٩٠ ثم رئاسته ما بين عام ١٩٩٢ وعام ٢٠٠٠. وعقب فوز الاشتراكيين في الانتخابات سنة ٢٠٠٢، عين بيطار وزيراً للتربية والتعليم، وهو المنصب الذي تنازل عنه في نهاية سنة ٢٠٠٥، ليتفرغ للحملة الانتخابية التي قادت الاشتراكية ميشيل باشليت (Michelle Bachelet) إلى رئاسة الجمهورية، عقب فوزها على مرشح اليمين في نيسان/أبريل ٢٠٠٦، وكانت أول امرأة تصل إلى هذا المنصب في التشيلي.

٣ - عسكريون عرب في مناصب القرار

وبجانب الذين طرقتهم السياسة من خلال الأحزاب السياسية والتنظيمات

(١١٣) يحكي عن تجربة السجن الرهيبة تلك، في سيرته الذاتية التي تحمل عنوان «الجزيرة ١٠»، كناية عن رقمه كسجين في جزيرة «داوسون» (Dawson) الواقعة جنوب مضيق ماجلان، والتي كان بينوشيه يحتجز فيها المعتقلين السياسيين. وقد حققت هذه السيرة نجاحاً كبيراً، بحيث استمرت لسنوات الكتاب السياسي الأكثر مبيعاً في التشيلي (Beest Seeler)، ووصل عدد الطباعات التي صدرت منها ما بين ١٩٨٨ و١٩٩٨، إلى عشر. انظر: Sergio Bitar, *Isla 10*, colección testimonio, 10th ed. (Santiago: Pehuén, 1998).

(١١٤) من أشهر هؤلاء ميغيل لتين، الذي يعدّ في الوقت الحاضر، أحد أبرز المخرجين السينمائيين في أمريكا اللاتينية، والذي سبق وعينه سالفادور الليندي رئيساً لمؤسسة السينما التشيلية. وقد عاد إلى التشيلي بعد سنوات المنفى التي أعقبت الانقلاب العسكري، حيث تولى لفترتين متتاليتين، منصب عمدة بلدته «بالميا» (Palmilla).

النقابية، دخلت فئة من عرب أمريكا اللاتينية عالم السياسة من خلال المؤسسة العسكرية، وإن كانت نسبتهم لا ترقى إلى نسبة الفئة الأولى. وما يلفت الانتباه في العسكريين العرب في هذه القارة، بروز بعضهم منذُ مرحلة جدّ مبكرة ضمن الجيوش الثورية، بحيث نعثر عليهم في كوبا منذُ نهاية القرن التاسع عشر، يناضلون إلى جانب الوطنيين الكوبيين ضدّ المستعمر الإسباني. ومن العرب الذين شاركوا في ثورة ١٨٩٥ الكوبية، تتحدث المصادر عن أربعة منهم ارتقوا إلى مراتب عسكرية على درجة من الأهمية، هم الرائد إلياس تومة، والمقدم أرتورو عولت عميش، والنقيب فرانسيسكو عولت سيرانو، وشقيقه أرتورو الذي وصل إلى رتبة مقدم في جيش التحرير الكوبي^(١١٥) كما نعثر عليهم في فنزويلا، منذُ مطلع القرن العشرين، حيثُ تحدثنا المصادر عن مهاجر عربي يدعى إلياس ظاهر (والد خورخي ظاهر سالف الذكر)، برز نجمه بسرعة في صفوف الثوريين الفنزويليين الذين حاربوا نظام الدكتاتور خوان فيشينتي غوميز (Juan Vicente Gomez) بعد استيلائه على السلطة سنة ١٩٠٨، وقد ارتقى ظاهر بسرعة داخل صفوف الجيش الثوري، إذ وصل إلى رتبة عقيد^(١١٦) وفي المكسيك المجاورة، وكما تحدثنا الدراسة المخصصة لهذا البلد، شارك قادة عسكريون من أصل عربي في الثورة المكسيكية لسنة ١٩١٠ التي قادها إميليانو سباتا (Emiliano Zapata)^(١١٧)، أشهرهم الجنرال فيليكس فياض.

غير أن وجود عرب داخل المؤسسة العسكرية في أمريكا اللاتينية خلال هذه المرحلة يعتبر استثناءً وليس قاعدة، لأن هذا الحضور لن يبدأ إلا في ثلاثينيات القرن العشرين، وكان ذلك بعد التخرج من الأكاديميات العسكرية للبلدان التي يحملون جنسيتها. ومنذُ منتصف الأربعينيات بدأنا نعثر على متحدرين من أصل عربي في الرتب العسكرية العليا في عدد من بلدان القارة. نذكر من بينهم أنطونيو الخوري الذي تخرج من الأكاديمية العسكرية الفنزويلية برتبة ضابط سنة ١٩٤٢، والذي برز نجمه بعد المشاركة في الانقلاب العسكري الذي أطاح في حكومة الجنرال مدينة أنغاريتا (Medina Angarrita) سنة ١٩٤٥، حيثُ عين إثر ذلك على رأس القوات البحرية الفنزويلية. وبعد تقديمه سنة ١٩٥٤ مشروعه الذي تمّ من خلاله تجديد

(١١٥) مايدا خيمينيس غارسيا، «الهجرة العربية إلى جزر بحر الكاريبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين: كوبا نموذجاً»، في: روبيدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، ص ٢٥٠.

(١١٦) عبّيد، الجالية العربية في فنزويلا، ص ٥٩.

(١١٧) تعتبر الثورة المكسيكية التي قادها إميليانو سباتا، أهم حدث سياسي عرفته أمريكا اللاتينية في العقد الأول من القرن العشرين، لأنها سعت إلى تطبيق برنامج إصلاح زراعي فريد من نوعه، يرمي إلى القضاء على سياسة الإقطاع التي كرسها الإسبان في نيابة ملك إسبانيا الجديدة (المكسيك الحالية) خلال المرحلة الاستعمارية، غير أن هذه الثورة لم يكتب لها تحقيق أهدافها، بسبب تكتل كُُل القوى المحافظة ضدها.

الأسطول الحربي الفنزويلي، ارتقى إلى رتبة أميرال، ثم إلى رتبة المراقب العام للقوات المسلحة الفنزويلية^(١١٨). كما نذكر رامون إبراهيم الذي تخرج كذلك برتبة ضابط من الأكاديمية العسكرية الأرجنتينية سنة ١٩٣٢، والذي نجده سنة ١٩٥٥ من بين قادة العملية الانقلابية التي أطاحت في الجنرال بيرون، والتي تولى على أثرها منصب وزير سلاح الجو.

ودائماً في الأرجنتين، وكما كان للعسكريين من أصل عربي دور في إطاحة نظام الجنرال بيرون في الخمسينيات، كان لهم دور إطاحة النظام أرملة ماري إستيلا بيرون (María Estela Perón) سنة ١٩٧٦؛ إذ نجد من بين قادة «اللجنة العسكرية» التي أشرفت على العملية الانقلابية، الجنرال جميل رستم الذي شغل بعد نجاح الانقلاب منصب وزير الشغل^(١١٩)، ثم وزير الداخلية، وكذا منصب القائد العام المساعد للجيش الأرجنتيني.

وإلى غاية مطلع التسعينيات، نجد متحدرين من أصل عربي في الأرجنتين، يحاولون الوصول إلى الحكم من خلال العمليات الانقلابية، وقد شكلت المحاولة التي قادها الكولونيل محمد علي زين الدين في كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٠ خطراً حقيقياً على حكومة كارلوس منعم، نظراً إلى الشعبية الكبيرة التي يتمتع بها هذا العسكري المثير للجدل، والتي اكتسبها أثناء حرب المالوين، نتيجة الهجمات الجوية الناجحة التي قادها ضد الأسطول الإنكليزي. وسواصل زين الدين نشاطه السياسي من داخل السجن عندما أسس بمعية عسكري آخر من أصل عربي هو النقيب غوستابو عبيد، تنظيمًا حمل اسم «الحركة من أجل الهوية الوطنية والاندماج الإيبيري أمريكي». ويظهر أن طموحات عبيد السياسية كانت أكبر من حركة حبيسة الزنزانة، لذا ما أن غادر السجن سنة ١٩٩٧، حتى أسس حزباً سياسياً هو «الحزب الشعبي لإعادة البناء»، الذي حاول من خلاله استغلال حالة التمزق السياسي الداخلي الذي كان يعرفه قطبا التناوب السياسي؛ الحزبان الراديكالي والبيروني، لخوض غمار الانتخابات الرئاسية سنة ٢٠٠٣، والتي لم يحصل فيها إلا على حفنة من أصوات بعض الذين يحنون إلى عهد العسكريين. والسبب من دون شك، هو أن الشعارات المغالية في الوطنية التي رفعها أثناء الحملة الانتخابية، ذكرت الناخب الأرجنتيني بتلك المرحلة المظلمة من تاريخه، الممتدة من عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٨٣، والتي

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(١١٩) أثناء توليه حقيبة الشغل، كان الرجل الثاني في الوزارة كذلك من أصل عربي، يتعلق الأمر بالجنرال أمريكو ظاهر، القائد العام للقوات الأرجنتينية التي شاركت في حرب المالوين سنة ١٩٨٢.

يتحمل فيها العسكريون مسؤولية الاختفاء القسري لآلاف المعتقلين السياسيين.

تجدر الإشارة في نهاية هذا المحور إلى أن السياسيين المتحدرين من أصول عربية، سواء الذين اعتمدوا الثروة العائلية لدخول عالم السياسة، أو المنتمون في الأصل إلى الطبقة الوسطى والذين مارسوا السياسة من خلال التنظيمات النقابية والأحزاب اليسارية، أو حتى الذين وصلوا إلى الحكم من خلال المؤسسة العسكرية، لا يبدون اهتماماً كبيراً في القضايا السياسية المتعلقة بوطن الأجداد^(١٢٠)، إذ تنحصر اهتماماتهم السياسية عادة في قضايا البلدان التي ولدوا فيها والتي يحملون جنسيتها، وهم بذلك محط إعجاب وتقدير سكان هذه البلدان الذين يرون أنهم، بخلاف اليهود من أصول عربية^(١٢١)، يقيمون الدليل على وفائهم لأوطانهم، غير أن مواقفهم هذه تجعلهم أحياناً محط انتقاد بعض أفراد الجالية العربية، الذين يرون أن هؤلاء الساسة لم يقدموا شيئاً لجلبتهم، ولأوطان آبائهم».

وإن الاستثناء الذي نجده لدى الساسة من أصول عربية بخصوص القضايا السياسية العربية، هو الذي نسجله من جهة لدى بعض المتحدرين من أصل فلسطيني، والذين يعبرون عن دعم لامشروط للقضية الفلسطينية^(١٢٢)، وإن كان هذا الدعم يقل لدى أبناء الجيل الثالث والرابع، مقارنة بالجيل الثاني، ومن جهة أخرى لدى بعض الساسة المنتمين إلى بلدان حكوماتها مناهضة لدولة إسرائيل مثل كوبا، وفنزويلا ونيكاراغوا على عهد حكم السندنيين، حيث كان للمتحدرين من أصل عربي دور فعال في فتح سفارة فلسطين في ماناغوا، والتي تعتبر الأولى من نوعها في أمريكا الوسطى^(١٢٣).

(١٢٠) بخلاف ذلك يبدي المهاجرون اهتماماً خاصاً في القضايا السياسية التي تعرفها أوطانهم. وهم يعبرون عن مواقف متباينة من هذه القضايا، ما يخلق أحياناً توتراً في العلاقات بينهم، كما كان الشأن عقب اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية السابق رفيق الحريري، وما تبعه من سحب للقوات السورية من لبنان.

(١٢١) يساند اليهود، من أصول سورية ومغربية بشكل لامشروط دولة إسرائيل، وهم بذلك كانوا محط انتقاد الرأي العام بل وأصحاب القرار في أمريكا اللاتينية، الذين يشككون دائماً في وطنيتهم، بخلاف موقفهم من العرب. عن ذلك يقول الجنرال بيرون: «وهم (العرب) في نظري يتفوقون على اليهود في ما يتعلق بالقدرة على الاندماج، لأنهم يغرسون جذورهم في المنطقة التي يجلبون فيها، بخلاف ذلك فاليهود هم دائماً غرباء لا يندمجون». انظر: Luca de Tena, Calvo y Peicovich, Yo, Juan Domingo Perón: Relato autobiográfico, pp. 90-91.

(١٢٢) يقول السياسي المخضرم سيرجيو بيطار إن معاناة الشعب الفلسطيني، أيقظت لدى المتحدرين من أصل عربي الإحساس بالانتماء إلى هوية عربية: «لأن الجذور تحيا عندما يرى المرء أن هناك من يدوس على الروح التي تجري في دمه». انظر: «عرب أمريكا اللاتينية،» (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة، حلقة ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٥).

(١٢٣) انظر: كوسمان، «المساهمة الاقتصادية والثقافية للمهاجرين العرب في أمريكا الوسطى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين»، ص ١٤١.

ويسجل في الوقت الحاضر أكبر اهتمام بالقضية الفلسطينية في البلدان التي توجد فيها جاليات فلسطينية مهمة من حيث العدد والنفوذ السياسي والاقتصادي، مثل التشيلي والبيرو ونيكاراغوا والهندوراس والإكوادور، وهي بلدان تشهد تعاوناً مكثفاً بين شبابها من ذوي الأصول الفلسطينية، خدمة لقضية وطن الآباء^(١٢٤). وقد أنشأ بعض هؤلاء الشباب من أجل تلك الغاية جمعيات خاصة، مثل الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين، الذي تأسس في التشيلي سنة ٢٠٠٠: «للتعريف بالقضية الفلسطينية المعتم عليها هنا في التشيلي، بسبب الإعلام المسيطر عليه من قبل الصهيونية»، بحسب تعبير أحد المؤسسين^(١٢٥).

وتعتبر الجالية الفلسطينية في التشيلي، وهي ثاني أهم جالية أجنبية في هذا البلد بعد الجالية الإسبانية، وفي الوقت نفسه أهم جالية فلسطينية في بلد غير عربي من حيث الأهمية العددية والثقل الاقتصادي، تعتبر أن وسائل معاضدة القضية الفلسطينية يجب ألا تقتصر على الجانبين السياسي والمادي، بل أن تتعداهما إلى الجانب الثقافي والفني^(١٢٦). وقد أسس الفلسطينيون لتلك الغاية فريقاً لكرة القدم، يلعب في دوري الدرجة الأولى في التشيلي تحت اسم «الفلسطيني»، وهو يعتبر في الوقت الحاضر رمزاً للدفاع عن القضية الفلسطينية، بحيث إن القميص الرسمي للفريق يحمل ألوان العلم الفلسطيني نفسها، الذي لا تخلو منه جنبات الملعب أثناء المباريات التي يخوضها الفريق^(١٢٧).

وبغض النظر عن درجة اهتمام المتحدرين من أصل عربي في القضايا السياسية العربية، وبغض النظر عن التوجهات الأيديولوجية للأحزاب التي ينتمون إليها، فإن ما يلفت الانتباه، هو أن الجالية العربية في جلّ بلدان أمريكا اللاتينية، تمنحهم عادة أصواتها في الانتخابات. ويبرر بعض الناخبين من أصول عربية هذا التصرف، بأن ذلك المرشح هو «مصدر فخر للجالية العربية»، وهو ما يؤكد أن الإحساس بالانتماء

(١٢٤) «عرب أمريكا اللاتينية»، (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة، حلقة ٩ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٥).

(١٢٥) المصدر نفسه.

(١٢٦) المصدر نفسه. سخر ميغيل لتين الكاميرا للتعريف بالقضية الفلسطينية، وهذا ما نسجله في فيلمه «القمر الأخير»، الذي صوره في فلسطين، والذي حاول من خلاله فضح الجرائم التي ترتكبها إسرائيل ضدّ الفلسطينيين، عن ذلك يقول: «أعترف أن ما يحدث في فلسطين يعدّ من أكثر الفظائع ظلماً في تاريخ الإنسانية، لذا فمن واجبي أن أخلق وعياً يوقف هذه الحماقة».

(١٢٧) نعر على تجارب مشابهة في بلدان أخرى، ففي باناما يعدّ «الفريق العربي المتحد» الذي تأسس عام ١٩٩٨ والذي يلعب في الدرجة الأولى من الدوري البنمي أحد أبرز فرق كرة القدم في أمريكا الوسطى، وفي البرازيل فاز فريق «السوري» بكأس أمريكا اللاتينية لكرة السلة ثماني مرات، وفاز فريق «جيل لبنان» بالكأس نفسها مرتين.

إلى هوية عربية حاضر بينهم ، وإن بدرجات متفاوتة. عن ذلك يقول أحد المتحدرين من أصل عربي الذين صوتوا لكارلوس منعم في الانتخابات التي قاده إلى رئاسة جمهورية الأرجنتين سنة ١٩٨٩ : «تحمسنا إلى أنه صار عندنا مكان كبير في الأرجنتين ، صار عندنا رئيس جمهورية من أصلنا ويعرفنا»^(١٢٨).

نختم هذه الخلاصة التنفيذية ، بالإشارة إلى أن مظاهر التباين محدودة مقارنة مع بمظاهر التماثل بالنسبة إلى حضور العرب في أمريكا اللاتينية ، سواء تعلق الأمر بأسباب الهجرة ومراحلها ، أو بنشاطهم الاقتصادي ، أو بمسلسل اندماجهم في مجتمعاتهم المضيفة ، أو بالمهام التي اضطلعت بها مؤسساتهم ، أو بممارستهم السياسية. ومع ذلك ، كل واحد من بلدان القارة حيث توجد جالية عربية ، له خصوصيات ، كان لها أثر في مسار هذه الجالية ، وهو ما ستسعى إلى إمطة اللثام عنه الدراسات التي يتضمنها هذا الكتاب.

(١٢٨) «عرب أمريكا اللاتينية» (برنامج وثائقي على قناة الجزيرة ، حلقة ٥ نيسان/أبريل ٢٠٠٦).

الفصل الأول

الهجرة العربية إلى المكسيك

فريد كحاط (*)

وخوسي ألبرتو مورينو (*)

(*) باحثان في مركز الأبحاث والدراسات الاقتصادية، قسم الدراسات الدولية، مكسيكو - المكسيك.

مقدمة

أدت الهجرات البشرية منذ أقدم العصور دوراً مهماً في حياة مجتمعات الشرق الأوسط، بحيث اضطرت مجموعات سكانية برمتها، ولأسباب دينية أو اقتصادية أو سياسية، للتنقل من أماكن إلى أخرى، كما حدث مع اليهود الذين هاجروا إلى بابل، ومع بعض المجموعات البشرية التي تركت ما يعرف اليوم بإيران نحو الهند. وقد ساهمت هذه الهجرات في إغناء ثقافة المجتمعات التي حلت فيها، وأثرت فيها اجتماعياً وفكرياً.

لقد عُرف عن العرب منذ القدم أنهم أقوام يتوقون إلى الهجرة، إما من أجل التجارة، وإما لأسباب اجتماعية أو دينية، أو لدوافع أخرى. وسواء كانت هذه الهجرة نحو مكة لأداء مناسك الحج، أو إلى مناطق أخرى لممارسة التجارة والبحث عن أسواق جديدة، فإنها ساهمت في إغناء المجتمعات المستقبلية، بما حملته من منتوجات غير معروفة لدى هذه المجتمعات، ومن أنماط عيش جديدة، ومن نظرة مختلفة إلى الكون.

هذه المعطيات التاريخية ستساعدنا لا محالة على فهم حالة محددة نرمي إلى دراستها في هذا العمل، تتعلق بالهجرة العربية إلى المكسيك. وسنبداً بالحديث عن الأسباب التي أدت إلى هجرة العرب إلى هذا البلد، ثمّ عن التطور الذي عرفته هذه الهجرة. وسيتم ذلك من خلال تناول الموضوع من زوايا تاريخية واجتماعية واقتصادية، حتى يتسنى لنا أن نظهر كيف نجحت الجالية العربية في التأقلم مع الواقع الاجتماعي للبلد المضيف، ذلك التأقلم الذي ساعد عليه، من دون شك، وجود قواسم ثقافية مشتركة، بين بلدانهم الأصلية والمكسيك، أهمها مظاهر متعددة ومختلفة/ مثل بنية العائلة والأطعمة والديانة.

لم يتم حتى الآن دراسة تاريخ ومسار الهجرة العربية إلى المكسيك بما فيه الكفاية، بحيث لا يتجاوز ما أنجز، أبحاثاً اهتمت بطائفة دينية معينة، أو بجالية تنتمي إلى بلد عربي معين، وهي عادة ما تكون ناقصة في ما تقدمه من معلومات.

وبحكم أن أغلب المهاجرين العرب إلى المكسيك من اللبنانيين (الموارنة) ومن السوريين، فقد اهتمت أغلب الدراسات بالقادمين من هذين البلدين، من دون غيرها من بقية القادمين من منطقة الشرق الأوسط.

وكما إنَّ هناك نقصاً في الدراسات التي تناولت الموضوع، هناك نقص في الأرشيفات التي تتضمن الإحصاءات التي يمكن اعتمادها؛ فأولى الأرشيفات حول دخول الأجانب إلى المكسيك (في المرحلة الممتدة بين عامي ١٨٧٠ - ١٩٣٠) تطرح صعوبات متعددة بخصوص ضبط أعدادهم، ما يجعل المتوافر عليه من أرقام تقريبياً، ومع كُُلِّ ذلك حاولنا إعادة بناء مسار الهجرة العربية إلى المكسيك.

أولاً: أصول الهجرة العربية إلى المكسيك

يعود أول ذكر لوجود أشخاص من أصول عربية في المكسيك، إلى المرحلة الاستعمارية (١٥٢١ - ١٨٢١)؛ إذ تتحدث بعض المصادر عن وصول موريسكيين من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى إسبانيا الجديدة (المكسيك حالياً) خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، ثمَّ خلال القرن السابع عشر. وتذكر الوثائق أسماء موريسكية معروفة استقرت في المكسيك، من بينها مانويل وسيمون ديث المنحدران من عائلة أبي عبد الله الطليطلي واللدان تمت محاكمتهما من طرف محكمة التفتيش في مكسيكو عام ١٦٢١ بتهمة ممارسة «ديانة محمد». من جانب آخر، تتوافر على معلومات بشأن زيارة الراهب الكلداني إلياس بن قسيس حنا الموصلبي إلى أمريكا اللاتينية^(١)، حيث مرَّ بناية ملك البيرو، وبناية ملك إسبانيا الجديدة حوالى سنة ١٧٨٦^(٢).

(١) ترى رويدا قصاب أن حنا الموصلبي وصل إلى أمريكا اللاتينية سنة ١٦٨٦، بخلاف ذلك يجعل كُُلِّ من لويس راميريز، وزيدان زراوي، وصوله إلى العالم الجديد في القرن الثامن عشر، ونظن أن هذا التاريخ الأخير أقرب إلى الصواب، ذلك لأنَّ تخلف وسائل النقل البحري خلال القرن السابع عشر، والعلاقات المتوترة بين الإمبراطورية العثمانية والقوى الأوروبية، تجعل قيام إلياس الموصلبي برحلته إلى أمريكا اللاتينية في القرن المذكور، أمراً صعباً. عثر الراهب اليسوعي أنطوان رباط على نسخة من مذكرات الأب إلياس الموصلبي، في الخزانة السريانية في حلب، في بداية القرن العشرين، حيث بين أن الراهب المذكور غادر بغداد في رحلة نحو المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية، زار خلالها فنزويلا وكولومبيا والإكوادور والبيرو، وكان ذلك في نهاية ستينيات القرن السابع عشر. انظر: أنطوان رباط، «أول رحالة مشرقي: ١٦٦٨ - ١٦٨٣»، الشرق، العدد ١١ (١٩٠٥) (المترجم).

(٢) قسم التاج الإسباني بعد الانتهاء من غزو أمريكا اللاتينية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، هذه القارة إلى أربع نيايات ملك هي: نياية ملك البيرو، ونياية ملك إسبانيا الجديدة (المكسيك الحالية)، ونياية ملك لابلاتا (الأرجنتين والأوروغواي والباراغواي وبوليفيا الحالية)، ونياية ملك غرناطة الجديدة (فنزويلا، وباناما، والإكوادور، وكولومبيا الحالية).

وإذا كان وصول بعض المورسكيين إلى «إسبانيا الجديدة» خلال المرحلة الاستعمارية أمراً مؤكداً، وهو ما سمح بظهور جيل من المتحدرين، حافظوا لمدة من الزمن على بعض تقاليدهم، وعلى بعض العبارات من لغتهم الأصلية، فإن هؤلاء سينصهرون مع مرور الوقت بشكل تام في المجتمع المضيف. أما القول بوجود هجرات عربية قائمة الذات إلى المكسيك خلال المرحلة الاستعمارية، فإنه يتعذر علينا تأكيده أمام غياب الوثائق.

يضم أرشيف بلدية مدينة تامبيكو (Tampico)، وثنائق طريفة يعود تاريخها إلى بداية القرن التاسع عشر، تم أشخاصاً حلّوا في المكسيك خلال تلك المرحلة، لا يستبعد أن يكونوا عرباً. ونقرأ في وثيقة مؤرخة في عام ١٨٢٦: «اشتكى التوركو بمبور^(٣) من جمارك مدينة فيراكروز» (Veracruz)^(٤). هذه الجملة تجعلنا لا نستبعد وجود عرب أو متحدرين من أصل عربي في المكسيك خلال السنوات الأولى من الاستقلال^(٥). ونعثر كذلك في سجلات إحصاء التجار لمدينة تامبيكو نفسها، على وثيقة يعود تاريخها إلى عام ١٨٤٢، تتضمن اسم تاجر يدعى سانتياغو سلامة. وعلى الرغم من أن هذا الاسم ما يزال موجوداً إلى اليوم بين أفراد الجالية العربية الموجودة في المدينة، فإن الوثيقة المذكورة تجعل جنسيته إيطالية. وتورد سجلات في لدية المدينة لسنة ١٨٥٢، أسماء ذات رنة عربية مثل دومينغو عيساسي، وسلفادور الدركي، الذي كان يمتلك محلاً تجارياً، ومونيكا سلامة، وهي طفلة عمرها اثنتا عشرة سنة. وللإشارة فإن اسم الدركي واسم سلامة ما زالا موجودين بين أفراد الجالية العربية في المدينة. غير أن ما ورد في هذه الوثائق، وما تؤكده الرواية الشفوية، لا يعدّ كافياً للتسليم بأن الأمر يتعلق بمهاجرين عرب، خصوصاً مع غياب مصادر أخرى من المرحلة نفسها، تتناول موضوع الهجرة إلى المكسيك، والمناطق الجغرافية التي قدم منها المهاجرون. أما إذا ما سلمنا بالأصل العربي لهؤلاء الأشخاص، فإن وصولهم إلى المكسيك سيكون قد تمّ لا محالة عبر تكساس مروراً بنيو أورليانز^(٦).

(٣) منذ بداية عهد الهجرة إلى اليوم يعرف العرب في أمريكا اللاتينية بلقب «التوركوس» (الأتراك)، لمجيء أوائل المهاجرين بجوازات سفر عثمانية.

Zidane Zeraoui, «Los Arabes en México: El Perfil de la migración.» dans: *Destino México: Un Estudio de las migraciones asiáticas a México, siglos XIX y XX* (México, DF: El Colegio de México, centro de estudios de Asia y Africa, 1997), p. 267.

(٥) حصلت المكسيك على الاستقلال عام ١٨٢١.

(٦) شكلت تكساس وكاليفورنيا جزءاً من التراب المكسيكي إلى غاية ١٨٤٧، عندما أصبحت خاضعة للولايات المتحدة. وتحدثت بعض المصادر عن وجود جالية عربية مسيحية صغيرة في مدينة سان أنطونيو في العقد الرابع من القرن التاسع عشر. انظر: Kemal Karpat, «The Ottoman Emigration to America, 1860-», *International Journal of Middle East Studies* (New Haven), no. 17 (1985), pp. 179-181.

وبخصوص حمل بعض العرب في المكسيك (من الديانتين المسيحية واليهودية) خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، إذا كانوا قد وجدوا فعلاً، جنسية غير جنسيتهم (حالة المهاجر سالف الذكر الذي يحمل الجنسية الإيطالية)، فهذا مرده إلى الجهل بجنسيتهم الأصلية، بحيث لم تكن تتوافر، في سجلات تقييد المهاجرين، خانات خاصة برعايا الإمبراطورية العثمانية.

وبخلاف هذه المعلومات غير الموثقة بما فيه الكفاية، هناك معلومات أخرى مفرزة بوثائق ذات صدقية، تحكي عن وصول عرب إلى المكسيك في ستينيات القرن التاسع عشر، ويتعلق الأمر بفيلىق جزائري رافق القوات الإمبريالية الفرنسية خلال تدخلها الثاني في المكسيك ما بين عام ١٨٦٣ وعام ١٨٦٧، وكان قد تكفل بتمويله الإمبراطور نابوليون الثالث. وتوجد بعض الرسوم وكذا بعض الروايات التي تتحدث عن هذا الفيلىق الذي «لفت الانتباه بلباسه الغريب». وبعد انسحاب القوات الفرنسية، لم يرافقها كل أفراد الفيلىق، ما يعني أن عدداً منهم إما لقوا حتفهم، وإما فروا من المعسكرات ليمكثوا في المكسيك. هذا الاحتمال الأخير هو مجرد استنتاج لا نملك وثائق بشأنه.

من جانب آخر، ومن خلال الرواية الشفوية المستمدة من بعض المهاجرين الموارنة في المكسيك، نعلم بوصول الراهب الماروني بطرس رفل إلى ميناء فيراكروز سنة ١٨٧٨. وتذهب الرواية نفسها إلى أن الراهب المذكور هو أول عربي حل في المكسيك. وقد بدأ مباشرة بممارسة نشاطه التبشيري غرب البلاد، قبل أن يتوجه جنوباً (ربما إلى أمريكا الوسطى)، حيث لم يعد له ذكر يذكر. ولا تلتقي الوثائق الرسمية مع الرواية الشفوية حول من هو أول مهاجر عربي حل في المكسيك، إذ تؤكد الوثائق أن أنطوان أبو ديب الذي استقر بـ ثيوداد ديل كارمن (Ciudad del Carmen) عام ١٨٧٨، هو أول عربي يصل إلى المكسيك.

ثانياً: أسباب الهجرة العربية إلى المكسيك

ترتبط الهجرة العربية إلى المكسيك، بحالة الانحطاط التي آلت إليها الإمبراطورية العثمانية في نهاية عهدها، فقد تضافرت مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية، لتجعل العديد من الأهالي يغادرون بلدانهم.

لقد أصبح سكان مختلف الطوائف الدينية يعيشون حالة فقر مدقع، وبخاصة بعد الاتفاقيات التي وقعها الباب العالي، مع عدد من القوى الأوروبية سنة ١٨٦١،

والتي أجبرت الإمبراطورية على تغيير آليات وهياكل ممارسة السلطة، والعمل على مركزتها بشكل لم يسبق له مثيل. هذه الوضعية الجديدة سمحت ببعض الامتيازات للرعايا المسلمين والدروز في المنطقة التي تعرف اليوم بسوريا ولبنان، وهو ما نجم عنه صراع طائفي حاد بين مختلف الطوائف، تدخلت على أثره الإمبراطورية العثمانية بعنف ضدّ المسيحيين، الذين كانت قد ارتفعت فيهم بعض الأصوات، ذات مطالب وطنية منذ سنة ١٨٥٧.

خلال هذه المرحلة الطويلة من عدم الاستقرار السياسي، ستبرز كذلك، وبخاصة ما بين عام ١٨٦٧ و عام ١٩١٢، تيارات قومية عربية طالبت بتحرير الولايات العربية من حكم الأتراك، هذه التيارات سيتم قمعها بشكل دموي، بعد المجازر التي ارتكبتها العثمانيون ضدّ قادتها مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبخاصة بين عامي ١٩١٥ - ١٩١٧.

أضيفت إلى هذه السياسة القمعية، عناصر أخرى مثل المجاعة وانتشار وباء التيفوس، ما أرغم أعداداً كبيرة من السكان على الهجرة؛ بحيث وصل عدد العرب الذين غادروا بلدانهم سنة ١٩١٦ إلى ٢٨٠ ألف مهاجر. نتيجة كُّل هذا، تحول ما لا يقل عن ٣٠٠ قرية موجودة في مختلف أنحاء الإمبراطورية، إلى مجرد أطلال.

كانت هذه المرحلة الانتقالية مسبقة بمرحلة أخرى لا تقل مأساوية امتدت من عام ١٧٩٢ إلى عام ١٨٥٦، تعددت فيها الحروب وعمّ الوباء وشلّ الاقتصاد، وتراجع عدد السكان بسبب ارتفاع الوفيات، وهذه كلها مؤشرات على أن نهاية الإمبراطورية باتت وشيكة. وأمام تراجع عدد السكان في الأناضول وبخاصة في ولاية سوريا، استقدم الباب العالي، وفي محاولة منه لإنعاش الفلاحة، رعاياه المسلمين من ولاياته الأوروبية إلى ولاياته الآسيوية التي حلّ فيها سنة ١٨٦٢، ما بين مليونين وثلاثة ملايين مسلم قدموا بخاصة من البلقان والقوقاز وشبه جزيرة القرم. وقد مست هذه الهجرة الداخلية بشكل دراماتيكي التوازن الاجتماعي بولايتي سوريا ولبنان، وفي الوقت نفسه سمحت للأغلبية المسلمة بتدعيم وجودها وتكريس نفوذها السياسي في المنطقة.

استقر هؤلاء النازحون في أراض ضعيفة الإنتاج، وهو ما ساهم في تدعيم نفوذ الدولة ذات الطابع الفئودالي، حيث يتحكم السادة الإقطاعيون في كُّل الأراضي الخصبة. وقد كان أغلب الإنتاج الفلاحي يسوق داخلياً، بينما يتم تصدير منتجات

أخرى من بينها النسيج إلى الأسواق الأوروبية. وعلى الرغم من أن السياسة الفلاحية الجديدة التي نهجها الباب العالي، سمحت برفع الإنتاج الفلاحي ابتداءً من سنة ١٨٦٧، فإن المناطق الساحلية حيث الأراضي الخصبة وحيث الموانئ النشطة (إزمير، وبيروت، وحيفا) هي التي استفادت من دون غيرها، وهي التي عرفت تنمية اقتصادية سريعة. بخلاف ذلك لم تعرف المناطق الداخلية (مثل العراق وبعض أجزاء سوريا) أي تحسن اقتصادي، بل على العكس من ذلك ازداد الوضع فيها تأزماً، وارتفعت فيها أسعار عدد من المواد الأساسية.

وسواء في المناطق الساحلية أو الداخلية، حالت عوامل متعددة، دون استفادة الفلاحين التقليديين من السياسة الفلاحية الجديدة، وذلك، بسبب رفضهم النموذج الذي فرضته هذه السياسة، الأمر الذي استغله المهاجرون القادمون من البلقان والقوقاز لتحسين وضعيتهم الاقتصادية. وقد نجم عن كُـل هذا تعميق الفوارق الاجتماعية واختلال توزيع الثروات، وبالتالي اضطراب الفلاحين المفتقرين إلى ترك قراهم نحو المناطق الساحلية على البحر الأبيض المتوسط الشرقي، حيث بدأت تنكشف لهم من هناك، إمكانية الهجرة إلى مناطق أخرى في الإمبراطورية مثل مصر، بل ونحو مناطق خارج تراب الإمبراطورية مثل أمريكا وأستراليا.

أصبحت ظاهرة الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية واقعاً ملموساً منذ سبعينيات القرن التاسع عشر، وهكذا نسجل في عام ١٨٧٤ وجود لبنانيين مسيحيين في البرازيل، وفي عام ١٨٧٥ وجودهم في الولايات المتحدة، وبعد ذلك بثلاث سنوات نسجل وصول أول لبناني إلى ميناء فيراكروز في المكسيك. وحسب شارل عيساوي، كان قد ترك سوريا للاستقرار في المناطق الساحلية في لبنان، كان في الولايات المتحدة والبرازيل وبلدان أخرى في أمريكا اللاتينية حوالي سنة ١٩٠٠، ما لا يقل عن ١٢٠ ألف مهاجر. وكان عدد الذين يغادرون أراضيهم سنوياً منذ عام ١٨٩٦ يقدر بحوالي ٥,٥٠٠ مهاجر، معظمهم من المسيحيين والدروز، غير أن الرقم سيعرف ارتفاعاً ملحوظاً خلال العقد الأول من القرن العشرين، إذ وصل عدد الذين هاجروا من الشرق الأوسط نحو أمريكا في العقد المذكور، إلى حوالي ٢٢٥ ألف^(٧).

Charles Issawi, «The Historical Background of Lebanese Emigration, 1800-1914,» in: Albert (V) Hourani and Nadim Shehadi, eds., *The Lebanese in the World: A Century of Emigration* (London: Centre for Lebanese Studies; I. B. Tauris, 1992), p. 31.

ثالثاً: سياسة الحكومة المكسيكية في مجال الهجرة

تبرز عند الحديث عن الوضع السياسي في المكسيك نهاية القرن التاسع عشر، شخصية بورفيريو دياز (Porfirio Díaz) (١٨٣٠ - ١٩١٥)، وهو عسكري وزعيم ليبرالي، تحول إلى بطل قومي خلال التدخل الثاني للفرنسيين في المكسيك. وقد وصل إلى الحكم سنة ١٨٧٨^(٨) بعد أن قاد تمرداً ضد الرئيس ميغيل ليردو دو تيخادا (Miguel Lerdo de Tejada). وسوف يتميز عصر دياز من جهة بتحقيق عدة مكاسب اقتصادية، لكنه سيعرف من جهة أخرى ارتفاعاً للأسعار أدى إلى موجة من الغضب الشعبي.

لقد استندت مكسيك «دياز» إلى نموذج يربط الاقتصاد بالصادرات إلى الخارج، وهو نموذج يحتاج إلى أعداد كبيرة من اليد العاملة، في وقت كان الشائع فيه، وخلفيات عنصرية مرتبطة بعقلية تلك المرحلة، أن المكسيكيين من أصول هندية أو مهجنة، أشخاص كسالى محدودو القدرة على الإنتاج. هذا الاعتقاد دفع بالحكومة إلى تشجيع الهجرة الأوروبية^(٩). وبسبب الخلفيات العنصرية نفسها، كان أصحاب القرار في المكسيك يظنون أن الرغبة في تحقيق التقدم والتنمية، هو شيء ثابت في عقلية وثقافة الأوروبي، وأن مجيء الأوروبيين سيحقق للمكسيك التنمية الاقتصادية المرجوة. من أجل هذا، سوف يسعى دياز، وبخاصة إبان مرحلة حكمه الثانية، إلى استخدام أكبر عدد ممكن من المهاجرين الأوروبيين، فقامت حكومته بحملة دعائية نشطة، وعدت من خلالها الأوروبيين بالحصول على أراض فلاحية، وبالإعفاء من الضرائب. غير أن هذه الحملة الدعائية لم تنجح إلا في جلب عدد قليل من الأوروبيين، وهو ما قد يعود إلى أسباب ثلاثة:

أولها، أن صورة المكسيك في أوروبا كانت تسيطر عليها فكرة البلد غير المضيف، الذي يعم فيه العنف والذي لا يحترم حقوق الإنسان.

(٨) تولى حكم المكسيك خلال مرحلتين: الأولى (١٨٧٨ - ١٨٨٢)، والثانية (١٨٨٦ - ١٩١١).

(٩) يعود أصل فكرة عدم نقاء دمّ الهنود والمهجنين إلى المرحلة الاستعمارية، وتنبني هذه الفكرة التي شاعت بخاصة خلال القرن التاسع عشر، على أسس عنصرية ترتبط بنظرية التطور الداروينية، وبالفلسفة الوضعية. وبخصوص المكسيك، ساهم الفكر الليبرالي المنتشر آنذاك، في تعميم الأسطورة التي تعتبر الهنود والمهجنين أقواماً كسلاء. وبسبب شيوع هذا الاعتقاد، تمّ القيام بإجراءات متعددة من بينها تشجيع الهجرة الأوروبية، وإبادة بعض المجموعات الهندية، مثل هنود «الباكيز» (Yaquis) في منطقة «سونورا» (Sonora)، وهنود «المابيا» في منطقة «يوكاتان». ومن اللافت للانتباه أن أحد أكبر المتحمسين لهذه الأفكار هو رئيس الجمهورية «بينيتو خواريس» (Benito Juárez) (١٨٥٨ - ١٨٧١) الذي كان من أصول هندية.

وثانيها، أن مكسيك القرن التاسع عشر، لم يكن يمثل أي إغراء للإنسان الأوروبي، مقارنة بجارته الولايات المتحدة، لذا فهو بالنسبة إلى الأوروبيين مجرد بلد عبور نحو الولايات المتحدة، على اعتبار غياب تلك العراقل التي كانت توضع على كُُل من يريد دخولها عبر مينائي نيويورك وسان فرانسيسكو.

وثالثها، أنه وعلى الرغم من وجود خطاب رسمي يشجع قدوم كُُل الأوروبيين، كانت السلطات المكسيكية تبحث بدرجة أولى عن كبار المستثمرين وليس عن المهاجرين الفقراء، الذين كانت مضطرة لتنفق عليهم مبالغ مالية مهمة، قبل أن تبدأ بالاستفادة منهم. يؤكد لنا كُُل هذا، أن المكسيك لم يشكل أبداً قطباً مهماً لجلب المهاجرين، على غرار ما كان عليه الأمر بالنسبة إلى الأرجنتين أو البرازيل أو الولايات المتحدة.

وبخلاف الاهتمام الذي حظيت به الهجرة الأوروبية، وضعت عراقيل على الهجرة غير الأوروبية، حيث فرض نوع من «الفيتو» على من سماوا بـ «الأجناس الدخيلة»، وكانت تسمية ذات دلالة قانونية وعنصرية في الوقت نفسه، تستند إلى مبدأ استعماري يقول بوجود أجناس أقل استعداداً لتحقيق التقدم من أجناس أخرى؛ أجناس قد يؤدي الاختلاط بها إلى العودة إلى التخلف، لذا وجب إخضاعها أو على الأقل مراقبتها. هذا النوع من الفكر العنصري وصل قمته في المكسيك في نهاية عشرينيات القرن العشرين، إذ اعتبر تقرير رسمي يعود إلى سنة ١٩٢٩: «أن الصرامة التي تمّ بها منع دخول السود إلى المكسيك شيء طبيعي، لأن الغاية هو تفادي أي عملية تهجين ينجم عنها وقوع انتكاسة عرقية، وكان قد تمّ في ٨ حزيران/يونيو ١٩٢٧، وضع عراقيل أمام دخول السود، والهنود القادمين من المستعمرات البريطانية، والسوريين، واللبنانيين، والأرمن، والفلسطينيين، والعرب، والأتراك، والصينيين؛ وهي عراقيل تستند إلى أساس عنصري، بحيث لم تكن الغاية منها حماية العمال المكسيكيين فقط، وإنما كذلك تفادي أي اختلاط عرقي مع هذه الأجناس، بعد أن ثبت علمياً أن له انعكاسات سلبية على صحة من ينحدر منه»^(١٠).

وبالرغم من العراقيل الموضوعية والقوانين العنصرية، دخل المكسيك ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩٣٠ آلاف المهاجرين الآسيويين. وتحدث وثائق هذه المرحلة،

Moisés González Navarro, *Los Extranjeros en México y los mexicanos en el extranjero, 1821- (١٠)* 1970, 3 vols. (México, DF: Colegio de México, centro de estudios históricos, 1993-1994), vol. 3, pp. 34-35.

عن وصول المئات من المهاجرين سجلوا في أرشيفات الهجرة كـ «توركوس» (أتراك). وبتوقفنا عند هذه الأرشيفات، يتبين أن المعنيين بالأمر يحملون أسماء شخصية وعائلية عربية. أما سبب تسجيلهم كـ «توركوس»، فيعود إلى كونهم وصلوا إلى المكسيك بوثائق مسلمة من طرف السلطات العثمانية. وبجانب هؤلاء، نجد في الأرشيفات نفسها أشخاصاً سجلوا كـ لبنانيين، وسوريين، وعرب، ومصريين، وكان ذلك أحياناً قبل حصول هذه البلدان على استقلالها. في هذا السياق يشير زيدان زراوي: «في ١٨٩٥ قدم جلّ اللبنانيين والسوريين المقيمين في المكسيك (٩٤,٥٥ في المئة) أنفسهم كـ «توركوس»، ورغم أن عددهم الإجمالي ارتفع من ٣٦٤ خلال السنة المذكورة، إلى ٥٥٩ سنة ١٩٠٠، فإن نسبة الذين قدموا أنفسهم كـ «توركوس» في هذه السنة الأخيرة نزلت إلى ٥٨,٩ في المئة»^(١١).

رابعاً: التطور العددي للهجرة العربية إلى المكسيك

من الصعوبة بمكان ضبط أعداد المهاجرين العرب الذين وصلوا إلى المكسيك، وتكمن هذه الصعوبة في كون العديد منهم دخلوا البلاد بشكل غير قانوني، ما حال دون تسجيلهم في الوثائق الرسمية. وما يزيد في هذه الصعوبة، كون العديد من الذين دخلوا بشكل قانوني، سجلت أسماءهم في أرشيفات الهجرة مترجمة إلى الإسبانية، كما إنَّ البعض الآخر ولتفادي العقاب الموضوع على المهاجرين القادمين من الشرق الأوسط، صرحوا بأنهم رعايا بلدان غير بلدانهم الحقيقية. هناك صعوبة أخرى تعرقل عملية ضبط عددهم، وهي أن الحكومة المكسيكية لم تبدأ تسجيلهم بشكل رسمي إلا عام ١٩٠٨^(١٢)، لكن حتى بعد هذا التاريخ وإلى غاية عام ١٩٢٤، لم يتم تسجيل كُُلِّ من يفد إلى البلد من العرب، كما إنَّ عدداً من الذين سجلوا، صنفوا كـ منتمين للبلد الذي انطلقت منه رحلتهم، حتى ولو لم يكن بلدهم الأصلي.

وقد اعتمدنا في تقديم معطيات إحصائية عن أعداد المهاجرين الذين دخلوا المكسيك خلال السنوات الأولى من مرحلة الهجرة (١٨٧٨ - ١٨٩٩)، على

Zeraoui, «Los Arabes en México: El Perfil de la migración», p. 270.

(١١)

(١٢) حاول منظمو إحصاء المهاجرين لسنة ١٩٠٨، القيام بعملية توثيقية لأسماء الأجانب الذين دخلوا المكسيك قبل هذا التاريخ، وهو ما جعلنا نعلم بوصول مهاجر عربي يدعى أنطوان ديب إلى هذا البلد عام ١٨٧٨.

سجلات الأرشيف العام للأمم. هذه السجلات تقدم معلومات مثل اسم المهاجر وبلده، ومنها يستنتج أن الهجرة العربية إلى المكسيك كانت محدودة العدد خلال هذه المرحلة المبكرة، حتى لو أضفنا بضع مئات من المهاجرين الذين دخلوا البلاد بشكل غير قانوني.

الجدول رقم (١ - ١)

عدد العرب الذين دخلوا المكسيك ما بين الأعوام ١٨٧٨ - ١٨٩٩

السنة	العدد (نسمة)
١٨٧٨	١
١٨٨٢	١
١٨٨٥	٣
١٨٨٧	٣
١٨٨٨	٢
١٨٨٩	٥
١٨٩٠	٨
١٨٩١	٣
١٨٩٢	٨
١٨٩٣	٥
١٨٩٤	٦
١٨٩٥	١٥
١٨٩٦	١٦
١٨٩٧	٢٢
١٨٩٨	١٩
١٨٩٩	١٦

المصدر : Archive general de la nación, et Zidane Zeraoui, «Los Arabes en México: El Perfil de la migración,» dans: *Destino México: Un Estudio de las migraciones asiáticas a México, siglos XIX y XX* (México, DF: El Colegio de México, centro de estudios de Asia y Africa, 1997), pp. 283 et 293-295.

على الرغم من اهتمام بعض إحصاءات السكان التي نظمت في بداية القرن العشرين بالمهاجرين، فإن ما تقدمه من معطيات لا يتوافر على الصدقية اللازمة، إما لأنها تحصر اهتمامها في جالية أجنبية واحدة تتبع تطورها في منطقة جغرافية معينة من

التراب المكسيكي، وإما لأنها تبالغ في تقدير عدد المهاجرين، مثلما حدث مع إحصاء ١٩٠٥، الذي يجعل عدد العرب في المكسيك خلال السنة المذكورة حوالي خمسة آلاف^(١٣). هذه المبالغة نسجلها كذلك لدى بعض الصحف، مثل الليبيرال^(١٤) أن عدد العرب بالمكسيك يتجاوز عشرة آلاف.

وتقدم لنا دراسة ديمغرافية أنجزها سنة ١٩٣٥ جيلبيرتو لويو (Gilberto Loy)، انطلاقاً من إحصاءات وتقارير للهجرة عن المرحلة الممتدة ما بين عام ١٨٩٥ وعام ١٩٣٠، معلومات قد تقربنا من العدد الفعلي للمهاجرين الذين دخلوا المكسيك ومن بينهم العرب الذين ولدوا في الشرق الأوسط، وكذا المتحدرون منهم الذين ولدوا في المكسيك.

ويمكن إذا ما قارنا ما يقدمه لويو، مع ما يوجد في سجلات الأرشيف العام للأمم، وهو المصدر الأكثر صدقية بخصوص عدد المهاجرين العرب في المكسيك، الاقتراب من الأرقام الحقيقية^(١٥).

الجدول رقم (١ - ٢)

التطور العددي للعرب في المكسيك ما بين الأعوام ١٨٩٥ - ١٩٣٠

السنة	أرشيف الدولة	تقديرات لويو
١٨٩٥	٦٠	٣٨٥
١٩٠٠	١٨٥	٦٨١
١٩١٠	١,٦٢٠	٤,٥٠١
١٩٢٠	٢,٦٢١	٥,٩٦٧
١٩٣٠	٦,١٩٨	١٥,٠٤٣

المصدر: Archivo general de la nación, et Gilberto Loy, *La Política demográfica de México* (México: [Talleres tipográficos de S. Turanzas del Valle, «La Impresora»], 1935).

(١٣) لم يتجاوز عددهم بحسب إحصاء رسمي نظم سنة ١٨٩٥، ٣٨٥ مهاجراً.

Liberal, 21/9/1910.

(١٤)

(١٥) يغطي الأرشيف العام للأمم المرحلة الممتدة ما بين عام ١٨٧٠ ومنتصف القرن العشرين، وهو يقدم أرقاماً صحيحة وذات صدقية، غير أن ما يتضمنه بخصوص العرب الذين دخلوا المكسيك خلال المرحلة المذكورة، وعلى أهميته، يعتبر ناقصاً، إما لأن عدداً منهم لم يسجلوا فيه لكونهم دخلوا بطريقة غير قانونية، وإما لأنهم سجلوا فيه لكن صرحوا عن جنسية غير جنسيتهم الأصلية، وإما لأنهم سجلوا أسماءهم مترجمة إلى الإسبانية.

الجدول رقم (١ - ٣)
العرب في المكسيك بحسب إحصاءات السكان، ١٨٩٥ - ١٩٥٠

السنة	السكان العربية
١٨٩٥	٣٨٥
١٩٠٠	٩٤٩
١٩١٠	٤,٤٦٣
١٩٢٠	٨٢٦
١٩٣٠	٦,٩٥٨
١٩٤٠	٢,٤٩٧
١٩٥٠	٥,٩٧٦
المجموع	٢٢,٠٥٤

المصدر : Archivo general de la nación; Censos de población de los años 1895, 1900, 1910, 1920, 1930, 1940 y 1950, et Zeraoui, Ibid.

تسمح المقارنة بين ما يوجد في الجدولين رقمي (١ - ٢) و(١ - ٣)، في الوصول إلى خلاصات مهمة حول التطور العددي للمهاجرين العرب في المكسيك؛ فبحسب الجدول رقم (١ - ٣) الذي اعتمدنا في إنجازنا على إحصاءات السكان للسنوات التي تظهر فيه، نسجل أن عددهم تضاعف إحدى عشرة مرة سنة ١٩١٠ مقارنة بسنة ١٨٩٥، وهو ما لا يختلف كثيراً عما يقدمه لويو. ومع ذلك فإن أرقام المصدرين مختلفة بشكل كبير عن تلك الموجودة في الأرشيف العام للأمة. وهنا يجب التذكير بأن علم الإحصاء كان لا يزال شيئاً جديداً في المكسيك بداية القرن العشرين، ما لا يستبعد معه أن تكون المعطيات التي تغطي المرحلة الممتدة من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٠ خطأً. غير أن ما يثير الانتباه أكثر هو المعطيات المتعلقة بسنة ١٩٢٠، ففي الوقت الذي يحددها لويو والأرشيف العام للأمة في عدة آلاف، يجعلها إحصاء تلك السنة لا تتجاوز ٨٢٦ مهاجراً، وهذا ما يعني من دون شك وجود خطأ ما. ورغم أن السنوات السابقة عرفت ما يسمى بالثورة المكسيكية (١٩١٠ - ١٩٢٠)، فإن هذه الثورة لا يمكن أن تكون سبباً في اختفاء آلاف المهاجرين العرب، حتى ولو أخذنا بعين الاعتبار أن جزءاً منهم انتقل إلى الولايات المتحدة فراراً من النزاع المسلح. وللإشارة فإن الصراع المسلح تركّز في الولايات الشمالية والوسطى، وليس في الولايات الجنوبية حيث استقر أغلب العرب.

ودائماً بحسب الجدولين رقمي (١ - ٢) و(١ - ٣)، سجلت الهجرة العربية إلى

المكسيك أعلى مستوياتها خلال العقد الممتد من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٠، أساساً خلال السنوات الفاصلة ما بين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٦. ويعود ذلك لسببين: أولهما، نهاية النزاع الداخلي في المكسيك ونهاية الحرب العالمية الأولى التي كانت قد توقفت معها الملاحة البحرية بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي؛ وثانيهما، الازدهار الاقتصادي الذي عرفه شمال البلاد بسبب الإنتاج الغزير للبتروول. ونسجل بخصوص هذه المرحلة كذلك، تشابهاً في المعطيات التي يقدمها الأرشيف العام للأمم وإحصاءات السكان، وكلاهما أقل بكثير مما نجده عند لويو، والسبب هو أن هذا الأخير أدرج المهاجرين إضافة إلى المتحدرين منهم.

وبخصوص المرحلة الموالية، تجعل إحصاءات السكان عدد العرب في المكسيك سنة ١٩٤٠ لا يتجاوز ٢,٥٠٠ مهاجر، وهنا يتعلق الأمر دون شكّ بخطأ ما، وإلا يجب أن نسلم أنهم تضاعفوا بأكثر من ١٠٠ في المئة في ظرف عشر سنوات، ذلك لأننا نعلم أن عددهم سنة ١٩٥٠ هو ٥,٩٧٦. من جانب آخر يحصر الإحصاء الذي أنجزه سليم عبود وجولييان نصر عام ١٩٤٨، والذي شمل معظم العرب في المكسيك، وصدر تحت عنوان الدليل اللبناني، عدد هؤلاء ١٩,٨٩٢ مهاجراً، ينتمون إلى المناطق الجغرافية الواردة في الجدول رقم (١ - ٤).

الجدول رقم (١ - ٤)

العرب في المكسيك بحسب الانتماء الجغرافي عام ١٩٤٨

البلد	العدد	النسبة المئوية
لبنان	١٦,٤٠٣	٨٢,٤٦
فلسطين	١,٧٧٥	٨,٩٢
سوريا	١,٤٦٣	٧,٣٥
العراق	١٩١	٠,٩٦
الأردن	٤٤	٠,٢٢
مصر	١٦	٠,٠٩
المجموع	١٩,٨٩٢	١٠٠

المصدر: Salim Abud y Julian Nasr, *Directorio libanés: Censo general de las colonial libanesa, palestina, siria residentes en la Republica Mexicana* (México: Talleres linotipográficos «casa velux», 1948), et Carmen Paez Oropeza, «Los Libaneses en México: Asimilación de un grupo étnico.» (Tesis de maestría, escuela nacional de antropología e historia, México, 1976), p. 30.

لم تكن غاية من أنجز الدليل اللبناني القيام بدراسة ديمغرافية للجالية العربية،

وإنما وضع كتالوغاً خاصاً بالعائلات ذات الأصول العربية في المكسيك. لذا يمكن اعتباره ألبوماً عائلياً للجالية اللبنانية أكثر منه دراسة إحصائية. ومع ذلك فهو وثيقة مهمة تتميز بالدقة ووفرة المعلومات، التي تهتم كذلك، وكما يبين لنا الجدول رقم (١ - ٤) مهاجرين من بلدان عربية أخرى إضافة إلى لبنان وسوريا.

يعود اختيارنا كمرحلة للتحليل، تلك الممتدة بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٥٠، والتي يقدم بصدها الأرشيف العام للأمة معلومات، كونها تشمل عقد العشرينيات الذي عرف وصول أكبر موجة من المهاجرين القادمين من الشرق الأوسط. وسوف تعرف الهجرة العربية إلى المكسيك منذ الثلاثينيات تراجعاً عديداً كان من أسبابه مسلسل النضال من أجل الاستقلال الذي عاشته البلدان التي ينتمي إليها المهاجرون، هذا التراجع استمر من دون توقف إلى اليوم، حيثُ عدد الوافدين العرب إلى المكسيك لا يتجاوز أرقاماً رمزية.

الجدول رقم (١ - ٥)

أعداد العرب في المكسيك بحسب سنوات وصولهم، ١٨٧٨ - ١٩٥٠

السنة	العدد
١٨٧٨	١
١٨٨٢	١
١٨٨٥	٣
١٨٨٧	٣
١٨٨٨	٢
١٨٨٩	٥
١٨٩٠	٨
١٨٩١	٣
١٨٩٢	٨
١٨٩٣	٥
١٨٩٤	٦
١٨٩٥	١٥
١٨٩٦	١٦
١٨٩٧	٢٢
١٨٩٨	١٩
١٨٩٩	١٦
١٩٠٠	٥٢

يتبع

٤٤	١٩٠١
٨٩	١٩٠٢
٩٤	١٩٠٣
١٣٩	١٩٠٤
١٧٧	١٩٠٥
٢١٣	١٩٠٦
٢١٧	١٩٠٧
١٥١	١٩٠٨
١٢٦	١٩٠٩
١٨٥	١٩١٠
٩٣	١٩١١
١٧٩	١٩١٢
١٩٩	١٩١٣
٨٩	١٩١٤
١٧	١٩١٥
١٨	١٩١٦
٣٨	١٩١٧
٣٠	١٩١٨
٥٤	١٩١٩
٢٨٤	١٩٢٠
٢٩٣	١٩٢١
٢٩٩	١٩٢٢
٦٧٩	١٩٢٣
٣٩٦	١٩٢٤
٦٠٠	١٩٢٥
٥٦٩	١٩٢٦
٢٢٤	١٩٢٧
١٣٢	١٩٢٨
١٥٣	١٩٢٩
٢٣٢	١٩٣٠
٤٦	١٩٣١
٦٧	١٩٣٢
٦٠	١٩٣٣
٤١	١٩٣٤

٤٨	١٩٣٥
٧٤	١٩٣٦
٥٣	١٩٣٧
٥٣	١٩٣٨
٥٥	١٩٣٩
٣٥	١٩٤٠
٣٦	١٩٤١
١٩	١٩٤٢
٢٣	١٩٤٣
١٨	١٩٤٤
٥٨	١٩٤٥
١٤٠	١٩٤٦
١٧١	١٩٤٧
٦٥	١٩٤٨
٤٦	١٩٤٩
٥٣	١٩٥٠
٣٠٦	سنوات أخرى
٧,٦٦٥	المجموع

المصدر : - 293- pp. Zeraoui, Ibid., Registro nacional de extranjeros, et Archivo general de la nación; 297.

إذا قارنا ما استقيناه من الأرشيف العام للأمة ومن إحصاءات السكان، بما يوجد في الدليل اللبناني وفي الدراسة التي أنجزها جليبرتو ليو، نستنتج أن ما بين ٦,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ مهاجرٍ عربي دخلوا واستقروا في المكسيك ما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٥٠. ويحصر الأرشيف العام عدد العرب الذين دخلوا البلاد بشكل قانوني خلال المرحلة المذكورة في ٧,٦٦٥، في حين يجعل الدليل اللبناني عدد المقيمين منهم في المكسيك عام ١٩٤٨، ١٩,٨٩٢، كما مرّ بنا. وهنا إذا ما سلمنا بصحة المصدرين، فسيكون عدد العرب الذين دخلوا المكسيك ما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٥٠ من دون أن يتم تسجيلهم هو ١٢,٢٢٧، والسبب قد يكون إحدى النقاط التالية والتي ذكرنا بعضها في الصفحات السابقة:

١ - دخولهم المكسيك بشكلٍ غير قانوني.

٢ - عدم تسجيله أسمائهم في دوائر تسجيل المهاجرين، لأسباب مختلفة مثل بعد أماكن إقامتهم عن تلك الدوائر.

٣ - عدم تصريحهم بالبلد الحقيقي الذي ينتمون إليه وقت دخولهم إلى المكسيك.

٤ - ارتكاب المكلفين بتسجيلهم أخطاء عند قيامهم بذلك.

وإذا كان من المستحيل معرفة عدد الذين لم يسجلوا، فإن الذي يجب التنبيه إليه، هو أن الهجرة العربية إلى المكسيك لم تكن أبداً هجرة ذات أهمية عددية كبيرة، من هنا نظن أن التقديرات التي أوردناها قريبة من الواقع.

وكما يبين لنا الجدول رقم (١ - ٤)، يمثل اللبنانيون السواد الأعظم من العرب، حيث وصلت نسبتهم إلى ٨٢,٤٦ في المئة من مجموع المهاجرين سنة ١٩٤٨، في حين لم تتجاوز نسبة الفلسطينيين ٨,٩٢ في المئة، ونسبة السوريين ٧,٣٥ في المئة، ونسبة المصريين والعراقيين والأردنيين مجتمعين ١ في المئة. هذا الوضع لن يتغير على امتداد القرن العشرين.

وبجانب هذه المعطيات التي تهتم بالتوزيع العددي بحسب البلدان والتي يقدمها الدليل اللبناني، نقع على معطيات أخرى يقدمها الأرشيف العام للأمم، تهتم القرى والمدن التي قدم منها المهاجرون بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٥٠، وكذا معدل أعمارهم.

الجدول رقم (١ - ٦)

المهاجرون القادمون من لبنان بحسب انتماءاتهم الجغرافية

المنطقة	العدد
البترون	١٠٦
بيت ملاء	٨٩
بيروت	٦٥٢
دير القمر	٦٠
سليمة	٣٤
تنورين	٨٩
طرابلس	٢٥٠
زغرتا	١٣٦
مناطق أخرى	١,٧٠٩
من دون تحديد	١,٧٧٧
المجموع	٤,٩٠٢

Archivo general de la nación.

المصدر:

الجدول رقم (١ - ٧)
المهاجرون القادمون من فلسطين بحسب انتماءاتهم الجغرافية

المنطقة	العدد
بيت لحم	٤٨١
بيت جالا	٤٥
جنين	١٤
القدس	٧٥
الناصرة	١٦
رام الله	٥
صفد	١٦
من دون تحديد	١١
المجموع	٦٦٣

المصدر: المصدر نفسه.

الجدول رقم (١ - ٨)
المهاجرون القادمون من سوريا بحسب انتماءاتهم الجغرافية

المنطقة	العدد
إسكندرونة	٢
حلب	٧٣٠
دمشق	٥٤٢
حماة	٢٤
حمص	١٤٣
اللاذقية	٢٧
مناطق أخرى	١٤٧
من دون تحديد	٥٥٣
المجموع	٢١٦٨

المصدر: المصدر نفسه.

الجدول رقم (١ - ٩)
المهاجرون القادمون من العراق بحسب انتماءاتهم الجغرافية

المنطقة	العدد
بغداد	١٣
الموصل	٣٣
تلكيف	٢٤
مناطق أخرى	٢
من دون تحديد	١٩
المجموع	٩١

المصدر: المصدر نفسه.

من خلال ما تتضمنه الجداول أرقام (١ - ٦) إلى (١ - ٩)، يتبين أن أكبر نسبة من المهاجرين اللبنانيين جاءت من قرى المناطق الساحلية، وهي مناطق كانت تعرف نمواً اقتصادياً لا بأس به، لكن التحولات التي طرأت على نمط الإنتاج الفلاحي على امتداد القرن التاسع عشر كما مرّ بنا، أضرت بسكان هذه المناطق الذين وجدوا في الهجرة ملاذاً وحيداً.

وبخلاف اللبنانيين، ينتمي أغلب السوريين الذين حلوا في المكسيك إلى المراكز الحضرية، وبالضبط إلى مدينتي حلب ودمشق، وهذا قد يعود لكون أوائل السوريين في هذا البلد كانوا من المدينتين، وهم في أغلب الظن من الطائفة اليهودية، ارتبطت هجرتهم بالأحداث الطائفية التي عرفتها دمشق عام ١٨٦٧. وإذا سلمنا بهذا الطرح، فإنه يمكن القول بوجود جالية يهودية مشرقية، متواضعة العدد في المكسيك سنة ١٨٧٠.

أما الفلسطينيين فقد جاءوا في الأساس من بيت لحم وضواحيها، وينتمي أغلبهم وعلى غرار اللبنانيين، إلى أصول قروية، ومع ذلك كانت لهم اتصالات مع البعثات الدينية الأجنبية، وهو ما سمح لهم بمستوى تعليمي لا بأس به. وبجانب بيت لحم، قدم آخرون من القدس، وكانوا في المستوى التعليمي نفسه لنظرائهم البيت لحميين. وقد حلت أهم موجتين من المهاجرين الفلسطينيين في المكسيك بين عام ١٩٠٠ وعام ١٩٠٩، ثم بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٢٩، أما الموجة التي حلت فيه بعد إنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، فكانت أقل أهمية. وبجانب كل هؤلاء وصل عدد من العراقيين المسيحيين من المذهب الكلداني واللسان الآرامي، بخاصة من بلدة تلكيف، والذين استقروا في مختلف أنحاء المكسيك، حيث نجدهم بـ شياباس (Chiapas)

ويوكاتان (Yucatan) وأغواسكالينتيس (Aguascalientes)، وبخاصة مدينة إيكستيبيك (Ixtepec) (ولاية Oaxaca) حيث كونوا جالية نشيطة تمارس التجارة والفلاحة.

وبخصوص جنس المهاجرين، نتحدث معطيات الأرشيف العام للأمة عن وجود نسبة مرتفعة من النساء (٢,٥٢٣ امرأة مقابل ٤,٩٧٢ رجلاً) خلال المرحلة الممتدة بين عام ١٨٧٨ و عام ١٩٥٠^(١٦). والسبب هو ميل المهاجرين إلى الزواج من بنات جنسهم، إذ وصلت النسبة إلى ٤٥,٥ في المئة. وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن المهاجر عادة ما يقوم - إذا كان متزوجاً - بالإرسال في طلب زوجته، بعد أن تستقر أموره في المهجر، أما إذا كان عازباً، فإنه يختار عادة زوجة من بنات الجالية. وتبين لنا معطيات الأرشيف العام سالف الذكر أن ١١,٩ في المئة فقط من المهاجرين العرب تزوجوا من مكسيكيات.

الجدول رقم (١ - ١٠)

أعداد العرب الذين دخلوا المكسيك ما بين الأعوام ١٨٧٨ - ١٩٥٠ بحسب معدل العمر

النسبة المئوية	عدد الوافدين	السِّن
٤,٠	٢٩٠	٥ - ٠
٤,١	٢٩٣	١٠ - ٦
١٠,١	٧٢١	١٥ - ١١
٢٢,٥	١,٦١٣	٢٠ - ١٦
١٨,٨	١,٣٤٩	٢٥ - ٢١
١١,٥	٨٢٥	٣٠ - ٢٦
٨,٠	٥٧٦	٣٥ - ٣١
٦,٤	٤٥٨	٤٠ - ٣٦
٤,٥	٣١٩	٤٥ - ٤١
٣,٥	٢٤٩	٥٠ - ٤٦
٢,٧	١٩٥	٥٥ - ٥١
١,٥	١٠٥	٦٠ - ٥٦
١,١	٨١	٦٥ - ٦١
١,٣	٥٩١	دون تحديد العمر
١٠٠	٧,٦٦٥	المجموع

Zeraoui, Ibid.

المصدر:

(١٦) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

أما بخصوص هرم الأعمار، فإن السواد الأعظم من المهاجرين لم يكونوا قد تجاوزوا الثلاثين وقت دخولهم إلى المكسيك، وهو ما يمثل استثناءً بالنسبة إلى الهجرة بشكل عام إلى هذا البلد. ونسجل في هذا الهرم أن ٣٤,٩ في المئة يقل عمرهم عن عشرين سنة، وأن ٥٢,٨ في المئة يراوح عمرهم بين ست عشرة وثلاثين سنة.

ابتداءً من عام ١٩٨٠، لم تعد إحصاءات السكان التي تنظم في المكسيك، تتضمن خانات خاصة بأصول المهاجرين، وهو ما جعل معرفة عدد هؤلاء بالاعتماد عليها أمراً معقداً. غير أن الجالية اللبنانية، حافظت على تقليد تسجيل أفرادها وأصولهم الجغرافية حتى سنة ٢٠٠٠، وإن لم يكن ذلك يتم بشكل منتظم. وباعتمادنا على هذه السجلات، يتبين أن ٨٠ في المئة من أفراد هذه الجالية في الوقت الحاضر هم من المتحدرين الذين ولدوا في المكسيك، مقابل ٢٠ في المئة فقط من المهاجرين.

الجدول رقم (١ - ١١)

اللبنانيون في المكسيك ما بين الأعوام ١٩٤٨ - ٢٠٠٠

السنة	العدد
١٩٤٨	١٦,٤٠٣
١٩٥٨	٢٣,٥٥٠
١٩٦٨	٣٧,٣٥٠
١٩٧٥	٥١,٩٠٠
١٩٨١	٥٣,٥٠٠
٢٠٠٠	٣٨٠,٠٠٠

المصدر: Abud y Nasr, *Directorio libanés: Censo general de las colonial libanesa, palestina, siria residentes en la Republica Mexicana*, et < <http://www.centrolibanés.org.mx> > .

عرفت الجالية اللبنانية في المكسيك تزايداً ديمغرافياً مهماً، وهو تزايد شبيه من حيث نسبة الولادات والوفيات بذاك المسجل لدى الساكنة المكسيكية بشكل عام، غير أنه ليس له من حيث الحجم، تأثير واضح على البنية السكانية المكسيكية. من هنا يبقى التأثير العربي في المكسيك محصوراً في الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

خامساً: التوزيع الجغرافي للعرب في المكسيك

بحسب الإحصاء الوطني لسنة ١٨٩٥ كان يقيم في المكسيك في السنة المذكورة ٣٨٥ مهاجراً عربياً، يتمركز معظمهم في خليج المكسيك، بحيث استقر ٦٠,٧٨ في المئة في ولاية يوكاتان (Yucatán)؛ و ٩,٣٥ في المئة في ولاية كامبيشي (Campeche)؛ و ٥,٧١ في المئة في ولاية فيراكروز (Veracruz)، في حين لم يتجاوز عدد الذين كانوا يقيمون بالعاصمة مكسيكو ٤,٦٨ في المئة. وسوف يعرف عدد العرب تزايداً ملحوظاً خلال السنوات الموالية، إذ وصل سنة ١٩٠٠، وبحسب إحصاء تلك السنة، إلى ٩٤٩ مهاجراً. وقد سجلت أعلى النسب كذلك في خليج المكسيك، إذ استقر ٢٧,٢٩ في المئة في كامبيشي، و ٢٧,٠٨ في المئة في يوكاتان؛ و ١٢,٠١ في المئة في فيراكروز؛ بينما لم يتجاوز عدد الذين استقروا في العاصمة نسبة ٥,٩ في المئة. أما سبب تفضيلهم لولايات خليج المكسيك فيعود لسببين: أولهما، أن جلّ المهاجرين دخلوا البلاد عبر موانئ هذا الخليج، والتي فضلوا الاستقرار فيها؛ وثانيهما، الإغراء الاقتصادي الذي كانت تمثله هذه المنطقة، نتيجة ازدهار صناعة نوع من الألياف تعرف باسم الهنيكين (El Henequén)، كان يستعمل في نهاية القرن التاسع عشر لأغراض مختلفة من بينها صناعة الحبال الخاصة بربط البواخر عند توقفها بالموانئ، وهي حبال تتميز بمقاومة كبيرة لتلاطم الأمواج.

وسوف يعرف التوزيع الجغرافي للعرب في المكسيك بعض التغيير خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، إذ أصبحنا نسجل أعلى نسب تمركزهم في ولايات الشمال مثل تاموليباس (Tamaulipas)، ونويفو ليون (Nuevo León)، وكواويلا (Coahuila)، وشيووا (Chihuahua). أما السبب فيرجع من جهة إلى ازدهار الصناعة البترولية بولاية تاموليباس، ومن جهة أخرى إلى القرب الجغرافي من الولايات المتحدة، وهو ما يسمح لهم بالوصول إليها بسهولة أكبر. بعد ذلك وخلال عقد الأربعينيات سنسجل تحولاً جديداً في توزيعهم الجغرافي، بحيث أصبحت العاصمة مكسيكو تستقطب ٣٨,٨٩ في المئة منهم. هذه النسبة ستصل إلى ٤٦,٥٢ في المئة في عقد الخمسينيات. ولن يتغير الاتجاه العام لتوزيع العرب والمتحدرين منهم في المكسيك منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، إذ ما زال أغلبهم يتمركز في العاصمة. والسبب هو النمو الاقتصادي والتزايد الديمغرافي الذي عرفته المدينة.

كخلاصة حول هذه النقطة، يمكن القول، إنه ومن خلال التغيير المستمر في أماكن تمركزهم، كان العرب بمثابة مرآة للتحويلات الاقتصادية والديمغرافية التي عرفتها البلاد في القرن العشرين.

الجدول رقم (١ - ١٢)

تطور الساكنة العربية في المكسيك بحسب الولايات، ١٨٩٥ - ١٩٥٠

السنة	١٨٩٥	١٩٠٠	١٩١٠	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	المجموع	النسبة المئوية	الولاية
أغواسكالينتنس	-	-	١٤	-	٣٩	١٥	١١	٧٩	٠,٨	
كاليفورنيا السفلى	٥	-	-	٢	٣٦	١٦	-	٥٩	٠,٣	
كامبشي	٣٦	٢٥٧	١٣٤	١٠٥	١٢٤	٣٥	٥٣	٧٤٤	٣,٢	
كواهويلا	٢١	٢١	٣٨٣	١٣	٤٢٠	١٧٦	٢٣١	١,٢٣٤	٥,٤	
كولима	-	٢	١٣	١٣	١٣	٣	-	٣١	٠,١	
شيباس	٤	-	٥٨	٢٣	١٦٠	٢٩	٤١	٣١٥	١,٤	
شيووا	٦	١٥	٢٣٦	-	٣٢٤	٢٠٧	١٩٢	٩٨٠	٤,٣	
ولاية مكسيكو	١٨	٥٦	٥٩٥	٩٠	١,٠٩٦	١,٣٦٠	٣,١٦٣	٦,٣٧٨	٢٧,٧	
دورا نغو	١٤	١٤	١٢٥	-	٢٠١	٦٩	١٠٩	٥٣٢	٢,٣	
غوانا خواتو	-	١٠	٧٤	-	١٣٩	٤٦	٤٣	٣١٢	١,٤	
غيريرو	١	٥	٩٦	٨	٦٣	٤٤	٤٢	٢٥٩	١,١	
هيدالغو	-	٨	١٤٢	٩	١٦٦	٧١	٧٧	٤٧٣	٢,١	
خليسكو	-	١٤	٥١	١١	١٣٠	٩٩	٢١١	٥١٦	٢,٢	
مكسيكو العاصمة	٤	٥	١٣٠	٨	١٣٦	٥٥	٣٧	٣٧٥	١,٦	
ميشواكان	١	٨	٨٩	٢	١٠٧	٤١	٥٦	٣٠٤	١,٣	
موريلوس	-	-	٥٣	-	٥٣	٣٦	٥٢	١٩٤	٠,٨	
نجاريت	-	١٢	٣٨	-	٥٤	١٨	١١	١٣٣	٠,٦	
نوبيو ليون	١	٣٠	٢٠٣	٦	٢٦٧	٧٨	٩٠	٦٧٥	٢,٩	
واكساكا	١	١٥	١٣٩	٢١	١٩٩	٦٥	٦٥	٥٠٥	٢,٢	
بويلا	٧	٤٢	٢٢٢	٢٥	٤٩٥	١٩٥	٣٠٠	١,٢٨٦	٥,٦	
كيريتارو	١	-	٣٥	١	٣٣	٤	٣	٧٧	٠,٣	
كيتانارو	-	-	٥٢	٢٤	٢٩	١٢	١٦	١٣٣	٠,٦	
سان لويس بوتوسي	١٠	٣	٦٥	١١	١٨٩	٨٠	٨٢	٤٤٠	١,٩	
سينالوا	٢	٤	٢٤	٣	٩٨	١٤	٢٧	١٧٢	٠,٧	
سونورا	-	١	٩٠	٦	٧١	٤	٦٨	٢٤٠	١	
طاباسكو	١٧	٣٤	٩٥	٥٠	٨٦	٢٤	٢٧	٣٣٣	١,٤	

يتبع

تابع

٣,٨	٨٦٧	١٩٥	١٤٧	٤٠٠	٢١	٩٠	١٣	١	تماوليبياس
٠,٢	٣٦	١٦	٥	-	-	١٥	-	-	طلاكسالا
١٢,٣	٢,٨٣٥	٤٨٧	٣٧١	١,١٤٠	١٤٩	٥٥٢	١١٤	٢٢	بيراكروث
٩,٨	٢,٢٤٨	٢٣٠	١٢٧	٥٨٩	٢٢٩	٥٨٢	٢٥٧	٢٣٤	يوكتان
١,٢	٢٧٩	٤١	٥١	١٠١	٩	٦٨	٩	-	زاكا تيكاكس
١٠٠	٢٣,٠٥٤	٥,٩٧٦	٣,٤٩٧	٦,٩٥٨	٨٢٦	٤,٤٦٣	٩٤٩	٣٨٥	المجموع

المصدر : Censos de poblacion de los años 1895, 1900, 1910, 1920, 1930, 1940 y 1950, et Zeraoui, Ibid., p. 287.

الجدول رقم (١ - ١٣)
التوزيع الجغرافي للعرب في المكسيك عام ١٩٤٨

الولاية	العدد	النسبة المئوية
أغواسكالينتنس	٤٩	٠,٧
كاليفورنيا السفلى	٢٥	٠,٣
كاليفورنيا السفلى الجنوبية	٢	٠,٠٥
كامبشي	٥٦	٠,٧
كواهويلا	٢٥٨	٣,٤
كوليفيا	١٢	٠,٢
شياباس	٦٧	٠,٩
شيووا	٢٥٨	٣,٤
ولاية مكسيكو	٤,٠٦٢	٥٣,٩
دورانغو	١٣٥	١,٨
غوانا خواتو	٦٩	٠,٩
غيريرو	٣٠	٠,٤
هيدالغو	٩٢	١,٢
خليسكو	٧٦	١
مكسيكو العاصمة	٨٩	١,٢
ميشواكان	٦٥	٠,٩

يتبع

تابع

٠,٥	٣٤	موريلوس
٠,٤	٢٩	نجاريت
٢,١	١٥٩	نويو ليون
١,٦	١٢٤	واكساكا
٤,٥	٣٣٨	بوييلا
٠,١	١٠	كيريتارو
٠,٠٥	٣	كيتانارو
١,٦	١٢٤	سان لويس بوتوسي
١	٧٥	سينالوا
٠,٣	٢٣	سونورا
٠,٢	١٤	طاباسكو
٣,٢	٢٤٢	تماوليباس
٠,٤	٢٧	طلاكسالا
٧,٨	٥٨٨	بيراكروث
٣,٧	٢٧٧	يوكتان
٠,٨	٥٧	زاكاتيكاس
٠,٨	٦٤	من دون تحديد الولاية
١٠٠	٧,٥٣٣	المجموع

المصدر : Zeraoui, 1950; Censos de poblacion de los años 1895, 1900, 1910, 1920, 1930, 1940 y 1950; Ibid., p. 286, et Abud y Nasr, Ibid.

يرجع إذاً السبب الأساسي لهذا التنقل المستمر للمهاجرين العرب من مناطق إلى أخرى لدوافع اقتصادية، بالرغم من أن العامل السياسي ساهم هو الآخر أحياناً في هذا التنقل. ويبين لنا الجدول رقم (١ - ١٢) أن أعلى نسبة منهم استقرت ما بين عام ١٨٩٥ و عام ١٩٣٠ في خليج المكسيك وبخاصة في ولاية يوكتان، التي ازدهرت فيها صناعة ألياف الهنيكين كما مرّ بنا، وبولايتي بيراكروث وطاباسكو، اللتين جلب الازدهار الاقتصادي هما والناجم عن الصناعة البترولية، عدداً من الباعة المتجولين العرب. وبخصوص الدوافع السياسية، يمكن القول إن عدم تعرض ولايات الجنوب لأية أضرار تقريباً، أثناء الحرب الأهلية التي أعقبت الثورة المكسيكية، بخلاف ولايات الشمال، كان عاملاً مشجعاً للعرب على الاستقرار بها.

يبين لنا الجدول رقم (١ - ١٢) كذلك، تمركزاً مهماً للعرب خلال المرحلة نفسها بولايتي بويبلا شرق البلاد، وتمانوليباس جنوبها. والسبب يعود بالنسبة إلى بويبلا لكونها أصبحت ومنذُ نهاية القرن التاسع عشر مركزاً تجارياً نشطاً على الطريق التي تربط مكسيكو وبيراكروث، أما بالنسبة إلى تمانوليباس وخصوصاً بالنسبة إلى مدينة تامبيكو التابعة لها، فقد يكون السبب كون هذه المدينة تضم أحد أهم الموانئ التي دخل منها العرب إلى المكسيك منذُ بداية القرن العشرين.

وسوف تبدأ مرحلة ثانية بخصوص توزع العرب داخل التراب المكسيكي منذُ ثلاثينيات القرن العشرين، فقد عرف شمال البلاد نمواً اقتصادياً مهماً بسبب ارتفاع إنتاج البترول، وهو ما جلب العرب إليه على حساب مناطق أخرى مثل ولاية يوكتان، التي دخلت في مرحلة ركود اقتصادي بعد تراجع صناعة ألياف الهنكين التي تأثرت بمنافسة الألياف الاصطناعية. وإضافة إلى البترول، عرفت الولايات الشمالية ازدهاراً صناعياً مهماً، خصوصاً مدينة مونتيراي (Monte Rey) (ولاية نويبو ليون). وسوف يفضل التجار الفلسطينيون الاستقرار في هذه المدينة، بينما فضل اللبنانيون مدينة سان لويس بوتوسي (San Luis Potosí) التي تحولت إلى مركز تجاري مهم، بفضل موقعها الاستراتيجي بين الشمال الشرقي ووسط البلاد.

ويعكس تمركز العرب في مناطق معينة، الوضعية الاقتصادية المزدهرة لهذه المناطق وكذا نموها الديمغرافي، وهنا يجب التذكير أن الحكومات التي أعقبت الثورة، ركزت جميع المصالح الإدارية في العاصمة مكسيكو. وإذا أضفنا إلى هذا، الازدهار الاقتصادي الذي أصبحت تعيشه العاصمة منذُ الثلاثينيات، فهنا سبب تحولها إلى شبه مغناطيس لجلب الهجرة الداخلية. وسوف يساهم في هذه الوضعية كذلك، التراجع الاقتصادي الذي عرفته الولايات الجنوبية نتيجة اعتمادها وبشكل شبه كامل، على الصادرات الفلاحية. وقد خلقت الوضعية الجديدة توترات اجتماعية، لم يجد معها مئات من العائلات، وكان بعضهم من أفراد الطبقة الوسطى والمترفة الذين تضررت مصالحهم من جراء إعادة توزيع الأراضي على الفلاحين في إطار سياسة الإصلاح الزراعي التي طبقتها الثورة، لم يجدوا معها بداً من الهجرة نحو العاصمة. وهذا ما فعله كذلك بعض التجار العرب الذين قدموا بخاصة من ولايتي ميريدا (Mérida) وكامبشي (Campiche).

ويبين لنا الجدول رقم (١ - ١٣) الذي تمت بلورته انطلاقاً من الدليل اللبناني، تمركز المهاجرين العرب في نهاية أربعينيات القرن العشرين في مدينة مكسيكو، على حساب مدن أخرى تراجع فيها عددهم، مثل بويبلا ويوكتان، وبيراكروث، وسان لويس بوتوسي. هذا التمرکز ما زال يسجل إلى اليوم في عاصمة يبلغ سكانها ٢٥ مليون نسمة، من ١٠٧ ملايين هو مجموع سكان المكسيك عام ٢٠٠٣.

سادساً: اندماج العرب في المجتمع المكسيكي

١ - الإطار القانوني

كما أشرنا في المحور الأول، وضعت الحكومة المكسيكية عدة عراقيل في وجه المهاجرين غير الأوروبيين. وقد دفعت هذه السياسة بالعديد من المهاجرين وخوفاً من عدم السماح لهم في دخول البلاد، بالتسرب إليها بشكل سري، كما صرح آخرون وقت دخولهم، بانتمائهم لبلدان غير بلدانهم الأصلية. وبخصوص العرب، فإنهم قاموا إضافة إلى هذا، بتغيير أسمائهم وقت وصولهم إلى المكسيك، وكان ذلك بطريقتين:

- بمبادرة من موظف الهجرة الذي يقوم وأمام جهله بطريقة نطق وكتابة اسم المهاجر، بترجمته إلى الإسبانية، بحيث يصبح يوسف مثلاً خوسي (José).
- بمبادرة من المهاجر الذي يقوم ورغبة منه في تفادي تهميش المجتمع له، بتغيير اسمه إلى الإسبانية، وهو بذلك يتدع هوية جديدة^(١٧).

لقد ترجمت الحكومة المكسيكية رغبتها في منع دخول المهاجرين غير الأوروبيين، بإصدار عدة قوانين أضفت على ذلك طابعاً مؤسساتياً. وهكذا فإذا كان قانون الهجرة الصادر سنة ١٩٢٧ يمنع دخول كل أجنبي لا يتوافر لديه ما قيمته ١٠,٠٠٠ بيسو (Peso)، فإن هذا القانون، وبمقتضى تعديل عام ١٩٢٩، أعفى الأوروبيين من دون غيرهم من هذا الإجراء^(١٨). في السياق نفسه، ونتيجة للأزمة الاقتصادية العالمية لسنة ١٩٢٩، وكإجراء يهدف إلى الحد من البطالة، صدر قانون جديد للهجرة عام ١٩٣٢، يضع عراقيل إضافية على دخول الأجانب، بحيث أصبح ذلك مشروطاً بتوافر فرص الشغل، وبقدرة المهاجرين على «الانصهار في بلدنا ووسطنا»، بحسب تعبير غونزاليس نافارو (Gonzalez Navarro)^(١٩) الذي يذكرنا بأن الغرض من القانون المذكور هو: «منع دخول العاهرات ومستغليهن، ومنع دخول المهاجرين الذين ينتمون إلى أجناس يمنع القانون دخولها، وضبط تسجيل الأجانب

(١٧) هذه الظاهرة سجلت بخاصة مع مهاجرين سبق وأقاموا، قبل مجيئهم إلى المكسيك، في بلد آخر من بلدان أمريكا الإسبانية هو عادة كوبا، أو مع مهاجرين شجعهم على المجيء من وطنهم إلى المكسيك، قريب يقيم هذا البلد.

(١٨) يتعلق الأمر بقانون ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٢٩، الذي بين أن الإعفاء لم يشمل «السوريين، واللبنانيين، والفلسطينيين، والعرب، والأتراك، والصينيين والهنود». انظر: González Navarro, *Los Extranjeros en México y los mexicanos en el extranjero, 1821-1970*, p. 36.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٠.

الذين يتجاوز عمرهم خمس عشرة سنة في السجلات الرسمية، وإقناع أبناء المهاجرين الذين يولدون في المكسيك، بحمل الجنسية المكسيكية»^(٢٠).

وإذا كانت الغاية الأساسية من قانون عام ١٩٣٢ هي توفير فرص الشغل للمكسيكيين، فإنه كان وراء اتخاذ مجموعة من الإجراءات العنصرية، التي تعتبر نقطة سوداء في تاريخ حقوق الإنسان في المكسيك. وسوف يصدر بعد هذا القانون، قانون آخر عام ١٩٣٦ سمي بقانون السكان، يكمن الجديد فيه، في بدء العمل بنظام الحصص بحسب جنسية المهاجرين، والذين روعي في اختيارهم، بحسب ما ورد فيه، مصلحة البلاد والفائدة التي تجنيها من دخولهم، ثم قدرتهم على الاندماج. لكن هذا القانون الأخير، وباستناده إلى قضية الصفاء العرقي، يتعارض مع إحدى أهم الخصوصيات الجنسية المكسيكية، والمتمثلة في ظاهرة الاختلاط الجنسي، وفي وجود مهجّنين، هم حصيلة الزواج المختلط، بين الأوروبيين والهنود والزواج والاسبويين.

وسوف يرفع القانون المذكور من قيمة القدر المالي الذي يجب أن يتوافر لدى كلّ من يود دخول المكسيك، كما أنه، ولأول مرة في التشريع المكسيكي، يتم تصنيف المهاجرين، بحسب الصفة التي يدخلون فيها إلى المكسيك، حيثُ نقرأ فيه: «يمكن للأجانب أن يدخلوا المكسيك كسياح، أو كمهاجرين عابرين، أو كزائرين لعائلاتهم، أو كمهاجرين يرغبون في الإقامة في المكسيك، هؤلاء لا يمكنهم العمل إلا في الفلاحة أو الصناعة أو التجارة الموجهة للتصدير، في المقابل يمنعون من ممارسة أنشطة ليبرالية أخرى، باستثناء تلك التي تعود بمنفعة خاصة على البلاد. وهم مطالبون، وقت دخولهم المكسيك بحيازة قدر مالي يتجاوز ١٠٠ ألف» بيسو «بالنسبة إلى الذين يودون الاستقرار في العاصمة الفدرالية، و٢٠ ألفاً بالنسبة إلى الذين يودون الاستقرار في مناطق أخرى»^(٢١).

إن هذا القانون الجديد، وبخاصة البند المتعلق بالقدر المالي المرتفع الذي يشترط توافره لدى من يود دخول المكسيك، حال دون تزايد عدد المهاجرين، على الرغم من أن إمكانية الدخول بشكل سري استمرت قائمة. وهنا يجب ألا نستغرب من تراجع عدد العرب ابتداء من ثلاثينيات القرن العشرين، بحيث لم تعد المكسيك تمثل بالنسبة إليهم الإغراء نفسه الذي مثلته في الماضي، وفضلوا عليها بلداناً أخرى مثل البرازيل والتشيلي.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٤٠ - ٤١.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٤١ - ٤٢.

ومن البنود التي تضمنها القانون المذكور، والتي عرقلت هي الأخرى دخول المهاجرين، ذلك الذي يمنع ممارسة بعض الأنشطة الليبرالية كما مرّ بنا. وبالرغم من أن هذا البند لم يمس، بشكل مباشر، الجالية العربية، لأن قلة قليلة منها فقط كانت تمارس هذه الأنشطة، فإنه استعمل كمبرر لإصدار قانون ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٣٧، الذي يمنع المهاجرين من ممارسة التجارة المتجولة بشكل غير قانوني، وكانت هي النشاط الذي يبدأ به جلّ حديثي العهد بالهجرة من العرب مشوارهم المهني. أما الغاية من إصدار ذلك القانون، فهي حماية الباعة المتجولين المكسيكيين من منافسة نظرائهم العرب. والواقع أن هذه الإجراءات العنصرية، وبخاصة استحالة ممارسة التجارة المتجولة، عرقلت مسيرة تطور الهجرة العربية بهذا البلد.

٢ - العناصر المساعدة على الاندماج

وبغض النظر عن القوانين السارية، أخذت الساكنة المكسيكية في بدايات عهد الهجرة موقفاً سلبياً من العرب، وكان مظهرهم الذي اعتبر رثاً ووسخاً، وملابسهم المشرقية الغربية على المجتمع المكسيكي المحافظ، والطريقة المتعثرة التي يتكلمون بها الإسبانية، وراء النظرات الفضولية التي أصبحت تلاحقهم، ووراء استهزاء الأطفال بهم. لذا فإن قبولهم لن يتم إلا بشكل تدريجي، ساعد على ذلك كون أغلبهم يدينون بالمسيحية، بحيث بقي عدد من هاجر من غير المسيحيين، من مسلمين ويهود محدوداً.

تشجع العرب المسيحيون، وبخاصة المنتمون إلى الطوائف التي تعرضت للملاحقة والتضييق خلال القرن التاسع عشر، على الهجرة إلى المكسيك كونه بلداً مسيحياً. وكانت تلك المجموعة الصغيرة من العرب الذين حلوا في المكسيك في بداية القرن التاسع عشر، والتي يظهر أنها استقرت في مدينة تامبيكو من أتباع هذه الديانة. ذلك لأن القوانين الاستعمارية السارية آنذاك في المكسيك التي كانت تعيش السنوات الأخيرة من الوجود الإسباني، لم تكن تسمح بدخول غير المسيحيين الكاثوليك. وحتى وإن لم يكونوا كذلك، فإن رواد الهجرة العربية هؤلاء صرحوا وقت دخولهم إلى البلاد، أنهم مسيحيون.

وبالرغم من أن هناك احتمالاً بكون أوائل المهاجرين العرب إلى المكسيك من الموارنة وليس الكاثوليك، فإن ذلك لم يكن ليعرقل قبولهم، لأن الموارنة في نهاية المطاف يعترفون بسلطة الفاتيكان. وترى مصادر الرواية الشفوية، أن الراهب الماروني الأب رفول، هو أول عربي يصل إلى المكسيك كما مرّ بنا، غير أننا لا نستبعد وجود جالية مارونية في البلاد قبله، كان وجودها سبباً في مجيء الأب رفول ليتولى أمورها الدينية.

الجدول رقم (١ - ١٤)
ديانة المهاجرين العرب وقت دخولهم المكسيك، ١٨٧٨ - ١٩٥٠

العدد	الديانة(*)
٩٣	ملحدون
٤	إنجليكانيون
٢٠	معمدون
٤,٥٢٩	كاثوليك
٥	مسيحيون
١٢٢	عبرانيون
٢٧	يهود
٢٨	أحرار العقيدة
٣٤٥	مسلمون
٣	ماسونيون
٩٥	موارنة
٤٦٧	أرثوذكس
٤٩	بروتستانت
١٥٧	دروز
٨٤	روم كاثوليك
١٠٩	آخرون
٦١٧٧	المجموع

(*) أدرج الجدول بعض الديانات في أكثر من خانة واحدة بصيغ مختلفة، كما أدرج أتباع بعض الطوائف الدينية ضمن الخانة المخصصة للديانة الكاثوليكية، وهي الديانة الرسمية في المكسيك. بجانب ذلك اعتبر بعض العقائد السياسية والأيدولوجية ديانة، ونظن أن سبب هذا وذاك، هو اختلاط الأمور على موظفي الجمارك المكلفين تسجيل المهاجرين وقت دخولهم التراب المكسيكي (الترجم).

Archivo general de la nación

المصدر:

لقد ساهم تشابه المذهب والممارسة الدينية وخصوصاً التبعية للفتيكان، في قبول المهاجرين الوارثة، ومع ذلك فإن عدداً من المكسيكيين كانوا يستمعون في البداية، بنوع من التحفظ إن لم نقل الريبة، للصلوات وهي تتلى باللغة الآرامية بدلاً من اللاتينية التي اعتادوا أن يؤدوا بها شعائرهم الدينية. وبالرغم من أن الوارثة

استقروا في المكسيك منذ القرن التاسع عشر، فإنه لن يسمح لهم بالقيام بقدايس دينية على الطريقة المارونية إلا سنة ١٩١٠، عندما حصل الأب بطرس بولس على ترخيص بذلك. وبعد إحدى عشرة سنة من التاريخ المذكور، أسس الموارنة أول كنيسة لهم في المكسيك، شُيدت وسط العاصمة. وقد وصل الانصهار الروحي بين الموارنة وبين المكسيكيين الكاثوليك، إلى درجة أن القديس شربل مخلوف، وهو راهب ماروني عاش في القرن التاسع عشر ثبتت قداسته، لازالت ذكراه إلى اليوم محط تجيل في المكسيك، من طرف الكاثوليك والموارنة على حدّ سواء^(٢٢).

من جهتهم حصل أتباع طائفة الروم الأرثوذكس على ترخيص لممارسة شعائرتهم في المكسيك في بداية القرن العشرين، وقد أشرف على أمورهم الدينية آنذاك الأرشمندريت اللبناني فيلمون الشامي.

بالنسبة إلى أتباع الطائفة الكلدانية، وأغلبهم من العراقيين، فإنه وبالرغم من اعتراف طائفتهم بسلطة الفاتيكان منذ القرن السادس عشر، لم يكن قبولهم من طرف المجتمع المكسيكي سهلاً، بسبب خصوصياتهم الدينية وعلى رأسها استعمال اللغة الآرامية. ومع ذلك فإن وجود بعض الشبه مع الطريقة التي يمارس بها هنود منطقة إيكستيبك (Ixtepēc) الكاثوليكية، سهل إلى حدّ ما اندماجهم.

وبخصوص بقية الطوائف الدينية المسيحية، فإن الأرثوذكس والبروتستانت وجدوا صعوبة أكبر من غيرهم في الاندماج، وإن لم يصل ذلك إلى الصعوبة التي وجدها غير المسيحيين. وتجدر الإشارة إلى أن الجالية الأرثوذكسية وصلت بشكل متأخر إلى المكسيك، إذ بدأت هجرتها في نهاية العقد الأول من القرن العشرين. وقد عرفت أهم حضور عددي لها سنتي ١٩٢٨ و١٩٢٩ عندما أصبحت تمثل نسبة ٢٠,١ في المئة من المهاجرين العرب في المكسيك. وعلى الرغم من أن ممارستها الدينية ستشير بعض الاستغراب بين المكسيكيين الكاثوليك في البداية، فإنها ستبرز بسرعة كمجموعة دينية متجانسة. وقد ساعدها نجاحها الاقتصادي على تحسين سمعتها، كما سمح لها بتشديد كاتدرائية في مكسيكو عام ١٩٤٥، حملت اسم كاتدرائية سان خورخي. ونعلم من بعض المصادر أن سيمون عيسى، الفلسطيني الأصل، الذي توفي عن عمر يناهز ١٠٥ سنوات، هو أول قس أرثوذكسي حلّ في المكسيك^(٢٣).

(٢٢) يحمل أتباع الديانتين إلى كنائسهما احتفاءً بذكراه، شُرطاً مختلفة الألوان. ويفسر أفراد الجالية العربية في المكسيك هذا التقليد، بكون أول نشاط مارسه العديد من المهاجرين العرب في بداية عهد الهجرة، هو بيع القماش والشُرط الحريرية.

Enrique Farías Castro, *Aporte libanés al progreso de América* (México, DF: Editorial de los (٢٣) estados, 1965), p. 101.

وينتمي أغلب أرثوذكس المكسيك إلى أصول فلسطينية ولبنانية.

وفي ما يتعلق بالمسلمين، فإن أهميتهم العددية بقيت محدودة مقارنة ببقية المهاجرين العرب، وهم في غالبيتهم من الفلسطينيين الذكور، الذين حلوا في المكسيك لقضاء بضع سنوات تسمح لهم بجمع بعض الأموال قبل العودة إلى الوطن. ويظهر أن التفكير في العودة، حال دون بروزهم داخل المجتمع المكسيكي على غرار المسيحيين، باستثناء جالية سنية محدودة العدد تقيم في مدينة توريون (Torreon)، كان لها الفضل في تأسيس أول مسجد في المكسيك. وقد نُظر إلى الجالية المسلمة في المكسيك دائماً بنوع من التحفظ، على اعتبار أنها أقلية وسط الأغلبية المسيحية. ولعل هذا ما حال دون قيامها بأعمال الوعظ، وكذا دون اعتناق المكسيكيين الإسلام.

بالنسبة إلى الدرّوز، فإنهم من دون شكّ المجموعة الأكثر تأقلاً مع الوسط المكسيكي، من بين تلك التي تنتمي إلى الطوائف غير المسيحية، وقد أنشأوا معابد خاصة بهم في العاصمة مكسيكو وفي مناطق أخرى.

أما بالنسبة إلى اليهود، ومعظمهم من أصل سوري، فيمكن اعتبارهم المجموعة الدينية الأكثر تهميشاً ورفضاً من طرف المجتمع المكسيكي. هذا الرفض له جذور تاريخية مرتبطة بمعاداة مجتمع ذي ثقافة كاثوليكية مثل المجتمع المكسيكي للسامية. ذلك لأن وصول اليهود المتسحين القادمين من شبه الجزيرة الأيبيرية إلى المكسيك منذ القرن السادس عشر، في الوقت نفسه من وصول الغزاة الإسبان، وثبت عدم صدق اعتناقهم للمسيحية، ومواصلتهم ممارسة ديانتهم الأصلية في الخفاء، جعلهم عرضة لمحاكم التفتيش^(*)، وسوف يعانون بعد ذلك وعلى امتداد قرون التهميش، بحيث إن اندماجهم تمّ بشكل بطيء ومتعثر.

وكان السبب المباشر لهجرة اليهود السوريين إلى المكسيك، المجازر الطائفية التي وقعت في دمشق بين عام ١٨٤٠ وعام ١٨٦٧، والتي أجبرت أغلب يهود دمشق وحلب على الرحيل إلى مناطق أكثر أمناً، وقد فضل بعضهم عبور المحيط الأطلسي. وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد أن المكسيك كانت فيه منذ مطلع القرن التاسع عشر جالية يهودية ناطقة بالعربية، شجع وجودها هجرة اليهود الدمشقيين والحلبيين في ما بعد.

كان أغلب هؤلاء اليهود من التجار البسطاء ذوي المستوى التعليمي المتواضع. لم تكن ثروتهم تتجاوز ما يكفي لتغطية مصاريف سفرهم. لكن ضمنهم كانت بعض

(*) بدأ العمل بها أولاً في إسبانيا بعد سقوط الأندلس، حيث كانت تحاكم الموريثيين الذين أجبروا على اعتناق المسيحية، والذين ثبت أنهم لا يزالون يمارسون ديانتهم الأصلية في الخفاء (الترجم).

الأطر التقنية التي درست في الرابطة الإسرائيلية العالمية، وهي منظمة كان يرعاها البارون هيرش (Hirsch) (*). وقد جاء انتقال هؤلاء إلى المكسيك بدعم من الرابطة، التي سهلت لهم العمل كتقنيين في شركات فرنسية موجودة هناك. وعلى الرغم من ما يذهب إليه كورين كراوس (Corinne Krause) الذي يرى أن أغلب يهود دمشق وحلب رحلوا بعد الأحداث سالفه الذكر إلى فلسطين، وكانت آنذاك منطقة قليلة السكان^(٢٤)، فإن الصحيح هو أن أغلبهم هاجر بعد تلك الأحداث، وخصوصاً خلال المرحلة الممتدة ما بين عام ١٨٧٠ وبداية القرن العشرين إلى المكسيك. وهذا ما يجعلنا نظن أن فكرة فلسطين كوطن لليهود، كانت موجودة في تلك المرحلة المبكرة لدى اليهود الأوروبيين، لكن ليس لدى نظرائهم المشرقيين.

من جهة أخرى قام شخص مكسيكي اسمه فرانثيسكو ريباس (Francisco Rivas)، ادعى ومن أجل استقدام اليهود من الإمبراطورية العثمانية إلى المكسيك، أنه مسيحي من أصل يهودي، قام بإصدار صحيفة تحمل اسم السبت السري، كانت تحرر باللغة الإسبانية القديمة، وترسل بخاصة إلى اليهود السفرديين الذين يتحدثون هذه اللغة، وإلى اليهود الناطقين بالعربية^(٢٥). وكانت السبت السري، وحتى تنجح في إقناع اليهود على الهجرة إلى المكسيك، تتحدث عن هذا البلد كمكان تتكاثر فيه فرص النجاح، ويعم فيه الأمن والسلام، ويستقبل أهله المهاجرين بصدر رحب. وكل هذا لم يكن يعكس الواقع.

عُرف عن الجالية العربية اليهودية في المكسيك تدينها الشديد، وقد أنشأت أول كنيس لها سنة ١٩٠١، وكان في مقر سكن عائلة السماك، بشارع كابوشيناس (Capuchinas) وسط مدينة مكسيكو، وفي سنة ١٩٠٨ أنشأت معبداً ثانياً. وفي سنة ١٩١٨ ارتفع عدد المعابد التي يمتلكها اليهود العرب في العاصمة مكسيكو إلى أربعة، بحسب تقديرات فرانثيسكو بيدرو (Francisco Pedro)^(٢٦)، وكان يقيم في هذه المدينة سنة ١٩٢١ حوالي خمسمئة يهودي عربي، جلهم من المتدينين.

شكل اليهود العرب في بداية القرن العشرين، أهم جالية يهودية في المكسيك.

(* هو صاحب فكرة جعل جزء من التراب الأرجنتيني وطناً لليهود، والتي تمت مناقشتها في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد بمدينة «بال» السويسرية عام ١٨٩٧ (الترجم).

Corinne Krauss, *Los Judíos en México, una historia con énfasis especial en el período de 1857 a 1930* (México: Universidad Iberoamericana, departamento de Historia, 1987), p. 108.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٩١ - ٩٧، و «Judaísmo», Alicia Gojman de Backal y Liz Hamui de Halabe, «Judaísmo», *Eslabones: Diversidad religiosa* (México), no. 14 (julio-diciembre 1997), pp. 76-77.

Krauss, *Ibid.*, p. 110.

(٢٦)

وقد أنشأ أخوان دمشقيان هما سليم وفرانيسكو كوهن، جمعية خيرية حملت اسم «جبل سيناء»، تلخصت مهمتها في تقديم المساعدة لليهود بغض النظر عن أصلهم. والواقع أن هذه الجمعية وعلى الرغم من حملها شعار الماسونية الذي يتجاوز الأصول الجغرافية، كانت تحت إشراف ومراقبة يهود دمشق، وهو ما لم يقبل به اليهود الحلبيون الذين أسسوا جمعية ثانية سنة ١٩٣٨، حملت اسم «الجمعية الخيرية للإسعاف والصحة».

وبغض النظر عن انتمائهم الطائفي، وعلاقة ذلك بدرجة قبولهم من طرف المجتمع المكسيكي، مرّ اندماج العرب بمختلف طوائفهم في هذا المجتمع، بصعوبات متعددة، كان أبرزها ما حدث عقب الأزمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٢٩؛ ففي الوقت الذي كانت تصدر فيه قوانين عنصرية مناهضة لبعض الأجانب، حملت فئة من المكسيكيين، التجار العرب مسؤولية المشاكل الاقتصادية التي تمرّ فيها البلاد. وقد انضاف إلى هذا بالنسبة إلى اليهود، كونهم يرمزون في التخيل الجماعي المكسيكي، إلى الخيانة والشرّ والوصولية، وهو ما تطعم بالموقف المعادي للسامية، الذي ارتفعت حدته خلال المرحلة التي نحن بصددتها^(٢٧).

في ظلّ هذا، قامت منظمة فاشية التوجه تحمل اسم «اللجنة المعاضدة للعرق في العاصمة الفدرالية»، يعرف أعضاؤها بـ «الأقمصة المذهبية»، بتنظيم سلسلة من التظاهرات سنة ١٩٣١ الغاية منها مهاجمة «التجار اليهود». وهنا يلفت الانتباه إلى أن الفاشيين المكسيكيين، كانوا يعتبرون كلّ التجار العرب الموجودين في العاصمة، والمتمركزين في سوقين تقليديين^(٢٨) حيث يتاجرون في قطاعات متعددة على رأسها النسيج والملابس الجاهزة، كانوا يعتبرونهم يهوداً.

جعلت «اللجنة المعاضدة للعرق» من بين أهدافها الأساسية مهاجمة ما كانت تسميه بـ «المصالح الحيوية للجاليات الشرقية». وقد تمكنت من خلال ذلك من الضغط على الحكومة التي أصدرت قوانين عنصرية في المجال التجاري، من بينها قانون تنظيم التجارة المتجولة الصادر سنة ١٩٣٧، والذي جعل من ممارسة هذا النشاط حكرًا على المكسيكيين، وهو ما أقصى منه مئات العرب. ومن الأسلحة الأخرى التي استعملها من يسمون بـ «الأقمصة المذهبية»، ترويح تلك الصورة السلبية التي تعتبر

(٢٧) حول هذه النقطة ورد عند «غونزالس»: «في سنوات الثلاثينيات كان بعض المكسيكيين يقولون عن اليهود ساخرين، إنهم ينجحون في إخفاء أذنانهم، لكنهم يفشلون في إخفاء قرونها». انظر: González, *Los Extranjeros en México y los mexicanos en el extranjero, 1821-1970*, p. 134.

(٢٨) هما سوقا «لامرسيد» (La Merced) و«لاغونيا» (Lagunilla).

العرب تجاراً وسخين جشعين يتعاملون بالربا. وبالرغم من أن قلة قليلة من العرب فقط هي التي تعاملت بالربا، فإن الحملة المعادية لهم، وصلت إلى جلّ شرائح المجتمع المكسيكي والمكون في غالبيته من الطبقات الفقيرة، التي عبرت وعلى امتداد ثلاثينيات القرن العشرين عن عدائها للعرب، أولاً في مدينة مكسيكو، ثم بعد ذلك في مدن أخرى مثل بويبلا (Puebla) ومونتيراي (Monterey)، وستنجح «اللجنة المعاضدة للعرق»، وإن لم تقصد ذلك، في خلق نوع من الشقاق بين العرب المسيحيين واليهود في المكسيك، فقبل هذه الحملة كانت العلاقات بين الجاليتين تتميز بنوع من المودة، وبخاصة أن كليهما عانا من مضايقات وملاحقات الأتراك العثمانيين. غير أن المسيحيين ولتفادي ما تقوم به «اللجنة المعاضدة للعرق»، وتحقيق بعض القبول في المجتمع، لعبوا بـ «الورقة المسيحية». وهكذا قللوا من تعاملهم مع مواطنيهم من اليهود. وكدليل على حصول تباعد بين الجاليتين، أن الدليل اللبناني سالف الذكر، والصادر سنة ١٩٤٨، لا يذكر اسم أي يهودي من أصل عربي. ومن غير المستبعد أن تكون رغبة الجالية المسيحية العربية في الابتعاد عن مواطنيها من اليهود، قد ساهمت في تحديد التوجه الذي أخذته الأبحاث التي أنجزت حول تاريخ الهجرة العربية في المكسيك، حيثُ نسجل فيها غياباً شبه تام للجالية اليهودية ذات الأصول العربية^(٢٩).

وسوف يسمح هذا للمسيحيين العرب في تحقيق بعض القبول من طرف المجتمع المكسيكي، ساعدهم على ذلك إضافة إلى كونهم يدينون بالمسيحية، استعدادهم لبورة مسلسل مثاقفة جعلوا من بين أولوياته إدخال أبنائهم إلى المدارس العمومية المكسيكية، ليتعلموا اللغة الإسبانية وتاريخ المكسيك، في وقت حرصوا فيه على تلقينهم في البيت، اللغة العربية^(٣٠) وبعض عادات أرض الأجداد.

وقد ساعدهم على تحقيق الاندماج، تشابه العادات العائلية والاجتماعية العربية والمكسيكية، وبخاصة أن الأمر يتعلق بمجتمعين أبوين تعطى فيهما أهمية كبيرة للتقاليد. ومن بين العوائد العربية التي انتشرت في المكسيك: الطبخ العربي، حيثُ دخلت أكالات مثل الخبز العربي، واللبن الرائب، المطبخ المكسيكي، وأقبلت عليها وبشكل كبير الطبقات العليا والوسطى. وكان دخولها المطبخ المكسيكي وراء

(٢٩) نسجل غياب هذه الجالية كذلك في الدراسات التي اهتمت بهجرة اليهود الأوروبيين إلى المكسيك، حيثُ يميل الباحثون الذين تناولوا الموضوع، إلى التقليل من أهمية الجالية اليهودية ذات الأصول العربية، بما في ذلك الأهمية العددية، مع أن اليهود العرب يشكلون الأغلبية بالنسبة إلى مجموع يهود المكسيك.

(٣٠) تمّ تعليمهم اللهجات وليس اللغة العربية الفصحى، لأن هذه الأخيرة كان المهاجرون، ونسبة مهمة منهم من الأميين، لا يتقنونها.

ظهور أطباق جديدة هي مزيج من الطبخ العربي والمكسيكي^(٣١).

وتمثل لنا شخصية «المواطن خليل»، التي تقمصها في السينما عام ١٩٣٦ الممثل خواكين بردافي (Joaquín Pardavé)، درجة التقارب في العقلية والطباع بين العربي والمكسيكي. والفيلم يحكي قصة مواطن عربي يجد صعوبة كبيرة في تحقيق القبول ليس فقط في الشارع، وإنما كذلك في البيت مع أبنائه، الذين كان همهم الأساسي هو الاندماج في المجتمع المكسيكي.

لقد تنبه الجمهور المكسيكي، من خلال شخصية «المواطن خليل» إلى الصعوبات التي تعترض المهاجر العربي للاندماج في المجتمع. والواقع أن حكاية هذا المهاجر، وحكايات أخرى تشبهها، ساهمت في تحسين صورة العربي وتزكيته كشخص نزيه وعملي يحرص على استقرار العائلة، التي يفضل العيش في كنفها، وفي الوقت نفسه يحرص على محو تلك الصورة السلبية التي كانت تقدمه كإنسان وسخ وبخيل. وسوف يتزامن التحسن الحاصل في هذه الصورة، مع النجاح الذي حققه بعض المهاجرين وبخاصة المتحدرون منهم منذ أربعينيات القرن العشرين. ويجب ألا ننسى هنا، أن المؤسسات التي أنشأها العرب ساهمت هي الأخرى في تحسين هذه الصورة، وهي مؤسسات متعددة التوجهات، تمتد من تلك التي لها طابع خيري مثل «جمعية السيدات المارونيات»، إلى تلك التي لها طابع مالي مثل البنوك. ويعتبر في هذا السياق، «النادي اللبناني»، وهو جمعية ذات طابع اجتماعي ورياضي، أهم مؤسسة أنشأها العرب في المكسيك، وتكتل فيها في الوقت الحاضر بالخصوص، النخبة المكسيكية المتحدرة من أصل لبناني.

غير أن ما يلفت الانتباه بخصوص المؤسسات التي أنشأها العرب في المكسيك، هو أنها وعلى تنوعها، لا تشمل مدارس تسمح بالحفاظ على لغتهم والتعريف بثقافتهم. بحيث لا نسجل في هذا السياق إلا حالات محدودة، تركزت أحياناً على الجالية اليهودية التي حاولت الحفاظ من خلال هذه المدارس، على اللغة العبرية^(٣٢). ونظن أن سبب غياب مدارس عربية، يكمن في كون أوائل المهاجرين، الذين كان بإمكانهم الإطلاع بهذا الدور، هم من الأميين الذين كان شغلهم الشاغل هو كسب

(٣١) أحد أكثر هذه الأطباق شعبية هو «مربعات الراعي» (Tacos al Pastor).

(٣٢) فتحت كل من الجالية اليهودية من أصل دمشقي، والجالية اليهودية من أصل حلبي مدارس خاصة بها، انصب اهتمامها بالأساس على قضايا لها علاقة بالتاريخ والثقافة اليهوديين، بما في ذلك اللغة العبرية. وتعتبر الجاليتان الدمشقية والحلبيه الوحيدتين بين اليهود العرب في المكسيك، اللتين لا زالتا تستعملان، بشكل من الأشكال، اللغة العربية للتواصل بين أفرادهما.

لقمة العيش وليس الحفاظ على لغتهم وثقافتهم ونقلها إلى الأبناء. ولعل هذا ما جعل اللغة العربية تفقد أهميتها كلغة للتواصل بين أفراد الجالية. ونسجل في هذا السياق بعض الاستثناءات هي بمثابة ظواهر خاصة، من بينها حالة العراقيين الذين استقروا بمدينتي أواكساكا (Oaxaca) وإيكستيبيك (Extepec)، وكانت هذه الأخيرة في القرن التاسع عشر قرية مغمورة مأهولة بالهنود^(٣٣) الذين سوف يختلط في ما بعد، المهاجرون العراقيون بهم عن طريق الزواج، ما أثمر جيلاً من المتحدرين يتكلمون لغة هي خليط من الهندية والآرامية والإسبانية. وترتبط هذه الظاهرة، ظاهرة أخرى نسجلها لدى بعض أوائل المهاجرين، وهي تمكنهم من بعض اللغات الهندية، دون الإسبانية التي يتكلمونها بصعوبة. والسبب هو أنهم مارسوا التجارة في الولايات الداخلية، حيث يكثر التواصل باللغات الهندية.

ومن العوامل التي ساعدت العرب على الاندماج في المجتمع المكسيكي، تراجع عدد الوافدين منذ بداية ثلاثينيات القرن العشرين، وظهور الجيل الثاني الزداد في المكسيك والذي كانت له عقلية وطباع مختلفة عن الجيل الأول، وحصول تطور في الحضور داخل ديناميكية المجتمع المكسيكي حسب الأجيال، كما لاحظ لويس ألفونسو راميريز (Luis Alfonso Ramirez)^(٣٤).

لقد أقبل الجيل الأول على التجارة المتجولة، وكان هدفه تكوين رأسمال صغير يسمح له بشراء محل تجاري متواضع؛ أما الجيل الثاني الذي ولد وتربى في المكسيك، فقد نجح من أقبل من بين أفرادها على التجارة، في اقتناء محلات تجارية متعددة، وأحياناً في إنشاء شركة صغيرة؛ وأما الجيل الثالث، وهو ذو تكوين جامعي، فإنه اندمج بشكل تام في المجتمع المكسيكي، ونجح من استثمار من أفرادها في التجارة، في تأسيس مؤسسات كبرى.

سمحت إذاً الديناميكية التي تحرك بها العرب داخل المجتمع المكسيكي، بتحويلهم إلى أفراد من الطبقة الوسطى والعليا، مندمجين اندماجاً تاماً في هذا المجتمع. ولم يستثن من ذلك إلا مجموعة صغيرة لم تشارك في هذه الديناميكية، وهي مشكلة

(٣٣) يتعلق الأمر بهنود «زابوتيك» (Zapotecos) الذين استوطنوا وادي «أواكساكا» (Oaxaca)، وسلسلة جبال «بوييلا» (Puebla)، وهم أصحاب تراث ثقافي عمره أكثر من ثلاثة آلاف سنة، خضعوا في القرن السادس عشر، على غرار أغلب الهنود، لسلطة المعمرين الإسبان الذين قاموا بتمسيحهم. ويتحدث لغة «زابوتيك» في الوقت الحاضر أكثر من مليون ونصف من الهنود.

Luz María Martínez Montiel, «The Lebanese Community in Mexico: Its Meaning, Importance and the History of its Communities,» in: Hourani and Shehadi, eds., *The Lebanese in the World: A Century of Emigration*, pp. 191-194.

من أشخاص ليست لهم أية علاقات بمحيطهم الاجتماعي، باستثناء تلك التي يقيمونها في أحسن الحالات، مع أفراد من جاليتهم. ويخلص راميريز في حديثه عن ديناميكية العرب في المجتمع المكسيكي، إلى أن «طبيعة حركيتهم الاجتماعية، وعدم تركّزهم في حيّ واحد، كان وراء تفكك جاليتهم وافتراق أفرادها بعضهم عن بعض، بعد عقد الخمسينيات»^(٣٥).

تفسر لنا العناصر سالفة الذكر، كيف تمّ مسلسل الثقافة بالنسبة إلى الجالية العربية في المكسيك، وكيف نجح أفرادها في النهاية في الحصول على اعتراف المجتمع بهم، وفي الوقت نفسه، في الحفاظ على بعض عادات وطن الأجداد مثل الأطعمة والاحتفالات الدينية، اعتبروها مكملاً لما هو مكسيكي وليس مناقضاً له. وهذا ما يعني أن رصيدهم الثقافي أصبح يتشكل، في وقت واحد، مما هو عربي ومما هو مكسيكي.

سابعاً: النمو والتطور الاقتصادي

ينتمي أغلب المهاجرين العرب في المكسيك إلى المناطق القروية، وهؤلاء كان نشاطهم الأساسي في بلدهم الأصلي هو الفلاحة، وإن اشتغل بعضهم من حين إلى آخر بالتجارة، من خلال تسويق منتجاتهم الفلاحية. أما الذين هاجروا من المدن، وهم الأقلية، فقد مارسوا في وطنهم الأصلي التجارة أو مهنة من المهنة الحرة.

كان القادمون من المناطق الريفية، وقت وصولهم المكسيك، لا يتوافرون لديهم الرأسمال الكافي الذي يسمح لهم باقتناء الأراضي لمزاولة الفلاحة، وهنا يجب التذكير أن البنية الفلاحية لمكسيك نهاية القرن التاسع عشر عهد الرئيس بورفيريو دياز (Porfirio Diaz)، كانت تجعل إمكانية خوض تجربة الممارسة الفلاحية، أمراً مستبعداً بالنسبة إلى شخص له خصوصيات المهاجر العربي. لأن الفلاحة كانت تقوم على أساس نظام الضيعة الشاسعة (Haciendas) التي يمتلكها سيد إقطاعي، تشمل أملاكه كذلك وبشكل غير قانوني، الفلاحين الذين يعملون في الضيعة وعائلاتهم وأمتعتهم. وعلى الرغم من أن أكبر جزء من مداخيل السيد مصدره تسويق إنتاج الضيعة، فقد كان لهذا السيد مصدر ثانٍ لا يقل أهمية، يتحصل من خلال نظام القروض اللامحدود، وهو نظام يضطر معه الفلاح المشتغل في الضيعة، إلى اقتناء حاجياته بالدين من المؤسسة التجارية التابعة لها والتي تحمل اسم «دكان الأجور». وكانت قيمة السلع

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٩٢.

في هذا الدكان مضاعفة، وهذا ما يجبره على العمل في الضيعة بشكل دائم، لتسديد الديون المتراكمة عليه.

يرجع عدم ممارسة العرب للنشاط الفلاحي إذًا، إلى عجزهم في اقتناء الأراضي بسبب تكلفتها المرتفعة، ثم لأنها في الغالب لم تكن معروضة للبيع. وقد كان البديل هو التجارة المتجولة، إذ بدأوا بتسويق كميات متواضعة من بعض أنواع الخردة والنسيج بالمناطق الحضرية والقروية. ويعود النجاح الذي حققوه في هذا القطاع إلى حد كبير إلى كيفية تعاملهم مع زبائنهم من الطبقات الدنيا والوسطى، وكان ذلك يتم في إطار ما يسمى بـ «نظام التسديد» (Sistema de abonos). وهو نظام يسمح للسكان باقتناء حاجياتهم بالدين، وبالتالي بالحفاظ على مستوى من الاستهلاك يتعذر الوصول إليه بطريقة أخرى. وبسبب «نظام التسديد» هذا، ما زال التجار العرب في المكسيك إلى اليوم، يعرفون باسم «المسدد لهم» (Aboneros) والباعة المتجولون (Buhoneros). وتجدر الإشارة إلى أن الباعة المتجولين العرب لم يشكلوا في المناطق القروية أية منافسة لـ «دكان الأجور»، المتخصص في المواد الغذائية، والموجود في الضيعات الفلاحية، ولعل ذلك ما جعل أصحاب هذه الضيعات، يسمحون لهم بتسويق سلعهم فيها.

وقد نجح الباعة المتجولون العرب، بفضل حرصهم على الادخار الذي يصل أحياناً إلى درجة التقتير، في تكوين رأسمال صغير استثمروه في إنشاء محلات تجارية متواضعة. ويبين لنا الجدول الموالي كيف أن أعلى نسبة من المهاجرين العرب الذين حلوا في المكسيك ما بين ١٩٠٠ و ١٩٢٩ بدأوا نشاطهم المهني كباعة متجولين.

الجدول رقم (١ - ١٥)

النشاط المهني الذي مارسه بعض المهاجرين العرب وقت دخولهم المكسيك،

١٩٠٠ - ١٩٤٩

السنة	باعة متجولون	عمال	تجار مستقرون	رجال صناعة
١٩٠٠ - ١٩٠٩	٢٣	٢	٥	-
١٩١٠ - ١٩١٩	١٣	١١	٦	-
١٩٢٠ - ١٩٢٩	١٥	١٧	١٢	٢
١٩٣٠ - ١٩٣٩	٢	٥	٢	١
١٩٤٠ - ١٩٤٩	-	٢	١	١

المصدر: تم وضع الجدول انطلاقاً من دراسة ميدانية تناولت ١٢٠ مهاجراً. انظر: Los: Paez Oropeza, «Libaneses en México: Asimilación de un grupo étnico.» p. 173.

الجدول رقم (١ - ١٦)
المهاجرون العرب بحسب المهنة، ١٩٢٥ - ١٩٥٠

العدد	المهنة
١٥٦	فلاحون
٨	منجميون
٥٠	صناع
١٥	عمال
٤,٣٩٨	تجار ومستخدمون في التجارة
٣٨	أطرب
١٦٤	أصحاب مهن حرة
٢,٤٧٩	ربات البيوت
١٩٣	عمال متخصصون
٣٢	مهن أخرى

Archivo general de la nación.

المصدر:

مع وصول الموجة الثانية من المهاجرين العرب (١٩١٠ - ١٩٢٩)، تزايدت نسبة الذين اشتغلوا كمستخدمين، والسبب هو أن أبناء أوائل المهاجرين، وأقاربهم حديثي العهد بالوصول، عملوا في الدكاكين التي فتحتها من أرسل في طلبهم، أو خرجوا إلى الشوارع لتسويق السلع التي يأخذونها من هذه الدكاكين. وبخلاف الجيل الأول، لا نسجل مع أبناء الجيل الثاني الذين عملوا في التجارة، من مارس التجارة المتجولة، أو من سافر إلى المناطق الداخلية من البلاد قصد تسويق السلع. وسيفضل أبناء الجيل الثاني بشكل عام الاستقرار في المدن، وهنا نسجل أن مستوى عيشهم ومعدل دخلهم، هو أرقى من ذلك المسجل لدى المهاجرين. لكن هذا لا يمنع من القول إنهم كذلك، وإن بشكل أقل من المهاجرين، ما زالوا محافظين على تقليد الادخار والعيش في تقشف، وقد سمح هذا لهؤلاء وأولئك بخوض تجربة الاستثمار في قطاع العقار، إضافة إلى الإقبال على ممارسة الارتهان، بحيث كانوا يقدمون القروض بفوائد لأبناء جاليتهم.

وسوف يتراجع اهتمام العرب بالتجارة المتجولة منذ المرحلة الممتدة بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٤٥، ومع ذلك فالمرحلة المذكورة ستتركس فيها التجارة كأهم نشاط للعرب في المكسيك، وستشهد المرحلة نفسها خوض العرب تجربة الاستثمار في

الصناعة. وإذا ما قمنا بمقارنة معطيات الجدول السادس عشر، بما يوجد في الجدول السابع عشر، تبين لنا أن التجارة ما زالت هي نشاطهم الأساسي، لكن مع ارتفاع نسبة من يستثمر في الصناعة، ومن يمارس بعض المهن الحرة الأخرى.

ودائماً بخصوص الممارسة المهنية، يجب التذكير بأن المرأة العربية المهاجرة، وإلى جانب كونها ربة بيت، حرصت على مساعدة زوجها أو والدها في المتجر، واطلعت أحياناً بمسؤولية الإشراف الإداري ومراقبة الأرباح.

وسوف نسجل مع الجيل الثالث، معطيات جديدة تهم الممارسة المهنية لعرب المكسيك، فهذا الجيل وبحكم تخرجه من الجامعة، سيمارس أنشطة غير مرتبطة بالعائلة ولا بالجمالية، وهو ما سيسمح له بنسج علاقات خارج الجمالية، سيكون من بين نتائجهما تكسير ذلك التقليد المتمثل في الزواج داخل الجمالية. وبخصوص من استثمر من أبناء هذا الجيل في التجارة، فإنهم أنشأوا بموازاتها مؤسسات صناعية في قطاع النسيج، ساهمت في تمويل محلاتهم التجارية المتخصصة في الملابس الجاهزة. وقد سمح النجاح الذي حققه، بعضهم وبخاصة أبناء الجيل الرابع، بخوض تجربة الاستثمار في قطاع المضاربة المالية.

الجدول رقم (١ - ١٧)

اللبنانيون في المكسيك بحسب المهن عام ١٩٤٨

النسبة المئوية	العدد	المهنة
٨٤,٩١	٣٥٤٠	تجار
٨,٥٦	٣٥٧	رجال الصناعة
٤,٨٧	٢٠٣	أطرب
١,٥٩	٦٦	فلاحون
٠,٠٧	٣	صرافون
١٠٠	٤١٦٩	المجموع

المصدر: Abud y Nasr, *Directorio libanés: Censo general de las colonias libanesa, palestina, siria residentes en la Republica Mexicana.*

يظهر الجدول رقم (١ - ١٧) المهن التي كان يزاولها اللبنانيون في المكسيك سنة ١٩٤٨، وقد سجلت أعلى النسب، بما في ذلك لدى أبناء الجيل الثالث، في قطاع التجارة. ومع ذلك فإن مجالات أخرى مثل القطاع المهني وبخاصة الصناعة،

استقطبت عدداً منهم مقارنة مع المراحل السابقة. وكانت استثماراتهم الصناعية وبخاصة في مجال النسيج، الذي لهم به معرفة كبيرة، بحيث إنهم استثمروا فيه منذ كانوا باعة متجولين ثم تجاراً صغاراً. والواقع أن تجربتهم الطويلة هذه، أهلتهم للسيطرة على سوق النسيج في البلاد، وهي السيطرة التي لا تزال إلى اليوم. وينافس ما ينتجونه، ما يستورد من الأسواق الدولية.

مع الجيل الرابع من المتحدرين من أصل عربي، وبالرغم من أن الحضور في التجارة ما زال مهماً، أقبل البعض على قطاعات مهنية جديدة. وقد استفادت مجموعة صغيرة منهم من ثروات عائلاتهم، لخوض تجربة المضاربة المالية في البورصة. وفي الوقت نفسه خاضت، وعلى مستوى رفيع، تجربة الاستثمار في قطاعات صناعية أخرى غير النسيج. وسوف تحقق هذه المجموعة نجاحاً باهراً، حيث سيصبح بعض أفرادها من بين أكبر أثرياء أمريكا اللاتينية، الذين تظهر أسماؤهم في اللوائح الخاصة بأصحاب الملايين التي تنشر على صفحات مجلة فوربيس (Forbes) المتخصصة.

وسيستفيد بعض رجال الأعمال من أصل عربي من أصحاب الملايين، من علاقات الصداقة التي تربطهم بأصحاب القرار السياسي في المكسيك، لعقد صفقات مشبوهة تتعلق بشراء مجموعة من البنوك والشركات العمومية بأثمان أقل من قيمتها الفعلية، بعدما طرحت للبيع في إطار برامج الخصخصة التي عرفتها البلاد في بداية تسعينيات القرن العشرين^(٣٦). غير أن إبرام هذا النوع من الصفقات، لم يكن حكراً على رجال الأعمال من أصل عربي، كما إن فئة قليلة فقط من رجال الأعمال من أصل عربي هي التي تميل إلى هذا النوع من الصفقات.

ثامناً: الحضور العربي في الحياة السياسية والثقافية المكسيكية

لا يمكن الحديث في المكسيك عن توجه سياسي خاص بالجالية العربية، ولعل هذا ما جعلها لا تشكل مجموعة ضغط. وكما أوضحنا سالفاً، اندمج العرب بشكل كامل في المجتمع المكسيكي، بحيث أصبحوا يعتبرون أنفسهم ومنذ الجيل الثاني، مكسيكيين متحدرين من أصول عربية.

وسوف يبدأ اهتمام العرب بالسياسة المكسيكية منذ وقت مبكر، ومن غير المستبعد أن يكون أول نشاط سياسي ساهموا فيه، هو الذكرى المئوية لاستقلال

(٣٦) إلى غاية سنة ١٩٨٢، كانت البنوك التجارية في المكسيك تابعة للقطاع الخاص، لكن ابتداءً من هذه السنة وتفادياً لوقوع أزمة اقتصادية في البلاد تم تأميمها، غير أنه سيتم بعد ذلك ومنذ مطلع التسعينيات، تفويتها من جديد للخواص.

المكسيك سنة ١٩١٠، كما تشهد بذلك اللوحة المعلقة في مركز مدينة مكسيكو، والتي تتحدث عن إهداء الجالية العثمانية «ساعة تركية» إلى المسؤولين المكسيكيين، اعترافاً منها بالترحيب وحسن الضيافة اللذين حظيت بهما في وطنها الجديد. ونسجل خلال هذه المرحلة نفسها، وجود بعض العرب كقادة عسكريين أو فاعلين سياسيين على درجة من الأهمية. وهكذا تحدثنا المصادر عن عرب حاربوا إلى جانب إيميليانو زاباتا (Emiliano Zapata) إبان الثورة المكسيكية سنة ١٩١٠، أشهرهم الجنرال فيليكس فياض الذي كان يعتبر رجل ثقة «زاباتا». كما تحدثنا المصادر نفسها عن عرب خاضوا غمار الممارسة السياسية في هذه المرحلة المبكرة، لعل أشهرهم هو أنطونيو لطائف الذي شغل منصب المستشار الخاص لرئيس الجمهورية فينوستيانوا كرانزا (Venustiano Carranza) (١٩١٥ - ١٩١٩)^(٣٧)، وألفريدو عزيز ونجيب سيمون^(٣٨) اللذان انتخبا عضوين في البرلمان المكسيكي على عهد الرئيس بلوتاركو إلياس كاييس (Plutarco Elías Calles) (١٩٢٤ - ١٩٢٨).

وبخصوص المرحلة الراهنة، يشغل عدد من المتحدرين من أصل لبناني مناصب سياسية مهمة، من بينهم إيميليو شوفيات شمور الذي تولى من قبل حقيبة وزارة الداخلية، كما شغل منصب حاكم ولاية مكسيكو، وهو في الوقت الحاضر، رئيس فريق الحزب الثوري المؤسسي (PRI)^(*) في البرلمان؛ وخوسي مراد قصاب (أبوه لبناني وأمه عراقية) الذي يتولى حالياً منصب حاكم ولاية أواكساكا (Oaxaca)؛ وفوزي حمدان الذي يشغل في الوقت الحاضر منصب ممثل ولاية شيباس (Chiapas) في مجلس الشيوخ.

وفي المجال الثقافي نسجل كذلك حضوراً متميزاً للمتحدرين من أصل عربي، وهكذا نجد في حقل العلوم، أسماء من بينها خوسي سرحان، رئيس جامعة مكسيكو سابقاً، وهو في الوقت الحاضر الباحث الأمريكي اللاتيني الوحيد في «معهد العلوم الملكي» البريطاني؛ ونجد في حقل الأدب، أسماء من بينها كارلوس مارتينيز مؤلف كتاب ذاكرة لبنان الذي يتحدث فيه عن تجاربه الشخصية والعائلية؛ وروزا نيسان (يهودية من أصل سوري) التي تتحدث في أعمالها عن هويتها كامرأة عربية يهودية

(٣٧) يعتبر «كرانزا» (Carranza) واضع أسس الدستور المكسيكي الذي ما زال معمولاً به إلى اليوم.

(٣٨) كان نجيب سيمون من كبار رجال الأعمال، وهو الذي شيد ساحة مصارعة الثيران في العاصمة

مكسيكو.

(*) لقد سيطر على مقاليد الحكم في البلاد منذ سنة ١٩٢٩، إلى منتصف تسعينيات القرن العشرين، وكان بمثابة الحزب الوحيد، لأنه سدّ الطريق على بقية الأحزاب السياسية، للحيلولة دون وصولها إلى الحكم (الترجم).

تعيش في المكسيك ؛ وليون رودريغيز زهر ، وهو كاتب وعالم اجتماع ، ودبلوماسي ، تمتد مجالات اهتماماته من تاريخ لبنان إلى تأثير الهندسة المعمارية المكسيكية خلال المرحلة الاستعمارية بالفن المدجن^(*) . ودائماً في حقل الهندسة المعمارية ، نجد أسماء أخرى أبرزها ألبيرتو قلش الذي وضع تصاميم مبانٍ مشهورة في المكسيك وخارجه ، من بينها تصميم بناية المكتبة الوطنية المكسيكية . أما في الحقل الفني فتبرز عائلة مزراحي التي تتجر في القطع الفنية النادرة ، والتي عرف عنها كذلك رعايتها للأعمال الفنية . وأخيراً في مجال السينما تبرز المثلة العالمية سلمى حايك (ابنة أحد رجال الأعمال اللبنانيين) التي سبق ورُشحت للحصول على جائزة الأوسكار .

غير أن أبرز مُتحدِرَيْن من أصل عربي بالمكسيك الحالي ، ارتبط اسماهما بمجال المال والأعمال أكثر من أي مجال آخر ؛ بألفيردو هارب الحلو ، المساهم الرئيس السابق في البنك الوطني المكسيكي ، والذي لا يزال له حضور متميز في عالم الاستثمارات المالية ، إلى جانب إشرافه على عدد من المشاريع الخيرية والاجتماعية والثقافية والأيكولوجية ؛ وكارلوس سليم الذي اعتبرته مجلة فوربيس المتخصصة ، ولأكثر من عقد من الزمن ، أغنى رجل في أمريكا اللاتينية ، وتمتد استثماراته من امتلاك أسهم في البورصة وقنوات التلفزيون ، إلى امتلاك شركات للنقل ومحلات تجارية كبرى . ويشرف هو الآخر على عدد من المشاريع الخيرية ، من بينها ترؤسه للجنة المكلفة بإعادة ترميم مركز مدينة مكسيكو التاريخي . ويلفت الانتباه في ثروة كارلوس سليم الخاصة ، امتلاكه أهم مجموعة من اللوحات الفنية بأمريكا اللاتينية ، تضم أعمالاً نادرة لمبدعين إيطاليين من عصر النهضة ، ولفنانين انطباعيين فرنسيين ، ولكبار المبدعين المكسيكيين من مختلف المراحل التاريخية^(٣٩) .

تاسعاً: مواقف الجالية في المكسيك من النزاع في الشرق الأوسط

بحكم مرور أكثر من قرن من الزمن على بداية الهجرة العربية إلى المكسيك ، فقد تراجع عدد المهاجرين بشكل كبير ، وأصبح السواد الأعظم من الجالية العربية مشكلاً من المتحدرين ، هؤلاء لا يتعاملون مع النزاعات السياسية التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط بأي تشنج ، بل إن مواقفهم السياسية من هذه النزاعات لا تختلف كثيراً عن مواقف بقية المكسيكيين . وهكذا فإن النزاع العربي - الإسرائيلي ، حظي بدرجة أولى

(*) ازدهر في إسبانيا المسيحية ما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر ، وهو ذو أصول عربية أندلسية ، وقد حمله معهم المعمرون الإسبان إلى أمريكا اللاتينية (الترجم) .
(٣٩) يوجد ضمن هذه المجموعة عدد مهم من أعمال النحات الفرنسي «أوغوست رودان» (Auguste Rodin) ، لا يتجاوزها من حيث العدد ، إلا ما يوجد بمتحف رودان في باريس .

باهتمام المهاجرين، وبخاصة الفلسطينيين منهم، الذين وعلى الرغم من أن أغلبهم هاجر إلى المكسيك قبل عام ١٩٤٨، فإن بعضهم مسوا بشكل مباشر، إما في أملاكهم التي تمّ تدميرها أو مصادرتها بعد إنشاء دولة إسرائيل، أو في أقاربهم الذين قتلوا أو هجّروا قسراً من طرف قوات الاحتلال. وتورد الباحثة دوريس مسالم، شهادة معبرة عن تباين اهتمام الفلسطينيين بحسب الأجيال بما يقع في فلسطين، جاء فيها: «يختلف موقف الذين استجوبناهم من المشكلة الفلسطينية باختلاف الجيل الذي ينتمون إليه، وباختلاف المصالح الشخصية والعائلية ودرجة تأثرها بالنزاع، وهكذا يعبر المهاجرون عن أسفهم الشديد لوجود هذا النزاع، كما يعبر أبنائهم عن تأثرهم وانشغالهم لما يقع، وقد عانى عدد منهم كذلك، وإن بشكل غير مباشر، من تبعات النزاع. في حين لا يحس أبناء الجيل الثالث إلا بشكل محدود بالمشكل، وهم غالباً لا يفهمون جوهره، أما أبناء الجيل الرابع، فإن معرفتهم بالموضوع تحتزل في وجود نزاع في فلسطين، ليست لهم حوله أية معلومات»^(٤٠).

ولا تختلف درجة اهتمام اليهود العرب بالموضوع عن درجة اهتمام الفلسطينيين، وربما تعود قلة اهتمامهم هذا، إلى التحفظ الذي تمّ التعامل معهم به، من جهة من طرف العرب من الديانات الأخرى، ومن جهة أخرى من طرف اليهود من أصول أوروبية. وهنا تجب الإشارة إلى أن اهتمام دولة إسرائيل بمواقف يهود المكسيك يركز بالأساس على ذوي الأصول الأوروبية. وبشكل عام لا يختلف موقف اليهود من أصول عربية من النزاع عن الموقف الشائع في إسرائيل، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الموقف لم تنجم عنه مواجهات أو توترات بينهم وبين العرب من الديانات الأخرى.

وبخصوص الحرب الأهلية اللبنانية، فهي وعلى الرغم من طابعها الطائفي، لم يأخذ أغلب العرب موقفاً متعصباً منها، واحترموا بشكل عام الموقف الرسمي الذي تبنته البعثة الدبلوماسية اللبنانية، في الوقت نفسه حرصوا على إرسال المساعدات لأقاربهم وذويهم المتضررين من الحرب.

أما بخصوص تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، فإنها وبشكل عام لم تغير من نظرة الرأي العام المكسيكي للعرب. ورغم أن بعض استقراءات الرأي تتحدث عن ارتفاع نسبة من لهم نظرة سلبية عن العرب، فإن موقف هؤلاء كان ظرفياً، ولم نسجل أية اعتداءات من أي نوع كان على العرب، وهنا قد يكون من المهم التذكير بأن الرأي العام المكسيكي عبّر دائماً عن تعاطفه مع العرب، حيال النزاعات التي تعرفها منطقة

Doris Musalem Rahal, «La Migración palestina a México, 1893-1949,» dans: *Destino* (٤٠)
México: Un Estudio de las migraciones asióticas a México, siglos XIX y XX, p. 341.

الشرق الأوسط، وكمثال على ذلك، عبر ٨٠ في المئة من المكسيكيين عن رفضهم للغزو الأمريكي للعراق سنة ٢٠٠٣، واعتبروا أن الأمر يتعلق بحرب ظالمة، خرجوا من أجل التنديد بها في تظاهرات حاشدة، طالبت بانسحاب قوات الحلفاء من التراب العراقي.

خاتمة

تطرقنا في مختلف مراحل هذه الدراسة إلى التطور التاريخي الذي عرفته الهجرة العربية إلى المكسيك، وكما بينا في بدايتها، فإن هذا الموضوع لم تتم دراسته من طرف باحثين متخصصين إلا بشكل محدود، وكان تركيزهم بدرجة أولى على الجالية اللبنانية. وبالرغم من أن اللبنانيين والمتحدرين منهم يشكلون الأغلبية، فإن دراسة بقية الجاليات (اليهود العرب والفلسطينيين والعراقيين) قد تسمح لنا بتكوين فكرة أكثر شمولية عن الهجرة العربية إلى المكسيك.

تطرقنا كذلك في الدراسة إلى موضوع القوانين العنصرية التي استهدفت المهاجرين العرب خلال عقد ثلاثينيات القرن العشرين وانعكاساتها الاجتماعية، وهو ما لم يتم كذلك تناوله إلا بشكل محدود من طرف الأبحاث التي أنجزت حول الهجرة العربية. وقد خلصنا إلى أن هذه القوانين وعلى الرغم من تبعاتها الوخيمة عليهم، والتي كانت وراء تراجع أعداد الوافدين منهم إلى المكسيك، لم تحل دون استمرار نجاحهم الاقتصادي. ويمكن القول بخصوص هذه القوانين، إنها تشكل أحد الفصول الأكثر ضبابية في تاريخ المكسيك الاجتماعي خلال القرن العشرين. بحيث كان على الجالية العربية، أن تبذل مجهوداً كبيراً من أجل محو تبعاتها والصورة السلبية التي خلفتها، وتحقيق الاندماج الاجتماعي الذي سيهيئها للمساهمة في المسلسلين الاقتصادي والسياسي المكسيكيين.

مراجع إضافية

Ulises Casab Rueda, «La Comunidad caldeo-iraquí;» Rebeca Inglan Rubio, «La Migración libanesa en México;» Antonio Mouhanna, «La Arabe en la Ciudad de México: La Comunidad libanesa,» y Doris Musálem Rahal, «La Comunidad palestina en México,» dans: *Babel, ciudad de México*. México, DF: Gobierno del Distrito Federal, ciudad de México cultura, 1999-2000. 13 vols.

Vol. 4: *Medio Oriente en la ciudad de México*.

Della Pergola, Sergio y Susana Lerner. *La Población judía en México: Perfil demográfico, social y cultural*. Jerusalén: Instituto Avraham Harman de ju-

daísmo contemporáneo, universidad hebrea de Jerusalén; México: Centro de estudios demográficos y de desarrollo urbano, colegio de México, 1995. (Estudios de poblaciones judías; no. 26)

Ramírez, Luis Alfonso. *Secretos de familia: Libaneses y élites empresariales en Yucatán*. México, DF: Consejo nacional para la cultura y las artes, dirección general de publicaciones, 1994. (Regiones)

Rodríguez Zahar, León. *Libano, espejo del Medio Oriente: Comunidad, confesión y estado: Siglos VII a XXI*. México, DF: El Colegio de México, centro de estudios de Asia y Africa, 2004.

Safa, Elie. *L'Emigration libanaise*. Préface du président Alfred Naccache. Beyrouth: Université Saint-Joseph, faculté de droit et des sciences économiques, 1960.

الفصل الثاني

العرب في التشيلي: سبل الاندماج الاجتماعي^(*)

لورينزو عكر^(**)

(*) يشكر المؤلف الأستاذتين الباحثتين Tamara Cerda، وكلاوديا غوتيريث (Claudia Gutiérrez) والصحافية نتاليا راموس (Natalia Ramos) على المساعدة التي قدمنها له لإنجاز هذه الدراسة، خصوصاً في ما يتعلق بالقيام بالتحريات الميدانية، وباستخراج وضبط المعلومات التي تتضمنها الاستمارات.
(**) أستاذ في كلية العلوم الاجتماعية، جامعة التشيلي.

مقدمة

تتناول هذه الدراسة مسلسل اندماج ومساهمة المهاجرين العرب والمتحدرين منهم في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية في التشيلي. ولتبيان ذلك، سنتطرق في البداية، وبشكل مقتضب للكيفية التي تمت بها الهجرة، منذ مغادرة المهاجرين أرض الوطن، حتى الوصول إلى التشيلي، حيث سنوضح كيف أن هذه الهجرة أفرزتها عوامل موضوعية ترتبط بالسياق التاريخي والسوسيو - اقتصادي لبلدان الهجرة والمهاجرة (الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية)، وأخرى ذاتية ترتبط بقرارات اتخذها أشخاص بعينهم، للهجرة إلى بلدان بعيدة، تختلف عن بلدانهم من حيث جغرافيتها وطبيعتها وثقافتها.

تعود أهم موجات الهجرة العربية إلى التشيلي إلى العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين. وعلى الرغم من انتماء المهاجرين إلى مدن مختلفة بل وإلى بلدان مختلفة (إذا أخذنا بعين الاعتبار التسميات الجيوسياسية الحالية) بحيث يمكن أن نميز فيهم بين فلسطينيين وسوريين ولبنانيين، فإننا نجد تشابهاً كبيراً بينهم، لدرجة أنهم في المهجر شكلوا مجموعة بشرية واحدة.

وتجدر الإشارة إلى أن مجيئهم في المرحلة نفسها، وخضوعهم لمسلسل الاندماج نفسه، جعل أمر اعتبارهم مجموعة بشرية واحدة يفرض نفسه، ليس فقط من طرف المجتمع المضيف، وإنما من طرفهم هم كذلك، ومن طرف المتحدرين منهم.

ومع ذلك سنحاول التطرق إلى بعض الاختلافات الموجودة داخل هذه المجموعة البشرية إلى اليوم، والمرتبطة بانتمائها الجغرافي؛ أساساً إلى المناطق القروية أو المناطق الحضرية، كما سنحاول تسليط الضوء على العلاقة بين الأصول الجغرافية للمهاجرين وبين أماكن استقرارهم في التشيلي لبدء مشوار حياتهم في المهجر.

من جهة أخرى سنحاول البحث في الأسباب التي تجعل المخيال الجماعي للمجتمع المضيف، يربط بين المهاجر العربي وبين التجارة، وبخاصة بين هذا المهاجر وبين قطاع النسيج، لدرجة أصبح العرب والمتحدرين منهم في الذاكرة الجماعية

التشيلية اليوم، شيئاً مرادفاً لتجارة النسيج. وسنقوم بذلك انطلاقاً مما تقدمه النصوص التاريخية والمقالات والكتابات التي تناولت الموضوع، وكذا من خلال ما حصلنا عليه من معطيات خاصة بهذه الدراسة، مثل نتائج الاستمارات التي وزعناها على رجال الأعمال والأكاديميين والطلبة الجامعيين المتحدرين من أصولٍ عربية.

إلى جانب هذا سنتوقف عند مساهمة العرب في التنمية الاقتصادية للتشيلي، وهي مساهمة تظهر في مجال التجارة والصناعة وعلى رأسها صناعة النسيج، كما تظهر في قطاعات اقتصادية أخرى.

ولفهم مسلسل اندماج العرب في المجتمع التشيلي، سنحاول وضعه في سياق أوسع هو اندماج العرب في المجتمع الأمريكي اللاتيني. وبحكم أن هذا السياق غير معروف بما فيه الكفاية من طرف القارئ، فإننا سنحاول شرحه بنوع من التفصيل، مع ربطه بالتحويلات التي عرفتتها المؤسسات الاقتصادية العربية في التشيلي خلال العشرين سنة الأخيرة، حيث سنجري مقارنة بين هذه المؤسسات في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، وفي الوقت الحاضر. مع إبراز اندماجها الاقتصادي الذي خضع، وعلى غرار غيرها من المؤسسات الاقتصادية، للتحويلات التي عرفتتها البنية الاقتصادية في البلاد منذ الثمانينيات، بعد تطبيق سياسة ما سمي بالانفتاح «على الخارج».

وإلى دراسة حالة المهاجرين، سنتوقف انطلاقاً من نتائج التحريات الميدانية، وكذا انطلاقاً مما تقدمه بعض المصادر، عند موضوع المتحدرين، حيث سندرس حضورهم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع التشيلي، وكذا بعض المظاهر المتعلقة بقيمتهم والتي قد تتباين بتباين انتمائهم المهني، وهنا سنبين على سبيل المثال أن الأكاديميين ورجال الأعمال لديهم قيم ومفاهيم مختلفة بعضهم عن بعض؛ كما قد تتباين بتباين انتمائهم الجيلي، وهنا سنبين أن الطلبة، وبحكم انتمائهم إلى جيل آخر، لهم مفاهيم وقيم مختلفة عن تلك التي لرجال الأعمال والأكاديميين.

وسنقوم بتقسيم العمل من الناحية المنهجية إلى ثلاثة محاور، سنتناول في المحور الأول، منها مسلسل الهجرة العربية المشكلة في الأساس من الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين، في بعده العام، إذ سنتطرق للأسباب الرئيسة التي أفرزت هذه الهجرة، وإلى سياقها الاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى التطرق لسياسات الهجرة التي نهجتها الحكومات التشيلية.

وستتناول في المحور الثاني، مراحل التطور العددي للهجرة العربية إلى التشيلي، حيث سنركز على العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، وهنا سنتوقف عند

مظاهر التباين والتمائل في مسلسل هذه الهجرة، وسننهي المحور بالحديث عن خصوصياتها السوسيو - ديمغرافية.

وسنخصص المحور الثالث، لبعض مظاهر الاندماج الاجتماعي للجالية العربية في التشيلي، إذ سيتم التطرق إلى مجموعة من الأحكام المسبقة التي لهذا المجتمع عن العرب، وكيف عرقلت مسلسل اندماجهم. في المحور نفسه سيتم الحديث عن الكيفية التي حافظ فيها بعض المهاجرين على تقاليدهم وعاداتهم، كما سيتم البحث في الأسباب التي جعلت المخيال الجماعي في التشيلي يربط بين المهاجر العربي وبين النشاط التجاري.

أولاً: السياق العام للهجرة العربية إلى التشيلي

١ - تحديد المفهوم

يقصد بعبارة الهجرة من الناحية الديمغرافية، تنقلات بشرية ينجم عنها تغيير إقامة الأشخاص المهاجرين من المكان الذي غادروه إلى المكان الذي حلوا به، والذي يوجد خارج حدود المنطقة الجغرافية التي غادروها^(١).

على ضوء هذا التعريف لا يمكن إدراج تنقلات الرحل ضمن ظاهرة الهجرة، لأنهم لا يتوافرون على مكان إقامة ثابت، كما لا يمكن إدراج التنقلات الموسمية، أو تلك التي تتم من أجل السياحة أو قضاء عطلة، لأنه في كل هذه الحالات مدة مغادرة المكان الأصلي وبالتالي مدة الإقامة في المكان الذي سيتم الانتقال إليه تكون محدودة. لا يمكن كذلك إدراج ضمن الظاهرة، التنقلات البشرية التي لا يغادر أصحابها الحدود الجغرافية للمنطقة التي ينتمون إليها. ويسمى البلد الذي تتم مغادرته ببلد الهجرة (País de emigración)، أما البلد الذي يتم الانتقال إليه فيسمى ببلد المهاجرة (País de inmigración).

لا توجد قاعدة عامة يمكن في ضوئها تحليل ظاهرة الهجرة، كما يحدث مع متغيرات ديمغرافية أخرى كالولادات والوفيات، ومع ذلك فالهجرة الحديثة كظاهرة، ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بعوامل ديمغرافية واقتصادية وسياسية وسوسيو - ثقافية.

عاشت المجموعات البشرية التي اعتمدت في قوتها اليومي في الماضي على القنص وجني الثمار، في حالة تنقل دائم بحثاً عن الرزق. ومع تقدم الوقت بدأ

Jacques Vallin, *La Demografía*, serie E; no. 41 (Santiago: Comisión económica para America (١) Latina y el Caribe, centro latinoamericano de demografía, 1994).

تقسيم العمل بين من يعيش على الزراعة ومن يعيش على الرعي، وهو ما فرض نماذج جديدة من الاستقرار والتنقل. وسوف تساهم الزراعة في مرحلة لاحقة، نتيجة طابع الاستقرار الذي ميزها، في الرفع من الكثافة السكانية للمناطق التي مورست بها. هذا المعطى قلل من تحرك البشر على الكرة الأرضية، بحيث أصبحت حياة الترحال مقتصرة على أولئك الذين يقيمون في المناطق غير المناسبة لممارسة النشاط الزراعي.

وبفضل فائض الإنتاج الذي سمحت به الزراعة، ظهرت أنشطة أخرى موازية في مناطق ممارستها نفسها، وما سمح بزيادة عدد السكان في تلك المناطق، كما سمح بزيادة الإنتاج وكميات ما يُنتج.

٢ - مرحلة التحولات الديمغرافية الكبرى

سمحت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا، بتطور الفلاحة والتجارة، كما سمحت بنمو المدن وازدهارها، في الوقت نفسه أفسحت المجال لظهور ما سمي بالحركة الاستعمارية. وقد نجم عن هذا المسلسل هجرات داخلية وخارجية مهمة، ساهمت في التحولات الديمغرافية التي عرفها العالم. ويتحكم في كلتا الهجرتين عنصران أساسيان هما: تزايد عدد السكان في المكان الذي يغادره المهاجر الذي يكون في حاجة إلى تحسين ظروف عيشه؛ ووجود ظروف اقتصادية مغرية في المكان الذي يهاجر إليه. هذه الحالة الأخيرة هي التي نسجلها لدى الأوروبيين الذين غادروا القارة العجوز نحو بلدان بعيدة على رأسها بلدان العالم الجديد، التي كانت الهجرة إليها سبباً في ظهور أنماط عيش وبنى اجتماعية جديدة، أمكن معها الحديث عن «قارة جديدة» بطابع جديد وبأجناس بشرية مختلفة الأشكال والألوان.

ترتبط الهجرة العربية من منطقة الشرق الأوسط إلى أمريكا، بسياق خاص تمثله الوضعية السياسية والعسكرية والمؤسسية التي كانت تعرفها منطقة الشرق الأوسط، وسياق عام تمثله الوضعية الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية للعالم الجديد، ففي ما يتعلق بالسياق الخاص، ازدادت مع تقدم الوقت حدة الأسباب التي تقف وراء الهجرة، أما في ما يتعلق بالسياق العام، فقد كانت الهجرة وراء إعادة هيكلة البلدان التي استقبلت المهاجرين، من خلال إدخال مفاهيم وأنماط عيش جديدة. وسوف نتوقف في هذا المحور، في الأساس، عند هذه النقطة الثانية، لنبين كيف أن الوضعية السياسية والثقافية والمؤسسية التشيلية، فرضت قدوم مهاجرين لهم من الخصوصيات ما لا نجده عند العرب، وهو ما جعل هؤلاء لا يتأقلمون بسهولة في بداية عهد الهجرة مع مجتمعهم المضيف.

عرف العالم على امتداد القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، نمواً اقتصادياً مطرداً كان وراء التحولات الطارئة في تركيبة وحجم وتوجه التجارة العالمية. وقد واكب هذا النمو ارتفاع سريع في ساكنة العالم. هذه الوضعية أفرزت توزيعاً جديداً للسكان، تجلّى في تنقلات بشرية مهمة إلى مناطق بعيدة جغرافياً من بينها القارة الأمريكية كما مرّ بنا^(٢)، بمعنى أن الأمر لم يكن مجرد مبادرات معزولة للأفراد، وإنما حركات واسعة شاركت فيها مجموعات بشرية مهمة. وسوف تتزامن الهجرة العربية إلى التشيلي مع تلك التنقلات البشرية المهمة التي ساهمت بشكل فعال في إعطاء شكل جديد لمجتمعات البلدان التي حلت فيها، وهي تنقلات اختصت بالمهاجرين الأوروبيين. وهنا تجب الإشارة إلى أن أوروبا عرفت خلال المرحلة التي نحن بصددتها تزايداً ديمغرافياً مهماً ناجماً عن تزايد الولادات وتراجع الوفيات^(٣). وهو تزايد أدى إلى ارتفاع الكثافة السكانية، وكذا إلى ارتفاع عدد الذين هم في سنّ العمل، في وقت لم تكن أوروبا التي عاشت هذه التحولات الحادة، تتوافر على سياسة واضحة المعالم بصددتها، تسمح بإيجاد فرص جديدة للشغل. ولعل هذا ما جعل المنفذ الوحيد للعديد من هو الهجرة. مقابل هذه الوضعية، كانت القارة الأمريكية تعرف حاجة ماسة لليد العاملة التي أصبح وجودها ضرورياً، للرفع من الكثافة السكانية الضعيفة جداً، ولتحقيق التنمية المنشودة.

كان السكان في أمريكا اللاتينية، ونأخذ هنا كنموذج التشيلي، قبل تدفق موجات الهجرة خلال المرحلة التي نحن بصددتها، ينقسمون في الأساس إلى مجموعتين: كبار ملاك الأراضي المنتمين إلى الأرستقراطية الحاكمة، وصغار الفلاحين. وكان الاقتصاد يقوم بدرجة أولى على تصدير المواد الأولية، وأهمها بالنسبة إلى التشيلي مادة البوتاسيوم.

ومن الأمور التي كانت وراء تشجيع الحكومات الأمريكية اللاتينية لهجرة الأوروبيين، انتشار الأفكار التنويرية التي عرفت أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر، بشكل واسع في أمريكا اللاتينية التي أصبح الأمل فيها معقوداً على تكرار التجارب

(٢) يمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الهجرة في أمريكا اللاتينية وجزر بحر الكاريبي: الهجرة القادمة من بلدان ما وراء البحار؛ والهجرة من منطقة إلى أخرى داخل القارة؛ والهجرة الجهوية داخل المنطقة نفسها.

(٣) مرت ساكنة العالم من ٩٠٠ مليون نسمة سنة ١٨٠٠ إلى ١٦٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٠٠، وارتفع معدل العمر من ٣٥ سنة عام ١٨٠٠ إلى ٥٠ سنة عام ١٩٠٠. هذا التزايد الديمغرافي كانت له انعكاسات متعددة من بينها ارتفاع الكثافة السكانية، وارتفاع عدد الذين هم في سنّ العمل، وهو ما شكل ضغطاً مهماً على سوق العمل.

التي عاشتها أوروبا أو الولايات المتحدة، لتحقيق التنمية المرجوة^(٤). غير أن اللافت للانتباه هو أن الحلول المقترحة كانت في العديد من الحالات ذات أبعاد عنصرية؛ فأمريكا اللاتينية، بحسب من اقترح هذه الحلول، وحتى تدخل عصر الحداثة، يتوجب عليها استئصال جذورها الثقافية المتخلفة والهمجية، والأخذ بالنموذج الأوروبي أو بنموذج الولايات المتحدة، على اعتبار أنهما الخياران الحضاريان الوحيدان. إن المشكل بحسب سياسة هذه الحكومات، هو وجود جنس متدن في القارة، أما الحلّ فهو استقدام المهاجرين الأوروبيين من دون غيرهم من «الأجناس المتدنية». لأن ذلك سيسمح في الارتقاء بالجنس البشري الموجود في أمريكا اللاتينية، كما سيسمح بتحقيق التنمية والحداثة، وسيسمح خصوصاً بظهور طبقة رأسمالية (غير فيودالية) تفتقدها هذه البلدان^(٥).

٣ - أسباب الهجرة

عادة ما يؤدي ارتفاع معدل الولادات إلى وجود نسبة من اليد العاملة أكبر من تلك التي يمكن أن يمتصها سوق العمل. هذه الظاهرة ذات الطابع الديمغرافي والاقتصادي تعتبر واحدة من الأسباب الرئيسة التي تقف وراء الهجرة، إلى جانب أسباب أخرى ذات بعد سوسيو - ثقافي أو سياسي. وقد عرف تاريخ البشرية ما لا يحصى من النزاعات السياسية والعسكرية والدينية والعرقية، التي أجبرت الأفراد والجماعات على الهجرة فراراً من المطاردة ومن السجن ومن الموت. وبجانب هذه الأسباب، هناك أسباب أخرى تتم فيها الهجرة استجابة لأغراض ذاتية، غير أن هذه، ومهما كانت طبيعتها، تدرج بشكل عام ضمن ما هو سوسيو - ثقافي.

لقد تنوعت أسباب الهجرة العربية من منطقة الشرق الأوسط إلى أمريكا اللاتينية خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، لكنها لم تخرج عن واحدة من الأسباب سالفة الذكر، وهذا ما تؤكدته مختلف الدراسات التي أنجزت في الموضوع، والتي تعتبر تلك الأسباب، المسؤول الأساسي عن «طرد» المهاجرين العرب من بلدانهم الأصلية، بحثاً عن فضاءات أخرى يمكن أن يحيوا فيها حياة أفضل.

دام عدم الاستقرار السياسي الذي عرفته الإمبراطورية العثمانية مدة طويلة، وعلى الرغم من أنه لم يكن متشابهاً في مختلف أرجاء البلاد، فقد تحملت تبعاته مختلف

Jorge Larraín, *Modernidad, razón e identidad en América Latina* (Santiago: Editorial Andrés (٤) Bello, [1996]).

Nicolás Palacios, *Raza chilena; libro escrito por un chileno y para los chilenos*, 2 vols., 2nd ed. (٥) ([Santiago]: Editorial chilena, 1918), pp. 146-147.

شعوب الإمبراطورية التي لم تجد من سبيل لتحسين وضعيتها غير الهجرة، في وقت باتت فيه نهاية الإمبراطورية وشيكة، بعد أن فشلت كل محاولات الإصلاحية وكُلّ مشاريعها الحديثة^(٦).

وبخصوص العرب، فإن الحيف الذي تعاملت به الإمبراطورية العثمانية مع رعاياها الذين لا يدينون بالإسلام، وهي الديانة الرسمية للإمبراطورية، كان سبباً حاسماً في هجرة العديد منهم إلى العالم الجديد. في هذا السياق يجب التذكير أن أوائل المهاجرين الشرق أوسطيين إلى هذه المنطقة من العالم، كانوا من المسيحيين^(٧).

لم يكن من السهل على المسيحيين تولي وظائف عمومية في فلسطين وسوريا ولبنان في عهد الأتراك، كما لم يكن بالأمر الهين تحقيقهم بعض الارتقاء الاقتصادي أو الاجتماعي^(٨). انطلاقاً من هنا، يمكن اعتبار «العامل الديني، والنزاعات المتكررة بين المسلمين وبين المسيحيين، وسياسة الحيف والتمييز التي استهدفت فيها الإمبراطورية العثمانية هؤلاء، عوامل جعلتهم أكثر استعداداً للهجرة من غيرهم من الطوائف التي تعيش في المنطقة»^(٩).

من جانب آخر، ساهم الاتصال الذي كان للمسيحيين العرب مع المؤسسات التربوية الغربية التي أنشئت في منطقة الشرق الأوسط، في فتح أعينهم على فضاءات جديدة، بدأوا معها يفكرون في هجرة ربما قد تسمح لهم بأن يصبحوا شيئاً آخر، أكثر من مجرد فلاحين بسطاء^(١٠). والواقع أن الاستعداد للعيش في مجتمعات أخرى لها قيم مشابهة، وإن لم تكن القيم نفسها، حفز من دون شك هؤلاء المسيحيين العرب على الهجرة، كما ساعدهم في مرحلة لاحقة على الاندماج في هذه المجتمعات، وعلى رأسها المجتمع التشيلي^(١١).

Lorenzo Agar Corbinos y Antonia Rebolledo Hernández, «La Inmigración árabe en Chile: (٦) Los Caminos de la integración,» dans: Lorenzo Agar Corbinos [et al.], *El Mundo árabe y América Latina*, memoria de los pueblos; 38 ([Madrid]: UNESCO; Liberatrias; Prodhufi, 1997), pp. 283-284.

Lorenzo Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y (٧) Santiago.» (Tesis de magister, planificación de desarrollo urbano y regional, universidad católica de Chile, instituto de estudios urbanos, Santiago, 1982).

María Teresa Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile,» (Tesis, (٨) psicólogo, universidad católica de Chile, Santiago, 1986).

Agar Corbinos, *Ibid.*, p. 47. (٩)

Myriam Olguín Tenorio y Patricia Peña González, *La Inmigración árabe en Chile* (Santiago: (١٠) Ediciones instituto Chileno Árabe de Cultura, 1990), p. 65.

(١١) صرح ٦٩ في المئة من المتحدرين من أصل عربي الذين شملتهم الدراسة الميدانية التي قمنا بإنجازها سنة ٢٠٠١، أنهم كاثوليك، بينما صرح ١٤ في المئة أنهم أرثوذكس.

٤ - سياسة الهجرة في التشيلي

منذ تأسيس الجمهورية، شكلت قضية الهجرة إحدى انشغالات الحكومات التي تعاقبت على السلطة في التشيلي، وذلك لما لها من أثر في عملية تهجين السكان. من هذا المنطلق حرص المسؤولون، بحسب ما تؤكد الوثائق والمصادر التاريخية، على أن تهم الهجرة أجناساً معينة من الأجانب^(١٢).

لم يعتمد الإسبان خلال المرحلة الاستعمارية النظام الرأسمالي الذي أصبح واقعاً يفرض نفسه آنذاك، وإنما نظاماً اقتصادياً نصف فيودالي تشكل الإقطاعات الشاسعة جوهره. لهذا بدأت الدولة التشيلية المستقلة بعد تكوينها^(١٣) تبحث، وعلى غرار بقية دول أمريكا اللاتينية، عن البديل الذي يمكن أن يحقق لها التقدم المنشود، والذي وجدت السبيل إليه في العلوم الأوروبية وفي التيارات الفكرية العقلانية^(١٤). وقد جعلت الحكومات الأمريكية اللاتينية الناشئة من الهجرة القادمة من أوروبا قاطرة لنقل الثقافة والعقلانية إليها، وبسبب ذلك حظي المهاجرون الأوروبيون بدعم ومباركة هذه الحكومات.

بدأ اهتمام الحكومات التشيلية المستقلة بقضية الهجرة منذ سنة ١٨٢٤، حيث أُدرجت وعلى امتداد القرن التاسع عشر، ضمن البرامج السياسية للدولة، وكانت الغاية منها في تلك المرحلة المبكرة، تعمير الأراضي الفلاحية ودعم تنمية اقتصادية وطنية. وبحسب المؤرخ سيرجيو فيلالوبوس (Sergio Villalobos) «كان البلد في حاجة إلى الأجانب، لأنهم أصبحوا يركون الاقتصاد من خلال إدخال تقنيات وآليات وأفكار جديدة إلى قطاع الأعمال وإلى سوق العمل. وقد حمل هؤلاء الأجانب معهم مفاهيم جديدة، وجدت في وسط متعطش للعلوم الحديثة تربة خصبة؛ بعبارة أخرى لم يكن هناك أي تعارض بين مجيء المهاجرين وبين ما تطمح إليه البلاد»^(١٥).

وسوف تقوم الحكومة التشيلية خلال القرن التاسع عشر، بالتعاقد لفائدة بعض

(١٢) يتعلق الأمر بتقرير يهم الهجرة الأجنبية إلى التشيلي أعد بطلب من الحكومة، من طرف لجنة مختصة ترأسها «فيكونيا مكينا»، أحد أكثر المثقفين التشيليين في القرن التاسع عشر، تحمساً للفكر الحدائني الأوروبي. انظر: Benjamín Vicuña Mackenna, *Bases del informe presentado al supremo gobierno sobre la : inmigración extranjera por la comisión especial nombrada con ese objeto* (Santiago: Imprenta Nacional, 1865).

(١٣) حصلت التشيلي على الاستقلال سنة ١٨١٨.

(١٤) Larráin, *Modernidad, razón e identidad en América Latina*, p. 145.

(١٥) Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y Santiago», p. 64.

الشركات والجامعات التشيلية، مع أطر من مختلف البلدان الأوروبية، للمساهمة في تحقيق التنمية الاقتصادية، والتقدم العلمي والتقني اللذين تطمح إليهما البلاد. من أجل ذلك أقدمت على تطبيق سياسة هجرة تمنح امتيازات إلى أشخاص أجانب يأتون إلى التشيلي لذلك الغرض.

لقد كان المهاجرون الذين يصلون التشيلي، مطالبين من جهة بتعمير الأراضي غير المأهولة التي ما زالت تعاني التخلف واستغلال ثرواتها، ومن جهة أخرى، بالمساهمة في الرفع من كميات الإنتاج في الفلاحة والمناجم والصيد البحري.

وبهدف الوصول إلى مستوى من التنمية شبيه بذلك الذي كانت تعرفه الدول الصناعية، وضعت الدولة مشروعاً حديثاً من بين أولوياته في المجال الديمغرافي، المرهنة على الهجرة الأوروبية، كما مرّ بنا، بخاصة الهجرة القادمة من أوروبا الوسطى التي غدت، بحسب النموذج الثقافي الذي أصبح مسيطراً في التشيلي، مقياساً لكل تنمية وازدهار ثقافي. انطلاقاً من هذا المعطى، كان لزاماً التمييز بين المهاجرين الأوروبيين وأولئك القادمين من مناطق أخرى، وهذا ما نستشفه من التقرير الذي قدمه عام ١٨٦٥ فيكونيا ماكينا (Vicuña Mackenna)^(١٦) للبرلمان، والذي لا يميز فيه فقط بين الأوروبيين وغير الأوروبيين، وإنما يصنف الأوروبيين أنفسهم بحسب منفعتهم للبلاد، فيضع في القمة الألمان والسويسريين والإيطاليين؛ ثم الأيرلنديين والاسكتلنديين والإنكليز؛ فالفرنسيين؛ وأخيراً الإسبان^(١٧).

ومن أقدم المبادرات التي قامت بها الحكومة في مجال الهجرة، سعيها منذ سنة ١٨٤٥ إلى استقطاب المهاجرين الألمان من أجل إقامة مستوطنات جنوب التشيلي. وعلى الرغم من أن ألمانيا في ذلك التاريخ، كان لا يزال فيها بعض مخلفات النظام الفيودالي، فإنها حققت إقلاصاً اقتصادياً وعلمياً سمح لها بأن تعيش حالة من الرخاء، وهذا ما جعل عبارتي الألمان والحدائة، بالنسبة إلى جمهورية التشيلي الناشئة، بمثابة مسميين لاسم واحد. وقد استقر المهاجرون الألمان في التشيلي بمناطق بلديفيا (Valdivia) و أوصورنو (Osorno) ويانكيهي (Llanquihue).

كانت هذه السياسة ترمي إلى الوصول إلى مستوى من التنمية شبيه بذلك الذي وصلته ألمانيا خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وبخاصة تحقيق استراتيجية اقتصادية وسوسيو - ثقافية، تهدف، من جهة، إلى دعم التنمية في قطاع

Vicuña Mackenna, *Bases del informe presentado al supremo gobierno sobre la inmigración extranjera por la comisión especial nombrada con ese objeto*, p. 145.

Olgún Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*, p. 219.

(١٧)

الفلاحة الصناعية، كما تهدف من جهة أخرى إلى جعل التشيليين يتشبعون بالتقاليد الألمانية في مجال العمل.

كان هذا المشروع يتلخص إذاً في تحويل أراض غابوية عذراء، إلى حقول صالحة للفلاحة بعد تسليمها إلى المهاجرين الألمان. من هنا يمكن القول إن الدولة التشيلية ومن خلال إنشاء مستوطنات ألمانية، راهنت على المساهمة الألمانية في تحقيق التنمية، وفي إدخال عوائد جديدة للمجتمع التشيلي. غير أن اهتمام الحكومات التشيلية بالهجرة الأوروبية لم يقتصر على الألمان، وإنما كان هناك تشجيع للهجرة الأوروبية بشكل عام، بخلاف الهجرة القادمة من الشرق الأوسط التي لم يكن لها أي حضور في السياسة الحكومية.

لقد عرفت السواحل الأمريكية أكبر موجات للهجرة في تاريخها بين عام ١٨٩٥ وعام ١٩٤٠، وبالنسبة إلى التشيلي فقد وصلت نسبة الأجنبي إلى أعلى معدلاتها سنة ١٩٠٧ عندما شكلوا ٤,١ في المئة من مجموع ساكنة البلاد^(١٨). إلا أن الأهمية العددية للأجانب في التشيلي خلال المرحلة التي نحن بصدددها، لم تصل إلى أهميتهم في بلدان أخرى مثل الولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين وكوبا.

ومن المظاهر التي تلفت الانتباه في مسلسل الهجرة العربية إلى التشيلي، طبيعة هذا المسلسل نفسها، فهي هجرة تمت بشكل عفوي، من دون وجود أية سياسة تشجع أو تضبط أو تبرمج وصول المهاجرين العرب، أو تسهل استقرارهم وإدماجهم في البلاد على غرار ما كان عليه الأمر مع المهاجرين الألمان. وهذا ما كان يعني أن العراقيين التي سوف تعترض حديثي العهد بالهجرة منهم، لن تقتصر على إيجاد عمل، وإنما ستمتد، ومع غياب أية مبادرة ترمي إلى تسهيل استيطانهم، إلى مجالات أخرى مثل مكان وكيفية الاستقرار. في ضوء هذا، كان تحقيق أي اندماج من طرفهم اعتماداً على سياسة الحكومة التشيلية في مجال الهجرة أمراً معقداً. بعبارة أخرى، كان عليهم أن يشقوا طريقهم في البلد المضيف اعتماداً فقط على إمكانياتهم الخاصة.

ثانياً: خصوصيات الهجرة العربية إلى التشيلي

١ - أولى سجلات الوصول

سوف يتبلور مسلسل الهجرة العربية داخل إطار معين، هو نفسه الذي شمل الهجرة الأجنبية بشكل عام، ويتمثل في الاستقرار بمناطق جغرافية قليلة السكان، ما

(١٨) المصدر نفسه.

يسمح بالمساهمة في التنمية الاقتصادية للبلد المضيف^(١٩). وبخصوص المعطيات الإحصائية، فإنه يتعذر معرفة الأعداد المضبوطة للأجانب، ومن بينهم العرب، الذين دخلوا التشيلي في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، لأن المصدر الوحيد الذي قد يقربنا من ذلك، وهو السجلات الرسمية، في حالة يرثى لها^(٢٠). أما بخصوص التقديرات، فإنها تجعل عدد الذين هاجروا من الشرق الأوسط إلى التشيلي بين عام ١٨٨٥ وعام ١٩٤٠، وهي أهم مرحلة في تاريخ الهجرة العربية إلى هذا البلد، يراوح بين ٨,٠٠٠ و١٠,٠٠٠^(٢١).

وتخبرنا إحصاءات السكان التي نظمت سنوات ١٨٥٤ و ١٨٦٥ و ١٨٧٥ و ١٨٨٥ بوجود مهاجرين توركوس^(٢٢) في التشيلي؛ بحيث يتحدث إحصاء السنة الأولى عن وجود شخصين يحملان هذه الجنسية، ويتحدث إحصاء السنة الثانية والثالثة عن وجود ثلاثة أشخاص يحملون الجنسية نفسها، غير أننا لسنا متأكدين من أن الأمر يتعلق بمهاجرين عرب. ولن نتحقق من وجود مهاجر عربي بالتشيلي إلا سنة ١٨٨١؛ يتعلق الأمر بفلسطيني لا تتفق هذه المصادر حول اسمه وهويته. ويمكن اعتبار سنة ١٨٨٥ بمثابة التاريخ الفعلي لبداية الهجرة العربية إلى التشيلي، إذ يتحدث إحصاء تلك السنة عن وجود ٢٩ مهاجراً «توركو»، لا نعرف كذلك أسماءهم ولا هويتهم. وعلى الرغم من أن هناك احتمالاً كبيراً أن يكون أغلبهم من العرب المشاركة، فمن غير المستبعد أن يكون فيهم من ينتمي إلى منطقة البلقان، الخاضعة هي الأخرى آنذاك للإمبراطورية العثمانية. غير أن ما هو مستبعد هو أن يكون هؤلاء المهاجرون من الأتراك، وذلك بالنظر إلى قلة عدد الذين جاءوا من تركيا إلى بلدان ما وراء المحيط الأطلسي، على امتداد تاريخ الهجرة إلى هذه المنطقة. وبالنسبة إلى أوائل المهاجرين العرب الذين نعرف أسماءهم، فإن تاريخ وصولهم التشيلي هو عام ١٨٨٨، ويتعلق الأمر بشخص سوري اسمه إبراهيم صفي، وآخر لبناني اسمه سانتياغو البيروتي.

من جانب آخر، لم تبدأ إحصاءات السكان التي نظمت في التشيلي بالتمييز بين

Agar Corbinos y Rebolledo Hernández, «La Inmigración árabe en Chile: Los Caminos de (١٩) la integración», p. 287.

(٢٠) من العوامل الأخرى التي تحول دون معرفة عددهم، وصولهم بجوازات سفر عثمانية، وعدم وجود سياسة هجرة خاصة بهم، على غرار ما كان عليه الأمر مع الأوروبيين.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.

(٢٢) أطلق على أوائل المهاجرين العرب الذين حلوا في أمريكا اللاتينية، لقب «توركوس» (أتراك)، لأنهم دخلوا بلدان القارة بجوازات سفر عثمانية.

المهاجرين العرب بحسب أصولهم الجغرافية إلا سنة ١٨٩٥، حيثُ نُعشر في إحصاء تلك السنة على خانات خاصة بمهاجرين قادمين من «تركيا الأوروبية»، و«تركيا الآسيوية» و«مصر» وشبه الجزيرة العربية. وستظهر ابتداءً من عام ١٩٢٠ والتي تتزامن مع نهاية حكم الأتراك في الشرق الأوسط، خانات جديدة تهم المهاجرين «السوريين»، و«الفلسطينيين»، و«اللبنانيين»، و«العرب»، و«التوركوس». ويشير إحصاء السنة المذكورة إلى وجود ٥,٥١٤ مهاجراً عربياً في التشيلي يتوزعون على النحو التالي: ١,١٦٤ فلسطينياً؛ و١,٢٠٤ سوريين؛ و١٥ لبنانياً؛ و١,٢٨٢ «توركو»؛ و١,٨٤٩ عربياً^(٢٣). وفي ما يتعلق بأكبر عدد من العرب سجل في إحصاء للسكان في التشيلي، فيعود إلى سنة ١٩٣٠، حيثُ يتحدث إحصاء تلك السنة عن وجود ٦,٧٠٣ مهاجرين عرباً^(٢٤).

لم يكن المهاجرون العرب يتوافرون على التكوين المهني الذي تريده السلطات في من يصل إلى البلاد، كما أنهم صنفوا ضمن مجموعات عرقية ذات انتماءات غير أوروبية. هذا وذلك أثاراً حفيظة المسؤولين، وبخاصة وأن وصولهم إلى التشيلي بأعداد مهمة تتزامن مع توقف سياسة الدولة المشجعة للهجرة^(٢٥)؛ ذلك لأنه ابتداءً من عام ١٩٠٧، وهي السنة التي وصلت فيها الهجرة العربية إلى التشيلي إلى أعلى مستوياتها، كان الاهتمام باستقدام الأجانب قد تراجع بشكل كبير. لكل هذه الاعتبارات لم يحصل العرب على أي دعم حكومي، من قبيل تخصيص أراضي لإقامة مستوطنات فلاحية مثلما حدث مع المهاجرين الأوروبيين.

٢ - مراحل الهجرة العربية إلى التشيلي

يمكن أن نميز على الأقل بين ثلاث مراحل من الهجرة العربية إلى التشيلي، تتزامن مع مجموعة من التحولات السياسية والاقتصادية والسوسيو - ثقافية التي عرفها هذا البلد.

أ - المرحلة الأولى: بين نهاية القرن التاسع عشر واندلاع الحرب العالمية

الأولى

تتزامن مع أوج استغلال مناجم البوتاسيوم شمال التشيلي. وبحسب الإحصاءات المتوافرة، دخل البلاد خلالها أكبر موجة من العرب، حيثُ وصلت

Olguín Tenorio y Peña González, Ibid., pp. 70-71.

(٢٣)

Agar Corbinos y Rebolledo Hernández, Ibid., p. 287.

(٢٤)

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٨٦.

النسبة إلى ٥١ في المئة من مجموع العرب الذين هاجروا إلى التشيلي، على امتداد تاريخ الهجرة العربية إليه. وكانت هذه الهجرة في الأساس خلال المرحلة السابقة لاندلاع الحرب العالمية الأولى. ومن خصوصياتها، أن النسب الممثلة للبلدان التي قدم منها المهاجرون، تتباين بحسب السنوات، وهكذا نسجل أن ٦٠ في المئة من هؤلاء العرب المهاجرين كانوا من اللبنانيين ودخلوا التشيلي ما بين عام ١٩١٠ وعام ١٩١٣؛ و٥٦ في المئة كانوا من الفلسطينيين الذين دخلوه ما بين عام ١٩٠٥ وعام ١٩١٤؛ و٢٧ في المئة كانوا من السوريين الذين دخلوه ما بين عام ١٩٠٩ وعام ١٩١٥.

ب - المرحلة الثانية: ما بين عام ١٩٢٠ واندلاع الحرب العالمية الثانية

من الناحية السياسية، عرفت التشيلي أثناءها سيطرة النخب المتأثرة في النموذج الأوروبي على الحكم، وكذا، وبحسب تعبير سيزار سيردا (Cesar Cerda)، «مشاركة غير مسبوقة للطبقة الوسطى في الحياة السياسية والنقابية، وذلك بهدف الحصول على مكتسبات تسمح في تحقيق نوع من الارتقاء الاجتماعي»^(٢٦). أما من الناحية الاقتصادية فقد تأثرت البلاد في تبعات الأزمة الاقتصادية العالمية وبتراجع إنتاج البوتاسيوم. في المقابل، بدأت تظهر بوادر صناعة وطنية، سمحت بتعويض عدد من المنتجات المستوردة بمنتجات مصنعة محلياً. وقد قام الرئيس أرتورو اليسندري بالما (Arturo Alessandri Palma) وكان يحكم بدعم من حزب التحالف الليبرالي، بتطبيق برنامج إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية، من ضمن أولوياته الاهتمام بالمدينة، والعمل على تطوير المراكز الحضرية. هذا البرنامج سيستفيد منه المهاجرون العرب بفضل ممارستهم التجارة، ما سمح لبعضهم بتحقيق نجاح اقتصادي وارتقاء اجتماعي^(٢٧).

ويقدم لنا «الدليل الاجتماعي للجالية العربية في التشيلي»، معطيات مفيدة لدراسة الحضور العربي خلال هذه المرحلة، ذلك لأنه أورد أسماء ٢,٩٩٤ عائلة عربية، وهو ما يمثل حوالى ١٥,٠٠٠ شخص بين مهاجرين ومتحدرين. وبما أن إنجاز هذا الدليل تمّ في بداية أربعينيات القرن العشرين، فقد كان معظم من

César Cerda Albarracín, *Historia y desarrollo de la clase media en Chile* (Santiago: Ediciones (٢٦) universidad tecnológica metropolitana, 1998), p. 88.

(٢٧) عاش العرب في التشيلي وفي مدة لا تتجاوز قرناً من الزمن، مسلسلاً اجتماعياً متكاملًا، بحيث إنهم خبروا كلّ مظاهر الحياة الاجتماعية: البؤس والغنى؛ التهميش والقبول، ويمكن القول إن مرورهم بهذه الثنائيات جعلهم في نهاية المطاف جزءاً لا يتجزأ من الطبقة الوسطى المستتيرة في التشيلي، كما منحهم إحساساً بالانتماء إلى هذا البلد، بل وإحساساً بالتجذر فيه.

أدرجت أسماؤهم فيه من المهاجرين: حوالى ٨٥ في المئة، مقابل ١٥ في المئة فقط من المتحدرين^(٢٨).

من جانب آخر يسمح الدليل سالف الذكر، بضبط الأصول الجغرافية للمهاجرين العرب، إذ نسجل أنه من أصل ٢,٩٩٤ عائلة، يشكل الفلسطينيون ٥١ في المئة؛ والسوريون ٣٠ في المئة؛ واللبنانيون ١٩ في المئة. إضافة إلى تحديد الانتماء القطري، يسمح الدليل كذلك بمعرفة المدن التي قدم منها أغلب المهاجرين، إذ نستنتج أن حوالى نصف المهاجرين السوريين قدموا من حمص، وحوالى ٧٠ في المئة من المهاجرين الفلسطينيين قدموا من بيت لحم وبيت جالا.

ج - المرحلة الثالثة: ما بعد الحرب العالمية الثانية

تراجعت الهجرة بشكل واضح من سوريا ولبنان بعد نهاية الحرب الكبرى، بسبب العلاقة المباشرة بالأحداث التي عرفتها المنطقة؛ فالتحولات السياسية فيها والتي بدأت مع سقوط الإمبراطورية العثمانية، ثمّ مع فرض الانتداب الفرنسي، وأخيراً مع استقلال البلدين، سمحت بنوع من التحسن التدريجي في وضعية الساكنة المسيحية التي ينتمي إليها السواد الأعظم من المهاجرين العرب في التشيلي. لكن وبخلاف تراجع عدد المهاجرين السوريين واللبنانيين، سوف يعرف عدد الفلسطينيين في التشيلي بعض التزايد خلال هذه المرحلة، والسبب كذلك الأوضاع السياسية في الوطن الأم؛ فتدفق اليهود على فلسطين، شكّل من دون شك عنصراً ساهم في طرد المهاجرين الفلسطينيين من ديارهم.

يسمح ما تقدمه المراحل الثلاث سالفه الذكر من أرقام، بالقول إن أهم تدفق للمهاجرين العرب إلى التشيلي تمّ في العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، وخصوصاً ما بين بداية القرن ونهاية العشرينيات. ذلك، لأنه ومنذ مطلع الثلاثينيات بدأت أعداد المهاجرين العرب بالتراجع، لتختفي بشكل كامل مع بداية الحرب العالمية الثانية. ويتحدث إحصاء السكان سنة ١٩٣٠ عن وجود ٦,٠٠٠ عربي في التشيلي، غير أنه لا يذكر شيئاً عن مكان ولادتهم، وهل يتعلق الأمر فقط بمهاجرين، أم كذلك بمتحدرين ولدوا في التشيلي؟

(٢٨) هذا ما خلصنا إليه، من خلال تحليلنا للمعطيات الموجودة بهذا الدليل. انظر: Ahmad Hassan: *Mattar, Guía social de la colonia arabe en Chile (Siria, Palestina y Libanesa)* (Santiago: [Ahues Hermanos], 1941).

٣ - مظاهر التماثل والتباين في الهجرة العربية إلى التشيلي

ارتبط إيقاع الهجرة العربية إلى التشيلي بالأحداث التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط، ذلك، لأن التمييز بين مراحل عرفت موجات هجرة مهمة، وأخرى عرفت تراجعاً في إيقاع الهجرة، ناجم، قبل أي شيء آخر، عن الأوضاع السياسية في الوطن. وهكذا نجد علاقة وطيدة بين انطلاق مسلسل الهجرة وبين سياسة الإقصاء التي نهجتها الإمبراطورية العثمانية حيال المسيحيين العرب. من هنا لا يمكن أن نربط، خصوصاً في المراحل الأولى، تراجع الهجرة العربية أو تزايدها إلى بلدان أمريكا اللاتينية بالسياسة التي نهجتها حكومات هذه البلدان حيال المهاجرين العرب، ذلك، لأن أبواب هذه البلدان بقيت مفتوحة في وجه العرب.

هناك مظاهر أخرى يجب إبرازها بصدد الهجرة العربية إلى التشيلي، على رأسها «سلسلة المناداة»، التي تحكمت في توزيعهم الجغرافي داخل التراب التشيلي. والعبارة تعني وكتفسير عام، أن المهاجر يتخذ قرار الهجرة بتحفيز من قريب أو صديق مهاجر ينتمي إلى القرية أو المدينة نفسها، يطلب منه الالتحاق به حيث يوجد^(٢٩). ذلك، لأن المهاجرين كان لهم «أقارب ومعارف في التشيلي، وهذا ما كان يسمح بالانتقال التدريجي لأفراد العائلة الواحدة، بحيث ينتهي الأمر بانتقالهم جميعاً إلى بلد المهجر نفسه»^(٣٠).

وقد سمحت «سلسلة المناداة» للمهاجر بمواصلة التواصل مع مواطنيه، وهذا ما ساعده وبشكل كبير على الحفاظ على نمط عيشه السابق، من هنا يمكن اعتبار الظاهرة من الناحية السيكولوجية تعويضاً لا يستهان به بالنسبة إلى المهاجر، عما فقدته من عوائد ومن ارتباطات روحية بالوطن نتيجة الهجرة^(٣١).

وبتبعنا للأصول الجغرافية للمهاجرين العرب في التشيلي، يتبين لنا أن أعداداً كبيرة منهم تنتمي إلى المناطق نفسها، وهذا ما يؤكد من جهة أن «سلسلة المناداة» كانت بدرجة أولى عائلية الطابع، ومن جهة أخرى، ميل العائلة العربية إلى الحفاظ على وحدتها حتى وهي بعيدة عن وطنها الأصلي. وهنا يجب أن نوضح أن العائلة العربية لا تُحتزل في الزوجين والأبناء، وإنما تضم كذلك الأقارب^(٣٢). من هذا

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٦٦.

Daniela Aboid Lahsen, «Construcción de una nueva identidad chilena-palestina.» (Tesis de licenciatura, historia, universidad finis terrae, escuela de historia, Santiago, 2001), p. 6.

Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile.» pp. 82-83. (٣١)

(٣٢) لمزيد من المعلومات عن تجربة حياة المهاجرين، في وطنهم الأصلي أولاً، ثم في التشيلي بعد ذلك، نحيل على الدراسة المتميزة التي أنجزتها الباحثة التشيلية من أصل عربي، نعيمة شاهين. انظر: Naima Chaín, *La Historia de mi madre* (Madrid: Editorial debate, 2001).

المنطلق يُعطي للترباط العائلي دور كبير جداً، إلى درجة يصبح معها قرار الهجرة والالتحاق بالعائلة في المهجر، التزاماً أخلاقياً من طرف من يقوم به، حيال بقية أفراد العائلة^(٣٣).

يتبين لنا إذاً أن هناك علاقة وطيدة ليس فقط بين «سلسلة المناداة» والمناطق التي استقر فيها المهاجرون العرب في التشيلي، وإنما كذلك بين هذه السلسلة والمناطق التي جاءوا منها. وهكذا يمثل القادمون من حمص ٤٦ في المئة من مجموع السوريين (يليهم بفارق شاسع القادمون من صافيتا بنسبة ٩ في المئة)؛ ويمثل القادمون من بيت جالاً ٣٦ في المئة، والقادمون من بيت لحم ٣٥ في المئة من مجموع الفلسطينيين. وكما كان للانتماء إلى المناطق الجغرافية نفسها انعكاس على المناطق التي سوف يستقروا فيها في التشيلي، كما كان له انعكاس على الكيفية التي تمّ فيها هذا الاستقرار، وكذا على الكيفية التي اندمجوا فيها وكذا المتحدرون منهم في المجتمع المضيف.

وبخلاف السوريين والفلسطينيين الذين ينتمون إلى مناطق جغرافية محددة، جاء اللبنانيون من مختلف أنحاء بلادهم، وهذا يعدّ من دون شكّ، أحد مظاهر التباين في الهجرة العربية إلى التشيلي. وبتوقفنا عند نتائج التحريات الميدانية التي قمنا بها سنة ٢٠٠١ حول المتحدرين من أصول عربية، ظهر لنا أن ٦٢ في المئة من الذين شملتهم الدراسة ينتمون إلى أصول فلسطينية؛ و٢٥ في المئة إلى أصول سورية؛ و٤ في المئة إلى أصول لبنانية؛ و٩ في المئة هم نتاج زواج مختلط بين مهاجرين من بلدين من البلدان الثلاثة التي انبثقت عنها الهجرة العربية إلى التشيلي^(٣٤).

كان السفر إلى أمريكا مغامرة طويلة تبتدئ مع قرار الهجرة الذي اتخذ في الوطن، والذي يعني تحويل فكرة الرحيل إلى واقع يصبح معه التثبيت بالأمل وتجاوز الخوف من المجهول أمراً لا مفرّ منه. هذه الأحاسيس تختلط وتتداخل في نفسية المهاجر، التي يتشابك فيها الحلم بغدٍ أفضل بالخوف والأسف على مفارقة الأهل، وبدء حياة جديدة في بلاد بعيدة لا يعرف عنها إلا النزر اليسير، هو ما كانت تتحدث عنه البعثات الدينيّة، وبعض السياح الغربيين الذين كانوا يزورون الشرق الأوسط^(٣٥). وتجربنا بعض الدراسات أن من الأمور التي كان يحرص عليها المهاجر قبل بدء رحلته، اقتناء ملابس عربية، وبطبيعة الحال جمع النقود اللازمة التي تسمح له بتغطية مصاريف سفره، وهذا ما كان يفرض عليه القيام

Daher, Ibid., p. 54.

(٣٣)

(٣٤) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (٨).

Olgún Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*.

(٣٥)

بعملية توفير لمدة من الزمن قبل إقدامه على السفر. وبالنظر إلى ما تمثله الروابط العائلية من أهمية كما مرّ بنا، فإن العائلة كانت تساهم عادة في تغطية تكاليف سفر أفرادها.

وبعد أن يصبح قرار الهجرة نهائياً، ينتقل المعني بالأمر عادة عبر القطار، من قريته إلى المدينة التي يوجد فيها الميناء الذي سيركب منه البحر، وهي بالنسبة إلى لبنان بيروت أو طرابلس؛ وبالنسبة إلى فلسطين حيفا أو يافا. وبسبب تواضع إمكانياتهم المادية، اعتاد المهاجرون السفر في الدرجة الاقتصادية، وكانت ظروف السفر في هذه الدرجة صعبة جداً؛ لأنه إضافة إلى رداءة الطعام، كانت الأماكن المخصصة للمسافرين، مرتعاً خصباً للحشرات والفتران وما شابهها^(٣٦).

وبعد توقف البواخر في الموانئ الأوروبية، يركب المهاجرون العرب بواخر أخرى أكبر منها، لمواصلة الرحلة عبر المحيط الأطلسي نحو العالم الجديد، وذلك باستعمال بطاقة السفر نفسها. هذه البواخر هي التي كان يسافر على ظهرها المهاجرون الأوروبيون كذلك. وكان التوقف في الموانئ الأوروبية على قصر مدته، يترك انبهاراً وانطباعاً غريباً لدى المهاجرين العرب الذين يرون لأول مرة أوروبا ونمط العيش الغربي، من لباس، وعمارات، وسيارات، وأشياء أخرى مشابهة. وهذا كله يسمح لهم بأخذ فكرة عن العادات الغربية التي لن تختلف كثيراً عن عادات البلدان التي ينوون الهجرة إليها.

وعلى الرغم من أن البعض منهم ينزل عند الوصول إلى أمريكا في ميناء ريو دي جنيرو، فإن أغلب الذين يقصدون التشيلي كانوا ينزلون في ميناء بوينوس آيريس، والتي جرت العادة أن يستقبلهم فيه أقارب أو معارف يقيمون في هذه المدينة الأرجنتينية حيث يشتغلون في التجارة. وقد كان هؤلاء يستضيفونهم في بيوتهم بضعة أيام، قبل أن يواصلوا طريقهم نحو مدينة مندوزا (Mendoza)^(*).

كانت الرحلة من مندوزا إلى التشيلي عبر جبال الأنديس^(٣٧) تتم على ظهر البغال برفقة دليل خاص، غير أنه ابتداء من سنة ١٩٠٨، ومع مدّ شبكة خطوط السكك الحديدية في المناطق المجاورة لجبال الأنديس، سيبدأ استعمال القطار. وسوف يزداد الاعتماد على القطار كوسيلة للنقل في هذه المنطقة ابتداء من سنة ١٩١٢، عندما

(٣٦) المصدر نفسه.

(*) مدينة أرجنتينية تقع غرب البلاد، على الحدود مع التشيلي (المترجم).

(٣٧) أعلى وأطول سلسلة جبلية في أمريكا اللاتينية، تمتد على مسافة ٨٠٠٠ كلم، تشمل البلدان التالية:

كولومبيا، وفنزويلا، والإكوادور، والتشيلي، والبيرو، وبوليفيا، والأرجنتين.

مُدَّتْ شبكة السكك الحديدية إلى محطة كوفيفاس (Cuevas) الأرجنتينية؛ فأصبح يكفي اجتياز أحد الأنفاق بواسطة القطار للوصول إلى محطة كراكوليس (Caracoles) التشيلية التي يتم انطلاقاً منها استعمال البغال من جديد لاجتياز جبال الأنديس، والوصول إلى مدينة خونكال (Junca). ولم يكن اجتياز جبال الأنديس بواسطة البغال بالأمر الهين؛ فهذه السلسلة تتصف بامتدادها وبوعورتها، وبخاصة الجليد الذي يكسوها والذي يبدأ بالذوبان منذ فصل الربيع، وعلى امتداد فترات طويلة من السنة، ما يجعل اجتياز الممرات الجبلية أمراً في غاية الخطورة. وكان المسافرون في هذه المناطق يعتمدون بدرجة أولى على تجربة البغالين الذين يعبرون بهم أربعة أيام متتالية جبال الأنديس قبل أن تنتهي الرحلة. وقد جرت العادة أن يجد المهاجرون العرب في هذه المناطق كذلك صديقاً أو قريباً في انتظارهم، لكن هذا لا ينطبق على أوائل المهاجرين، الذين اجتازوا الأنديس وحدهم ومن دون دليل، والذين وبحكم أنهم أول من وصل من أبناء جلدتهم إلى تلك الأراضي، لم يكن هناك قريب أو صديق في انتظارهم.

ثالثاً: الاندماج الاجتماعي للمهاجرين العرب

١ - خصوصيات المهاجر العربي

أ - دور العائلة الأبوية في حياة الجالية

أدت الروابط العائلية والأهمية التي يمنحها العربي للعائلة، دوراً حاسماً في قرار هجرته، وهذا ما تؤكد المعطيات التي يتضمنها الدليل الاجتماعي للعائلات العربية في التشيلي الذي يعود تاريخ إنجازه إلى سنة ١٩٤١، وكذا التحريات الميدانية التي قمنا بها سنة ٢٠٠١، حيث بينت نتائج الاستمارات التي وزعت على المتحدرين، أن نسبة مهمة منهم متزوجون من أفراد من الجالية نفسها، ويحتفظون بعلاقات وطيدة مع عائلة الزوج أو الزوجة. وقد سجلنا ذلك بخاصة مع المتحدرين من أصل سوري وفلسطيني الذين ينتمي أسلافهم، كما بينا من قبل، إلى القرية أو المدينة نفسها. وهنا تجدر الإشارة إلى أن قوة الروابط العائلية، والانتماء إلى القرية أو المدينة نفسها، لم يساهم فقط في رفع وتيرة ما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، وإنما كذلك في تحديد أماكن الاستقرار بعد الوصول إلى التشيلي، ذلك لأن «الالتحام القوي الذي يميز العائلة العربية، ووعي المهاجر بوجود التزام أخلاقي يربطه بأفراد المجموعة المنتمية للأصل نفسه، والكيفية التي كان أبناء الطائفة نفسها يتكثرون فيها في مكان واحد في الوطن، كلها عناصر تساعدنا على فهم الخصوصيات

السوسيو - اقتصادية التي ميزت مسلسل اندماج العرب في المجتمع التشيلي»^(٣٨).

ب - نموذج المهاجر العربي في التشيلي

يمكن اعتماداً على الدليل الاجتماعي للجالية العربية، تكوين فكرة عن نموذج المهاجرين العرب الذين حلوا في التشيلي؛ ويتعلق الأمر بشباب من جنس الذكور، أغلبهم عزاب، من دون مهنة أو تكوين معين^(٣٩)، يراوح عمر ٦٧ في المئة منهم بين ١٠ سنوات و ٣٠ سنة، تجمع بينهم خصوصيات مشتركة مثل الإقدام، وعدم الرضى بالبقاء في القرية الأصلية والافتناع بما توفره لهم من ظروف العيش. وبسبب ذلك يقررون الرحيل، مضحين بالعلاقات العاطفية القوية التي تجمعهم بالعائلة، وبالطائفة الدينية التي ينتمون إليها. غير أنهم في المهجر يحافظون بشكل كبير على تقاليدهم، بحسب ما يظهر من الالتزام الذي يربطهم بالعائلة وبالطائفة الدينية والذي يقون عليه جيلاً بعد آخر. هذا ما أكدته لنا التحريات الميدانية سألقة الذكر، إذ عبّر عن شملتهم الدراسة عن تقدير خاص للعائلة، وبالضبط لبعض المبادئ التي تحكم العائلة العربية مثل الإحساس بالمسؤولية، والجدية في العمل^(٤٠).

استناداً إلى ما سلف ذكره، نسجل أن ترك مسقط الرأس لم يكن يعني قطع صلة الرحم مع الوطن الأصلي^(٤١)، ذلك، لأن كثيراً قد هاجروا من أجل الحفاظ على نمط عيشهم وقيمهم الثقافية الأصلية، على اعتبار أن هجرة جزء من العائلة، كان يفرض الالتحاق بها لإعادة إنتاج النموذج الموجود في الوطن.

من جانب آخر، لعبت المرأة العربية دوراً أساسياً في الحفاظ على العادات وعلى الهوية الثقافية في المهجر. وبالرغم من أنها لا تكون من بين أوائل من يهاجرون من العائلة، فإنها سرعان ما تلتحق بهؤلاء، مساهمة بذلك في مسلسل الهجرة. وتؤكد بعض الدراسات التي تناولت الموضوع^(٤٢)، أن المرأة العربية تمثل في هذا المسلسل دور التابع؛ لأن وصولها إلى المهجر يتم فقط بعدما يصبح الأب أو الزوج في وضعية

Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y (٣٨) Santiago.» p. 25.

Olguín Tenorio y Peña González, Ibid., pp. 79-81. (٣٩)

(٤٠) اعتبر أكثر من ٦٠ في المئة من الذين شملتهم الدراسة، الإحساس بالمسؤولية إزاء القيم الأساسية في العائلة العربية، واعتبر ٣٦ في المئة من الطلبة؛ و ٢٢ في المئة من رجال الأعمال؛ و ١٥ في المئة من الأكاديميين، العمل الدؤوب من أجل الحفاظ على القيم الأساسية للعائلة العربية.

Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile.» pp. 55-61. (٤١)

Marcela Zedan, *La Presencia de la mujer árabe en Chile* (Santiago: Universidad de Chile, (٤٢) centro de estudios arabes, 1994), p. 41.

تسمح له باستقدام عائلته التي يرسل إليها المصاريف الضرورية لتغطية تكاليف السفر، وهكذا يلتحق بالمهاجر المتزوج، الزوجة والأبناء ذكوراً وإناثاً. غير أن أغلب المهاجرين كانوا من العزاب، إذ لم يتجاوز عدد المتزوجين نسبة ٩,٤ في المئة^(٤٣)، وهذا ما يعني، من جهة، أن النساء اللواتي حللن في التشيلي استقدمهن أبائهن وليس أزواجهن، ما جعل منهن في المهجر، جزءاً من العائلة التي تشكلت في الوطن والتي عادت إلى الالتحام في المهجر، ويعني من جهة أخرى أن العديد من النساء اللواتي حللن في التشيلي، فعلاً ذلك بعد طلبهن للزواج من طرف مهاجرين يرغبون في تكوين عائلة جديدة. وهنا - للإشارة فقط - عاد بعض الذين يبحثون عن زوجة من الأصل نفسه، وبعد أن توافرت لديهم الإمكانيات المادية، إلى القرية الأصلية بحثاً عن زوجة ترافقهم إلى التشيلي.

وبجانب الرغبة في التكتل العائلي، لعبت حاجة المهاجر إلى مساعدة أهل ثقته في نشاطه التجاري دوراً مهماً في استقدام عائلته. وقد جرت العادة أن يشتغل في المحل التجاري كل من الزوج والزوجة والأبناء، إضافة إلى أحد الأقارب.

كخلاصة لهذه النقطة، يمكن القول إن الهدف الأساسي للمهاجر العربي في بداية عهده بالهجرة، كان هو جمع الأموال اللازمة لاستقدام عائلته، أو العودة إلى الوطن واستثمار تلك الأموال في مشروع ما^(٤٤).

٢ - خصوصيات المجتمع المضيف

شجعت سياسة الحكومة في مجال الهجرة، المهاجرين المنتمين إلى بلدان أوروبا الوسطى على المجيء إلى التشيلي، هذه السياسة كان يقف وراءها، من جهة، التقدم التقني الذي عرفته تلك البلاد الأوروبية، ومن جهة أخرى، الانتماء العرقي لسكانها^(٤٥). وقد تحدثنا في ما سبق عن التصنيف الذي وضعه فيكونيا ماكينا للبلدان التي يستحسن استقدام المهاجرين منها، ويتضمن التصنيف نفسه الأنشطة التي يتوجب امتهاها من طرف الأجانب الذين تمنحهم الحكومة امتيازات خاصة، وبحسب هذا التصنيف كانت الأفضلية لرجال الأعمال والتقنيين والفلاحين والعمال^(٤٦).

Olguín Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*, p. 79. (٤٣)

Lahsen, «Construcción de una nueva identidad chilena-palestina», p. 93. (٤٤)

Agar Corbinos y Rebolledo Hernández, «La Inmigración árabe en Chile: Los Caminos de la integración», p. 287. (٤٥)

Antonia Rebolledo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950», *Historia*, vol. 28 (1994), pp. 64-66. (٤٦)

وبطبيعة الحال لم يكن للعرب وجود ضمن هذا التصنيف، سواء من حيث الانتماء الجغرافي أو من حيث النشاط المهني.

لقد أدرك العرب بعد وصولهم إلى التشيلي أن هجرتهم كانت إلى بلد متخلف مثل بلدانهم، ومع ذلك يتم إقصاؤهم وتهميشهم من طرف شعب لم يكن يمتلك مستوى ثقافياً أو اجتماعياً أحسن من مستواهم. نتيجة ذلك سينكمشون، بحسب دانييلا الحصن، على أنفسهم في أحياء خاصة في المدن التي استقروا فيها^(٤٧). هذا الطرح هو الذي تبناه كذلك المؤرخة أنتونيا ريبوييدو (Antonia Rebolledo) التي ترى أن العرب، وبسبب اعتبارهم من جنس أدنى، كانوا عرضة لانتقادات وتشهير وقدح. ويكفي التوقف عند بعض المقالات الصحافية، وكذا مواقف بعض المثقفين في بداية عهد الهجرة، ليتبين لنا كيف تم الاستناد إلى الجانب العرقي لاحتقار العرب وإقصائهم^(٤٨). غير أن هذه المواقف الراضية للعرب لم تحل دون دخولهم البلاد والاستقرار فيها، وممارسة الأنشطة الاقتصادية التي رغبوا فيها، وإدخال أبنائهم المدارس التشيلية.

ويمكن أن نميز في مسلسل اندماج العرب في التشيلي، بين الاندماج الاجتماعي والاندماج الاقتصادي، وعلى الرغم من ارتباط هذا وذاك ارتباطاً وثيقاً، فسيكون تركيزنا في هذا المحور بخاصة على الاندماج الاجتماعي. وهنا نود أن نتساءل مع ماريانا تيريزا ظاهر، هل وقع فعلاً صدام ثقافي بين المهاجرين العرب والمجتمع المضيف؟ وبخاصة مع قناعتنا بأن الانتماء الثقافي يكون حاسماً في تحديد درجة الاندماج. ولمحاولة الإجابة عن السؤال، سنتوقف عند مجموعة من النقاط ترتبط بتحديد الوسط الذي حدث فيه الاتصال الثقافي، والفترة التي تم فيها ذلك، والانتماء الاجتماعي للمجموعتين البشريتين المعنيتين في هذا الاتصال^(٤٩).

أ - إقصاء وأحكام مسبقة

يعود تكوين الأحكام المسبقة إلى الكيفية الاختزالية التي يمكن أن ننظر فيها إلى الشيء موضوع هذه الأحكام، اعتماداً على معلومات عامة أو ناقصة أو غير مضبوطة؛ معلومات مستقاة مما هو شائع في ثقافتنا؛ بمعنى أننا نحلل ثقافة الآخر انطلاقاً من ثقافتنا، متناسين أن ثقافة الآخر تستند إلى قيم ومبادئ مخالفة لما هو

Lahsen, «Construcción de una nueva identidad chilena-palestina.» p. 12.

(٤٧)

(٤٨) المصدر نفسه.

Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile».

(٤٩)

موجود في ثقافتنا. انطلاقاً من هنا نسجل أن المجتمع التشيلي قام بتقييم المهاجرين العرب اعتماداً على معاييرهم هو وقيمه الأخلاقية، وهذا ما جعل المواقف التي اتخذها منهم تأخذ بعداً تحقيرياً. هذه الصورة النمطية زاد في تكريسها إقبال العرب على ممارسة التجارة المتواضعة الأهمية، والتي أصبحت ملتصقة بشكل سلبي بالهوية الاجتماعية للمهاجر العربي^(٥٠).

استقر أوائل المهاجرين العرب في أحياء هامشية فقيرة، لذا كان يمسه ما يمس كل من يقيم بهذه الأحياء، غير أن الرفض اتجاههم كان أكبر، أولاً، لأنهم ينتمون إلى جنس مختلف، وثانياً، لحرصهم المفرط على التوفير، والاكتفاء في الإنفاق على الضروريات مثل الأكل وتكاليف الكراء، وثالثاً، لإقبالهم على العمل من دون توقف واعتمادهم في ذلك على أفراد العائلة، وهو ما يسمح بالإبقاء على المحل التجاري مفتوحاً بشكل شبه دائم. وكل هذا لم يكن ينظر إليه بطريقة إيجابية من طرف المجتمع التشيلي، بحيث ساهم في تكريس تلك الصورة النمطية التي عرقلت مسلسل اندماجهم.

من جانب آخر كان أوائل المهاجرين العرب الذين دخلوا التشيلي يحملون جوازات سفر عثمانية، وكان التشيليون وعلى غرار بقية الأمريكيين اللاتينيين، يجهلون الخصائص القومية والتاريخية والثقافية لمنطقة الشرق الأوسط، لذا واستناداً إلى جوازات السفر تلك، اعتبروا العرب أتراكاً، وأصبحوا يطلقون عليهم لقب «التوركوس». وبطبيعة الحال لم تكن التسمية تروق المهاجرين العرب نظراً إلى ما عانوه من احتلال وحيث من طرف الأتراك. لكن وكما يحدث دائماً، فإن الألقاب التي تطلق على الأشخاص وتبقى عالقة بهم، هي تلك التي تسبب لهم الإزعاج.

وتتحدث الدراسات التي تناولت الموضوع، عن وضعية الرفض والإقصاء التي كانت الجالية العربية عرضة لها في بداية عهد الهجرة، وهو رفض يستند إلى أحكام قيمة جاهزة وإلى مواقف مزاجية، أكثر من استناده إلى أسس واقعية. وما نسجله هنا، أن أحكام القيمة هذه، استهدفت أحياناً، وبالإضافة إلى المهاجرين، الجيل الأول من المتحدرين^(٥١). وقد كشفت لنا نتائج الاستمارة التي وزعناها على المتحدرين من أصل عربي في التشيلي سنة ٢٠٠١، أن هناك تقدماً واضحاً في مسلسل الاندماج، غير أن المشكل لم يختف نهائياً، إذ صرح ١٩ في المئة من رجال الأعمال؛ و ١٥ في المئة من الأكاديميين؛ و ٧ في المئة من الطلبة، أنهم يحسون بنوع من رفض المجتمع لهم. وعن الحمولة التي يمثلها لقب «التوركوس»، عبر ٥٥ في المئة من رجال

(٥٠) المصدر نفسه.

(٥١) المصدر نفسه.

الأعمال؛ و٤٣ في المئة من الأكاديميين؛ و٢٩ في المئة من الطلبة، أنه كان يسبب لهم وهم أطفال في المدارس، إزعاجاً عندما ينادون به من طرف زملائهم^(٥٢). وكانت تسمية «التوركو» تستعمل بخاصة في المدرسة، وهي من أولى الفضاضات التي يلتقي فيها الطفل بمحيطه الاجتماعي، غير أن مظاهر الرفض للعربي سجلت، بحسب الباحثة ماريّا تريزا ظاهر، في أماكن أخرى كذلك، بأشكال مختلفة، مثل الاستهزاء بمظهرهم ولباسهم وطريقة كلامهم وعيشتهم. وتشير الباحثة نفسها بخصوص وضعية الرفض هذه إلى ما يلي: «سلم عدد من مستجوبينا، أن المتحدرين من أصل عربي، وبغض النظر عن وضعيتهم الاجتماعية، لم يكن بميسورهم الارتقاء ليصبحوا من الطبقة العليا، ويستشهدون على ذلك بحكاية أحد النوادي التقليدية الذي كان بمثابة معقل للطبقة الأرستقراطية التشيلية؛ والذي بسبب حاجته إلى المال من أجل الاحتفاظ بمقره الفخم وسط المدينة، قبل ضمن أعضائه بعض «التوركوس الأغنياء»، لكن دخول هؤلاء إليه كان من أسباب فقدانه مظهره الأرستقراطي. ويبين لنا الرفض حيال العرب، ومنهم من كان من كبار أثرياء التشيلي، أن الارتقاء الاقتصادي في أمريكا اللاتينية لا يعني بالضرورة الارتقاء الاجتماعي»^(٥٣).

وكما سلفت الإشارة، ساهمت الصحافة وكذا بعض المثقفين، في تكريس وضعية الرفض التي كان المهاجر العربي عرضة لها في بداية عهد الهجرة، وكنموذج لهذه الصحافة، ما كانت تنشره يومية الميركوريو (*El Mercurio*) التي ربطت موقفها السلبي من العرب، بوضعيتهم الاقتصادية المزرية، وبعملهم من دون توقف^(٥٤)، وكنموذج للمثقفين، نورد موقف خواكين إدوارد بيبو (Joaquín Eduards Bello) الذي عبر عام ١٩٣٥ عن امتعاضه من المهاجرين العرب والسوريين واليهود، الذين بسببهم أصبحت بعض أحياء العاصمة سانتياغو^(٥٥)، «تغلب على بشرة ساكنتها السحنة السمراء»^(٥٦).

(٥٢) انظر ملحق هذا الفصل، الجدولان رقما (١٣) و(١٤).

Daher, Ibid., p. 76.

(٥٣)

Antonia Rebolledo Hernández, «La Integración de los inmigrantes arabes a la vida nacional: Los Sirios en Santiago.» (Tesis de licenciatura, historia, universidad católica de Chile, instituto de historia-pontificia, Santiago, 1991).

(٥٥) من بين هذه الأحياء «ريكوليتة» (Recoleta) و«سان دييغو» (San Diego) و«سان بابلو» (San Pablo).

(٥٦) يعبر موقف «خواكين إدوارد» عن جهله ليس فقط بالتركيبة الجنسية للعرب وبلون بشرتهم، وإنما كذلك بلون بشرة الأجناس المتساكنة بأمريكا اللاتينية وعلاقة ذلك بالطبقة الاجتماعية، وهو ما كان يؤخذ بعين الاعتبار منذ المرحلة الاستعمارية، حيثُ صنّف أصحاب البشرة البيضاء من ذوي الأصول الأوروبية الشمالية ضمن الطبقة العليا، وصنّف الزنوج والهنود الحمر ضمن الطبقات الشعبية. انظر: Rebolledo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950,» p. 107.

لقد عبر مثقفو بداية القرن العشرين بشكل عام، وهم من ممثلي الأوليغاركية الحاكمة، عن احتقارهم للمهاجرين العرب، هذا الاحتقار كان يمتد إلى كُـل شخص غير منتم إلى أوروبا الوسطى، بحيث يشمل سكان التشيلي الأصليين من الفقراء، و«العبيد الأجانب» و«المشاركة القادمين من بلاد بعيدة»، ومن هم في حكمهم^(٥٧).

ومع كُـل هذا، لم يصل الأمر إلى حملات مطالبة بطرد العرب من البلاد، كما لم يتعرضوا لأي نوع من أنواع الملاحقة المباشرة. والواقع أن تسجيل حالات ولو قليلة جداً من الزواج المختلط بين مهاجرين عرب ونساء من التشيلي في بداية عهد الهجرة، يدلّ على أنّه وعلى الرغم من الإقصاء والرفض الذي ووجهوا به من طرف المجتمع المضيف، كان يوجد - الزواج المختلط - بهذا المجتمع من قبلهم.

وكخلاصة بخصوص هذه النقطة، يمكن القول إن الرفض القائم على أساس عرقي والذي كان المهاجرون العرب وأوائل المتحدرين منهم عرضة له في بداية عهد الهجرة، يشكل جزءاً من التاريخ الاجتماعي للتشيلي، كما يمكن القول إن المجموعات الاجتماعية المرفوضة في المجتمع التشيلي، بالأمس واليوم، هي تلك التي لها خصوصيات بشرية مختلفة عن الخصوصيات التي تميز المجتمعات الغربية.

ب - المهاجر العربي في البيئة الجديدة

تعامل المجتمع التشيلي مع المهاجرين العرب كمجموعة بشرية واحدة، بحيث لم يميز بين من جاء من لبنان ومن جاء من سوريا أو من فلسطين، وهذا مرده بالأساس إلى الجهل التام بالثقافة العربية. على ضوء هذا، وبحسب ماريا تريزا ظاهر: «تم اعتبار المهاجرين العرب مجموعة تنتمي إلى ثقافة واحدة، على الرغم من أنهم قدموا من بلدان مختلفة، وينتمون إلى ثقافات متعددة من بين تلك الموجودة في منطقة الشرق الأوسط»^(٥٨).

لكن ومهما كانت درجة الاختلاف بين البلدان التي قدموا منها، فإن لهذه البلدان قواسم مشتركة بعضها مع بعض، كما إنّ لها قواسم مشتركة مع التشيلي كذلك، من بينها الوسط الطبيعي والظروف المناخية. وترى أنتونيا ريبوييدو أن:

(٥٧) بينت نتائج تحريات ميدانية تمّ إجراؤها سنتي ١٩٩٧ و ٢٠٠٠، حول «التسامح والعنصرية»، أن المواطن التشيلي في مختلف انتماءاته الاجتماعية يتعامل بعنصرية مع المجموعات العرقية المختلفة عنه، كما أنّه جاهل بهذه المجموعات وحقيقتها. انظر: *Primera encuesta intolerancia y discriminación: Informe y análisis* ([Chile]: Fundacion IDEAS, 1997), et *Segunda encuesta intolerancia y discriminación: Informe y análisis* ([Chile]: Fundacion IDEAS, 2002).

Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile.» p. 71.

(٥٨)

«المشهد الطبيعي ربما يكون من الأشياء القليلة التي تشبه ما هو موجود في الوطن»^(٥٩)، بينما يرى إيوخينيو شهوان أن التشابه بين التشيلي والبلدان التي قدم منها المهاجرون العرب، لا يقتصر على هذا العنصر، وإنما يمتد إلى أشياء أخرى لأن: «التأقلم السريع للعربي مع البيئة التشيلية، لا يمكن أن يفسر فقط بالتشابه الموجود في الوسط الطبيعي، وإنما كذلك بالتشابه الموجود في نمط العيش، من هنا لا يمكن اعتبار العربي الذي يستقر في التشيلي مهاجراً ينتمي إلى ثقافة غريبة، بل شخصاً حلّ ببلد لا يختلف كثيراً عن بلده الأصلي، بلد يعثر فيه على جذور عربية مترسخة»^(٦٠).

لا يمكن أن ننكر أن هناك مظاهر اختلاف واضحة بين التشيلي والبلاد العربية، ومع ذلك فإن الوجود العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية الذي استمرّ حوالي ثمانية قرون، كان وراء ظهور ميراث ثقافي لا يقدر بثمن، وصل صداه في ما بعد إلى أمريكا اللاتينية. من هنا ننظر نحن كذلك أن نقاط التشابه بين التشيلي والبلاد العربية لا تقتصر فقط على الوسط الطبيعي.

ومن أبرز نقاط الالتقاء، العنصر الدينيّ، فأغلب من هاجر من العرب إلى التشيلي كانوا من المسيحيين كما سلف ذكره، وعلى الرغم من أنهم من الأرثوذكس وليس من الكاثوليك كما هو حال ساكنة التشيلي، فإن المرجعية واحدة^(٦١)، وهذا ما سهل عليهم عملية الاندماج. ويظهر أن التشابه بين العقيدتين ساهم في اعتناق عدد من العرب ولا سيما المتحدرين، للديانة الكاثوليكية، بحيث بينت لنا نتائج الاستمارات أن ٦٩ في المئة من المتحدرين هم من الكاثوليك، مقابل ١٤ في المئة فقط من الأرثوذكس كما سلف ذكره^(٦٢).

إن الاختلاف الحقيقي بين المهاجر العربي وبين المجتمع المضيف، يسجل

Rebolledo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950.» (٥٩) p. 121.

Eugenio Chahuán, «Presencia árabe en Chile.» dans: *Revista chilena de humanidades* (٦٠) (Santiago: Universidad de Chile, facultad de filosofía, humanidades y educación, 1983), pp. 41-42.

(٦١) نحاشى الدليل الاجتماعي للجالية العربية سالف الذكر، التطرق للمعتقد الدينيّ للمهاجرين العرب، غير أن دراسات أخرى في الموضوع تناولت هذه النقطة.

(٦٢) صرح ٢٤ في المئة من الأكاديميين أنهم ليسوا من أتباع أية ديانة؛ وصرح ١٣ في المئة من الطلبة أنهم يدينون بديانة أخرى غير الأرثوذكسية أو الكاثوليكية وإن لم يحددوا ما هي؛ وصرح ٢٢ في المئة من رجال الأعمال أنهم يدينون بالأرثوذكسية، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بتلك المسجلة لدى المجموعتين الآخرين. انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (٢).

بالأساس في طبيعة المؤسسات السياسية والاقتصادية؛ ففي بلده، وبخلاف ما هو عليه الأمر في التشيلي، تشكل القرية نواة حياة الجماعة. وسوف يساهم ما سمي بـ «سلسلة المناداة» في الحفاظ على التواصل مع أبناء القرية وكذا في الحفاظ على نمط العيش الأصلي^(٦٣). وقد تمثل التحدي بالنسبة إلى المهاجر في التوفيق بين تقاليده الأصلية، وعوائد وأعراف جديدة وجدها في المجتمع المضيف، يسمح له في الأخذ بها بتفاعل أكبر مع أبناء هذا المجتمع.

كان مسلسل الاندماج بحسب ماريّا تريزا ظاهر، يتطلب التأقلم مع وسط ثقافي جديد، بحيث يتوجب على الشخص المعني: «التكيف مع نماذج ثقافية جديدة مختلفة عن نماذجه الأصلية، هذا التكيف فرضته عليه الحاجة إلى الاندماج المهني، وهنا نجد أنفسنا أمام ما يسمى بـ «حالة تلاؤم»، والتي تعني «أن شخصاً أو مجموعة بشرية معينة تنتمي إلى ثقافة أخرى، يمكنها التعايش مع أفراد المجتمع المضيف، لكن العلاقة بين المجموعتين تتحكم فيها القوانين والقواعد الاجتماعية وليس العلاقات الحميمة»^(٦٤).

بخلاف ذلك تحكم هذه الحميمة العلاقات بين أفراد الجالية نفسها، وهنا يؤدي التلاحم العائلي دوراً حاسماً في مسلسل الاندماج؛ فبالنسبة إلى حديثي العهد بالهجرة إلى التشيلي، كان الحصول على مكان للإقامة من الأمور التي تشغلهم أثناء رحلتهم. لذا فإن وجود أقارب أو أصدقاء يعتبر حلاً لهذا المشكل، لأن هؤلاء يقومون بإيوائهم أيام وصولهم الأولى، والتي يكونون خلالها بصدد أخذ فكرة عن البلد أو عن المنطقة التي سيستقرون فيها. وكان توفير الحماية لحديثي العهد بالوصول من طرف الأقارب وأبناء البلد، وتقديم الدعم لهم في مجتمع لا يعرفون عنه أي شيء، ما يدخل ضمن التقاليد العربية. وبهذا الشكل يصبح بحسب أنتونيا ريبيويدو: «التعاقد والتكافل أمراً ضرورياً لحظة الوصول إلى المهجر، بحيث يكفي أحياناً الأصل العربي ليتلقى المهاجر الجديد المساعدة اللازمة. وهذه الطريقة كان يتم الدمج التدريجي لحديثي العهد بالوصول وسط الجالية، وكان ينتهي بهم المطاف أحياناً بالسكن في الحي نفسه الذي تقطنه هذه الجالية»^(٦٥).

وتقربنا الباحثة نفسها من الجو الذي يعيشه حديثو العهد بالوصول في علاقتهم

(٦٣) Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile», pp. 82-83.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩.

(٦٥) Rebollo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950», p. 136.

مع أبناء قريتهم أو مدينتهم الذين سبقوهم إلى المهجر، من خلال ما سمعته من أحد مستجوبيها الذي يتحدث لها عن بعض مواطنيه من المهاجرين الجدد على النحو التالي: «تعرفوا بعد وصولهم على مواطن من بيت جالا يدعى بشارة برقوش، كان يعرف من الإسبانية ما يكفي ليحبر عما يريد قوله. وقد علمهم الضروري من الكلمات للتواصل مع السكان، حيث بدأ يطلب منهم تكرارها إلى أن استظهروها. في الوقت نفسه حدثهم عن بعض عادات التشيلي ونمط عيش أهله والوسيلة المثل التي يجب التعامل معهم بها»^(٦٦).

من جانب آخر، وعلى اعتبار البنية الأبوية الصارمة التي تميز العائلة العربية، لم يكن مسلسل الاندماج نفسه بالنسبة إلى الرجال والنساء؛ فهذه البنية تسمح للمرأة بلعب دور حاسم وأساسي في الحياة العائلية، لكن في الحياة العامة هذا الدور يضطلع به الرجل، الذي يتم تعامله مع المجتمع المضيف من خلال نشاطه المهني، ذلك النشاط الذي: «يمنح الفرصة لتعلم سلوكات جديدة. والواقع أن الأنشطة المهنية مثل التجارة، والتي تفرض احتكاكاً أكبر بين الأشخاص، هي التي تسمح أكثر من غيرها بتبلور عملية الثقافة»^(٦٧).

ومن العناصر المعرقة لعملية الاندماج وبخاصة بالنسبة إلى النساء، عدم الإمام بالإسبانية، ذلك لأن «الجهل باللغة الإسبانية كان من أولى الصعوبات التي اعترضت طريق حديثي العهد بالهجرة، وهو ما عرقل عملية اندماجهم في مجتمعهم الجديد. وقد أصبح الأمر أقل حدة بالنسبة إلى الذين وصلوا في مرحلة متأخرة، لأن عدم الإمام باللغة لم يعدّ يطرح بالأهمية، بفضل وجود مواطنيهم الذين لقنوهم الكلمات الأساسية للتواصل مع المجتمع»^(٦٨).

كان الشغل الشاغل بالنسبة إلى حديثي العهد بالهجرة هو العمل من دون كلل، «وكانوا يوفرون كلّ أرباحهم تقريباً، وذلك بهدف تحقيق أحلامهم التي تتلخص في إقامة محل تجاري خاص واستقدام العائلة، أو العودة إلى الوطن بثروة. والواقع أن كلفة عيشهم في المهجر كانت متواضعة جداً، إذ اقتصرت على الأكل ودفع الإيجار، ولم يكن هناك أي اهتمام بما دون ذلك من الكماليات مثل اللباس»^(٦٩).

ساعد العمل الدؤوب الجالية العربية على الاندماج، خصوصاً وأن هذا العمل

(٦٦) المصدر نفسه، ص ١٣٧-١٣٨.

Daher, Ibid., p. 22.

(٦٧)

Olgüin Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*, p. 91.

(٦٨)

(٦٩) المصدر نفسه، ص ٩٣.

كان هو أداة تواصلها وتفاعلها مع بقية مكونات المجتمع. وقد أظهر المهاجر العربي منذ البداية، رغبة واستعداداً للتفتح على أعراف وتقاليد وسلوكيات المجتمع المضيف، والذي يعتبر التواصل معه أمراً حتمياً لضمان الاستمرارية، لكن مع السعي دائماً إلى الحفاظ على العادات والتقاليد الأصلية.

٣ - جنسية الزوجة وقضية الاندماج

أ - الزواج داخل الجالية مظهر من مظاهر الحفاظ على الهوية

أقام أوائل المهاجرين العرب في الأحياء الهامشية للمدن، حيث سيعيشون صدمة ثقافية ناجمة عن طبيعة العلاقة بين الجنسين من التشيليين في هذه الأحياء. والحقيقة أن الريبة وعدم الثقة اللتين كان ينظر بهما المهاجر العربي إلى النساء التشيليات، مرده إلى جو التحرش الجنسي الشائع في الأحياء المذكورة، وكذا مفهوم العلاقة الزوجية في هذه الأحياء والذي يختلف تماماً عن ذلك الذي تعود عليه المهاجر العربي^(٧٠).

على الرغم من أن الجالية العربية كانت متفرقة في مختلف أرجاء التشيلي، وعلى الرغم من أن أغلب المهاجرين كانوا من الشباب العزاب كما مرّ بنا، فقد بقي الزواج خارج الجالية محدوداً جداً في البداية، ذلك، لأن نسبة الزواج المختلط خلال المرحلة الممتدة بين عام ١٩١٠ وعام ١٩١٩، لم تتجاوز ١١,٦ في المئة، وقد ارتفعت خلال المرحلة الممتدة بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٢٩ إلى ١٦,٣ في المئة^(٧١).

سمح الزواج داخل الجالية، للعائلة العربية بالحفاظ على عاداتها وتقاليدها ونمط عيشها بل وهويتها، وبحسب إحدى الدراسات التي تناولت الموضوع: «فضل العربي في بداية عهد الهجرة الزواج داخل الجالية نفسها، لأن علاقاته مع التشيليين كانت محدودة، وذلك، لأسباب متعددة من بينها عدم تمكنه من اللغة الإسبانية، وافتقاد الثقة المتبادلة بين المهاجرين العرب والتشيليين، بخاصة وهذا هو الأهم، عدم اقتناع العربي بفكرة الزواج من امرأة من غير بلده، بل من غير قريته، وغير معروفة لدى عائلته. وقد جرت العادة أن تقترح المجالس العائلية على الشاب عدة مرشحات ليختار بينهن، وحتى إن لم يقبل بأية واحدة منهن، فإن إمكانية العثور على زوجة تبقى موجودة وإن تضاءلت. إحدى هذه الإمكانيات هي حضور أنشطة الجالية التي يشارك فيها الشباب

(٧٠) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

Zedan, *La Presencia de la mujer árabe en Chile*, p. 6.

(٧١)

الذين هم في سنّ الزواج من الجنسين، كما إنّ هناك إمكانية أخرى أصبحت مع مرور الوقت شيئاً مألوفاً بين المرشحين للزواج من العرب في أمريكا، وهي الذهاب إلى الموانئ عند وصول البواخر التي تحمل عائلات عربية، بحيث يمكن العثور بينها على زوجة المستقبل. وحتى إذا لم تعطِ هذه الإمكانية النتيجة المرجوة، تبقى هناك إمكانية أخرى تتمثل في العودة إلى أرض الوطن للبحث عن زوجة»^(٧٢).

كانت الحاجة إلى الزواج داخل الجالية، تستجيب لرغبة في الارتباط بامرأة تنتمي إلى الأصل نفسه، ولها العادات نفسها، وللمرشح أحياناً معرفة سابقة بعائلتها. وكلّ هذا له دلالتة، ذلك لأنه يسمح للجالية العربية بالحفاظ على كيانها الاجتماعي وفي الوقت نفسه يضمن داخلها الاستمرارية وتعاقب الأجيال، وهنا يصبح الزواج وسيلة للحفاظ على عادات البلد الأصلي. وكان يؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار زوجة المستقبل رأي كلّ أفراد «مجلس العائلة» المقيمين في التشيلي.

تعتبر السلوكيات المتحكمة في زواج المهاجرين العرب في المهجر بشكل عام، ضرورية لقياس درجة اندماجهم في المجتمعات المضيفة بحسب مريثلا زيدان^(٧٣)، وكذا درجة حفاظهم على عاداتهم الأصلية. إن تطبيق هذا المعطى على المهاجر العربي في التشيلي، يدفع إلى القول إنّه يعيش حالة تناقض؛ فهو يعي أن استقراره في المهجر أصبح دائماً، ومع ذلك يحرص على الحفاظ على تقاليد الأصيلية ولو كان ذلك على حساب الاندماج، وهذا ما يعني وجود جذور تاريخية عميقة يصعب عليه التخلص منها. وقد كشفت لنا التحريات الميدانية أن نسب الزواج داخل الجالية مرتفعة جداً، إذ إنّ ٦٢ في المئة من المتحدرين من أصل فلسطيني و ٥٠ في المئة من المتحدرين من أصل سوري كلا أبويهم عرب^(٧٤). كما كشفت لنا التحريات نفسها معلومات تفصيلية أخرى بخصوص هذه النقطة، وسنكتفي كنموذج بذكر حالة الفلسطينيين على اعتبار أنهم يشكلون الأغلبية، فإذا ميزنا بين المجموعات المهنية الثلاث التي وزعنا عليها الاستثمارات، تبين لنا أن ٥٨ في المئة من رجال الأعمال؛ و ٣٥ في المئة من الأكاديميين؛ و ٥١ في المئة من الطلبة فلسطينيو الأبوين.

Olguín Tenorio y Peña González, Ibid., pp. 100-101.

(٧٢)

Zedan, Ibid., p. 6.

(٧٣)

(٧٤) نسجل بالنسبة إلى الفلسطينيين والذين يمثلون الأغلبية، أن ٣٨ في المئة من الذين شملتهم الدراسة، أحد أبويهم فقط من أصل فلسطيني، و ٦٢ في المئة كلا الأبوين من هذا الأصل، مقابل ذلك نسجل بالنسبة إلى السوريين أن ٥٠ في المئة أحد أبويهم من أصل سوري، و ٥٠ في المئة الباقية كلا الأبوين من هذا الأصل. انظر ملحق هذا الفصل، الجداول أرقام (٧)، (٨) و(٩).

غير أن تفضيل الزواج داخل الجالية لم يقتصر على المهاجرين، وإنما شمل المتحدرين أيضاً، والذين لا زال يحظى لديهم هذا الزواج وإلى اليوم بتقدير خاص، وإن كان ذلك التقدير يتباين من مجموعة إلى أخرى، بحسب الجنس والمهنة والسّن والانتماء الجيلي، كما أكدت لنا التحريات الميدانية. وهكذا تفضل النساء المتحدرات من أصل عربي من الأكاديميات، ومن سيدات الأعمال، أن يكون أزواج أو زوجات أبنائهن وبناتهن من أصل عربي، بخلاف ذلك لا تولي الطالبات المتحدرات من أصل عربي كبير أهمية للأصل عند التفكير في زوج المستقبل. وتفضل المنتميات إلى الأجيال الأولى من المتحدرات من اللواتي شملتهن الدراسة زواج أبنائهن أو بناتهن داخل الجالية، بخلاف المنتميات إلى لأجيال المتأخرة واللواتي هن أقل حرصاً على الزواج داخل الجالية. من جانب آخر، بينت لنا نتائج الاستمارات أن نسبة الذين يفضلون الزواج داخل الجالية أكبر لدى النساء منها لدى الرجال.

ب - الزواج خارج الجالية مؤشر من مؤشرات الاندماج

استمرّ الزواج من الأصل نفسه، السمة الغالبة بين عرب التشيلي طوال المرحلة الأولى من تاريخ الهجرة، وهو ما يفسر بالثقل الذي كانت تمثله الثقافة الأصلية لدى المهاجر العربي، ونية هذا المهاجر - وإن لم تتحقق - في العودة النهائية إلى قريته أو مدينته الأصلية.

وسوف تسجل حالات الزواج المختلط ارتفاعاً تدريجياً مع تقدم الوقت وإن بايقاع بطيء، ساهم في ذلك الانتماء الديني، لأنه وبالرغم من أن أغلب المهاجرين العرب من الأرثوذكس، وأغلب سكان التشيلي من الكاثوليك، فإن وجود مرجعية واحدة تمثلها المسيحية، سمح بحصول تقارب بين الطرفين^(٧٥).

ويعتبر الزواج المختلط مؤشراً أساسياً لقياس درجة الاندماج داخل المجتمع المضيف، ذلك لأنه يسهل الإقبال على عادات ذلك المجتمع. في دراسة لـ خمينة تابيا (Ximena Tapia)، يكون لمن يقبل على هذا الزواج: «ميل لهذه العادات، التي يسمح الأخذ بها، بتحقيق اندماج وتعايش مع المجتمع الذي أصبح منتمياً إليه. غير أن الأخذ بتلك العادات يبقى أحياناً على مستوى الخطاب، كما يؤكد تحليل تصريحات الذين شملتهم الدراسة، والتي يتبين منها أن العادات العربية حاضرة بينهم»^(٧٦).

Olguín Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*, p. 101.

(٧٥)

Ximena Tapia «La Sobrevivencia de la tradición emigrante entre los chilenos de ascendencia árabe.» (un estudio exploratorio y clasificatorio, universidad de Chile, centro de estudios árabes, 1982).

ويؤكد الإيقاع البطيء الذي صار به الزواج المختلط على امتداد مراحل الهجرة العربية إلى التشيلي، أن المهاجر العربي يتميز بسلوك محافظ، وأنه يحاول أن يبقى على عاداته وتقاليده من خلال انتقاء زوج (أو زوجة) من الأصل نفسه.

الجدول رقم (٢ - ١)

نسبة الزواج المختلط بين العرب والتشيليين، ١٩١٠ - ١٩٦٩

السنة	النسبة المئوية
١٩١٩ - ١٩١٠	١٢
١٩٢٠ - ١٩٢٩	١٤
١٩٣٠ - ١٩٣٩	٢٧
١٩٤٠ - ١٩٤٩	٣٦
١٩٥٠ - ١٩٥٩	٤٢
١٩٦٠ - ١٩٦٩	٥٣

المصدر: Ximena Tapia «La Sobrevivencia de la tradición emigrante entre los chilenos de ascendencia árabe.» (un estudio exploratorio y clasificatorio, universidad de Chile, centro de estudios árabes, 1982), p. 118.

يظهر الجدول رقم (٢ - ١) ارتفاعاً تدريجياً في نسب الزواج المختلط خلال السنوات الأخيرة من المرحلة التي يغطيها، بحيث إن النسبة لم تتجاوز ما بين عام ١٩١٠ و عام ١٩١٩، ١٢ في المئة من مجموع الحالات المسجلة داخل الجالية العربية^(٧٧)، بينما وصلت في العقد الممتد ما بين ١٩٦٠ و ١٩٦٩ إلى ٥٣ في المئة، وهذا ما يدل على أن مسلسل الاندماج سجل تطوراً ملحوظاً مع تقدم الوقت^(٧٨)؛ والسبب هو أن المهاجر لم يكن يمرّ في المراحل الأولى من الهجرة، على «تحمدي مواطنيه وتكسير القاعدة المعمول بها، والمتمثلة في عدم الزواج من خارج الجالية»^(٧٩).

وقد نجم عن تراجع الهجرة العربية إلى التشيلي منذ مطلع أربعينيات القرن

(٧٧) سجلت المرحلة الممتدة بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٩، وصول أكبر موجة من المهاجرين العرب إلى التشيلي على امتداد تاريخ الهجرة العربية إلى هذا البلد.

(٧٨) ومع ذلك احتفظ المتحدرون، وبخاصة المنتمون إلى الجيل الثاني، ببعض مظاهر البنية العائلية العربية، مثل تكوين عائلة مرتفعة العدد؛ بحيث بينت الدراسة الميدانية أن ٧٥ في المئة من رجال الأعمال؛ و ٥٩ في المئة من الأكاديميين المتزوجين، لهم ثلاثة أبناء أو أكثر.

(٧٩) Rebollo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950.»

p. 131.

العشرين، إقبال العديد من الذين هم في سنّ الزواج، ونسبة منهم من المتحدرين من أبناء الجيل الأول، على الزواج من أشخاص من غير أصل عربي، ما كان يعني الأخذ بنمط عيش وعادات من سيشكلون معهم عائلات جديدة، وهو ما بدأ معه مسلسل اندماج فعلي. في هذه الأثناء كانت فكرة العودة النهائية إلى الوطن قد أصبحت شيئاً بعيد التحقيق.

في الوقت الحاضر وبحسب الدراسة الميدانية التي قمنا بها، عبّر ٥٥ في المئة من رجال الأعمال؛ و٢٤ في المئة من الأكاديميين أنهم يفضلون زواج ابنهم أو ابنتهم من متحدر من أصل عربي، وعبّر ١٣ في المئة من الطلبة عن تفضيلهم أن تكون زوجة المستقبل من أصل عربي. هذه النسبة الأخيرة وعلى تواضعها، تبين استمرار وجود من يود، بين الأجيال المتأخرة، الحفاظ من خلال الزواج على التقاليد وعلى الجذور العربية^(٨٠).

رابعاً: التقاليد الأصلية والحضور في المجتمع المضيف

مع نهاية المرحلة الثانية من تاريخ الهجرة العربية، أصبح التعليم إجبارياً في التشيلي، وقد عرفت البلاد خلال السنوات الأخيرة من هذه المرحلة، ثمّ مع بداية المرحلة الثالثة (تمتد إلى سنة ١٩٧٣)، امتداداً في قاعدة الطبقة الوسطى، مرده إلى السياسة التي نهجتها الدولة في هذا السياق. وسوف يساهم التطور الذي شهدته المؤسسات التربوية، وكذا النمو الذي عرفته المدن، في تزايد عدد المنتمين إلى الطبقة الوسطى وفي تحقيقهم بعض الارتقاء الاجتماعي. وعلى غرار بقية مكونات المجتمع التشيلي، استفاد المهاجرون العرب والمتحدرون منهم من هذه الوضعية، هؤلاء المتحدرون تشبعوا، بطبيعة الحال، بنمط العيش وقيم المجتمع الذي ولدوا فيه^(٨١).

كان أغلب العرب في بداية عهد الهجرة يفكرون في العودة إلى الوطن الأصلي بعد الإقامة مدّة غير طويلة في التشيلي، ولعل هذا ما حدد نوع النشاط الذي مارسوه، والذي لا يفرض استقراراً طويلاً الأمد، كما لا يحتم أي تجذر أو ارتباط بالأرض التي هاجروا إليها، أو حاجة للاندماج في مجتمعاتها. والواقع أن هذه القناعة التي كانت لدى أوائل المهاجرين، تقف إلى حدّ ما وراء عدم سعيهم للاندماج بالمجتمع المضيف، وهو ما كان مصدر انشغال عدد من القائمين على الجالية العربية في التشيلي، الذين انتقدوا، من خلال جريدة عربية صادرة في سانتياغو، غياب

(٨٠) انظر ملحق هذا الفصل، الجدولان رقما (١٩) و(٢٠).

Cerda Albarracín, *Historia y desarrollo de la clase media en Chile*.

(٨١)

التضامن بين المهاجرين العرب، وغياب الرغبة لديهم في تحقيق الاندماج، ودعوتهم إلى نبذ التعصب، ومحاربة الجهل، وبذل مجهود من أجل تحقيق الاندماج في مجتمعهم المضيف. وسوف يدعو إلى بعض هذه الأمور كذلك، الأديب بنيدكتو شوقي في روايته التاريخية مذكرات مهاجر، حيث نقرأ عنده: «ألححت على ضرورة التكيف مع عادات البلاد التي تأويها ومع أعرافها، حتى لا نبقي على هامش المجتمع الذي نعيش فيه»^(٨٢).

والواقع أن الاندماج الفعلي للعرب في المجتمع التشيلي، لن يتحقق إلا مع تحول هجرتهم من مؤقتة إلى دائمة، وهنا نسجل أن هذا الاندماج كان وراء تراجع استعمال اللغة العربية في التخاطب خصوصاً بين المتحدرين. وتبين لنا الدراسة الميدانية التي أنجزناها سنة ٢٠٠١، أن المعرفة باللغة العربية ضعيفة جداً بين هؤلاء، وإن كان هناك تفاوت في درجة التمكن منها، بين المجموعات المهنية الثلاث التي شملتها الدراسة؛ حيث سجلت أعلى نسبة بين فئة الأكاديميين وأقل نسبة بين فئة الطلبة، وهذا ما يُفسر من دون شك انتماء هذه الفئة إلى أجيال متأخرة من المتحدرين، وإلى ارتفاع عدد أفرادها الذين ينحدرون من أصل عربي من جهة أحد الأبوين فقط^(٨٣).

من جانب آخر ولتسهيل عملية انصهارهم في المجتمع التشيلي، غير عدد من المهاجرين العرب أسماءهم الشخصية بل وحتى العائلية. هذه الخطوة تعبر عن موقف المهاجر من المجتمع المضيف، وفي الوقت ذاته عن موقف المجتمع المضيف من المهاجر؛ فحمل اسم مستمد من المجتمع المستقبل يسهل عملية التواصل مع هذا المجتمع، ويحد من أحكام القيمة التي له عن المهاجر، بل ويسمح بتعامل أكثر مرونة حتى في المجال المهني، وهنا سهل هذا المعطى النشاط التجاري للعرب في تعاملهم مع زبائنهم. وقد ترجم المهاجر العربي اسمه حرفياً إلى اللغة الإسبانية، أو حمل اسماً قريباً من اسمه سواء من حيث النطق أو من حيث المعنى، وهكذا أصبح حنا يدعى: خوان؛ وخلييل: خوليو؛ وعيسى: سلفادور، كما حمل أحياناً أسماء عائلية هي من صميم المجتمع التشيلي مثل فلوريس (Flores) وكامبوس (Campos) وغارثيا (García) ودياز (Díaz)^(٨٤).

(٨٢) Rebolledo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950», p. 123.

(٨٣) صرح ٢٦ في المئة من الأكاديميين؛ و٢٢ في المئة من رجال الأعمال؛ و١٥ في المئة من الطلبة، أنهم يستعملون اللغة العربية في التخاطب في بيوتهم.

Olgún Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*, pp. 101-102.

(٨٤)

- المتحدرون وتجدد الحضور في المجتمع التشيلي

بسبب التراجع العددي الكبير الذي عرفته الهجرة العربية انطلاقةً من المرحلة الثالثة، أصبحت الجالية مشكلة في الأساس من المتحدرين الذين نتيجة حضورهم المكثف في المجتمع الذي ولدوا فيه، لهم خصوصيات ثقافية مختلفة عن تلك التي كانت لدى الآباء^(٨٥). وتبين لنا المعطيات الإحصائية المتوافرة، الكيفية التي وقع فيها تجدد الأجيال داخل الجالية العربية، إذ يجعل الدليل الاجتماعي للجالية الصادر سنة ١٩٤١، ٨٥ في المئة من أفرادها من المهاجرين و١٥ في المئة من المتحدرين؛ بينما يجعل إحصاء سنة ١٩٧٠، ٨٦ في المئة من أفرادها من المتحدرين و١٤ في المئة فقط من المهاجرين^(٨٦). أما الدراسة الميدانية التي أنجزناها سنة ٢٠٠١، والتي توقفنا فيها فقط عند المتحدرين، فقد كشفت لنا أن ٣٤ في المئة من هؤلاء ينتمون إلى الجيل الثاني؛ و٤٨ في المئة إلى الجيل الثالث؛ و١٨ في المئة إلى الجيل الرابع. والاستمارات نفسها بينت لنا أن مجموعتي «الأكاديميين» و«رجال الأعمال» الذين يراوح معدل عمرهم بين ٥١ و٥٤ سنة، ينتمون في أغلبهم إلى الجيلين الثاني والثالث، في حين تنتمي مجموعة الطلبة في مجملها، والتي يقدر معدل عمرها بـ٢٣ سنة، إلى الجيلين الثالث والرابع؛ بحيث إن ٥ في المئة فقط من أفرادها ينتمون إلى الجيل الثاني^(٨٧).

وبخصوص الانتماء الأبوي إلى الأصل العربي، كشفت لنا نتائج الاستثمارات نفسها أن ٢٦ في المئة من الحالات المدروسة يتحدر أصحابها من أصل عربي من جهة الأب، و١٣ في المئة من جهة الأم، و٦١ في المئة من جهتي الأب والأم. إلا أنه داخل هذه النسب نسجل تبايناً بين المجموعات الثلاث موضوع الدراسة؛ بحيث في ما يتعلق بأن كلا الأبوين عريبان، تصل النسبة إلى ٨٦ في المئة لدى رجال الأعمال، و٥٣ في المئة لدى الأكاديميين، بينما لا تتجاوز لدى الطلبة ٢٨ في المئة^(٨٨).

من غير المستبعد إيجاد علاقة بين المهنة والنسب المسجلة بخصوص الانتماء الأبوي للأصل العربي؛ فوجود نسبة مرتفعة من رجال الأعمال ممن كلا أبويهما عربيان، يعود من دون شك إلى العلاقة الوطيدة القائمة بين المهنة التي يمارسونها، وتلك التي تمارسها الجالية العربية بشكل عام، والتي لم تخرج عن مجال الأعمال

(٨٥) من العناصر الأساسية التي ساهمت في تكوين الهوية الثقافية لهؤلاء، هناك الوسط العائلي وهو عربي، ثم هناك المدرسة وهي تشيلية.

(٨٦) Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y Santiago,» pp. 74-75.

(٨٧) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (٦).

(٨٨) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (٧).

بمستوياته المختلفة، ووجود نسبة مرتفعة من الأكاديميين ممن أحد أبويهما غير عربي، يعود لكون ولوجهم الجامعة ثم الوظيفة العمومية بعد ذلك، سمح بتواصل أكبر مع زملاء من خارج الجالية، هذا التواصل تطور في عدد من الحالات إلى علاقات زوجية؛ أما وجود نسبة منخفضة من الطلبة ممن كلا أبويهما عربيان، فيعود إلى التطور الحاصل في مسلسل الاندماج مع تعاقب الأجيال^(٨٩).

تعبر النسب التي أوردناها في هذا المحور بشكل عام عن طبيعة اندماج المتحدرين من أصل عربي في المجتمع التشيلي، إذ تزداد أهمية هذا الاندماج بازدياد تفاعلهم معه، سواء على مستوى الممارسة المهنية، أو على مستوى قيم وأعراف هذا المجتمع التي يتبنونها.

لكن من جانب آخر يظهر أن الأهمية التي يمنحها المهاجرون وكذا المتحدرون للعادات والتقاليد العربية، تؤكد مدى تقديرهم لهذه التقاليد، ومن أبرز ما يتم التشبث به هناك، الموسيقى والطبخ العربيان. وقد بينت لنا نتائج الاستمارات بخصوص المتحدرين، أن ٩١ في المئة من الأكاديميين؛ و ٩٥ في المئة من رجال الأعمال؛ و ٩٠ في المئة من الطلبة يتشبثون بهذه التقاليد^(٩٠).

خامساً: التوزيع الجغرافي للجالية العربية في التشيلي

بخلاف بقية بلدان أمريكا اللاتينية التي نمت فيها المدن بشكل عشوائي نتيجة التمركز الكبير للسكان في أماكن بعينها، والذي تم أحياناً حتى قبل بداية ما سمي بمرحلة التنمية الصناعية، خضع نمو المدن في التشيلي لنوع من التخطيط منذ مرحلة مبكرة، ما سمح بعدم تمركز السكان في المراكز الحضرية بالوتيرة نفسها لبقية بلدان القارة. وهكذا لم تكن نسبة المستقرين في العاصمة سانتياغو سنة ١٩٠٧ تتجاوز ١٠ في المئة من مجموع ساكنة البلاد، وقد زادت النسبة إلى ١٦ في المئة سنة ١٩٣٠. وبخصوص المرحلة الراهنة وعلى الرغم من أن النسبة ارتفعت عما كانت عليه من قبل، فإن هذا الارتفاع تميز بإيقاع بطيء، إذ سجل إحصاء عام ١٩٩٢ أن ٣٩ في المئة من سكان البلاد يقيمون في ما يسمى بالمنطقة المتروبولية (العاصمة والمدن المجاورة لها). وسوف ترتفع النسبة بعد عشر سنوات من التاريخ الأخير إلى ٤٠ في المئة كما بين إحصاء سنة ٢٠٠٢.

(٨٩) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (٧).

(٩٠) صرح ٥٩ في المئة من الأكاديميين؛ و ٧٢ في المئة من رجال الأعمال؛ و ٥٦ في المئة من الطلبة أنهم يستمعون إلى الموسيقى العربية في أوساطهم العائلية. انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (١١).

وعلى غرار بقية الهجرات القادمة من المناطق البعيدة، استقر المهاجرون العرب في التشيلي في مناطق محددة، ساهم في ذلك بدرجة أولى ما سمي بـ «سلسلة المناداة»، والتي نجم عنها اشتغال حديثي العهد بالهجرة في المحل التجاري لمن بعث في طلبهم، كما ساهم فيه حاجتهم إلى التكتل، لإحساسهم بأنهم حلوا بيئة جديدة، نمط عيشها مختلف عن نمط عيشهم، إضافة إلى ذلك ساهم فيه رغبتهم في إعادة بناء النموذج الاجتماعي للقرية الأصلية في المهجر. على ضوء هذا ستيبناين تمركز أو تشتت المهاجرين العرب على التراب التشيلي بحسب المناطق التي ينتمون إليها في الأصل، وهذا عنصر في غاية الأهمية إذا أخذنا بعين الاعتبار خصوصيات كل واحدة من المجموعة العربية المهاجرة.

وقد استقر أوائل المهاجرين العرب في الأحياء الهامشية في منازل متواضعة، كما مرّ بنا، كانت عادة ما تؤوي أشخاصاً يجمع بينهم عنصر القرابة. بهذه الطريقة وبشكل تدريجي، بدأ نوع من تمركز العائلات العربية في شوارع بعينها. وقد صار الاستقرار في الأحياء الهامشية للمدن ظاهرة عامة، شجع عليها كونها تسمح بالتخفيف من أعباء تكلفة العيش.

كان الاستقرار بأمكان معينة في مدن وقرى الشرق الأوسط خلال المرحلة التي نحن بصدددها، يخضع لعنصر القرابة أو على الأقل لعنصر الانتماء للديانة نفسها. وكانت العائلات التي تتقاسم المجال، تمارس أحياناً المهنة نفسها وبالتالي لها مستوى دخل متشابه. وكلّ هذا يعني أن المدينة في الشرق الأوسط هي مجموعة من الطوائف المستقل بعضها عن بعض، لا وجود فيها للإحساس بالانتماء إلى المدينة أو الوفاء لها، وإنما هناك إحساس بالانتماء والوفاء للعائلة وللطائفة الدينية. هذه العناصر أثرت في التوزيع الجغرافي للعرب في التشيلي، ذلك لأن الحاجة إلى التعاون مع القريب أو مع ابن الطائفة الذي يمارس هو الآخر التجارة، يجعل الاستقرار في منطقة إقامة هذا الأخير نفسها أمراً ضرورياً^(٩١).

وقد فضل المهاجرون العرب الذين ينتمون في الأصل إلى المراكز الحضرية الاستقرار في المدن، بخلاف أولئك الذين ينتمون إلى المناطق الريفية، والذين فضلوا وبشكل عام الاستقرار في القرى أو المدن الصغيرة^(٩٢)، لكن وباستثناء العاصمة سانتياغو، لا نسجل تمركزاً كبيراً للعرب في مناطق بعينها من التراب التشيلي.

Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y (٩١) Santiago.» pp. 23-25.

(٩٢) المصدر نفسه.

ويقدم لنا الدليل الاجتماعي لسنة ١٩٤١، معطيات معبرة بخصوص أهمية تمركز العائلات العربية في مدينة سانتياغو بحسب انتمائهم الجغرافي؛ إذ كان يقيم فيها في السنة المذكورة ٥٧ في المئة من السوريين، و٣٦ في المئة من الفلسطينيين، و٢٥ في المئة من اللبنانيين. ومع ذلك فقد عرفت المرحلة التي يتحدث عنها الدليل تراجعاً في عدد العرب المتمركزين في المدينة مقارنة بالمراحل السابقة. ويُقدّم لنا الدليل نفسه معلومات بصدد المناطق التي ينتمي إليها أغلب المهاجرين في كلّ واحد من البلدان التي قدموا منها؛ بحيث قدم ٤٦ في المئة من السوريين من حمص، وهي المدينة التي لها خصوصيات حضرية أكثر من أي مدينة أخرى من المدن السورية التي ينتمي إليها المهاجرون العرب في التشيلي، بينما قدم أغلب الفلسطينيين من بيت لحم وبيت جالا. لكن وبخلاف حالة السوريين والفلسطينيين، لا نسجل لدى اللبنانيين انتماءً جغرافياً إلى مناطق محددة، كما لا نسجل تمركزهم في مناطق معينة في التشيلي بالأهمية نفسها لتمرکز السوريين والفلسطينيين^(٩٣).

ويكشف لنا الدليل كذلك، أن العرب الذين استقروا في العاصمة التشيلية، وكانوا يمثلون سنة صدوره، حوالي ٤٠ في المئة من مجموع عرب التشيلي، تمركزوا أساساً في ثلاث مناطق بالمدينة هي: حيّ ريكوليتا (Recoleta) (٢٦ في المئة)؛ وحي سان بابلو (San Pablo) (١٦ في المئة)؛ ووسط المدينة (١١ في المئة). أما أكبر تمركز في حيّ بعينه لمهاجرين عرب ينتمون إلى البلد نفسه، فنسجله لدى الفلسطينيين حيث يقيم ٣٧ في المئة من الذين استقروا في العاصمة في ريكوليتا. وإلى الوقت الحاضر، وعلى الرغم من التزايد العددي الكبير للتجار الكوريين، فإن ذكر منطقة مابوشو (Mapocho) شمال سانتياغو^(٩٤)، وبالضبط شارع باتروناتو (Patronato) هو بمثابة ذكر للعرب^(٩٥)، والسبب هو أن هؤلاء كانوا وراء ازدهار التجارة في المنطقة، كما أنهم أنشأوا هناك أولى المؤسسات الصناعية.

وسوف تعرف مناطق تمركز العرب في العاصمة التشيلية بعض التغيير مع المتحدرين؛ إذ نسجل مثلاً أن ١٦ في المئة منهم يقيمون بحي نيونوا (Ñuñoa) الراقي والواقع شرق المدينة (نسبة أعلى بكثير من تلك التي يمثلها المهاجرون). وهو ما يعني ترك عدد من العرب وبخاصة المتحدرين، الأحياء الشعبية التي أوتهم في بداية عهد

(٩٣) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٩٤) تضم شوارع «باتروناتو» (Patronato)؛ و«إنديبينديشا» (Independencia)؛ و«ريكوليتا» (Recoleta) وضواحيها.

(٩٥) المصدر نفسه، ص ١٢٣-١٢٨.

الهجرة، نحو أحياء الطبقة المترفة، بعد تحسن مستوى معيشتهم^(٩٦).

ويرتبط انتقال العرب الذين لم يمكثوا في سانتياغو وقت وصولهم التشيلي للاستقرار في مختلف المدن الأخرى، من دون شك بسياسة التنمية الحضرية التي عرفت بها البلاد منذُ مرحلة مبكرة والتي سمحت بنشوء عدد مهم من المدن، أما استقرارهم في القرى، وبخاصة المتوسطة الأهمية، فيرتبط بممارستهم للتجارة المتجولة، لأنهم إضافة إلى إيصال منتوج المدن إلى هذه القرى المتوسطة، كانت بالنسبة إليهم بمثابة قاعدة للتوغل نحو القرى الصغيرة التي أصبح لهم فيها كذلك زُبنٌ والتي حرصوا أن يوصلوا إليها أكبر قدر ممكن من أنواع السلع^(٩٧) وبوصولهم إلى تلك المناطق النائية، أظهرها «قدرة كبيرة على الاندماج في القرى الصغيرة وفي العالم القروي عامة، بعد تأقلمهم مع خصوصيات ذلك العالم بما فيها المناخية»^(٩٨).

بهذه الطريقة إذاً استقر العرب في مختلف أنحاء البلاد، وبحسب دراسة في الموضوع: «في ١٩٤٠ كان في كُلِّ قرية من قرى التشيلي مهما صغرت، عائلتان عربيتان على الأقل، وهي عادة من البلد نفسه، بل ومن المدينة أو القرية نفسها، وهذا يعني أن الاستقرار في مكان معين تتحكم فيه روابط القرابة والصداقة. وعلى سبيل المثال نسجل أن العائلات العربية العشر التي كانت في أنتوكو (Antuco) في السنة المذكورة، كلها قدمت من حلب»^(٩٩).

لقد فضل المهاجرون العرب الاستقرار في جوار من ينتمي إلى الأصل نفسه وله الانشغالات نفسها، لأن ذلك من شأنه أن يخفف من حدة الاجتثاث الذي يمكن أن يعيشه^(١٠٠). وتساعدنا رغبتهم في التمرکز بالأحياء نفسها، على فهم خصوصيات حضورهم في المجتمع في بداية عهد الهجرة؛ فقد كانوا في حاجة إلى التكتل، لاكتساب القوة اللازمة لمواجهة وسط مجهول وأحياناً معادٍ لهم. من جانب آخر، سمح هذا التكتل بتحقيق النجاح الاقتصادي والوصول إلى المناطق النائية، وكلا العنصرين سيساهمان في وقت لاحق وبشكل فعال، في تحقيق الاندماج الاجتماعي.

وسوف يتراجع تمرکز العرب في أماكن بعينها مع مرور الوقت، خصوصاً مع

(٩٦) المصدر نفسه.

(٩٧) المصدر نفسه، ص ٩٧-٩٩.

(٩٨) Oguín Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*, pp. 96-97.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(١٠٠) بحسب الدراسة الميدانية التي قمنا بإنجازها، سبق لـ ٣٥ في المئة من الأكاديميين ورجال الأعمال الذين شملتهم الدراسة، أن زاروا بلداً عربياً أو أكثر، وكانت أغلب هذه الزيارات إلى فلسطين وسوريا.

المتحدرين، وهو ما يعني حدوث اندماج تدريجي^(١٠١). وبحسب المعلومات المستقاة من الدراسة الميدانية التي أنجزناها، تتمركز أكبر نسبة من العرب المقيمين في العاصمة التشيلية في الوقت الحاضر، في المنطقة الشرقية^(١٠٢). حيث يقيم ٥٦ في المئة ممن شملتهم الدراسة، في حين يقيم ١٥ في المئة في حيي لاراينا (La Reina) ونيونوا (Ñuñoa)، اللذين تنتمي أغلب ساكنتهما إلى الطبقة الوسطى، أما الباقي وهم ٢٩ في المئة فيتوزعون على مختلف أحياء المدينة.

سادساً: الجالية العربية والهوية الثقافية

ساهمت النقاط المشتركة التي تجمع بين أشخاص ينتمون إلى منطقة جغرافية واحدة، في تعزيز الإحساس بالأصل المشترك في المهجر، وفي الوقت نفسه في إبراز تميزهم عن بقية العناصر البشرية الأخرى. من هنا لا ترتبط هوية المهاجرين العرب في التشيلي بالبلدان التي ينتمون إليها، والتي تكونت ككيانات بشكلها الحالي في وقت لاحق لهجرتهم، وإنما ترتبط بالأصل العربي بشكل عام، ذلك لأن خصوصياتهم الثقافية وممارساتهم المهنية تجعلهم مجموعة بشرية واحدة، بغض النظر عن قدم منهم من فلسطين أو من سوريا أو من لبنان^(١٠٣).

والواقع أن إضفاء طابع العروبة عليهم، وتعريفهم بتلك الصفة، بغض النظر عن البلد الذي ينتمون إليه، لا يتم فقط من طرف الآخرين، بل من طرفهم هم كذلك. بحيث يعتبرون العروبة هويتهم، كما يعتبرون أنفسهم جميعاً من جالية واحدة، وتجب الإشارة في هذا السياق إلى أن مفهوم الجالية يعني قبل كل شيء، انتماء أشخاص إلى مجموعة اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية لها خصوصياتها التي تتميز فيها داخل رقعة جغرافية معينة.

قد يكون من المفيد تسجيل التطور الحاصل في علاقة الجالية العربية بالمجتمع التشيلي، فجيل المهاجرين كانوا يجدون ذاتهم وهويتهم في علاقتهم مع أشخاص ينتمون إلى الأصل نفسه، وبالتالي كانت تعترضهم صعوبات إذا ما حاولوا التأقلم مع عادات مجتمعهم المضيف، غير أن الأمر سيعرف بعض التغيير مع جيل المتحدرين،

Agar Corbinos, Ibid.

(١٠١)

(١٠٢) تضم المنطقة الشرقية أحياء «بروفيدنشيا» (Providencia)؛ و«لاس كونديس» (Las Condes)؛

و«برنشيا» (Barnechea)؛ و«فيتاكورا» (Vitacura).

Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile.» p. 57.

(١٠٣)

كما بينت لنا نتائج الاستثمارات، ذلك لأن ٦٥ في المئة من الذين شملتهم الدراسة يعرفون أنفسهم كـ «تشيليين عرب»؛ و١٣ في المئة كـ «عرب تشيليين»؛ و١٢ في المئة كـ «تشيليين». وهنا يمكننا القول إن من يعرف نفسه بـ «تشيلي - عربي» يحس بانتمائه إلى الثقافة التشيلية، لكن مع الاعتراف بالهوية العربية كجزء من ماهيته. وقد بينت لنا نتائج الاستثمارات نفسها أن الإحساس بالأصل «التشيلي - العربي» يختلف بحسب المهنة، إذ اعتبروا أنفسهم كذلك ٧٩ في المئة من الأكاديميين؛ مقابل ٦٥ في المئة من رجال الأعمال؛ و٥١ في المئة من الطلبة^(١٠٤).

من جانب آخر كشفت لنا نتائج الاستثمارات تعاطف المتحدرين من أصل عربي مع القضية الفلسطينية بشكل كبير، وقد عبر عن ذلك ٩٠ في المئة من الذين شملتهم الدراسة، وكانت النسب على النحو التالي: ٩٢ في المئة بالنسبة إلى الأكاديميين؛ و٩١ في المئة بالنسبة إلى رجال الأعمال؛ و٨٥ في المئة بالنسبة إلى الطلبة^(١٠٥).

يمكن إذاً اعتبار الروابط العائلية، والإحساس بالانتماء إلى الأصل الجغرافي والاجتماعي والسياسي نفسه، إضافة إلى الإحساس بالانتماء إلى الطائفة الدينية نفسها، عوامل موحدة للمهاجرين العرب في التشيلي، وهذا ما يعني أن هؤلاء المهاجرين وعلى الرغم من قدامهم من بلدان مختلفة، لهم قواسم ثقافية مشتركة، كما إنهم عاشوا في التشيلي مسلسل اندماج واحد، وكُل هذا يسمح بالحديث عن جالية عربية واحدة.

ويمتد الإحساس بالانتماء إلى هذه الجالية إلى المتحدرين كما بينت لنا نتائج الاستثمارات، بحيث تصل نسبة من لهم هذا الإحساس إلى ٨٢ في المئة بين الأكاديميين؛ وإلى ٩٢ في المئة بين رجال الأعمال؛ وإلى ٨٧ في المئة بين الطلبة، وإضافة إلى إحساسهم بالانتماء العربي، هناك تقدير خاص لهذا الأصل.

وبخصوص درجة تأثير الأصل العربي في حياتهم المهنية، صرح ٣٢ في المئة من الأكاديميين أن ذلك الأصل أثر بشكل إيجابي في مساهمهم المهني، و٣ في المئة ساهم بشكل سلبي، و٦٥ في المئة لم يكن له أي تأثير؛ هذه النسب تختلف بشكل واضح عن تلك المسجلة لدى رجال الأعمال، حيث صرح ٦٧ في المئة أن الأصل العربي ساهم بشكل إيجابي في مساهمهم المهني، و٣ في المئة ساهم بشكل سلبي، و٣٠ في

(١٠٤) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (١٨).

(١٠٥) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (١٧).

المئة لم يكن له أي تأثير^(١٠٦)؛ أما بخصوص الطلبة وأولئك الذين لم يدخلوا إلى سوق العمل، فقد صرح ٥٩ في المئة أن الأصل العربي سيكون له دور إيجابي في مستقبلهم المهني، و٤١ في المئة لن يكون له أي تأثير، ولم يعتبر أي طالب من الذين شملتهم الدراسة، أن الأصل العربي سيكون له تأثير سلبي في حياته المهنية^(١٠٧).

سابعاً: الأنشطة الاقتصادية لعرب التشيلي

كان النشاط الاقتصادي الذي مارسه العرب وهو التجارة، من الأسباب التي عرقلت مسلسل اندماجهم في البداية، بخاصة أن الكيفية التي مارسوها بها اعتبرت من دون أهمية بالنسبة إلى التنمية الاقتصادية للبلاد، عكس أنشطة الأوروبيين التي اعتبرت من طرف المجتمع، المحرك الأساسي لقطار التنمية^(١٠٨).

١ - التجارة كوسيلة للعيش والاندماج

كانت المساعدة التي يمكن أن يتلقاها كُلاً حديث عهد بالهجرة من قريب له أو من ابن قريته الذي سبقه إلى المهجر، حاسمة جداً، إذ تسمح له بالشروع في التأقلم مع وسطه الجديد، وكان على رأس هذه المساعدة، تلقينه الحد الأدنى من الكلمات الإسبانية، والتي يتعذر عليه من دونها التواصل مع غيره^(١٠٩).

كان المهاجرون العرب في حاجة إلى الآليات الضرورية التي تساعدهم على التفاعل مع محيطهم، وهنا تجب الإشارة إلى أن ممارستهم التجارة فرضت عليهم الاقتراب أكثر من المجتمع التشيلي، لأنه «وبالرغم من جهلهم اللغة وعادات البلاد، كان عليهم الدخول في علاقات مباشرة مع مكونات المجتمع الذي حلوا فيه، لعرض وتسويق سلعهم»^(١١٠) وقد سمحت لهم ممارسة التجارة كذلك، باكتشاف مختلف أنحاء البلاد بما في ذلك النائية منها، ما ألزمهم ليس فقط تعلم اللغة الإسبانية، وإنما كذلك التعرف على نمط عيش التشيليين.

(١٠٦) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (١٥).

(١٠٧) انظر ملحق هذا الفصل، الجدول رقم (١٦).

(١٠٨) Rebolledo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950», p. 137.

(١٠٩) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(١١٠) Daher, «Exploración psico-social de la inmigración libanesa en Chile.» p. 70.

ولا نستبعد أن يكون اختيار العرب ممارسة التجارة، راجعاً من بين أسباب أخرى، إلى كون هذا النشاط لا يتطلب تمكناً كبيراً من اللغة الإسبانية؛ إذ يكفي ليتم التواصل بضع كلمات، تنضاف إلى اللغة الكونية التي تمثلها الإشارات^(١١١).

اقتصرت علاقة المهاجر العربي مع المجتمع المضيف في بداية عهد الهجرة على النشاط التجاري؛ بحيث يشرف الزوج على المحل ويلبي طلبات الزبن، تساعد في ذلك الزوجة التي توفيق بين عملها في المتجر وعنايتها بأمر المنزل. ولن نسجل عملية تواصل فعلي مع المجتمع إلا مع الأبناء، وهنا كان على الطفل أن «يتصرف وفق ما هو متعارف عليه في بيئته العائلية، وفي الوقت نفسه وفق ما هو متعارف عليه في الوسط الاجتماعي الذي يتحرك فيه كالمدرسة والحى اللذين له بهما أصدقاء»^(١١٢).

وإضافة إلى تفتحه على المجتمع الذي ولد فيه، كان ينتظر من هذا الطفل أن يتشبع بالقيم الاجتماعية وبعادات وتقاليد بلد الآباء والأجداد السائدة داخل الجالية. انطلاقاً من هنا حرصت الجالية على التوفيق بين الاندماج في المجتمع التشيلي، وبين الحفاظ على الثقافة الأصلية واحترام التقاليد، لأن ذلك يعني قبل أي شيء آخر، اعتراف وتقدير هذه الجالية لتاريخها. ونظن أن هذه الثوابت لعبت دوراً مركزياً في نجاح مسلسل اندماج العرب في المجتمع التشيلي.

٢ - التجارة المتجولة واستراتيجية طلب العيش

يقرر المهاجر العربي مباشرة بعد وصوله، ممارسة التجارة المتجولة، بخاصة أن ما معه من موارد مالية يكون قد أشرف على النفاذ. ولم يكن هذا النشاط غريباً عليه، فهو شائع في بلده الأصلي، وما شجعه عليه، كونه لا يربط الإنسان بالأرض كما هو الأمر مع الفلاحة، لذا فهو يتماشى مع توجهه ومع نيته العودة في أسرع وقت ممكن إلى بلده^(١١٣). زد على ذلك، أن النشاط المذكور لم يكن يتطلب أي تكوين مهني سابق أو تمكن من اللغة كما مرّ بنا. وبجانب هذا وذاك، فإن ممارسة أوائل المهاجرين التجارة المتجولة شكل حافزاً لكلّ حديث عهد بالهجرة ليحذوا حذوهم، وليستفيد

Olgún Tenorio y Peña González, *La Inmigración árabe en Chile*.

(١١١)

Daher, *Ibid.*, p. 87.

(١١٢)

(١١٣) المصدر نفسه، ص ٥٧.

من مساعدتهم ومن تجربتهم في أمور من قبيل التعرف على الزين وعلى أفضلياتهم، وعلى الأماكن الأنسب لممارسة التجارة المتجولة. وبالرغم من أن بعض حديثي العهد بالهجرة كانوا يعملون كمستخدمين في المحلات التجارية لأقاربهم الذين سبقوهم إلى المهجر، فإنهم لن يتأخروا في الاستقلال عن هؤلاء، كباية متجولين أولاً، ثم كأصحاب محلات تجارية في ما بعد، لكن من دون قطع الروابط التي تجمعهم بأولئك الذين مدوا لهم يد المساعدة في البداية.

لقد كان لزاماً على حديث العهد بالهجرة عدم عرقلة النشاط التجاري لمواطنيه، وتفادي منافستهم، لذا توجب عليه البحث عن أماكن جديدة لممارسة تجارته المتجولة، وتكوين زبائن خاصين به، من هذا المنطلق كان انتقاله إلى المدن الصغيرة وإلى المناطق النائية حيث يعرض سلعه طارقاً أبواب المنازل. وكان التوغل في المسالك والطرق الريفية، يقوده إلى الأودية والبراري التي كان يصلها عادة يرفقة بائع متجول آخر، وهو ما يمثل حماية له من اللصوص وقطاع الطرق.

ويقربنا الاستشهاد التالي من الباعة المتجولين العرب: «كانوا يلفتون الانتباه وهم يطوفون الشوارع، بسلالهم التي تتراكم فيها أشياء لا تجانس بينها، مثل المناديل، والجوارب، والمرايا، والدبابيس، ومكبات الخيط، والصابون، والأزرار، والتنورات، منبهين بصوت مرتفع وبلغة إسبانية ركيكة إلى وجودهم، وذلك من خلال تكرار عبارة «منتوجات الدكان»^(١١٤). ويحكي أحد قدماء الباعة المتجولين عن تجربة العرب مع هذه المهنة ما يلي: «باستثناء حالات نادرة، بدأنا جميعاً المشوار بحمل سلة أو حقيبة، منتعلين صندلاً أو حذاء خفيفاً، قاطعين مسافات تمتد كيلومترات وكيلومترات بالقرى والمدن، عارضين قطعاً من القماش وملابس جاهزة»^(١١٥).

٣ - فتح المحل التجاري

لم يكن المهاجرون العرب عند وصولهم إلى التشيلي، يتوافرون على الإمكانيات المادية التي تسمح لهم بفتح محل تجاري، لأن ما يحملونه معهم من نقود كان محدوداً جداً كما مرّ بنا، وهذا أمر طبيعي، فهم جاءوا إلى أمريكا لجمع الأموال لا

Olguín Tenorio y Peña González, Ibid., pp. 140-141.

(١١٤)

Rebolledo Hernández, «La «Turcofobia», discriminación antiárabe en Chile, 1900-1950», (١١٥) p. 141.

لإنفاقها^(١١٦)، لذا فإن فتح محل تجاري لن يتحقق إلا بعد تحقيق أرباح في التجارة المتجولة.

ويشكل المحل التجاري المرحلة الثانية في المشوار الاقتصادي لعرب التشيلي، وكان امتلاكه يدل على أن المعني بالأمر، وإضافة إلى تمكنه من توفير بعض الأموال، له زبن خاصون به، يعود تعاملهم معه إلى مرحلة تجارته المتجولة.

وقد كان لكيفية ممارسة العرب التجارة، من الخصوصيات ما يجعلها مختلفة تماماً عما هو مألوف في التشيلي، حول ذلك نقرأ في إحدى الروايات: «هل أمعنت النظر في التوركوس، إنهم يفتحون محالهم التجارية باكراً جداً، ولا يغلقونها إلا بعد أن ينعدم مرور كل حي يرزق بالشارع. إذا لم يدخل أحد دكانهم يبقون جامدين من دون حراك، وهم بذلك يوفرون طاقتهم الجسدية لوقت الحاجة. إنهم يقطنون منازل جماعية، لا يعلم إلا الله كم منهم يقطن الواحد منها؟ هل رأيتهم يدخلونها؟ إنهم كالنمل عدداً. بعد سنوات قليلة من العيش على ذلك الحال ينجحون في فتح مصنع، ومع ذلك لا يتغير نمط عيشهم: الملابس نفسها، السحنة نفسها، طريقة المشي نفسها، فقط تدرك أنهم أغنياء من خلال ما تنتجه مصانعهم»^(١١٧).

٤ - صناعة النسيج

يربط المجتمع التشيلي بين المهاجرين العرب والمتحدرين منهم من أبناء الجيل الأول، وممارسة التجارة وصناعة النسيج وبخاصة القطني. ونظن أن إقبال العرب على هذا التخصص يرتبط إلى حد ما بأصلهم؛ ففي مدينة حمص التي قدم منها أكبر عدد من المهاجرين السوريين المقيمين في التشيلي، كان النشاط الأساسي للسكان هو العمل في ورش الحرير والقطن، بمعامل بدائية لم تكن تختلف كثيراً في طريقة إنتاجها عن تلك التي عرفتها أوروبا خلال القرون الوسطى، حيث كان التاجر يسهل للصانع التقليدي المواد الأولية ويقتني منه المواد المصنعة^(١١٨).

وفي التشيلي نجح عدد من المهاجرين، وبفضل ما حققوه من أرباح في

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٤٤.

Olguín Tenorio y Peña González, Ibid., p. 95.

(١١٧)

(١١٨) «La Influencia de los árabes en el desarrollo económico de Chile», Andrés Sanfuentes, (Tesis, universidad de Chile, departamento de ciencias económicas e ingeniería comercial, Santiago, 1964).

التجارة، من فتح معامل بسيطة، حققت أحياناً وفي مدة وجيزة أرباحاً مهمة، سمحت لأصحابها بتوسيعها. وسوف تتمركز مصانع العرب والمتحدرين منهم، التي تخصصت في النسيج والملابس الجاهزة، وكما هو الحال بالنسبة إلى متاجرهم، في حيّ «ريكوليتا» في العاصمة التشيلية كما مرّ بنا^(١١٩).

٥ - العرب والمشهد الاقتصادي الحالي في التشيلي

عاشت التشيلي بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٥٢ تحولات مهمة في موازين قوى القطاعات الاقتصادية الأساسية؛ وهكذا عرفت الصناعة مثلاً، الانتقال من سياسة حمائية محدودة، إلى سياسة حمائية تامة للسوق الداخلية من طرف الدولة.

وإضافة إلى التنمية الصناعية وإلى مكننة الفلاحة، هناك عنصر آخر ميز النمو الاقتصادي للتشيلي خلال تلك المرحلة، يتمثل في الأهمية المتزايدة لقطاع الخدمات، وبخاصة التجارة والنقل وتخزين السلع والمواصلات. وقد عرف العرب كيف يستفيدون من المراقبة المتزايدة للدولة للحياة الاقتصادية ما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٧٣، ليكون بعضهم ثروات كبيرة، ساهموا من خلالها في إنجاح هذا المسلسل الاقتصادي^(١٢٠).

وبالرغم من أن هجرتهم قوبلت بالرفض في البداية، مقارنة بهجرة مجموعات بشرية أخرى مثل الإسبان والألمان، وبالرغم من عدم امتلاكهم وقت وصولهم البلاد أي رأسمال يسمح لهم ببدء مشوارهم الاقتصادي، ولا أي تكوين مهني، أو معرفة باللغة الإسبانية، فإنهم تمكنوا في مدة تراوح بين عشرين وثلاثين سنة، من البروز بشكل لافت للانتباه في المجال الاقتصادي^(١٢١).

لقد قامت الدولة التشيلية بإلغاء الرسوم الجمركية على استيراد الآلات الصناعية، وهو ما استفادت منه الصناعة الوطنية التي نشأت منذ ثلاثينيات القرن العشرين. وسوف يبدأ منذ ذلك التاريخ مسلسل صناعي اصطلاح على تسميته بـ

(١١٩) من مجموع العرب الذين يتجرون في النسيج في العاصمة سانتياغو، ٣٦ في المئة يتمركزون في حيّ «ريكوليتا»، و٣٠ في المئة في حي سان بابلو؛ ومن مجموع الذين يتجرون في الملابس الجاهزة، ٤٥ في المئة يتمركزون في حيّ «ريكوليتا»؛ ومن مجموع تجار التقسيط في العاصمة نفسها، ٤٨ في المئة يتمركزون في حيّ «سان بابلو». انظر: Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y Santiago».

Cerda Albarracín, *Historia y desarrollo de la clase media en Chile*, pp. 128-130.

(١٢٠)

Sanfuentes, «La Influencia de los árabes en el desarrollo económico de Chile».

(١٢١)

«نحو الداخل»، كان للرأسمال العربي دور بارز في إنجاحه^(١٢٢). وفي ثمانينيات القرن العشرين سيعرف التشيلي مسلسل هيكلية اقتصادية جديدة، تمّ التركيز فيه على الرفع من صادرات المواد الأولية، وفي الوقت نفسه الرفع من واردات المواد التي استثمر فيها العرب، وهو ما كان ليمر من دون أن يُلحق بعض الأضرار بنشاطهم الاقتصادي.

وبهدف رصد أهمية الحضور الاقتصادي العربي في قطاع النسيج والملابس الجاهزة، وضعنا مقارنة بين التطور الذي عرفته استثمارات العرب^(١٢٣) واستثمارات غيرهم في هذا القطاع. وبالرغم من أن المعطيات المعتمدة والتي تمّ سني ١٩٨٠ و٢٠٠٠ تعود إلى مصدرين مختلفين^(١٢٤)، فإنها تسمح لنا بأخذ فكرة عن الموضوع.

الجدول رقم (٢ - ٢)

أعداد العرب وغيرهم في قطاع النسيج والملابس الجاهزة، ١٩٨٢ - ٢٠٠٠

٢٠٠٠						١٩٨٢						
المجموع		النسيج		الملابس الجاهزة		المجموع		النسيج		الملابس الجاهزة		
العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	
٣٤	١٣١	٣٦	٧٢	٣٣	٥٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٤	٢٣	٣٤	العرب
٦٦	٢٥١	٦٤	١٣٠	٦٧	١٢١	٧٠	١٣٨	٥٢	٢٦	٧٧	١١٢	غير العرب
١٠٠	٣٨٢	١٠٠	٢٠٢	١٠٠	١٨٠	١٠٠	١٩٦	١٠٠	٥٠	١٠٠	١٤٦	المجموع

المصدر: Lorenzo Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y Santiago.» (Tesis de magister, planificación de desarrollo urbano y regional, universidad católica de Chile, instituto de estudios urbanos, Santiago, 1982), et *Directorio industrial de Chile, 1999-2000*, 7^{ème} ed. (Santiago: Federación gremial de la industria, 2000).

(١٢٢) المصدر نفسه.

(١٢٣) نقصد هنا بالعرب، المهاجرين وكذا المتحدرين منهم، الذين يسري في عروقهم الدمّ العربي، سواء من جهة الأبوين معاً، أو من جهة أحدهما فقط.

Agar Corbinos, «El Comportamiento urbano de los emigrantes árabes en Chile y Santiago.» et *Directorio industrial de Chile, 1999-2000*, 7^{ème} ed. (Santiago: Federación gremial de la industria, 2000).

كان العرب يمتلكون في بداية ثمانينيات القرن العشرين، وكما يظهر في الجدول رقم (٢ - ٢)، ٤٨ في المئة من معامل النسيج؛ و٢٣ في المئة من معامل الملابس الجاهزة، الموجودة في التشيلي. وقد سجل حضورهم في قطاع النسيج بعض التراجع خلال السنوات الأخيرة، حيثُ نزلت النسبة إلى ٣٦ في المئة سنة ٢٠٠٠، بينما سجل هذا الحضور خلال السنة نفسها ارتفاعاً في قطاع الملابس الجاهزة، حيثُ زادت النسبة إلى ٣٣ في المئة. وتعني هذه الأرقام من جهة أن العرب يسيطرون على ثلث ما ينتجه السوق الوطني في كلِّ واحد من القطاعين، وتعني من جهة أخرى أنه وفي مدة عشرين سنة تقريباً ارتفعت مساهمتهم في ما تنتجه البلاد في قطاع الملابس الجاهزة بـ ١٠ نقاط مئوية، وتراجعت في ما تنتجه في قطاع النسيج بـ ١٢ نقطة.

وما زال أكبر عدد من المؤسسات الصناعية العربية متمركزاً بحبي «ريكوليتا» في العاصمة، بحسب ما يبين لنا الجدول رقم (٢ - ٣)، والذي يظهر أماكن وجود ٤٧٩ مؤسسة صناعية (عربية وغير عربية) وردت أسماؤها في دليل المؤسسات الصناعية (SOFOFA) بالتشيلي.

الجدول رقم (٢ - ٣)

المؤسسات الصناعية العربية في التشيلي عام ٢٠٠٠ بحسب مناطق وجودها

المنطقة	العدد	النسبة المئوية
ريكوليتا	١١٠	٢٣
سانتياغو	١٠٢	٢١
ماكول	٥٠	١٠
نيونوا	٢٥	٥
إنديبينديشيا	٢١	٤
بروفيدنشيا	١٨	٤
لاس كونديس	١٣	٣
سان خواكين	١٣	٣
سان ميغيل	١٣	٣
ريسطو	٥٦	١٢
بقية التشيلي	٥٨	١٢
المجموع	٤٧٩	١٠٠

يوجد ٢٣ في المئة من مجموع المؤسسات الصناعية التشغيلية في حي «ريكوليتا»، أغلبها ذات رأسمال عربي، مرد ذلك إلى التمرکز الكبير للعرب بهذا الحيّ. وترتفع النسبة بخصوص الحيّ المذكور إلى ٢٦ في المئة إذا اقتصرنا على المؤسسات الصناعية الموجودة في العاصمة والمناطق المجاورة لها، والتي يصل عددها إلى ٤٢١ من مجموع ٤٧٩ مؤسسة واردة في الجدول.

وقد سمح النجاح الكبير الذي حققه، بعض رجال الصناعة العرب باستثمار فائض الربح في القطاع البنكي، ما سهل اندماجهم في عالم المال. وبخوضهم التجربة في هذا المجال، يكون الحضور الاقتصادي العربي في التشيلي، قد عرف وفي مدة زمنية لا تتجاوز قرناً من الزمن، مسلسل تطور فريد من نوعه مرّ بالأشواط التالية: تجارة متجولة متواضعة الأهمية؛ ومحلات تجارية صغيرة؛ ثمّ صناعة متوسطة وكبيرة؛ وأخيراً قطاع البنوك والمال على الصعيد الوطني في مرحلة أولى، ثمّ على الصعيد القاري في مرحلة ثانية.

خاتمة

ركزت الدراسة الميدانية التي أنجزناها، على المتحدرين من أصل عربي من دون المهاجرين، وقد شملت ١٣٧ شخصاً، ينتمي ٣٤ في المئة منهم إلى الجيل الثاني؛ و٤٨ في المئة إلى الجيل الثالث؛ و١٨ في المئة إلى الجيل الرابع. وكان معدل العمر هو ٥١ سنة بالنسبة إلى فئة الأكاديميين؛ و٥٤ سنة بالنسبة إلى فئة رجال الأعمال؛ و٢٣ سنة بالنسبة إلى فئة الطلبة. وينتمي أغلب الأكاديميين ورجال الأعمال إلى الجيلين الثاني والثالث، بينما ينتمي أغلب الطلبة إلى الجيلين الثالث والرابع (فقط ٥ في المئة من هؤلاء ينتمون إلى الجيل الثاني). وتسمح هذه المعطيات بنوعين من المقارنات: الأولى، بين الأكاديميين ورجال الأعمال الذين ينتمون إلى الجيل نفسه لكن إلى مجالين مهنيين مختلفين. والثانية، بين هاتين المجموعتين المتميتين إلى الجيل، والطلبة المتمين إلى جيل آخر.

وفي ما يتعلق بتوزيع النسب بحسب الجنس، حصلنا على النتائج التالية: ٧٢ في المئة رجال و٢٨ في المئة نساء. وكان التوزيع الجنسي بحسب المهنة على النحو التالي: أكاديميون ٦٥ في المئة رجال و٣٥ في المئة نساء؛ رجال وسيدات أعمال ٨٩ في المئة رجال و١١ في المئة نساء؛ طلبة ٤٩ في المئة رجال و٥١ في المئة نساء. هذه النسب تبين أن المجموعة الأخيرة لها نقطة اختلاف أخرى مع المجموعتين الأخريين؛ بحيث نجد فيها حضوراً مكثفاً للعنصر النسوي الذي تتجاوز نسبته تلك المسجلة لدى

الرجال، وهي وضعية شبيهة إلى حد ما بما هو موجود لدى ساكنة التشيلي بشكل عام، إذ إن حضور المرأة بخاصة في المجال المهني يعرف ارتفاعاً ملحوظاً مع تقدم الوقت، ولعل هذا ما يؤكد تأقلم الساكنة من أصل عربي مع الوضع القائم في البلاد أكثر فأكثر مع تعاقب الأجيال.

وبخصوص الهوية الثقافية، صرح ٦٥ في المئة من الذين شملتهم الدراسة أنهم «تشيليون عرب»، وإن كانت النسبة أقل من ذلك إذا اقتصرنا على فئة الطلبة، الذين ينتمون إلى أجيال أكثر شباباً مقارنة مع الفئتين الآخرين، وبالتالي هم أكثر اندماجاً في المجتمع الذي ولدوا فيه. ونسجل وضعية شبيهة بهذه عندما يتعلق الأمر بجنسية الزوجة، إذ لا يولي الطلبة، بخلاف المجموعتين الآخرين، كبير اعتبار لأهمية الأصل العربي لزوجة المستقبل.

تكشف لنا نتائج استمارات الدراسة سالفه الذكر أن الإحساس بالاختلاف عن بقية مكونات المجتمع يتراجع مع تعاقب الأجيال. وهكذا على الرغم من أن تأثير الأصل العربي ونمط الحياة العربية موجود لدى المجموعات الثلاث، فإن أهميته تتباين بشكل واضح بين الأكاديميين ورجال الأعمال من جهة، وبين الطلبة من جهة أخرى. كما تكشف لنا الاستمارات نفسها تشبث المتحدرين من أصل عربي ببعض القيم التي يرون أنها تميز العائلة العربية في التشيلي، مثل الإحساس بالمسؤولية، والمواظبة على العمل، والتسامح.

في ضوء النتائج المحصل عليها، نسجل أولاً، أن المتحدرين من أصل عربي اندمجوا بشكل كامل في المجتمع التشيلي، وأن عملية الاندماج تحققت بشكل تدريجي مع أجيال المتحدرين؛ ونسجل ثانياً، أن مسلسل هذا الاندماج بدأ في وقت لم تكن تحظى فيه الجالية العربية بقبول الجهات الرسمية، بخلاف الجاليات المنتمية إلى أصول أوروبية؛ ونسجل ثالثاً، أن هذا المسلسل تزامن مع التراجع العددي للهجرة العربية؛ ونسجل رابعاً، أن هذه الهجرة، وبخلاف الهجرات الأوروبية، تمت بشكل تلقائي ومن دون تخطيط مسبق من طرف السلطات، ما جعلها تلتحم بعضها مع بعض نتيجة رفضها من طرف المجتمع، ذلك الرفض الذي جعل المهاجرين ينقلون إلى المتحدرين منهم الرغبة في الاندماج في المجتمع الذي رفضهم هم كمهاجرين.

نختم هذا المقالة بالإشارة إلى أن المعطيات التي اعتمدها فيها، ومن ضمنها الدراسة الميدانية، بينت أن الهجرة العربية إلى التشيلي هي هجرة إيجابية. وعلى الرغم من العراقيل الكثيرة التي وضعت في وجههم، تمكن العرب من الاندماج، وهو

اندماج تحقق أولاً في المجال الاقتصادي قبل أن يمتد إلى مختلف مناحي الحياة. ويواصل المتحدرون في الوقت الحاضر، وبعضهم من أبناء الجيل الرابع، السير في الطريق نفسه الذي مرّ عليه أسلافهم في مجال الاندماج الاجتماعي، والذي قطعوا فيه أشواطاً بعيدة. هؤلاء المتحدرون لم يبقوا حبيسي النشاط التجاري الذي امتننه الآباء، بل امتد حضورهم إلى شتى مجالات الحياة المهنية.

ساهم الحضور العربي بشكل فعال في إغناء الثقافة التشيلية، ذلك لأنه سمح بانصهار ثقافتين بعضهما في بعض بكيفية لم يكن بالإمكان تصورهما في الماضي؛ كيفية حقق فيها العربي الاندماج من دون أن يفقد هويته الثقافية الأصلية، ومن دون أن يذوب في نسيج المجتمع التشيلي، وهذا ما يعتبر في تقديرنا أكبر ملحمة سجلها الحضور العربي في تاريخ التشيلي المعاصر.

ملحق الجداول (*)

الجدول رقم (١)

عدد المتحدرين من أصل عربي الذين شملتهم الدراسة الميدانية

الجنس	الأكاديميون		رجال الأعمال		الطلبة		المجموع
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	
ذكور	٢٢	٦٥	٥٧	٨٩	١٩	٤٩	٩٨
إناث	١٢	٣٥	٧	١١	٢٠	٥١	٣٩
المجموع	٣٤	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٩	١٠٠	١٣٧

الجدول رقم (٢)

ديانة المتحدرين من أصل عربي الذين شملتهم الدراسة

الجنس	الأكاديميون		رجال الأعمال		الطلبة		المجموع
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	
الكاثوليكية	٢٢	٦٤	٤٥	٧٠	٢٨	٧٢	٩٥
الأرثوذكسية	٤	١٢	١٤	٢٢	١	٢	١٩
أخرى	صفر	صفر	٣	٥	٥	١٣	٨
من دون ديانة	٨	٢٤	٢	٣	٥	١٣	١٥
المجموع	٣٤	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٩	١٠٠	١٣٧

(*) بيانات الجداول هي نتائج الإستمارة التي قمنا بتوزيعها سنة ٢٠٠١، على مجموعة من المتحدرين من

أصل عربي في التشيلي.

الجدول رقم (٣)
درجة تمكن المتحدثين من أصل عربي من اللغة العربية

المجموع		الطلبة		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٧٦	٥٩	٩٢	٣٦	٦٠	٢٣	لا يتكلمونها
٢٠	١٢	٨	٣	٣٢	٩	يتكلمونها بصعوبة
٢	١	صفر	صفر	٤	١	يتكلمونها بشكل جيد
٢	١	صفر	صفر	٤	١	يتكلمونها بطلاقة
١٠٠	٧٣	١٠٠	٣٩	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (٤)
المتحدرون من أصل عربي الذين سبق لهم زيارة أراض الأجداد

المجموع		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٣٥	٣٤	٣٣	٢١	٣٨	١٣	نعم
٦٥	٦٤	٦٧	٤٣	٦٢	٢١	لا
١٠٠	٩٨	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (٥)
البلاد العربية التي سبق للمتحدثين من أصل عربي زيارتها

المجموع		رجال الأعمال		الأكاديميون		البلد
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٦٢	٢١	٧١	١٥	٤٦	٦	فلسطين
١٨	٦	١٠	٢	٣١	٤	سوريا
٢٠	٧	١٩	٤	٢٣	٣	بلدان أخرى
١٠٠	٣٤	١٠٠	٢١	١٠٠	١٣	المجموع

الجدول رقم (٦)
الانتماء الجيلي للمتحدريين من أصل عربي

الجيل	الأكاديميون		رجال الأعمال		الطلبة		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الأول	١٤	٤١	٣١	٤٨	٢	٥	٤٧	٣٤
الثاني	١٨	٥٣	٣١	٤٨	١٧	٤٤	٦٦	٤٨
الثالث	٢	٦	٢	٤	٢٠	٥١	٢٤	١٨
المجموع	٣٤	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٩	١٠٠	١٣٧	١٠٠

الجدول رقم (٧)
الانتماء إلى الأصل العربي من جهة الأب أو الأم

	الأكاديميون		رجال الأعمال		الطلبة		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
	٩	٢٦	٧	١١	٢٠	٥١	٣٦	٢٦
	٧	٢١	٢	٣	٨	٢١	١٧	١٣
	١٨	٥٣	٥٥	٨٦	١١	٢٨	٨٤	٦١
المجموع	٣٤	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٩	١٠٠	١٣٧	١٠٠

الجدول رقم (٨)
البلدان التي ينتمي إليها المتحدرون من أصل عربي من جهة الأبوين

البلد	الأكاديميون		رجال الأعمال		الطلبة		المجموع	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
فلسطين	١٩	٥٦	٤٣	٦٧	٢٣	٥٩	٨٥	٦٢
سوريا	١١	٣٢	١٢	١٩	١١	٢٨	٣٤	٢٥
لبنان	٣	٩	صفر	صفر	٢	٥	٥	٤
بَلَدَانِ اثْنَانِ	١	٣	٩	١٤	٣	٨	١٣	٩
المجموع	٣٤	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٩	١٠٠	١٣٧	١٠٠

الجدول رقم (٩)
الزواج المختلط بين المتحدرين من أصل عربي

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٢٣	٣٢	٤٩	١٩	٩	٦	٢١	٧	أحد الزوجين فلسطيني
١٢	١٧	٢٠	٨	٥	٣	١٨	٦	أحد الزوجين سوري
٣	٤	٣	١	صفر	صفر	٩	٣	أحد الزوجين لبناني
٣٩	٥٣	١٠	٤	٥٨	٣٧	٣٤	١٢	كلا الزوجين فلسطينيان
١٢	١٧	٨	٣	١٤	٩	١٥	٥	كلا الزوجين سوريان
١	١	٢	١	صفر	صفر	صفر	صفر	كلا الزوجين لبنانيان
١٠	١٣	٨	٣	١٤	٩	٣	١	من أصلين عربيين مختلفين
١٠٠	١٣٧	١٠٠	٣٩	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١٠)
اختلاط المتحدرين من أصل عربي بأشخاص من الأصل نفسه

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٨٨	١٢١	٨٧	٣٤	٩٢	٥٩	٨٢	٢٨	يختلطون
١٢	١٦	١٣	٥	٨	٥	١٨	٦	لا يختلطون
١٠٠	١٣٧	١٠٠	٣٩	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١١)
حفاظ المتحدرين من أصل عربي على بعض العادات العربية

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٩٢	٨٨	٥٦	٢٢	٧٢	٤٦	٥٩	٢٠	الموسيقى
٦٢	١٢٧	٩٠	٣٥	٩٥	٦١	٩١	٣١	الطبخ العربي
٢١	٢٩	١٥	٦	٢٢	١٤	٢٧	٩	اللغة العربية

الجدول رقم (١٢)

إحساس المتحدرين من أصل عربي بممارسات عنصرية ضدهم

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٨٥	١١٧	٩٣	٣٦	٨١	٥٢	٨٥	٢٩	لا يجسسون بممارسات عنصرية
١٥	٢٠	٧	٣	١٩	١٢	١٥	٥	يجسسون بممارسات عنصرية
١٠٠	١٣٧	١٠٠	٣٩	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١٣)

مناداة المتحدرين من أصل عربي بلقب «التوركو» التحقيري وهم أطفال

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٣٧	٥١	٦٤	٢٥	١٩	١٣	٣٨	١٣	نعم
٦٣	٨٦	٣٦	١٤	٨١	٥١	٦٢	٢١	لا
١٠٠	١٣٧	١٠٠	٣٩	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١٤)

موقف المتحدرين من أصل عربي وهم أطفال من لقب «التوركو»

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٤٩	٤١	٢٩	٤	٥٥	٢٨	٤٣	٩	يضايقهم
٥١	٤٥	٧١	١٠	٤٥	٢٣	٥٧	١٢	لا يضايقهم
١٠٠	٨٦	١٠٠	١٤	١٠٠	٥١	١٠٠	٢١	المجموع

الجدول رقم (١٥)
إحساس الأكاديميين ورجال الأعمال بتأثير الأصل العربي في حياتهم المهنية

المجموع		الطلبة		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٥٥	٥٤	٦٧	٤٣	٣٢	١١	تأثير إيجابي
٣	٣	٣	٢	٣	١	تأثير سلبي
٤٢	٤١	٣٠	١٩	٦٥	٢٢	من دون تأثير
١٠٠	٩٨	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١٦)
إحساس الطلبة بتأثير الأصل العربي
في مستقبلهم عندما يلجون الحياة المهنية

النسبة المئوية	العدد	
٥٩	٢٣	تأثير إيجابي
صفر	صفر	تأثير سلبي
٤١	١٦	من دون تأثير
١٠٠	٣٩	المجموع

الجدول رقم (١٧)
المتحدرون من أصل عربي والقضية الفلسطينية

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٩٠	١٢٣	٨٥	٣٣	٩٢	٥٩	٩١	٣١	يتعاطفون معها
٣	٤	٥	٢	٢	١	٣	١	لا يتعاطفون معها
٧	١٠	١٠	٤	٦	٤	٦	٢	لا يهتمون بها
١٠٠	١٣٧	١٠٠	٣٩	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١٨)
الصفة التي يعرّف بها المتحدرون من أصل عربي أنفسهم

المجموع		الطلبة		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
١٢	١٦	٢٣	٩	٥	٣	١٢	٤	تشيليون
٦٥	٨٩	٥١	٢٠	٦٥	٤٢	٧٩	٢٧	تشيليون عرب
١٣	١٨	١٥	٦	١٩	١٢	صفر	صفر	عرب تشيليون
١	٢	صفر	صفر	٢	١	٣	١	عرب
٩	١٢	١١	٤	٩	٦	٦	٢	بصيغ أخرى
١٠٠	١٣٧	١٠٠	٣٩	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

الجدول رقم (١٩)
النسبة المئوية للمتحدرين من أصل عربي الذين يفضلون زوجات (أزواج) من الأصل نفسه

النساء	الرجال	
٢٥	١٨	الأكاديميون
٦٠	٥٥	رجال وسيدات أعمال
١٠	٤,٥	الطلبة

الجدول رقم (٢٠)
النسبة المئوية للمتحدرين من أصل عربي الذين يفضلون تزويج أبنائهم (بناتهم) من الأصل نفسه

المجموع		رجال الأعمال		الأكاديميون		
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	
٤٤	٤٣	٥٥	٣٥	٢٤	٨	نعم
٥٦	٥٥	٤٥	٢٩	٧٦	٢٦	كلا
١٠٠	٩٨	١٠٠	٦٤	١٠٠	٣٤	المجموع

مراجع إضافية

Book

Agar Corbinos, Lorenzo. *Encuesta a la población de origen árabe en Chile (EPOA)*. [s. l: s. n.], 2001.

Periodical

Lolas Stepke, Fernando. «Jornadas de cultural árabe.» *Anales de la universidad de Chile*: serie 6, no. 4, diciembre 1996.

Tesis

Medina, Sergio. «Identidad cultural y desarrollo local en las Comunidades agrícolas de la IV Región: Provincia de Choapa.» (Tesis, universidad de Chile, departamento de Antropología, Santiago, 1995).

الفصل الثالث

العرب في البرازيل

سيلفيا مونتينيغرو^(*)

(*) أستاذة في كلية الآداب والعلوم، الجامعة الوطنية للساحل، «سانتا في» - الأرجنتين.

مقدمة

يعدّ البرازيل أكبر بلد في أمريكا اللاتينية من حيث المساحة وعدد السكان، وتعرف مناطقه المختلفة تبايناً كبيراً من الناحية الديمغرافية، وكذلك من ناحية التاريخ السياسي والثقافي، بشكل يصعب معه التوقف عند خصوصيات هذا البلد في بضع صفحات.

تعود بداية الهجرة العربية إلى البرازيل إلى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، ويندرج مسلسل اندماج هذه المجموعة البشرية، وكذا تكوين خطاب خاص حول هويتها، في إطار الديناميكية العرقية التي تميز البرازيل والتي تجعل منه بلداً متعدد الثقافات. وقد كانت قضية التعدد الثقافي من المواضيع التي حظيت باهتمام خاص من طرف النخب البرازيلية خلال مراحل تاريخية مختلفة، حيثُ عبرت هذه النخب عن متمنياتهما أن يتحول البرازيل إلى بلد تنصهر فيه الأعراق والإثنيات، وذهب بعض المنتمين إليها إلى حدّ الحديث عن الفوائد الكثيرة التي سوف تجنيها البرازيل إذا ما نجحت في مسلسل «تبييض» ساكنتها، وجعل الجنس الأبيض هو الأكثر عدداً، وروج البعض الآخر لأيدولوجية «الديمقراطية العرقية» التي سمحت بظهور ما يسمى «بالحضارة الاستوائية ذات الجذور البرتغالية»^(١).

قد يكون من المفيد في مقدمة هذه الدراسة، إعطاء بعض المعلومات عن البرازيل، تساعدنا على فهم مسلسل هجرة وحضور جالية ناجحة، مشكّلة من العرب ومن المتحدرين من أصل عربي، تنتمي نسبة كبيرة منهم إلى الطبقة الوسطى والعليا البرازيليتين، ويتمركزون بدرجة أولى في مدن الجنوب الشرقي.

(١) من أشهر المروجين لهذه الأيدولوجية الباحث الأنثروبولوجي البرازيلي المعروف جيلبيرتو فرايري (Gilberto Freyre) (١٩٠٠ - ١٩٨٧)، الذي ألف عدداً من الكتب حول العلاقات بين الأعراق، وحول الامتزاج الثقافي بالبرازيل. ويُعتبر «فرايري» في بعض كتاباته، أن الثقافة العربية ساهمت في تكوين الثقافة البرتغالية-البرازيلية، سواء من خلال التأثير العربي في البرتغال ومستعمراتها، أو من خلال الهجرة العربية إلى البرازيل. وتؤكد القران التي يستعملها في تحليلاته، والتي تبناها العديد من المثقفين البرازيليين، أن البرازيل لم تعاني من مشاكل ذات طابع عصري.

أولاً: التراب البرازيلي والخصوصيات الديمغرافية والعرقية والدينية

تشكل البرازيل ٤٧,٣ في المئة من مجموع مساحة أمريكا الجنوبية، وتمتد على رقعة جغرافية تقدر بـ ٨,٥١١,٩٦٥ كلم ٢، وهو ما يجعلها تحتل الرتبة الخامسة عالمياً، بعد روسيا وكندا والصين والولايات المتحدة. ويحد البرازيل من الشمال غوايانا، وغوايانا الفرنسية، والسورينام، وفنزويلا، كولومبيا؛ ومن الجنوب الأرجنتين والأوروغواي؛ ومن الغرب الباراغواي وبوليفيا والبيرو؛ ومن الشرق المحيط الأطلسي. وقد بلغت ساكنتها ١٦٩,٥٤٤,٤٣٣ نسمة سنة ٢٠٠٠، وهي ساكنة شابة يقل عمر ٦٠ في المئة منها عن ٢٩ سنة^(٢). وكانت البلاد قد عرفت منذ ستينيات القرن العشرين، تحولاً ديمغرافياً جذرياً تمثل في تراجع الولادات بشكل كبير مقارنة مع المرحلة الممتدة ما بين بداية القرن العشرين ومنتصفه، ساهم في ذلك تطبيق برنامج خاص بتمدين وتحديث الاقتصاد.

وعلى الرغم من أن البرازيل تحتل الرتبة الخامسة عالمياً من حيث عدد السكان (الرتبة نفسها التي تحتلها من حيث المساحة)، فإن العديد من مناطقها تعرف كثافة سكانية منخفضة، ذلك لأن الساكنة تتركز على طول الساحل الأطلسي بولايات الشمال الشرقي والجنوب الشرقي، في حين أن بقية المناطق هي شبه فارغة من السكان. وقد عرفت البلاد منذ عام ١٩٧٠ حركة هجرة داخلية من دون توقف، من الشمال الشرقي نحو الجنوب الشرقي، ومن المناطق الريفية نحو المراكز الحضرية، كما قصدت الهجرة الداخلية خلال السنوات الأخيرة، مناطق أقل اكتظاظاً بالسكان مثل المنطقة الغربية الوسطى، والمنطقة الشمالية.

وفي ما يتعلق بالناحية الإدارية، عادة ما يتم تقسيم البرازيل إلى خمس مناطق كبرى، تضم كل واحدة منها عدداً من الولايات والعواصم الجهوية، هذه المناطق هي:

١ - المنطقة الشمالية

تضم ولايات الأمازون (Amazonas)، وبارا (Pará)، وأكري (Acre)، وروندونيا (Rondônia)، وأمابا (Amapá) وتوكانتين (Tocantín). وتغطي غابات الأمازون مساحات شاسعة منها. وقد بقيت المنطقة إلى منتصف القرن التاسع عشر شبه عذراء، ولم يبرز دورها كخزان اقتصادي مهم إلا في نهاية القرن التاسع عشر، مع ازدياد

(٢) اعتمدنا في إيراد هذه المعطيات الإحصائية، على المنشورات الدورية للمعهد البرازيلي للجغرافية والإحصاء انظر: «Brasil en síntesis,» ministério do planejamento, orçamento e gestão, instituto brasileiro de geografia estadística (IBGE), Rio de Janeiro, 2004.

الطلب في الأسواق الدولية على المطاط، وهذا ما أدى إلى تضاعف ساكنتها أكثر من ست مرات ما بين عام ١٨٥٠ و عام ١٩١٠، كما تضاعف دخلها مرتين خلال المرحلة نفسها. غير أن النشاط الاقتصادي بها، بدأ يعرف بعض التراجع منذ هذه السنة الأخيرة، نتيجة للانهيار الذي عرفته أسعار المطاط في الأسواق الدولية.

وسوف يتجدد الاهتمام بالثروات المعدنية والفلاحية لمنطقة الأمازون خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، بعد صدور قوانين جديدة تمنح امتيازات مهمة للقطاع الخاص في المجال المنجمي. وقد شجع هذا دخول الشركات العمومية في شراكة اقتصادية مع الشركات الأجنبية، وذلك بهدف الرفع من وتيرة الانتاج، وفي الوقت نفسه من أجل تحفيز هذه الشركات الأجنبية على التنقيب عن مناجم جديدة بالمنطقة.

وستعلن الدولة عن عدة مشاريع استيطانية، سمحت باستقطاب المناطق الفارغة من الأمازون لسكان المناطق القروية القادمين من الشمال الشرقي، غير أن السياسة الحكومية هذه لإقامة المستوطنات الريفية، كانت مسؤولة إلى حد بعيد عن حالة التلوث البيئي التي عرفتها منطقة الأمازون، والدليل على ذلك أن هذه المشاريع التنموية، وكذا الهجرة الداخلية لمرحلة السبعينيات والثمانينيات، تسببت في اجتثاث ما يزيد عن ٤١٤,٤٠٠ كلم ٢ من المساحات الغابوية.

٢ - المنطقة الشمالية الشرقية

تضم ولايات مارانهاو (Maranhão)، وبيباوي (، وثيارا (Ceara)، وريو غراندي دو نورتي (Rio Grande do Norte)، وبارايبا (Paraiba)، وبيرنامبوكو (Pernambuco)، وباهية (Bahia)، وألاغواس (Alagoas)، وسيرجيبى (Sergipe). وعلى الرغم من تعرض مساحات شاسعة من هذه المنطقة التي تعيش بها حوالي ٣٠ في المئة من ساكنة البرازيل، لفترات جفاف مزمنة، فهي تتوافر على إمكانيات اقتصادية مهمة، وعلى احتياطي مرتفع من البترول. ولازالت بيرنامبوكو، وباهية اللتان كانتا خلال المرحلة الاستعمارية أهم ولايتين في البلاد، تؤديان دوراً مهماً في الحياة الثقافية البرازيلية، بحيث تعتبران مصدراً لعدد من المظاهر الثقافية البرازيلية، مثل الموسيقى، والفلكلور، والطبخ وبعض العادات الاجتماعية.

٣ - المنطقة الغربية الوسطى

تضم ولايات ماتو غروسو (Mato Grosso)، وماتو غروسو دو سول (Mato Grosso do Sul)، وغوياس (Goias) والعاصمة برازيليا. ولا زالت الكثافة السكانية محدودة بهذه المنطقة التي تكسوها السهوب والبراري الاستوائية الشاسعة. وعلى الرغم

من أنها بقيت ولعقود المنطقة الأكثر عزلة في البلاد، فقد عرفت تطوراً في إنتاجها الفلاحي في السنوات الأخيرة، كما عرفت إقامة صناعات جديدة. والدليل على الأهمية التي أصبحت تحظى بها المنطقة، أن مدينة برازيليا التي تأسست عام ١٩٦٠، هي العاصمة الحالية للبلاد.

٤ - المنطقة الجنوبية الشرقية

تضم ولايات ريو دي جنيرو (Rio de Janeiro)، وساو باولو (Sao Paulo)، وميناس جيرائس (Minas Gerais)، وإيسبيريتو سانتو (Espirito Santo). وهي منطقة صناعية بدرجة أولى، توجد بها المدن الصناعية الكبرى في البلاد وعلى رأسها مدينة ساو باولو (يقطنها ٥٤,٤٦ في المئة من المأجورين في البلاد)، وريو دي جنيرو، وبيلو أوريزونتي (Belo Horizonte). وتعتبر هذه المدن الثلاث محور الاقتصاد البرازيلي، وبها يتمركز أكبر عدد من السكان. وبالإضافة إلى كل هذا، توجد بالمنطقة الجنوبية الشرقية العديد من المناجم، كما أنها المنطقة الفلاحية الأكثر تقدماً في البلاد، ومن بين أهم منتجاتها الفلاحية، هناك القهوة، والصوغة، والحبوب المعدة للتصدير، إضافة إلى منتوجات أخرى مخصصة للاستهلاك المحلي.

٥ - المنطقة الجنوبية

تضم ولايات بارانا (Paraná)، وسانتا كاتارينا (Santa Catarina)، وريو كراندي دو سول (Rio Grande do Sul). وتعرف هذه المنطقة كذلك مستوى مهماً من التنمية الاقتصادية، كما تتميز بنوع من التكافؤ بين القطاعين الفلاحي والصناعي. ومن خصوصياتها التضاريسية تراجع ارتفاع هضابها كلما توجهنا نحو الجنوب، لتتحول في النهاية إلى سهول شاسعة جداً، هي سهول لابامبا المعروفة، والتي تبرز بنشاطها الرعوي المكثف، الذي لا زال يمارسه على الطريقة التقليدية أولئك القرويون المعروفون باسم «كاوتشوس» (رعاة البقر). وتعتبر بورتو أليغري (Porto Alegre) عاصمة ولاية ريو كراندي دو سول، أهم مدينة في المنطقة.

كان يقطن في ما يعرف اليوم بالبرازيل في القرن السادس عشر مئات القبائل الهندية التي تتحدث لغات مختلفة^(٣). وسوف يحلّ بالبلاد خلال المرحلة نفسها، الزوج الأفارقة الذين ينتمون إلى قبائل «البيتو» وإلى مجموعات إثنية أخرى تنتمي إلى

(٣) يقدر عدد الهنود الذين يقطنون البرازيل اليوم بـ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة، لا زالوا يعيشون في نظام عشائري، بحيث يشكلون حوالي ٢٠٠ قبيلة، تتحدث حوالي ١٨٠ لغة، وهم يقيمون في مناطق خاصة بهم، تقدر مساحتها بحوالي ٨٥٠,٠٠٠ كلم^٢، أي ما يمثل ١٠ في المئة من مجموع التراب البرازيلي.

السودان الغربي^(٤). وقد تم تهجير هؤلاء كرفيق في إطار تجارة الرواج الثلاثي، للعمل في مزارع القهوة وقصب السكر ومناجم الماس. وسيعرف القرن التاسع عشر قدوم موجات بشرية أخرى إلى البرازيل، وهذه المرة من أوروبا، ومن آسيا وضمنها منطقة الشرق الأوسط. وكان أغلب مهاجري هذه المرحلة من البرتغاليين ومن الإيطاليين ثم من اللبنانيين. ومنذ بداية القرن العشرين وبالضبط منذ عام ١٩٠٨، ستستقبل البرازيل موجات بشرية أخرى، هذه المرة من أصول يابانية. وستستمر الهجرة اليابانية في ارتفاع إلى غاية عام ١٩٦٠ التي عرفت وحدها وصول ٢٤٧,٣١٢ مهاجراً يابانياً.

وبخصوص الجانب الديني، يضمن الدستور البرازيلي حرية المعتقد، ذلك لأنه ومنذ إعلان الجمهورية سنة ١٨٨٩، تم إلغاء ما يسمى بالديانة الرسمية للبلاد. ومع هذا فإن أغلبية السكان هم من الكاثوليك والذين مثلوا سنة ١٩٩٧، ٧٠ في المئة من ساكنة البرازيل. وقد عرفت حركة التبشير المسيحي نشاطاً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، وبخاصة مع مجيء مبشرين من أوروبا والولايات المتحدة ينتمون إلى مختلف الطوائف البروتستانتية. وبجانب المسيحيين بطوائفهم المختلفة، وأقليات دينية أخرى مثل المسلمين واليهود والبوذيين، يوجد في البرازيل أتباع بعض الديانات الوثنية التي حملها معهم الرقيق المنتمون لقبائل «اليوروبا» الأفريقية.

حصلت البرازيل على استقلالها عام ١٨٢٢، وفي عام ١٨٨٩ تمت الإطاحة بالملكية وإعلان الجمهورية. جاء ذلك عقب إلغاء العمل بنظام الرق بسنة واحدة. وكان الاهتمام باستقدام المهاجرين إلى البرازيل، قد بدأ منذ عام ١٨٥٠، بعد أن أصبحت النخب الحاكمة مقتنعة بأن نظام الرق لن يطول عمره كثيراً، وبالتالي لم يعدّ بالإمكان رهن مستقبل البلاد به، لتأمين اليد العاملة الضرورية لتحقيق التنمية الاقتصادية. والواقع أن قدوم موجات من المهاجرين من مختلف الأجناس، سمح بتنوع ثقافي، كما شكل إضافة عرقية جديدة تتجاوز الثنائية التقليدية التي يمثلها البيض والسود، والتي كانت إلى ذلك التاريخ تطبع المراكز الحضرية البرازيلية.

دام عمر الجمهورية الأولى من عام ١٨٨٩ إلى عام ١٩٣٠، خلفتها ما سمي بـ «الجمهورية الجديدة»، التي كان غيتوليو برغاس (Getulio Vargas) الذي بقي في الحكم بدعم من العسكريين حوالي خمس عشرة سنة، أحد أبرز وجوهها. وقد تولت السلطة بعد «برغاس» عدة حكومات ديمقراطية، قبل أن يعود العسكريون من جديد عام ١٩٦٤، بحيث استمروا هذه المرة في السلطة إلى عام ١٩٨٥، تاريخ عودة الديمقراطية إلى البلاد.

(٤) يتعلق الأمر بقبائل «اليوروبا» التي ما زالت موجودة إلى اليوم في نيجيريا وبينين.

ثانياً: العرب والهجرة التلقائية

لم يستفد العرب في هجرتهم إلى البرازيل من برامج الدعم والتشجيع التي خصت بها الحكومات البرازيلية الهجرات الأوروبية واليابانية. وقد تميزت الهجرة العربية منذ بدايتها بعدة خصوصيات، من بينها «مجيء المهاجرين على حسابهم الخاص ومن تلقاء أنفسهم»، وهذه خصوصية تحولت مع الوقت إلى علامة فارقة جعلتهم مختلفين عن بقية المجموعات المهاجرة، وبالتالي جعلتهم عنصراً ملفتاً للانتباه. ومن خصوصيات هجرتهم كذلك، تميزها بطابع حضري؛ ذلك لأنها تركزت في البداية بالمدن الكبرى، بخلاف الهجرات الأخرى مثل الألمانية التي استقرت في المناطق القروية الجنوبية، والإيطالية التي توزعت بين المراكز القروية والحضرية.

وباستثناء حالات محدودة، كان وصول المهاجرين العرب إلى البرازيل يتم في ظروف صعبة. وكان تكتلهم مع بعضهم في المهجر يقوم على أساس طائفي، بحيث يشكل ذلك امتداداً لما هو في الوطن، والذي يتوزع فيه السكان خصوصاً في المناطق القروية، على أساس طائفي. ونسجل هنا أن أغلب المهاجرين العرب إلى البرازيل على عهد الإمبراطورية العثمانية كانوا من المسيحيين، وقد قدموا بالأساس من سوريا ولبنان. غير أن ما يلفت الانتباه، هو عدم إحساس هؤلاء المهاجرين بالانتماء إلى البلد الذي قدموا منه، بقدر إحساسهم بالانتماء إلى قريتهم وإلى طائفتهم الدينية.

كان المهاجرون العرب خلال العقد الأولين من وصولهم إلى البرازيل يعتبرون أن هجرتهم مؤقتة، وأن العودة إلى الوطن بعد قضاء فترة معينة في المهجر هو المآل النهائي. هذا على الأقل ما تؤكدته الرسائل التي كانوا يبعثون بها إلى الأقارب، وكذا ما تؤكدته عودة بعض أوائل المهاجرين بشكل نهائي إلى بلدهم بعد قضاء مدة من الزمن في البرازيل^(٥).

وكان يُنظر إلى «الرحيل إلى أمريكا» خلال هذين العقدين كمشروع يرمي المهاجر من خلاله إلى جمع بعض الأموال والعودة إلى البلد الأصلي، للمساهمة في تحسين الوضعية الاقتصادية للعائلة التي خلفها هناك. غير أن الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة وعلى رأسها اندلاع الحرب العالمية الأولى ومشاركة الإمبراطورية العثمانية فيها، وفرض هذه الأخيرة الخدمة العسكرية الإجبارية على رعاياها من المسيحيين على غرار ما كان عليه الأمر مع المسلمين، ثم إعلان الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان

(٥) هذا ما تؤكدته شهادات قدماء المهاجرين، التي اعتمدها جميل صفدي، انظر: Jamil Safady, «A Imigração árabe no Brasil (1880-1971)» (Tese de doutorado, historia, universidade de São Paulo, São Paulo, 1972).

بعد نهاية الحرب، عرقلت مشروع العودة، وفي الوقت نفسه ساهمت في تحول الهجرة من مؤقتة إلى دائمة^(٦).

وصل أوائل العرب إلى البرازيل في ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر، وتذكر السجلات الرسمية، الأخوين زكريا كأول عربيين حلا في هذا البلد، حيث فتحا محلاً تجارياً في ريو دي جنيرو. وسوف يتزايد مع تقدم الوقت عدد العرب في البرازيل، إذ يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل كبرى بخصوص موجات الهجرة العربية إلى هذا البلد، مرحلة أولى، تمتد من ١٨٧٠ إلى ١٨٩٠ وتميزت بتواضع الهجرة العربية من الناحية العددية؛ ومرحلة ثانية، تمتد من ١٨٩٥ إلى ١٩٤١ وتتميز بارتفاع إيقاع الهجرة وبخاصة منذ ١٩٠٨؛ ومرحلة ثالثة حديثة، أخذت أهمية عددية منذ ١٩٧٠، ومن مميزات أن الهجرة العربية تركزت بدرجة أولى بولاية بارانا الواقعة جنوب البرازيل.

تطرح الإحصاءات المتوافرة في السجلات الرسمية، إشكالاً بخصوص الصفة التي دخل بها المهاجرون العرب إلى البرازيل، وهو ما يعقد عملية ضبط عددهم ومعرفة انتمائهم الجغرافي، بحيث تميز هذه الإحصاءات بين من سجل كـ «أتراك» (توركوس)، وبين من سجل كـ «عرب أتراك»، وبين من سجل كـ «أتراك آسيويين»، وبين من سجل بتسميات أخرى مشابهة لهذه.

وتحصر الإحصاءات المذكورة عدد العرب الذين دخلوا البرازيل خلال العشرين سنة الأولى لبداية هجرتهم (١٨٧٠ - ١٨٩٠) في خمسة آلاف، وسوف يرتفع الرقم بشكل سريع جداً خلال السنوات الموالية، إذ وصل مجموع الذين دخلوا البرازيل حتى سنة ١٩١٣ أحد عشر ألفاً. ويتحدث إحصاء للسكان يعود تاريخه إلى عام ١٩٢٠ عن وجود ١٩,٢٩٠ مهاجراً من «الأتراك الآسيويين» في البرازيل خلال السنة المذكورة، ويشير إحصاء آخر يعود تاريخه إلى عام ١٩٤٠، إلى أن العرب يحتلون المرتبة الرابعة من بين الجاليات الأجنبية المقيمة في البلاد^(٧).

وكما يؤكد «جيفراي ليسر» (J. Lesser) عرفت عدد من المدن البرازيلية استقرار أجناب من أصول غير أوروبية منذ القرن التاسع عشر. وبطبيعة الحال فإن موجات

(٦) تتفق المصادر التي اعتمدها، في تحديد الأسباب التي تقف وراء تحول الهجرة من مؤقتة إلى دائمة، انظر: المصدر نفسه؛ Oswaldo Truzzi, *De Mascates a doutores: Sérios e libaneses em São Paulo*, série imigração; v. 2 (São Paulo, SP: IDESP, editora sumaré, [1992]), et Jeffrey Lesser, *Negotiating National Identity: Immigrants, Minorities, and the Struggle for Ethnicity in Brazil* (London; Durham, NC: Duke University Press, 1999).

(٧) بحسب الإحصاءات المتوافرة في السجلات الرسمية، شكل البرتغاليون، والإسبان، والإيطاليون ٦٠ في المئة من مجموع المهاجرين المقيمين في البرازيل.

المهاجرين الذين دخلوا البرازيل ما بين عام ١٨٧٢ و عام ١٩٤٩، والذين تجاوز عددهم ٤,٥٥٥,٠٠٠ شخص، حملوا معهم رصيدهم الثقافي الذي ساهموا بواسطته في خلق هويات جديدة في البرازيل. في هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن الآسيويين من عرب ويهود وغيرهم، الذين وصلوا البلاد خلال المرحلة المذكورة، ساهموا في تغيير الثنائية العرقية التي كانت تقسم البلاد قبل بداية مسلسل الهجرة الذي نحن بصده، إلى بيض وسود.

ويبين لنا الجدول رقم (٣ - ١) أن العرب كانوا مجرد فصل في مسلسل طويل مثلته الهجرة الأجنبية بشكل عام، وقد تميزت هجرتهم بعدم الاستقرار العددي، مقارنة مع بقية الهجرات الأجنبية، خلال المرحلة التي يغطيها الجدول والممتدة ما بين عام ١٩٠٠ و عام ١٩٣٩.

الجدول رقم (٣ - ١)
الأجانب الذين دخلوا البرازيل ما بين الأعوام، ١٩٠٠ - ١٩٣٩

١٩٣٩-١٩٣٠		١٩٢٩-١٩٢٠		١٩١٩-١٩١٠		١٩٠٩-١٩٠٠		السنة
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	الجنسية
٣١	١٠٢,٧٤٣	٣٥	٣٠١,٩١٥	٣٨	٣١٨,٤٨١	٣١	١٩٥,٥٨٦	برتغاليون
٧	٢٢,١٧٠	١٣	١٠٦,٨٣٥	١٧	١٣٨,١٦٨	٣٦	٢٢١,٣٩٤	إيطاليون
٤	١٢,٧٤٦	١٠	٨١,٩٣١	٢٢	١٨١,٦٥١	١٨	١١٣,٢٣٢	إسبان
٨	٢٧,٤٩٧	٩	٧٥,٨٠١	٣	٢٥,٩٠٢	٢	١٣,٨٤٨	ألمان
٣٠	٩٩,٢٢٢	٧	٥٨,٢٨٤	٤	٢٧,٤٣٢	٠,١	٨٦١	يابانيون
٢	٥,٥٤٩	٥	٤٠,٦٩٥	٥	٣٨,٤٠٧	٤	٢٦,٨٤٦	شرق أوسطيون(*)
١٨	٦٢,٨٤١	٢١	١٨١,١٨٦	١١	٨٥,٤١٢	٨	٥٠,٦٤٠	آخرون
١٠٠	٣٣٢,٧٦٨	١٠٠	٨٤٦,٦٤٧	١٠٠	٨١٥,٤٥٣	١٠٠	٦٢٢,٤٠٧	المجموع

(*) حتى عام ١٩٠٣، أدرج ضمن خانات «شرق أوسطيين»، فقط المهاجرون الذين سجلوا وقت دخولهم البلاد كـ «سوريين» و«أتراك»؛ وفي عام ١٩٠٨، أدرج في هذه الخانات من سجل كـ «مغاربة» و«جزائريين» و«أرمن»، و«عراقيين»، و«فلسطينيين»، و«فُرس»؛ وفي عام ١٩٢٦ أُضيف سَجَل كـ «لبنانيين»؛ وابتداءً من عام ١٩٥٤ سجل كـ «إيرانيين»، و«إسرائيليين»، و«أردنيين»، و«عرب».

المصدر: Ministério da fazenda, servigo de estatística economica e financeira do tesouro nacional, *Resumo anual de estatísticas economicas, 1932-1939* (Rio de Janeiro: Imprensa nacional, 1941), pp. 80-82, et Jeffrey Lesser, *Negotiating National Identity: Immigrants, Minorities, and the Struggle for Ethnicity in Brazil* (London; Durham, NC: Duke University Press, 1999), p. 10.

بخلاف ما يظهر في الجدول رقم (٣ - ١) من تواضع في عددهم خلال المراحل الأولى من الهجرة، تتحدث بعض الدراسات عن حضور عددي مهم للسوريين واللبنانيين في البرازيل خلال هذه المرحلة المبكرة، إذ تقدر عدد الذين هاجروا إليها إلى غاية سنة ١٩٠٠ بـ ٨٠,٠٠٠^(٨). وهذا ما يتناقض مع ما يوجد في السجلات الرسمية التي تبين لنا، وكما نورد في الجدول رقم (٣ - ٢)، أن عدد العرب الذين دخلوا البرازيل منذ بداية عهد الهجرة وإلى سنة ١٩٧٠ هو حوالي ١٤٠ ألف مهاجر.

الجدول رقم (٣ - ٢)

الأجانب الذين دخلوا البرازيل ما بين الأعوام، ١٨٨٠ - ١٩٦٩

السنة	برتغاليون	إيطاليون	أسبان	ألمان	يابانيون	شرق أوسطيون	آخرون
١٨٨٠ - ١٨٨٩	١٠٤,٦٩٠	٢٧٧,١٢٤	٣٠,٠٦٦	١٨,٩٠١	-	-	١٧,٨٤١
١٨٩٠ - ١٨٩٩	٢١٩,٣٥٣	٦٩٠,٣٦٥	١٦٤,٢٩٣	١٧,٠٨٤	-	٤,٢١٥	١٠٣,٠١٧
١٩٠٠ - ١٩٠٩	١٩٥,٥٨٦	٢٢١,٣٩٤	١١٣,٢٣٢	١٣,٨٤٨	٨٦١	٢٦,٨٤٦	٥٠,٦٤٠
١٩١٠ - ١٩١٩	٣١٨,٤٨١	١٣٨,١٦٨	١٨١,٦٥١	٢٥,٩٠٢	٢٧,٤٣٢	٣٨,٤٠٧	٨٥,٤١٢
١٩٢٠ - ١٩٢٩	٣٠١,٩١٥	١٠٦,٨٣٥	٨١,٩٣١	٧٥,٨٠١	٥٨,٢٨٤	٤٠,٦٩٥	١٨١,١٨٦
١٩٣٠ - ١٩٣٩	١٠٢,٧٤٣	٢٢,١٧٠	١٢,٧٤٦	٢٧,٤٩٧	٩٩,٢٢٢	٥,٥٤٩	٦٢,٨٤١
١٩٤٠ - ١٩٤٩	٤٥,٦٠٤	١٥,٨١٩	٤,٧٠٢	٦,٨٠٧	٢,٨٢٨	٣,٣٥١	٣٤,٩٧٤
١٩٥٠ - ١٩٥٩	٢٤١,٥٧٩	٩١,٩٣١	٩٤,٦٩٣	١٦,٦٤٣	٣٣,٥٩٣	١٦,٩٩٦	٨٧,٦٣٣
١٩٦٠ - ١٩٦٩	٧٤,١٢٩	١٢,٤١٤	٢٨,٣٩٧	٥,٦٥٩	٢٥,٠٩٢	٤,٤٠٥	٤٧,٤٩١
المجموع	١,٦٠٤,٠٨٠	١,٥٧٦,٢٢٠	٧١١,٧١١	٢٠٨,١٤٢	٢٤٧,٣١٢	١٤٠,٤٦٤	٦٧١,٠٣٥
النسبة المئوية	٣١	٣٠	١٤	٤	٥	٣	١٣

المصدر : Ministério da fazenda, serviço de estatística economica e financeira do tesouro nacional, Ibid., pp. 80-82.

وفي ما يتعلق بجنسية المهاجرين العرب، لا تعكس ما تتضمنه السجلات الرسمية حول المرحلة الممتدة ما بين عام ١٨٩٣ وعام ١٩٣٩ الواقع بشكل مضبوط، فهي تتحدث عن أعداد مهمة من المهاجرين سجلوا كـ «لبنانيين»، و«سوريين»، و«أتراك»، غير أن هذه التسميات وبخاصة الأخيرة منها، لا تعبر عن

Safady, Ibid., p. 115.

(٨)

الانتماء الجغرافي لمن سجل بها، وهذا ما يجعل السجلات المذكورة ناقصة، ناهيك بعدم تقديمها أية معطيات إحصائية بخصوص عدد من سنوات المرحلة التي نحن بصددناها.

الجدول رقم (٣ - ٣)
مهاجرو الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذين دخلوا البرازيل
ما بين الأعوام، ١٨٩٣ - ١٩٣٩

المجموع	١٩٣٩	١٩٣٣	١٩٢٣	١٩١٣	١٩٠٣	١٨٩٣	الجنسية
١	صفر	١	-	-	-	-	جزائريون
٨٢٦	صفر	٤	٨٢١	١	-	-	أرمن
٦٤٥	٢٧	٣٣٥	١٩٠	٤٢	٥١	-	مصريون
١٢٩	١٠	١٠٧	١٢	-	-	-	إيرانيون
١٠	صفر	١٠	-	-	-	-	عراقيون
٥,١٧٤	١,٣٢١	٣,٨٥٣	-	-	-	-	لبنانيون
٣٢٨	٢٣	٤٧	٣٥	٣١	١٩٢	-	مغارية
٦٧٧	٦٦	٦١١	-	-	-	-	فلسطينيون
٣٨٣	٩	٣٧٤	-	-	-	-	فرس
٢٠,٥٠٧	٥٧٧	١٤,٢٦٤	١,١٤٥	٣,٨٢٦	٦٠٢	٩٣	سوريون
٧٨,٤٥٥	٢٧١	١٠,٢٢٧	١٩,٢٥٥	٤٢,١٧٧	٦,٥٢٢	٣	أتراك
١٠٧,١٣٥	٢,٣٠٤	٢٩,٨٣٣	٢١,٤٥٨	٤٦,٠٧٧	٧,٣٦٧	٩٦	المجموع

المصدر: «Discriminação por nacionalidade dos imigrantes entrando no Brasil no período, 1884 - 1939» *Revista de imigração e colonização*, vol. 1, no. 3 (julio 1940), pp. 617-638, et Lesser, *Negotiating National Identity: Immigrants, Minorities, and the Struggle for Ethnicity in Brazil*, p. 49.

وكيفما كان الحال، فإن هذه الأرقام وعلى ما يعتريها من نقص، تسمح بأخذ فكرة عن أهمية الهجرة العربية إلى البرازيل. وقد استقر أهم عدد من العرب بمدينة ساو باولو، قبل أن يمتد حضورهم وبأهمية ملحوظة، إلى ولايات الشمال الشرقي وكذا إلى المنطقة الوسطى من البلاد، ثم ومع مرور الوقت إلى كل مناطق البرازيل، بحيث لم يعد هناك مكان على التراب البرازيلي لا يوجد به عرب ولو بأعداد قليلة جداً. ويقدم لنا الجدول رقم (٣ - ٤) تطور التوزيع الجغرافي للمهاجرين العرب في البرازيل ما بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٤٠.

الجدول رقم (٣ - ٤)
السوريون واللبنانيون في أهم الولايات البرازيلية
بحسب إحصاءي ١٩٢٠ و ١٩٤٠

الولاية	١٩٢٠	١٩٤٠
ساو باولو	١٩,٢٨٥	٢٤,٠٨٤
ريو دي جنيرو	٩,٣٢١	٩,٠٥١
ميناس جيرائيس	٨,٦٨٤	٥,٩٠٢
ريو كراندي دوسول	٢,٦٥٦	١,٠٩٣
المجموع	٣٩,٩٤٦	٤٠,١٣٠

المصدر : Censos Nacionais (1920 y 1940), et *Brasil, 500 anos de povoamento* (Rio de Janeiro: Ministério do planejamento, orçamento e gestão, instituto brasileiro de geografia e estatística, centro de documentação e disseminação de informações, 2000).

لفهم الأسباب المساعدة على النجاح الاقتصادي الذي حققه العرب، يجب التوقف عند التحولات الاقتصادية التي تزامنت في البرازيل مع ارتفاع إيقاع الهجرة الأجنبية؛ فقد عرفت البلاد خلال سنوات الحرب العالمية الأولى إطلاق مشاريع للتصنيع ظهر أثرها في الاقتصاد الوطني بشكل إيجابي جداً، وإن لم يصل إلى الأهمية نفسها التي وصلها خلال سنوات الثلاثينيات وبخاصة الأربعينيات والتي عرفت إقامة أول مصنع للفولاذ بمدينة فولتا ريدوندا (Volta Redonda) التابعة لولاية ريو دي جنيرو، وكان بتمويل من مؤسسة إيكسيمانك (Eximbank) الأمريكية. وسيعرف مسلسل تصنيع البلاد دفعة جديدة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٧٠ بازدهار عدة قطاعات صناعية مثل الصناعة البتروكيماوية، وصناعة الآلات المتحركة، إضافة إلى صناعة الفولاذ التي تطورت بشكل ملحوظ مقارنة مع المرحلة السابقة. كل هذا شجع على إطلاق مشاريع طموحة متعلقة بإنشاء البنى التحتية، وهو ما ساهم بدوره في إنجاح هذه السياسة الاقتصادية، إذ سجل الناتج الداخلي الخام، واحداً من أعلى المعدلات على المستوى العالمي، عندما وصل عام ١٩٧٤ إلى ٧,٤ في المئة. هذه الوضعية استفاد منها عدد من العائلات العربية التي كرست نفوذها في مجال التجارة، وبخاصة في مجال الصناعة الذي حققت فيه نجاحاً مهماً.

عرفت ولاية ساو باولو أهم حضور اقتصادي للعرب في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، وكان تركز تجارتهم في الأحياء التجارية الرئيسية في المدينة، والممتدة ما بين شوارع «٢٥ مارس»، وكانتاراييرا (Cantareira)، و«الدولة». أما في

ولاية ريو دي جنيرو التي تحتل الرتبة الثانية من حيث أهمية حضورهم الاقتصادي، فكان تمرکز تجارتهم بشوارع «الجمارك» وخوسي ماوريشيو و(José Mauricio) وبوينوس أيريس؛ أي المنطقة التي أصبحت تعرف في ما بعد بـ «حيّ التوركوس».

وقد سمح النجاح في التجارة لعدد من العرب بالاستثمار في الصناعة منذ العشرينيات، بحيث تحول عدد من المحلات التجارية التي كانوا يمتلكونها في بداية القرن^(٩)، إلى مؤسسات صناعية مهمة متخصصة في النسيج والملابس الجاهزة، تنافس المؤسسات الصناعية البرتغالية التي كانت إلى ذلك التاريخ تسيطر على هذين القطاعين. ويقدر عدد المؤسسات الصناعية التي كان يمتلكها العرب في ساو باولو خلال العشرينيات بـ ٩١ مؤسسة، جملها في قطاعي الملابس الجاهزة (٦٥ مؤسسة)، والنسيج (١٢ مؤسسة). وسيتكرس حضور العرب في قطاع صناعة وتجارة النسيج ومشتقاته منذ الثلاثينيات، لدرجة أصبحوا، ما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٤٠^(١٠)، يسيطرون عليه بشكل كامل في ولاية ساو باولو^(١١).

ويعود سبب تمرکز العرب في ساو باولو كما في ريو دي جنيرو في أحياء خاصة، إلى كون حديثي العهد بالهجرة منهم، فضلوا في بداية القرن العشرين، الاستقرار بأمكان قريبة من تلك التي يمارسون بها نشاطهم التجاري. غير أنه مع تقدم الوقت، فضل بعض العرب الذين كونوا ثروات مهمة، نقل أماكن سكنهم إلى أحياء فخمة، بعضها كانت إلى ذلك التاريخ شبه فارغة من السكان، وهم بذلك ساهموا في تعمير المدينتين، وبخاصة ساو باولو. وقد كان انتقال هؤلاء للإقامة في الأحياء الراقية، وراء إبراز فروقات اجتماعية بينهم وبين بقية مواطنهم.

كان المهاجرون العرب يصلون إلى البرازيل في سن مبكرة جداً، إذ لم يكن يتجاوز عمر بعضهم الرابعة عشرة، وكانت الهجرة في البداية مقتصرة بالأساس على الذكور، غير أنه ومع تقدم الوقت وانتشار ما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، بدأ يلتحق هؤلاء الأقارب من الجنسين، وهذا ما يفسر من جهة ظهور عدد من الجمعيات النسائية بين المهاجرين العرب خلال العقود الأولى من القرن العشرين، كما يفسر من

(٩) في عام ١٩٠٧ كانوا يمتلكون ٣٢٠ محلاً تجارياً في مدينة ساو باولو وحدها.

Estadística industrial do estado de São Paulo, 1934.

(١٠)

(١١) وجد المهاجرون اليهود الذين بدأوا يفدون إلى البرازيل خلال هذه المرحلة قطاع النسيج وقد سيطر عليه العرب. وبحكم أنهم أقبلوا على القطاع نفسه، فإنهم شرعوا في التعامل مع تجار الجملة السوريين اللبنانيين، بحيث أصبحوا يشترون منهم سلعهم. وبالنظر إلى وصولهم المتأخر، لا يمكن القول إن اليهود شكّلوا منافسة للتجار العرب في قطاع النسيج ومشتقاته.

جهة أخرى الأهمية التي كانت تعطى للعمل الجمعي داخل الجالية العربية. ويسمح لنا تحليل أولى أشكال العمل الجمعي لديهم اعتماداً على المعطيات الكمية، من الاقتراب بشكل أوضح من الديناميكية التي تحرك بها العرب في المجتمع البرازيلي.

ثالثاً: المؤسسات العربية في البرازيل

من الأمور التي تثير الانتباه في هذا المجال، العدد الكبير من الجمعيات التي أنشأها المهاجرون العرب في البرازيل منذ وقت مبكر، إذ نجدها في ثلاثينيات القرن العشرين، بجل ولايات البلاد، وقد وصل عددها في ولاية ساو باولو وحدها إلى مئة وعشرين؛ يتعلق الأمر بمراكز ثقافية، وجمعيات دينية وخيرية وتعاضدية، وأحزاب سياسية.

كانت هذه الجمعيات تقتصر أحياناً على أفراد ينتمون إلى مدينة واحدة بل وإلى قرية واحدة، وقد عمّر بعضها لسنوات محدودة، بينما طال عمر الأخرى بحيث لا تزال قائمة إلى اليوم. ويرجع سبب اختفاء أغلب هذه النوادي، إلى اندماج المهاجرين والمتحدرين منهم في الثقافة المحلية، وإلى وفاة جيل المؤسسين مع تقدم الوقت. يسري هذا كذلك على المجلات الأدبية وعلى مدارس تعليم اللغة العربية. وإذا كان هناك من جديد بخصوص هذه الجمعيات، فإنه يهم تلك ذات التوجه الديني التي استقطبت خلال السنوات الأخيرة المهاجرين العرب المسلمين والمتحدرين منهم، إضافة إلى استقطابها لعدد من البرازيليين من أصول غير عربية اعتنقوا الإسلام. وبالنظر إلى الدور الاستثنائي الذي أصبحت تضطلع به هذه المؤسسات الدينية، فإننا سنتناولها بنوع من التفصيل في الصفحات الموالية. وقد زكى الإسلام حضوره من خلال المؤسسات المذكورة، انطلاقاً من خطاب يربط أول وجود لهذه الديانة في البرازيل، بمرحلة مبكرة جداً تعود إلى فترة التهجير القسري للرقيق الأفارقة المسلمين.

١ - المؤسسات الصحافية

يمكن إدراج الصحافة ضمن النشاط الجمعي الذي مارسه العرب في البرازيل، وهي صحافة عرفت تطوراً فريداً من نوعه خلال العقود الأولى من القرن العشرين. وقد ساهم في انتشارها الباعة المتجولون الذين كانوا ويجانب ما ينقلونه من منتوجات إلى المناطق النائية، يحملون الصحف اليومية والأسبوعية لبيعها لمن يرغب بها من العرب. ولم يقتصر دور هذه الصحف على نشر ما استجد في عالم الأخبار، بل إنّه تعدى ذلك إلى التعريف بالثقافة العربية، وبالإننتاجات الأدبية للأدباء المهاجرين، إضافة إلى التعريف ببعض مظاهر الثقافة البرازيلية بين المهاجرين العرب. وكان ظهور

هذه الصحافة في مرحلة مبكرة، بحيث نجد في سنة ١٩٠١ خمس صحف عربية تصدر في البرازيل، وهو رقم معبر جداً، بالنظر إلى كون الصحافة العربية في تلك المرحلة المبكرة، كانت لا تزال في بداية عهدها حتى في الوطن العربي^(١٢). ويعكس وجود هذه الصحف، الحيوية التي ميزت الحركة الثقافية العربية في البرازيل والتي كان من مظاهرها، اللقاءات الأدبية التي كانت تشهدها نوادي الجالية والتي كان الشعراء المهجريون وغيرهم من المبدعين يلقون فيها ما جادت به قرائحهم من قصائد، أو ما أنتجوه من أعمال فكرية. وكانت هذه اللقاءات من الأهمية لدرجة يصل معها عدد الذين يحضرونها أحياناً إلى ٢,٠٠٠ شخص.

وبجانب اهتمامهم بالثقافة العربية، قام بعض مثقفي الجالية، بالتعريف بالثقافة البرازيلية بين المهاجرين العرب، وكان ذلك برعاية من الحكومة البرازيلية. في هذا السياق تُرجم كتاب تاريخ البرازيل إلى اللغة العربية، ووزع مجاناً في عدد من البلدان العربية.

لقد سمح النجاح الذي حققته الصحافة العربية في البرازيل، بإنشاء جمعية الصحافة اللبنانية في ريو دي جنيرو، من طرف مجموعة من الصحفيين الممثلين للجرائد التي صدرت في البرازيل منذ سنة ١٩٠٢، ذلك لأن الجرائد التي صدرت قبل هذا التاريخ كانت قد اختفت عند تأسيس الجمعية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض الصحف العربية لم تعمر إلا وقتاً قصيراً جداً. وقد وصل عدد الصحف العربية التي كانت تصدر في ساو باولو عام ١٩١٧ إلى ثلاث عشرة صحيفة والتي كانت تصدر في ريو دي جنيرو إلى خمس. وسوف تتعرض الصحافة العربية في البرازيل إلى ضربة قوية سنة ١٩٤٢ عندما أصدرت حكومة غيتوليو بارغاس قانوناً يمنع صدور الصحف باللغات الأجنبية. وحتى تتمكن من ضمان استمراريتها، قامت بعض الصحف العربية بتغيير لغتها إلى البرتغالية. وبعد انتهاء مرحلة المنع التي دامت أربع سنوات، عادت قلة من الصحف المتوقفة عن الصدور للظهور من جديد، أما أغلبها فلم تتمكن من ذلك، بحيث كان قرار المنع سبباً مباشراً في اختفائها النهائي.

وبجانب الصحف، ستتراجع منذ نهاية الأربعينيات أهمية بقية المؤسسات التي أنشأها أوائل المهاجرين العرب في البرازيل. ويرى المهاجر والمثقف البارز جميل صفدي في مقالة تحمل عنوان: «لحظة تأمل»، أن الجالية العربية مطالبة بإعادة تنظيم

(١٢) خلال المرحلة نفسها كانت تصدر في مصر ٦٣ صحيفة عربية؛ وفي لبنان ١٨ صحيفة، منها ١٥

في بيروت وحدها؛ وفي الولايات المتحدة ٩ صحف.

نفسها وبلورة نظرة نقدية عن أسباب فشل وانحطاط بعض مؤسساتها. ومما جاء في المقالة التي يعود تاريخها إلى سنة ١٩٤٨ والتي يخاطب فيها النخبة المثقفة: «إلى النخبة المثقفة من السوريين واللبنانيين الذين هاجروا إلى هنا للأسباب نفسها التي هاجر من أجلها غيرهم وهي: تكوين الثروة، أو على الأقل كسب لقمة العيش، إلى هذه النخبة التي أجبرها الإقبال على الحياة المادية والتخلي عن الحياة المعرفية، على حصر نشاطها الثقافي في نشر صحف ومجلات وكتب، بقيت حبيسة الإطار الذي تتحرك فيه الجالية العربية، ولم تتجاوزه أبداً لتصل إلى من هم من غير هذه الجالية»^(١٣).

ربما يدفع هذا التشخيص إلى الظن أن الاندماج في الثقافة البرازيلية والذي كان يتزايد بشكل تدريجي، هو الذي يقف وراء تراجع النشاط الثقافي للجالية العربية، غير أنه وإذا ما تتبعنا تحليل صفدي، فإننا نخلص إلى أن العرب لم يتمكنوا كذلك من التغلغل بشكل واضح داخل الثقافة البرازيلية، يقول: «حاولت هذه النخبة المثقفة نفسها، الجاهلة بالبرتغالية، وغير العارفة بتاريخ وأدب البلد الذي تعيش فيه، أكثر من مرة إنشاء جمعيات ثقافية يكون لها صدى خارج الجالية، يتم من خلالها التعريف بأبرز مظاهر الثقافة العربية في الأوساط البرازيلية، وفي الوقت نفسه التعريف بواقع الثقافة البرازيلية بين الشعوب العربية، غير أن كل المحاولات التي قامت بها طيلة سنوات، باءت مع الأسف بالفشل»^(١٤).

قد يظهر لنا أن طرح صفدي هذا فيه بعض التشاؤم، غير أنه وبالنظر إلى مآل الصحافة العربية في البرازيل في الوقت الحاضر، والعدد القليل من الصحف التي لا زالت تصدر، يتبين أنه طرح على درجة كبيرة من الواقعية؛ فما يصدر اليوم من صحف عربية في هذا البلد لا يتجاوز صحيفتين هما العروبة^(١٥) في ساو باولو، والصوت العربي^(١٦) في لوندرينا بولاية «بارنا»، ومجلة واحدة هي الشمس^(١٧) التي تصدر كذلك في ساو باولو.

٢ - المؤسسات الدينية

يتعذر معرفة النسب التي تمثلها كُلاً واحدة من الطوائف الدينية بين أوائل

Safady, Ibid., p. 111.

(١٣)

(١٤) المصدر نفسه، ص ١١١.

(١٥) صحيفة نصف شهرية، تصدر عن الجمعية الخيرية الإسلامية في ساو باولو.

(١٦) تأسست عام ١٩٩٧، وترتبط بشكل رسمي بالجالية المسلمة المقيمة في ولاية بارنا.

(١٧) مجلة تهتم بأخبار الجالية العربية وأنشطتها وعلاقتها بالحياة العامة في البرازيل، ويبلغ عدد النسخ

التي تصدرها شهرياً عشر آلاف نسخة.

المهاجرين العرب الذين حلوا في البرازيل في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومع ذلك فإن المعطيات المتوافرة عن هذه المرحلة تسمح بإعطاء التقديرات التالية: ١٥ في المئة مسلمون، و ٢٠ في المئة أرثوذكس، و ٦٥ في المئة بقية الطوائف الدينية المسيحية. أما بخصوص الهجرة العربية الحديثة التي عرفتها البرازيل خلال الأربعين سنة الأخيرة، فقد أثارت بدرجة أولى اهتمام المسلمين الذين استقروا في أقصى جنوب البلاد، بالمنطقة المعروفة باسم «الحدود الثلاثية»، والتي تقع عندها حدود البرازيل والأرجنتين والباراغواي. ويبلغ عدد هؤلاء المهاجرين حوالي عشرين ألفاً، وهم أساساً من اللبنانيين والفلسطينيين والأردنيين.

ويمكن أن نميز بالنسبة إلى الطوائف الدينية التي أنشأت مؤسسات خاصة بها في البرازيل بين:

أ - الأرثوذكس

قدر إحصاء يعود تاريخه إلى عام ١٩٤٠، عددهم في البرازيل بأربعين ألفاً، معظمهم من السوريين واللبنانيين. هذه الأهمية العددية سمحت بتأسيس عدد من الكنائس، أساساً في ولايتي ساو باولو وريو دي جنيرو اللتين استقر بهما أوائل العرب الذين وصلوا إلى البرازيل. وسوف ترى النور أول كنيسة أرثوذكسية في ساو باولو عام ١٨٩٧، تبعثها كنائس أخرى أنشئت خصيصاً خلال ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين بمدن بيلو أوريزونتي (Belo Horizonte) وغواكسوبي (Guaxupé) وبياري (Bairi)، وسانتوس (Santos) وساو خوسي دي ريو بريتيو (Sao José de Rio Preto)، وريو دي جنيرو. وقد زار بعض هذه الكنائس خلال المرحلة التي نحن بصددتها عدد من القساوسة الأرثوذكس القادمين من المشرق، كما تمّ خلال المرحلة نفسها تنظيم أولى المؤتمرات الأرثوذكسية في البرازيل، ناهيك بترجمة بعض كتب العقيدة الأرثوذكسية إلى البرتغالية. وكلّ هذا سمح للعرب الأرثوذكس بإضفاء الطابع المؤسسي على ممارستهم الدينية في البرازيل.

ب - الموارنة

ينتمي عدد مهم من أوائل المهاجرين العرب القادمين من جبل لبنان إلى الطائفة المارونية. وقد أنشأ الموارنة أولى مؤسساتهم الدينية في ساو باولو بدعم مادي من التجار العرب المنتمين إلى هذه الطائفة؛ وهكذا تأسست عام ١٨٩٧ الجمعية الخيرية المارونية. وفي عام ١٩٠٣ وجّهت دعوة إلى الجالية العربية بمختلف طوائفها، للاكتتاب من أجل إنشاء أول كنيسة مارونية بالبلاد، رأت النور في السنة نفسها في ساو باولو. وسوف يتم هدم هذه الكنيسة سنة ١٩١٧ لأسباب تقنية متعلقة بالامتداد

العمراني للمدينة، حيث شيدت في مكان آخر. وبخصوص ولاية ريو دي جنيرو فقد تأسست أول بعثة دينية مارونية بها عام ١٩٣١، تولى الإشراف عليها مرسلون موارنة وصلوا المدينة في السنة المذكورة.

ج - الكاثوليك الملكيون

جاء المهاجرون العرب أتباع هذه الطائفة من سوريا ولبنان، وقد قدر إحصاء عام ١٩٤٠ عددهم في ساو باولو بـ ٤,٥٠٠، وفي ريو دي جنيرو بـ ٣,٠٠٠، إضافة إلى عدة آلاف أخرى موزعة على مختلف أنحاء البرازيل. وكان تأسيس أول كنيسة لهم عام ١٩٢٨ في ريو دي جنيرو، أما في ساو باولو فقد تمّ أولاً إنشاء المجلس الإداري للكنيسة الكاثوليكية الملكية سنة ١٩٤٨، والذي أقر بعد ذلك تشييد كنيسة «سيدة الفردوس».

د - البروتستانت السوريون

بقي عدد المهاجرين البروتستانت العرب في البرازيل محدوداً جداً، ومع ذلك أسسوا كنيسة لهم عام ١٩٢٠ بمبادرة من مهاجر يدعى خليل راسي، غير أن الكنيسة المذكورة وبسبب الصعوبات المادية التي اعترضتها، اضطرت إلى تغيير مقرها أكثر من مرة، قبل أن يتم اختفاؤها وبيع ممتلكاتها عام ١٩٣٥، وكان عمرها آنذاك لا يتجاوز خمس عشرة سنة.

هـ - الأرثوذكس السريان

أسس المهاجرون العرب من أبناء هذه الديانة على تواضع عددهم، كنيسة خاصة بهم في مدينة ساو باولو في ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٣.

و - المسلمون

ليس بالإمكان معرفة عددهم بالضبط وبخاصة مع التضارب الكبير في التقديرات، إذ تجعلهم بعض المؤسسات الإسلامية حوالى ٦٠٠ ألف، بينما يجعلهم بعض الباحثين المهتمين بالموضوع أقل من ٢٢ ألفاً^(١٨). وقد شيد المسلمون مساجد ومراكز دينية في مختلف الولايات البرازيلية. وبسبب الانبعث الذي تعرفه هذه الديانة في البرازيل حالياً، سوف نخصص لها بضع فقرات هذه الدراسة، عند تناولنا لموضوع الهجرة العربية الحديثة.

(١٨) Philippe Waniez y Violette Brustlein, «Os Muçulmanos no Brasil: Elementos para uma geografia social,» *Alceu* (Rio de Janeiro), vol. 1, no. 2 (enero-junio 2001), pp. 155-180.

يظهر مما سلف ذكره التنوع العقدي للمهاجرين العرب في البرازيل. وبحكم أن الأمر يتعلق ببلد تعتبر فيه المسيحية هي الديانة الأولى، فإن المؤسسات التي أنشأها المسيحيون العرب، استفادت من بعض التسهيلات التي ساعدتها على إدارة أمورهما؛ كمثال على ذلك، نذكر الدعم الذي قدمته الكنيسة الكاثوليكية البرازيلية لهذه المؤسسات، إما لتشييد كنائس خاصة بها، أو لربط علاقات مع السلطات البرازيلية. من جانب آخر، بحكم أن الأمر يتعلق بهجرة مسيحيين إلى بلد مسيحي، فإن المهاجرين العرب المسيحيين كانوا أكثر قبولاً في المجتمع البرازيلي من المهاجرين العرب المسلمين، وبخاصة أن هؤلاء اعتبروا من طرف بعض النخب البرازيلية أقل استعداداً للاندماج في المجتمع من نظرائهم المسيحيين.

٣ - المؤسسات التجارية

مارس المهاجرون البرتغاليون والإيطاليون التجارة المتجولة في ساو باولو، وريو دي جنيرو قبل وصول العرب، ومع ذلك فإن هذا النشاط سيقترن في ما بعد بالعرب دون غيرهم، وبخاصة أنهم طبعوه بطابعهم الخاص، وأدخلوا عليه عدة خصوصيات أصبحت تشكل اليوم جزءاً مما يسمى بالتجارة الشعبية، نذكر من بينها: وضع قاعدة جديدة لشروط الربح، وإدراج منتجات ذات جودة عالية ضمن السلع المعروضة، وتحفيز الزين من خلال البيع بأسعار تفضيلية.

وقد سمح النجاح الذي حققه كباعة متجولين، للعديد منهم بفتح محلات تجارية للبيع بالتقسيط، تخصصت بدرجة أولى في النسيج وفي منتجات الخردة. وبالإضافة إلى هذه المحلات، أسس العرب منذ وقت مبكر هيئات ذات صبغة تجارية؛ وهكذا رأت النور في ساو باولو سنة ١٩١٣ الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في البرازيل والتي سيصبح اسمها منذ سنة ١٩٥٢ الغرفة التجارية العربية البرازيلية. وبجانب فرعها الرئيسي، للغرفة فرعان آخران في بيلو أوريزونتي وكوريتيبا (Curitiba) وبحكم انضمامها للاتحاد العام للغرف التجارية والصناعية والفلاحية في البلاد العربية، والتابع لجامعة الدول العربية، تمثل الغرفة مصالح مؤسسات تجارية بائنين وعشرين بلداً عربياً. وهي تسعى بذلك إلى تقوية العلاقات التجارية بين هذه البلدان والبرازيل، بحيث جعلت من بين أهدافها، تشجيع الصادرات البرازيلية إلى الأسواق العربية، وتنظيم الندوات واللقاءات العلمية التي تعرف بالأسواق والقوانين التجارية العربية. موازاة مع هذا، تتولى الغرفة الإشراف على وكالة الأنباء العربية التي تعمل على نشر الأخبار المتعلقة بالوطن العربي، وعلى التعريف بالأنشطة الثقافية العربية - البرازيلية المشتركة. وتوجد في مدينة ساو باولو كذلك هيئات تجارية أخرى

مرتبطة بالجالية العربية، هي الغرفة التجارية اللبنانية العربية، والغرفة الدولية للتجارة والصناعة والتي للمتحدثين من أصل عربي حضور قوي فيها، وفدرالية الهيئات العربية الفلسطينية البرازيلية، إضافة إلى فرع لفدرالية الهيئات العربية في أمريكا (فياراب).

وقد ساهمت كل هذه الهيئات بدور فعال في تحقيق امتداد خارجي للصناعة والتجارة وغيرهما من القطاعات الاقتصادية التي استثمر فيها العرب والمتحدثون منهم في البرازيل، وذلك من خلال ما تقدمه من معلومات عن الإمكانيات الاقتصادية للمؤسسات العربية، وكذا من خلال تسهيل مشاركة هذه المؤسسات في المعارض الدولية.

٤ - المؤسسات التعليمية

اهتم السوريون واللبنانيون منذ بداية هجرتهم إلى البرازيل بالجانب التربوي، وقد أسس الموارنة سنة ١٨٩٧ المدرسة السورية الفرنسية في ساو باولو، وفي سنة ١٩١٢ تأسس بالمدينة نفسها المعهد الرياضي الشرقي، ثم المعهد السوري البرازيلي سنة ١٩١٧، والمعهد السوري الحديث سنة ١٩١٩، ومعهد القديس ميخائيل سنة ١٩٢٢. وسوف تظهر مدارس عربية في مدن أخرى كذلك، من بينها مدرسة الأرز اللبناني في ريو دي جنيرو، والمدرسة العربية في كامبوس (Campos)، وكلاهما تأسس عام ١٩٣٥.

وسيصل عدد مراكز تلقين اللغة العربية التي أسسها المهاجرون العرب في البرازيل إلى غاية ثلاثينيات القرن العشرين إلى حوالي أربعين. وكانت هذه المدارس تتخذ أحياناً من النوادي الرياضية والمؤسسات الدينية مقراً لها، كما كان التعليم بها في العديد من الحالات مجانياً. وقد اختفت في الوقت الحاضر جل هذه المدارس، بحيث لم يعد بالإمكان تعلم اللغة العربية إلا في الجمعيات الإسلامية أو من خلال التعاقد مع مدرس خاص.

وبخصوص التعليم العالي، دخل المتحدثون من أصل عربي الجامعة بالنسب المسجلة لدى الجاليات الأخرى، وكان ميلهم بدرجة أولى إلى التخصصات التي تسمح بعد التخرج بالعمل في القطاع الخاص مثل الطب والمحاماة والهندسة^(١٩). وبالرغم من عدم إنشاء العرب معاهد جامعية خاصة بهم، فإنهم حققوا في أربعينيات القرن العشرين، إنجازاً مهماً يتعلق بتعليم اللغة العربية داخل الجامعة البرازيلية، من

M. Mott, «Imigra árabe: Um Certo oriente no Brasil.» dans: *Brasil, 500 anos de povoamento*. (١٩)

خلال تأسيس مركز اللغة العربية بكلية الفلسفة التابعة لجامعة ساو باولو سنة ١٩٤٨، أطلق عليه اسم «المركز البرازيلي للدراسات العربية». وقد تحقق هذا الإنجاز بفضل علاقة الصداقة التي كانت تربط بعض أعيان الجالية العربية برئيس الجامعة المذكورة. وعلى الرغم من أن المركز جعل تعليم اللغة العربية من بين أولوياته، فإن ذلك لم يعرف انتظاماً بسبب نقص الأساتذة، وهو ما كان يحتم أحياناً إلغاء المادة. وسوف يستمرّ الوضع على هذا الحال إلى سنة ١٩٦٢، عندما قام رئيس الجمهورية آنذاك جانيو كوادروس (Janio Quadros) أثناء زيارته لمصر، بمناقشة الأمر مع الرئيس جمال عبد الناصر، الذي تعهد بإرسال الأطر اللازمة لضمان تدريس اللغة العربية في الجامعة البرازيلية بشكل منتظم، وكان أول من وصل في هذه المهمة، هو الباحث حلمي محمد إبراهيم نصر، وهو أستاذ في جامعة القاهرة، درّس في فرنسا. ويمكن اعتبار الباحث المذكور ممن ساهموا في وضع أسس الدراسات العربية في الجامعة البرازيلية، من خلال تدريسه لمادتي اللغة والأدب العربيين بكلية العلوم الإنسانية التابعة لجامعة ساو باولو^(٢٠). وستعرف الدراسات العربية بالجامعة دفعة جديدة منذ ١٩٧٠ عندما تمّ التعاقد مع أساتذة آخرين. أما في الوقت الحاضر فيعرف مركز الدراسات العربية سالف الذكر نشاطاً ملحوظاً، إذ يتلقى تعليمه به، حوالى ٢٠٠ طالب، يدرسون مواد لها علاقة بالثقافة العربية من أدب ولغة وغيرهما.

وعلى الرغم من هذا الاهتمام المؤسساتي بتعليم اللغة العربية، فإن نسبة قليلة جداً من المتحدرين من أصل عربي من أبناء الجيل الثاني والثالث هم الذين يتكلمونها، ذلك لأن دخول أغلبهم مدارس التعليم البرازيلي، واندماجهم في النظام التربوي المعمول به في البلاد، حال دون تعلمها. هذا الوضع ينطبق بخاصة على المتحدرين من الهجرة القديمة، بخلاف ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى المنتمين للهجرة الحديثة الذين أسسوا مدارس سمحت بحفاظ على اللغة العربية كما سنرى.

رابعاً: الهجرة العربية الحديثة

وصلت إلى البرازيل ما بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٩٥ مجموعات من المهاجرين العرب القادمين بالأساس من لبنان وفلسطين والأردن والذين استقروا بولايات البرازيل الجنوبية وبخاصة بارانا، وريو كراندي دو سول التي نعثر بها على مهاجرين

(٢٠) من الحوار الذي أجراه الباحث جون لاوند (Jean Lauand) مع حلمي محمد إبراهيم نصر، بتاريخ ٢٤ نيسان/أبريل ١٩٩٣. للاطلاع على النص الكامل للحوار، انظر موقع مركز الدراسات العربية التابع لجامعة ساو باولو، على العنوان التالي: < http://www.hottopos.com/cear.htm > .

عرب حتى في المدن الصغيرة جداً مثل شويي (Chuí) الواقعة على الحدود مع الأوروغواي والتي يبلغ مجموع ساكنتها ٦,٥٠٠ نسمة، من بينهم ١٣٤ أردنياً و١٣ فلسطينياً؛ أو مدينة أوروغوايانا (Uruguiana) الواقعة على الحدود مع الأرجنتين والتي يقيم فيها ١٦٢ مهاجراً أردنياً، وثلاث عائلات فلسطينية؛ أو مدينة ليفرامينتو (Livramento) التي يقيم فيها ٩٧ مهاجراً أردنياً، و٧ عائلات فلسطينية. يتعلق الأمر هنا بمهاجرين حلوا في البرازيل بحثاً عن تحسين وضعيتهم الاقتصادية على غرار ما كان عليه الأمر مع المهاجرين القدماء، مارسوا وعلى غرار هؤلاء النشاط التجاري. وقد بينت دراسة أنجزت حولهم، أنهم جميعاً وبغض النظر عن انتمائهم الجغرافي إلى فلسطين أو الأردن، يقدمون أنفسهم كـ «فلسطينيين»^(٢١). مرد ذلك التطور الحاصل في التعريف بالأصل الفلسطيني خلال الخمسين سنة الأخيرة، وهو تطور ذو أبعاد سياسية، لأن هؤلاء المهاجرين يحسون بارتباط عميق بالقضية الفلسطينية الحاضرة بقوة في ذاكرتهم، كما في حواراتهم التي تدور باستمرار حول مواضيع لها علاقة بالحروب التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط، أو بالاحتلال الإسرائيلي.

وكما سلف ذكره، تبقى ولاية «بارانا» من أهم المناطق التي استقطبت هذه «الهجرة الحديثة»، وكان الاستقرار أولاً في مدينة باراناغوا (Paranagua) التي انتقلوا منها إلى مدن كوريتيبا، وأراوكاريا (Araucaria)، ولابا (Lapa)، وبونتا غروسا (Ponta Grossa)، وغوارابوفا (Guarapuav)، وسيرو أسول (Serro Azul)، ولوندرينا (Londrina)، وفوت دي إغوازو (Foz de Iguazu) التي تقيم بها حالياً أكبر جالية عربية بولاية «بارانا»، وتشكل بالأساس من اللبنانيين مع قلة من الفلسطينيين والأردنيين. ويتراوح عدد عرب «الهجرة الحديثة» بهذه المنطقة المعروفة باسم «منطقة الحدود الثلاثية»^(٢٢) ما بين ثمانية عشر ألفاً وعشرين ألفاً، أغلبهم من المسلمين الذين تركوا وطنهم جنوب لبنان نتيجة الأوضاع السياسية غير المستقرة، ونتيجة الغزو الإسرائيلي. وكما مرّ بنا، فإن اللغة العربية حاضرة بقوة بين هؤلاء المهاجرين، بحيث إنها لغة التواصل والمعاملات التجارية. ويلفت انتباه زائر مدينة «فوت دي إغواثو» أسماء محلات تجارية كتبت بحروف عربية، كما يلفت انتباهه الحضور المكثف للعرب، وهو حضور يسمح لهم بإبراز وجودهم بشكل متزايد في الديناميكية الاجتماعية للمدينة. ويوجد بالمدينة المذكورة مسجدان ومدرستان لتعليم اللغة العربية، يتلقى فيهما التلاميذ تكويناً لغوياً مزدوجاً بالعربية والبرتغالية. ويقوم

(٢١) Denise Fagundes Jardim, «Palestinos: As Redefinições de fronteiras e cidadania», *Horizontes antropológicos* (Porto Alegre), vol. 9, no. 19 (2003).

(٢٢) تلتقي عندها حدود الأرجنتين والبرازيل والباراغواي.

النشاط التجاري للعرب في منطقة الحدود الثلاثية بالأساس على استيراد وتوزيع السلع بالنقاط الحدودية للبلدان الثلاثة.

إذا كان هناك من فرق بين هذه «الهجرة الحديثة» و«الهجرة القديمة»، فيتمثل بدرجة أولى في الانتماء الديني لكُلّ منهما، حيثُ يتعلق الأمر هنا بهجرة أغلب عناصرها من المسلمين، بينما كان أغلب عناصر الهجرة القديمة من المسيحيين. وقد اعتُبر الانتماء الديني في الماضي كما في الحاضر عنصراً أساسياً لقياس اندماج العرب، ودرجة قبولهم في المجتمع المضيف؛ ففي الوقت الذي لا زال ينظر فيه إلى مسلمي «الهجرة الحديثة» كـ «غرباء»، اندمج مسيحيو «الهجرة القديمة» في هذا المجتمع، بل وأثروا فيه من خلال أخذه ببعض عاداتهم وتقاليدهم مثل الطبخ.

خامساً: العرب في البرازيل بين التهميش والاندماج

حقق العرب الذين ينتمون إلى «الهجرة القديمة» اندماجاً تاماً في مجتمع متعدد الأعراق والإثنيات، وقد ساهموا، على غرار غيرهم من الأجناس، في بلورة وصقل ما يسمى اليوم بثقافة ونمط العيش البرازيلي. غير أن عملية الاندماج هذه لم تكن بالأمر السهل؛ فأوائل المهاجرين الذين حلوا في البرازيل، كانوا عرضة للإقصاء والتهميش من طرف المجتمع المضيف، وكذا من طرف المهاجرين المنتمين إلى أجناس أخرى^(٢٣). فقط مع ارتفاع العرب درجات السلم الاجتماعي، سيتراجع وبشكل تدريجي هذا الإقصاء والتهميش. والواقع أن الخطة التي اتبعتها الجالية والقائمون عليها لتحقيق الاندماج أتت أكلها، حيثُ يرجع إليها الفضل في تحقيق القبول الذي يحظى به العرب اليوم بهذا المجتمع، الذي اختلط دمّه بالدم العربي.

تولي الدراسات المتعلقة بالهجرات الأجنبية إلى البرازيل اهتماماً خاصاً في الوقت الحاضر بحالة الجالية العربية، بعدما كانت في الماضي مركزة اهتمامها على الثقافات الزنجية وعلى الهجرات الأوروبية. والسبب هو أن الهجرات غير الأوروبية، وكما

(٢٣) نذكر في هذا السياق الهجوم الذي استهدف الجالية العربية سنة ١٩٣٥، عقب الجدل المدوي بين «هربرت ليفي» (Herbert Levi) وهو مثقف وصحافي من أصل يهودي (أصبح في ما بعد نائباً في البرلمان البرازيلي)، وبين خورخي سلمون وهو أحد المتحدرين من أصل سوري البارزين في البرازيل. ويرجع أصل الجدل، إلى مقالة نشرها ليفي، يقول فيها إن المهاجرين اليهود القادمين من ألمانيا، أنفع للبرازيل من المهاجرين العرب، لأن اليهود يحملون معهم إلى البرازيل العلوم وغيرها مما يساهم في تحقيق التقدم، في حين لا يحمل العرب معهم إلا العادات القذرة، وهم - حسبه - ليس لهم من نشاط غير ممارسة المضاربة غير الشريفة، وغير الزواج بأكثر من امرأة واحدة. لمزيد من المعلومات حول هذا الجدل، انظر: Lesser, *Negotiating National Identity: Immigrants, Minorities, and the Struggle for Ethnicity in Brazil*.

نسجل عند جيفراي ليسر، لم تلفت الاهتمام إليها من قبل كموضوع للدراسة^(٢٤)، وبالتالي لم تطرح قضية الهوية الثقافية للمهاجرين غير الأوروبيين والمتحدرين منهم كمادة للتحليل يتداخل فيه ما هو مستمد من ثقافتهم الأصلية بما هو برازيلي.

وبخصوص العرب، وفي سعيهم إلى تحقيق الاندماج، حاول بعضهم نهج خطة تستند إلى أساس عرقي، بحيث انطلقوا من الثنائية التي تقسم المجتمع البرازيلي إلى بيض وسود، ليصنفوا أنفسهم ضمن الجنس الأبيض، أي «المجموعة المرغوب فيها»، كما حاول البعض الآخر ولتحقيق الغاية نفسها، إرجاع الحضور العربي في البرازيل إلى ما قبل القرن التاسع عشر، ومحاولين إبراز تأثير البرتغاليين الذين غزوا البرازيل في القرن السادس عشر في الثقافة العربية، ومبينين أن العادات والأعراف العربية كانت شائعة في المجتمع البرازيلي عندما بدأت هجرة القرن التاسع عشر. وسوف تسعى المؤسسات العربية في البرازيل منذ نشأتها، إلى تبني أحد الطرحين سالف الذكر أو كليهما، ومن خلالهما بناء هوية خاصة ينسجم فيها ما هو برازيلي مع ما هو عربي.

موازاة مع ذلك، نجح بعض العرب في الحصول على اعتراف المجتمع بهم، بل والارتقاء اجتماعياً، بعد أن أقاموا علاقات وطيدة مع النخب الاجتماعية المحلية، وبعد أن تخرجوا من الجامعة، وبعد أن تشبعوا بنمط العيش البرازيلي. وكان للنجاح الاقتصادي دور حاسم في اندماج العرب المنتمين إلى «الهجرة القديمة»، بالمجتمع البرازيلي.

لقد اعتبر العرب المنتمون لهذه الهجرة، وأغلبهم من المسيحيين، أن الاندماج يتحقق عبر الابتعاد عن كل ما قد يجعلهم ثقافياً واجتماعياً يصنفون ضمن «الهجرة غير المرغوب فيها». لذا حاولوا الحد من التعامل مع من هو محسوب على غير الجنس الأبيض، وكذا مع العرب المسلمين الذين للمجتمع البرازيلي منهم مواقف وأحكام مسبقة. في المقابل عملوا على الترويج لصورتهم كمسيحيين ينتمون إلى الثقافة الغربية، وبخاصة كأشخاص عمليين يساهمون في التنمية الاقتصادية للبرازيل^(٢٥).

وبغض النظر عن الخطة التي نهجها العرب لتحقيق الاندماج والقبول في المجتمع المضيف، فإن حضورهم في المجال الاجتماعي والسياسي والثقافي البرازيلي غداً واقعاً يفرض نفسه. وهنا تجب الإشارة إلى أنه ومنذ القرن التاسع عشر، أصبح حضور الإثنيات من أصول غير أوروبية ملموساً في مختلف أرجاء البرازيل بما في

(٢٤) المصدر نفسه.

Oswaldo Truzzi, «O Lugar certo na época certa: Sirios e libaneses no Brasil e nos estados (٢٥) unidos, um enfoque comparativo,» *Estudos históricos* (Rio de Janeiro), no. 27 (enero-junio 2001).

ذلك القرى النائبة، وهذا ما يفسر لنا بالنسبة إلى حالة العرب، وجود جمعيات خاصة بهم في عدد من هذه القرى^(٢٦).

لقد تمّ تصنيف المهاجرين العرب في البداية كمجموعة بشرية واحدة، عرفوا باسم «التوركوس» أو «الشرق أوسطيين»، ولم يكن هناك وعي من طرف مكونات المجتمع البرازيلي بالاختلافات الدينية بينهم، وكذا بانتماءاتهم الجغرافية إلى بلدان مختلفة. والملفت للانتباه أن أولى الدراسات التي أنجزت حولهم لم تتحدث عن هذه الاختلافات، بحيث اعتبرتهم مجموعة بشرية واحدة. ولم تبدأ الدراسات تتناول الموضوع بنوع من التفصيل إلا مؤخراً مع أبحاث تروزي (Truzzi)، الذي اعتمد في دراسته للهجرة السورية - اللبنانية على مصادر مختلفة من بينها الإستريوغرافيا، وإحصاءات السكان، ونصوص القوانين المؤسسة للجمعيات العربية، إضافة إلى تحليل الخطاب المتعلق بموقف البرازيليين من المهاجرين العرب.

لاحظ تروزي من خلال تحليله لنصوص قوانين الجمعيات التي أسسها العرب في البرازيل، سواء منها ذات الطابع الخيري أو الديني، أن هناك خصوصيات تميز كل مجموعة من المجموعات التي تكوّن الجالية العربية؛ وقد توقف عند الاختلاف العقدي، بحيث ميز أولاً بين أغلبية مسيحية وأقلية مسلمة، ثمّ ميز داخل المجموعة المسيحية بين الموارنة، والأرثوذكس، والأرثوذكس الملكيين، والبروتستانت؛ وداخل المجموعة المسلمة بين السنة والشيعة، ناهيك بالدروز. ويرى الباحث نفسه أن هذه الطوائف الدينية توجد في حالة منافسة بين بعضها البعض، كما يرى، وهنا نتفق معه، أن الهوية الدينية كانت أقوى لدى العرب في البرازيل من الهوية القومية، وهذا ما يعبر عنه بما يلي: «كان عدم التجانس الديني والعرقي أقوى من الانتماء الجغرافي إلى منطقة واحدة، غير أن كلا من العنصر الديني والجغرافي، حاضر بقوة في توجه مختلف الجمعيات التي أسستها الجالية^(٢٧).

من جانب آخر، يعثر تروزي عندما يحلل كتابات النخبة المثقفة العربية في البرازيل، والتي ألفها القادة الدينيون والسياسيون للجالية، على مجموعة من النماذج يمكن أن نسميها بـ «التقاليد المتبعة» أو بـ «الجدور الأسطورية»، الغاية منها اعتماد

(٢٦) لفت الحضور المهم للعرب في مختلف أنحاء البرازيل، انتباه عدد من كبار أدباء ومبذعي البرازيل، وعلى رأسهم خورخي أمادو الذي يتحدث في رواياته عن «التوركوس»، كعنصر حاضر بشكل ملموس، خصوصاً في مدن الشمال الشرقي.

Oswaldo Truzzi, «Imigra sirio libanesa em São Paulo.» *Estudios migratorios latinoamericanos* (Buenos Aires), vol. 9, no. 26 (abril 1994), p. 29.

العنصر العرقي لتحقيق أهداف مزدوجة، تتمثل من جهة في تحديد طبيعة العلاقة بين العناصر التي تشكل الجالية العربية، ومن جهة أخرى في تحديد طبيعة العلاقة بين هذه الجالية وبين بقية مكونات المجتمع البرازيلي. عن ذلك يقول: «يلفت الانتباه في أغلب الكتب التي ألفها المثقفون اللبنانيون في البرازيل تمجيداً للحضارة الفينيقية: اختراع الأبجدية، والممارسة التجارية كغريزة، وملحمة البحارة الذين اكتشفوا أمريكا قبل كولومبوس. وكان إبرازهم لهذه الحضارة يتم على حساب الحضارة العربية الإسلامية. وهكذا إذا كان المسلمون يرون أن أمجاد المنطقة التي قدم منها المهاجرون تبتدئ مع ظهور النبي محمد (ﷺ)، فإن الموارنة اللبنانيين، ومن خلال تيار ظهر في لبنان أثناء مرحلة ما بين الحربين، يعتبرون أمجادهم التاريخية سابقة للنبي محمد (ﷺ)، بحيث ترتبط بالفينيقيين، وهم بذلك يرفضون الانتماء إلى الثقافة العربية. وقد وصل الأمر ببعض المتعصبين منهم إلى جعل العروبة أمراً مرادفاً للإسلام، وبخاصة أن هذه الديانة هي التي توحدت من خلالها الإمبراطوريات التي حكمت المنطقة التي قدم منها المهاجرون»^(٢٨).

أظن أن دراسات «تروزي» حول الهجرة العربية والتي تتناول مواضيع من قبيل المفهوم المتغير للعروبة لدى المهاجرين، ودور الاختلاف الديني في خلق تباين داخل مكونات الجالية، وحرص قادتها على إبراز خصوصياتها، وتسويق الصورة التي تجعل منها - على الأقل بالنسبة إلى الذين ينظرون إليها من الخارج - وحدة متجانسة، تمس جوهر مشكل الهوية لدى عرب البرازيل. والواقع أن قضية الهوية طرحت لدى هؤلاء بحدة في الماضي كما في الحاضر؛ ففي بداية عهد الهجرة لم يقبل المهاجرون العرب لقب «التوركوس» الذي أطلقه عليهم البرازيليون، أولاً، لأنهم ليسوا أتراكاً، والهجرة من تركيا إلى البرازيل لا وجود لها أصلاً؛ وثانياً، لأن هذا اللقب أخذ بعداً تحقيرياً نتيجة لممارسة العرب للتجارة المتجولة قليلة الأهمية، في وقت كانت البلاد محتاجة فيه إلى مهاجرين يعملون في الفلاحة، وقيمون في المناطق الريفية وليس في المراكز الحضرية كما كان الحال مع أوائل المهاجرين العرب. وإضافة إلى حكم القيمة هذا الذي أصبح مترسخاً في الذاكرة الجماعية البرازيلية لذلك الوقت، أضافت هذه الذاكرة حكم قيمة آخر على العرب لا يقل سلبية، هو أنهم لا يختلطون إلا مع بعضهم، ويتفادون أي اختلاط مع مجموعات بشرية أخرى، بسبب ذلك استعمل في حقهم مثل يقول: «التركي لا يتزوج إلا تركية». وقد تناول مسار التاجر المتجول العربي بعض عرب البرازيل من الذين كتبوا سيرهم الذاتية، لكنهم حاولوا إبراز

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٣.

الجانب الإيجابي فقط لهذا النشاط، بحيث تتحدث إحدى هذه السير عن «التاجر المتجول الذي أصبح دكتوراً»^(٢٩).

من جانب آخر يجب التذكير أن الجالية العربية كانت مسؤولة أحياناً عن هذه الصورة السلبية التي أصبحت لها في المجتمع، ويكفي التوقف عند توجه بعض الجمعيات التي أنشأتها، لنلاحظ كيف أن الاختلاف الديني الذي كرسه هذه الجمعيات، ساهم في تعميق تلك الصورة السلبية، إذ نسجل مثلاً أن بعض المسيحيين العرب وبخاصة من المسؤولين عن هذه الجمعيات، فضلوا عدم التعامل مع أبناء جلدتهم من المسلمين، وروجوا عنهم ممارستهم لعادات غريبة عن المجتمع البرازيلي مثل تعدد الزوجات والتعصب الديني. وكُلّ هذا كان يدخل ضمن استراتيجية مدروسة للقائمين على بعض هذه الجمعيات، هدفاً من ورائها إلى تحقيق قبول أكبر في المجتمع، من خلال السعي إلى إقناع هذا المجتمع بأنهم وبخلاف المسلمين، قريبون منه لأنهم مسيحيون ذوو ثقافة غربية.

وبالرغم من أن المجتمع البرازيلي ينظر إلى الجالية العربية كمجموعة بشرية واحدة، فإن لدى هذا المجتمع نوعاً من الوعي بالاختلاف الموجود داخلها، يربط فيه بين الانتماء الجغرافي والارتقاء السيوسيو - اقتصادي، وهذا ما يؤكد المثل الشعبي القائل: «عندما يصل شخص من الشرق الأوسط إلى البرازيل يكون في البداية «تركياً»، وبعد أن يحصل على عمله الأول يصبح «سورياً»، وإذا ما نجح في امتلاك محل تجاري مهم أو مصنع يصبح «لبنانياً».

لقد وصل عدد العرب الذين دخلوا البرازيل ما بين عام ١٨٧٠ وعام ١٩٣٩ إلى حوالي ١١٠,٠٠٠ شخص، هذا العدد المهم جعل النخب البرازيلية تولي حضورهم في البلاد أهمية خاصة. من جهتها حاولت الجالية العربية ولتحقيق القبول في المجتمع، نهج استراتيجية اعتمدت فيها على مسلكين متباينين، يرمي الأول إلى إبراز مساهماتها في البناء الاقتصادي، ويرمي الثاني إلى جعلها أقل لفت للانتباه في المجتمع، وهنا استعمل عدد من العرب وسائل مثل تغيير أسمائهم بأسماء برازيلية لتسهيل عملية الانصهار، وبخاصة أن العديد منهم يشبهون إلى حد كبير المواطنين البرازيليين من حيث السحنة والملامح.

وعلى الرغم من أن العرب بقوا عرضة لرفض وتهميش المجتمع لهم خلال

(٢٩) هذا ما نخلص إليه من خلال مجموعة حوارات أجراها جميل صفدي مع رواد الهجرة العربية إلى

البرازيل. انظر: Safady, «A Imigração árabe no Brasil (1880-1971)».

البرازيل. انظر:

المرحلة التي نحن بصدددها، وبخاصة إبان فترة حكم غيتوليو برغاس، فإن ما قاموا به من أجل تحقيق الاندماج كان يقابل بنوع من الاحترام من طرف النخب البرازيلية، التي عبرت عن تقديرها للمهاجرين العرب ولؤوساتهم، على نضالهم من أجل تحقيق استقلال بلدانهم الأصلية، وهو نضال ساهم في بلورة مفهوم الهوية الذي تبناه تلك المؤسسات. غير أن القبول الذي حققته الجالية العربية داخل ديناميكية المجتمع المضيف لم يكن انطلافاً من مواقفها السياسية هذه، وإنما وبدرجة أولى من خلال نجاحها الاقتصادي. من جانب آخر نسجل أن العرب لم يكتفوا فقط بدور المستهلك لمنط العيش البرازيلي، وإنما نجحوا في طبع المجتمع المضيف ببعض عاداتهم وتقاليدهم الثقافية، مثل الطبخ العربي الذي وصلت درجة التأثير به في البرازيل إلى حد أننا نجد اليوم شركات متخصصة في الأكلات الخفيفة (Fast Food) العربية بمختلف مدن البرازيل، لا يقتصر زبائنها على العرب والمتحدرين منهم، وإنما يمتد إلى مختلف شرائح المجتمع، لدرجة يمكن القول إن ما تقدم من وجبات أصبح جزءاً من التقاليد الغذائية البرازيلية. وتتوافر شركة واحدة فقط من الشركات المذكورة على أكثر من ١٥٠ فرعاً، وإضافة إلى هذه الشركة، هناك ثلاث شركات أخرى على المستوى نفسه من الأهمية تقريباً^(٣٠).

يظهر اندماج العرب في المجتمع البرازيلي كذلك من خلال حضورهم المتميز في الحياة السياسية البرازيلية، وقد برز المتحدرون منهم في مختلف الأحزاب السياسية، وشغل بعضهم مناصب على درجة كبيرة من الأهمية، مثل حكام الولايات الرئيسية في البلاد، وعلى رأسها ولاية ساو باولو.

وعلى الرغم من هذا النجاح الكبير في مجال السياسة، فإن خوضهم غمار الممارسة السياسية بدأ في مرحلة متأخرة نسبياً، أي بعد ما سمي بمرحلة «الدولة الجديدة» التي تمتد من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٥. وقد انخرط في الحياة السياسية البرازيلية في البداية العرب الذين ينتمون إلى العائلات التي حققت نجاحاً اقتصادياً مهماً، وكذا إلى الطبقة الوسطى، وكان ذلك أولاً في المدن الكبرى وعلى رأسها ساو باولو، قبل أن يصل إلى بقية المراكز الحضرية. وسوف يتمكن عدد من العرب منذ التاريخ سالف الذكر، من ولوج البرلمان الذي أصبح لهم حضور مهم فيه، وكانت مشاركتهم في الانتخابات تتم باستمرار كمرشحين عن الأحزاب ذات الميول الشعبوية.

(٣٠) لفتت هذه الظاهرة انتباه بعض الصحف البرازيلية وكذا الدولية، ومن بين المقالات الصحافية التي تناولت الموضوع واحدة تحمل توقيع «لاري لوكسنر»، انظر: Larry Luxner, «Brazil's Arab Fast Food: انظر: Middle East (February 2001), p. 48.

وكخلاصة للمحور الذي نحن بصدده، يمكن القول إن الجالية السورية - اللبنانية لم تعتمد خطة واحدة في سعيها إلى المساهمة في بلورة ما يسمى بـ «الهوية البرازيلية». وبغض النظر عن تعدد الخطط المتبعة، فإن الهوية البرازيلية الجديدة تأثرت من خلال هؤلاء المهاجرين، بعدد من مظاهر الثقافة العربية. وسوف تؤدي النخب البرازيلية ولو بشكل متأخر، دوراً في طبع الهوية البرازيلية بطابع عربي، ذلك لأن هذه النخب المتأثرة بفكرة التعدد الثقافي للبرازيل، وبأطروحة «الديمقراطية العرقية»، أصبحت أكثر من أي وقت مضى على استعداد لقبول مساهمة العرب في بلورة الهوية البرازيلية المعاصرة. وقد سلمت هذه النخب بل وتبنت، فكرة انتماء العرب إلى ثقافة الجنس الأبيض^(*).

غير أن النجاح الذي حققه العرب في هذا المضمار لم يكن يعني أنهم انصهروا بشكل تام في النسيج المجتمعي البرازيلي، إذ لا يزال وجودهم كمجموعة قائمة بذاتها يلفت الانتباه داخل بعض الفضاءات البرازيلية، ويكفي التوقف ببعض الأحياء التجارية للمدن الكبرى مثل ساو باولو، وريو دي جنيرو، لنلاحظ أنهم يتمركزون في أحياء تجارية خاصة بهم.

من جانب آخر وبخصوص المرحلة الراهنة، وكرد فعل على موجة الرفض المحتملة ضدّ العرب والمربطة بما يسمى بـ «الحرب ضدّ الإرهاب الدولي»، والتي تحركها الولايات المتحدة، قامت عدد من حكومات الولايات البرازيلية بالعمل على تفادي وقوع أي نوع من الإقصاء أو التهميش ضدّ العرب المقيمين في هذه الولايات وبخاصة الجنوبية والتي توجد فيها جالية حديثة العهد بالهجرة، معظم أفرادها من المسلمين.

وقبل أن تتخذ حكومات هذه الولايات تلك الإجراءات الوقائية، كان رئيس الجمهورية البرازيلية فرناندو هنريكي كاردوزو (Fernando Henrique Cardoso) قد ردّ عقب أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، على الادعاءات التي نشرتها الصحافة الأمريكية، والقائلة بوجود خلايا إرهابية ذات توجه إسلامي جنوب البرازيل. وسوف تولي الصحافة البرازيلية اهتماماً خاصاً لتصريحات رئيس الجمهورية^(٣١)، وبخاصة التصريح الذي أدلى به أثناء زيارته الولايات المتحدة والذي قال فيه إن جنوب البرازيل، حيث المنطقة الحدودية مع الأرجنتين والباراغواي (تقيم في هذه

(*) حاولت بعض النخب الثقافية في بداية القرن العشرين في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية، وفي تركيتها لأطروحة عنصرية ترى أن الجنس الأبيض هو الجنس المتفوق، تصنيف العرب ضمن أجناس أخرى، بحيث وصل الأمر في الأرجنتين إلى صدور مراسيم قانونية في نهاية عشرينيات القرن العشرين، تجعلهم من الجنس الأصفر، وقد تمّ بناء على ذلك وضع عراقيل على دخولهم البلاد (المترجم).

(٣١) كنموذج للمقالات التي تناولت الموضوع، انظر: «Brasil contesta FRI.» *Correio brasileiro*، 29/9/2001، et «FHU nega presença de terroristas.» *Pais de Santa Catarina*، 29/9/2001.

المنطقة الجالية العربية المسلمة المنتمة للهجرة الحديثة)، هي أكثر أمناً وأقل عرضة لخطر الإرهاب من عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

والواقع أن اهتمام وسائل الإعلام بهذه التصريحات والضجة التي تلتها، مصدره جدل دخل فيه رئيس الجمهورية البرازيلية، مع أحد كبار المسؤولين في الشرطة الفدرالية الأمريكية الـ إف. بي. أي. (F. B. I)، الذي صرح لصحيفة كوريو برازيلينسي (*Correio braziliense*) أن البرازيل تحولت إلى بؤرة للإرهاب. وقد ردّ كاردوزو على ذلك في حوار أجرته معه القناة التلفزيونية الأمريكية سي. إن. إن. (CNN)، قال فيه إن جهاز المخابرات البرازيلي لم يعثر ولو على مؤشر واحد يوحي بوجود خلايا إرهابية في البرازيل ولا في الباراغواي المجاورة، وإن: «هنا في البرازيل يوجد كثير من العرب المسلمين، لكن وجودهم لا يجب أن يدفع بنا أبداً إلى التفكير بأن لهم علاقة بالإرهاب». وفي الحوار نفسه عبر كاردوزو عن انشغاله للعمليات الانتقامية التي بدأت تستهدف العرب، بسبب هذه الاتهامات التي تروج ضدهم.

وفي اتجاه تصريحات رئيس الجمهورية نفسها، أكد مسؤول في جهاز المخابرات البرازيلي، أن الولايات المتحدة تمارس ضغوطاً على البرازيل للإقرار بشيء غير موجود في البرازيل، وهو الإرهاب ذو التوجه الإسلامي. وقد تلت هذه التصريحات المفندة لادعاءات الولايات المتحدة، تصريحات أخرى لمسؤولين حكوميين برازيليين، من بينها الخطاب الذي ألقاه وزير الدفاع «جيرالدو ماخيلا دا كروز (Geraldo Magela da Cruz) في المؤتمر الخامس لوزراء دفاع القارة الأمريكية الذي عقد في سانتياغو عاصمة التشيلي في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٢، والذي جاء فيه: «إنني أعبر عن انشغالي لبعض الأخبار الرائجة حول احتمال وجود أشخاص لهم علاقة بأنشطة إرهابية في البرازيل، مع أنه وكما صرح رئيس الجمهورية، ليس هناك أي دليل على وجود أنشطة لها علاقة بالإرهاب في هذه المنطقة (يقصد منطقة الحدود الثلاثية). إن هذه المنطقة متعددة الأعراق، تضم جالية عربية، من بين مكوناتها العديد من الفلسطينيين، وأعداد مهمة من المسلمين، وكلّ هؤلاء يعيشون في سلم وأمان، وفي انسجام تام مع محيطهم، لذا فإن القيام بأي خطوة متسارعة، أو اتخاذ أي قرار من دون أساس ضدهم، يعتبر عملاً عنصرياً. والبرازيل وتماشياً مع أحد مبادئها الدستورية، والداعية إلى مصلحة الفرد وكرامته من دون إقصاء أو تهميش، تدين هذه التصرفات، وهذه الأحكام الجاهزة ضدّ الجالية العربية»^(٣٢).

وقد وجد هذا الموقف الرسمي صدى طيباً في الصحافة البرازيلية التي رفضت بدورها هذه الاتهامات، مبيّنة أن ما ينشر في الصحافة الدولية ضدّ المسلمين لا يمكن ولا ينبغي أن يمس بسمعة عرب البرازيل.

سادساً: إعادة إحياء الهوية العربية في البرازيل

كما أكدنا آنفاً، تباينت درجة اندماج العرب في المجتمع البرازيلي بحسب الانتماء الدينيّ، وهنا يمكن القول إن الحالة التي يمثلها المسلمون اليوم تعتبر في غاية الأهمية، لأنهم نهجوا استراتيجية خاصة لإثبات حضورهم في المجتمع المضيف كللت بالنجاح، وتتمثل هذه الاستراتيجية في إنشاء جمعيات نشيطة ذات طابع إسلامي، يتكفل بها المسلمون بغض النظر عن انتماءاتهم القطرية، في وقت تراجعت فيه خلال العقود الأخيرة الجمعيات والنوادي التي أسسها قدماء المهاجرين المسيحيين على أساس قطري أو إقليمي؛ بعبارة أخرى إن الدفاع عن الهوية العربية والعمل على إظهار تأثيرها في الثقافة البرازيلية، أصبح يضطلع به اليوم العرب المسلمون بعدما اضطلع به في الماضي العرب المسيحيون.

عادت إذاً قضية الهوية العربية لتطفو على السطح داخل المجتمع البرازيلي، من خلال خطاب جديد مخالف لذلك الذي تبنته الجالية العربية المسيحية في الماضي، خطاب يحاول العودة إلى بدايات الإسلام في البرازيل والذي حمله معهم الزنوج الذين حلوا في هذا البلد في إطار تجارة الرواج الثلاثي. والحقيقة أن الأمر لا يستند على مجرد خطاب خرافي كما يتصور البعض، وإنّما خطاب واقعي قائم على حقائق تاريخية معروفة؛ فالأدبيات التاريخية والاجتماعية البرازيلية تؤكد أن الحضور الإسلامي بهذا البلد سابق للهجرة العربية التي بدأت في القرن التاسع عشر، بحيث يعود إلى وصول الرقيق الأفارقة، الذين سميت بعض الكتابات عقيدتهم بـ «الإسلام الأسود»، وسمتها كتابات أخرى «ديانة السود المحمديين»، وأدرجتها في سياق أوسع أطلق عليه اسم «القضية الزنجية». وكان بالإمكان إلى غاية بداية القرن العشرين، العثور على «أواخر المسلمين من الزنوج الأفارقة» في البرازيل.

وقد نشر المؤرخ نينا رودريغيز (Nina Rodriguez) في بداية القرن نفسه، مقالة في الموضوع تحت عنوان «المسلمون الزنوج في البرازيل»^(٣٣)، اعتمد فيها على أرشيفات الشرطة، ومراسلات حكام الولايات، وتصريحات المتهمين المتورطين في

التمرد الذي قام به الزوج المسلمون ضدّ نظام الرق الذي كان وراء تهجيرهم إلى البرازيل^(*)، كما زار المؤرخ نفسه بعض أئمة الزوج بمدينة باهية (Bahia) وريو دي جنيرو، وتحدث عن أنشطتهم ولباسهم ومبررات تمردهم، وكذا طبيعة علاقتهم مع بقية الزوج غير المسلمين. وسيواصل البحث في الموضوع نفسه بعد رودريغيز، تلميذه أرتورو راموس (Arturo Ramos) الذي كتب سنة ١٩٣٧ مقالة تحت عنوان «الثقافات المحمدية للزوج»، أكد فيها أن الإسلام دخل البرازيل عن طريق الزوج الذين جاءوا من مناطق مختلفة من أفريقيا، وأضاف أنّه وباستثناء إقليم غينيا، يعتبر كلّ زوج السودان الغربي الذين هُجروا إلى البرازيل، من أتباع الديانة الإسلامية.

ونسجل في دراسة رودريغيز وكذلك في دراسة راموس، اهتماماً خاصاً بتمرد الزوج سالف الذكر، بحيث حاول كلاهما، وإن بشكل غير مباشر، إيجاد علاقة بين ذلك التمرد وبين ديانتهم الإسلامية^(٣٤). من جهته يؤكد الباحث الإثنوغرافي الفرنسي المعروف روجيه باستيد (Roger Bastide) الذي اهتمت أبحاثه بالديانات الأفريقية في البرازيل، في دراسة صدرت له سنة ١٩٧١، أن المسلمين الزوج كانوا يوجدون خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في جُلّ مناطق البرازيل، وأنهم وبحسب المصادر الشفوية التي اعتمدها، كانت لهم مساجد في الأغواس، وبرنامبوكو وباهية. ويضيف الباحث نفسه أن أكبر عدد من المسلمين الزوج كانوا يقيمون خلال المرحلة سالفة الذكر في باهية، ثمّ بنسبة أقل في ريو دي جنيرو.

يتبين لنا إذاً أن الدراسات الإثنوغرافية (Historiographia) حول البرازيل تربط وصول الإسلام إلى هذا البلد بتجارة الرقيق، وهي تُجمع في تحليلاتها للإثنيات الزنجية المسلمة في البرازيل، على أن الأمر يتعلق بمجموعات بشرية ذات مستوى ثقافي لا بأس به، كانت تعرف القراءة والكتابة، ولم تختلط ببقية الرقيق ذوي الأصول الأفريقية، تزعمت أهم التمردات الزنجية التي عرفتها البرازيل. وتصف هذه الدراسات الإسلام بالديانة التي تبعث على عزة النفس، وتقاوم كلّ محاولات التمسيح، كما تصف الزوج الذين يدينون بها في البرازيل بـ «أناس متشائخين ثائرين لهم عزة نفس».

(*) وقع هذا التمرد سنة ١٨٣٥ بمنطقة «باهية»، وقد شكل خطراً حقيقياً على مصالح البيض، قبل أن يتم إخماده (المترجم).

(٣٤) ذهب رودريغيز إلى حدّ اعتبار التمرد خطة مدروسة كان الهدف منها القيام بالجهاد في أمريكا اللاتينية بهدف نشر الإسلام، وهو ما يرفضه باحثون آخرون يرون أن الدافع الحقيقي للتمرد هو الاستغلال الاقتصادي الذي كان الزوج عرضة له بالبرازيل (المترجم). انظر: João José Reis e P.F. de Moraes Farias, «Islam y resistencia esclava en Bahía, Brazil», *Atif nún*, no. 26 (abril 2005), p. 9.

وقد قام مثقفو الجالية العربية المسلمة في البرازيل وبخاصة في ولاية ساو باولو، بالتوقف عند الكتابات سالفة الذكر لإبراز أهمية الإسلام في البرازيل، والتنبيه إلى وجود كتب ووثائق بالحرف العربي، استعملها الرقيق المسلمون. لكن بعض المثقفين المسلمين ذهبوا إلى أبعد من ذلك، إذ اعتبروا أن وصول الإسلام إلى البرازيل تمّ مع اكتشاف هذا البلد من طرف الإيبيريين، هذا ما نسجله مثلاً عند الباحث المغربي الراحل علي الكتاني الذي يرى أن الحضور العربي الإسلامي في البرازيل يعود إلى سنة ١٥٠٠، ويقول في هذا السياق: «عندما قام البرتغاليون بغزو البرازيل، منعوا المسلمين من الهجرة إلى هناك، غير أن هذا المنع لم يجلّ دون وصول العديد من الموريسكيين الذين كانوا من الكثرة، بحيث أشهروا في القرن السادس عشر إسلامهم. وقد أعلنت محكمة باهية بسبب ذلك بدء العمل بمحاكم التفتيش الكاثوليكية في البرازيل منذ عام ١٥٩٤، هذه المحاكم نفذت ضدهم أحكاماً دموية تمثلت في إعدام أو إحراق أو استعباد الآلاف منهم»^(٣٥). كما نسجله عند كلید أحمد ورتز (Clyd Ahmad Winters) وهو مسلم كندي يهتم بدراسة الحضور الإسلامي في الأمريكتين، وضع كرونولوجية للإسلام الزنجي في أمريكا، تحدث فيها عن وصول مسلمين زنوج من غرناطة إلى أمريكا عام ١٤٩٢ برفقة كولومبس، وكان بعضهم من أصول غينية. ونسجله أخيراً عند محمد حميدو الله، وهو مفكر مسلم معروف بين الجاليات المسلمة في البرازيل، نشر العديد من المقالات حول الموضوع في مجلة مركز الدراسات الإسلامية في جامعة يوروبا في جنوب أفريقيا (يقيم حالياً في هذا البلد)، قام «مركز نشر الإسلام» في أمريكا اللاتينية بترجمة مجموعة منها إلى البرتغالية. ويتحدث حميدو الله في مقالاته عن وجود مصادر عربية يعود تاريخها إلى أربعة قرون على الأقل قبل اكتشاف أمريكا، وردت فيها إشارات حول هذه القارة.

إن هذه الكتابات التي أخذناها كنماذج، والتي تجعل الإسلام يصل إلى أمريكا على الأقل في فترة اكتشافها نفسها، ترى أن التاريخ الرسمي لم يتحدث عن ذلك لأن الأمر كان يتعلق «بمسلمين سرّيين» مارسوا عقيدتهم في الخفاء، وهي ممارسة أخذت هذا المنحى أولاً في إسبانيا بعد سقوط غرناطة، ثمّ في العالم الجديد وضمنه البرازيل التي انبعث فيها الإسلام لفترة قصيرة مباشرة بعد اكتشافها، قبل أن يتم منعه من طرف الحكام البرتغاليين.

M. Ali Kettani, «Islam in America, Islam in Brazil,» dans: M. Ali Kettani, *Muslim* (٣٥) *Minorities in the World Today*, with a foreword by Syed Z. Abedin, Institute of Muslim Minority Affairs Monograph Series; no. 2 (London; New York: Mansell, 1986), p. 199.

سابعاً: مناطق وجود المسلمين في البرازيل في الوقت الحاضر ومؤسساتهم

يقتضي الحديث عن الإسلام في البرازيل اليوم، التوقف عند مجموعة من المؤسسات والمساجد والجمعيات الخيرية الموجودة في مختلف أنحاء البلاد، حيث نعثر عليها بدرجة أولى في ساو باولو التي توجد بها ٢٧ جمعية إسلامية، وفي باهية التي توجد بها ١٠ جمعيات، وفي ريو دي جنيرو التي توجد بها جمعيتان، ثم في ولايات أخرى مثل برناموكو، وستتاكتارينا، والأمازون، وماتو غروسو، وريو غراندي دو سول، وميناسجيرائيس، وبرازيليا. ويمكن أن نميز في هذه المؤسسات بين المساجد، والمدارس، والمراكز الإسلامية.

ويسمح لنا ضبط عدد المسلمين والمؤسسات التي أنشأوها، بوضع خريطة جغرافية للإسلام في البرازيل، يمكن من خلالها الحديث عن «مناطق إسلامية»، أبرزها ساو باولو التي يوجد فيها أكبر عدد من المسلمين، وهم يتشكلون من المهاجرين العرب والمتحدرين منهم، ثم من البرازيليين الذين اعتنقوا الإسلام، إضافة إلى قلة من الزنوج من ذوي الأصول الأفريقية. ويصل عدد المسلمين في البرازيل إلى حوالي مليون ونصف، تنضوي أكبر نسبة منهم تحت لواء جمعيات ساو باولو، والتي يطلع بعضها بمهام إضافية، زائدة على نشاطها الديني، مثل التنسيق بين الجمعيات الإسلامية على الصعيد الوطني. ويتم التكتل في هذه الجمعيات انطلاقاً من اعتبارات طائفية، حيث يؤم الشيعة مثلاً مسجد محمد رسول الله الموجود بحي «براس» (Brás)، وهم في أغلبهم من الإثنا عشرية.

ومن بين المؤسسات الإسلامية المهمة في ساو باولو، هناك أولاً الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست في ١٠ كانون الثاني/يناير ١٩٢٩، وينضوي تحت لوائها بحسب القائمين عليها، ما لا يقل عن ٢٠٠ ألف مسلم، وتضم مرافق متعددة من بينها المركز الإسلامي، ومسجد يعود تاريخه إلى ١٩٤٢ (أقدم مسجد في البرازيل لا زالت تقام فيه الصلوات)، ومدرسة، ومقبرة، إضافة إلى المقر الاجتماعي والثقافي للجمعية؛ ثم هناك ثانياً مركز نشر الإسلام في أمريكا اللاتينية، وهو مؤسسة يصدر عنها أكبر عدد من المنشورات التي نعثر عليها في المساجد والمراكز الثقافية البرازيلية، وينظم هذا المركز سنوياً مؤتمرات علمية بمقره، يستدعي إليها باحثين متخصصين من البرازيل ومن الخارج. وبجانب ذلك تضطلع هذه المؤسسة بمهمة التنسيق وتقوية الروابط بين الجاليات المسلمة في البرازيل بطوائفها المختلفة^(٣٦).

(٣٦) من بين المؤسسات الأخرى التي تطلع بنفس المهام، نذكر فدرالية الجمعيات الإسلامية، التي تأسست عام ١٩٧٧، والتي تنضوي تحت لوائها في الوقت الحاضر حوالي عشرين جمعية إسلامية، موجودة بمختلف أنحاء البرازيل.

وبخصوص جمعيتي ريو دي جنيرو واللتين يصل عدد المنخرطين فيهما إلى حوالي ٨,٠٠٠، فيعود تأسيس إحداهما، وتحمل اسم الجمعية الخيرية الإسلامية بريو دي جنيرو، إلى سنة ١٩٥٠، وهي ذات توجه سني، وتضطلع منذ تأسيسها وإلى اليوم بدور ديني وثقافي نشيط. ويعود تأسيس الثانية، وتحمل اسم الجمعية الإسلامية العلوية، إلى ثلاثينيات القرن العشرين، وهذه لا تضطلع في الوقت الحاضر، بحسب تصريحات القائمين عليها، بأي دور ثقافي أو ديني، بل لا تمارس فيها حتى الشعائر الدينية، ويبقى دورها ذا طابع رمزي، يُذكر بوجود المسلمين الشيعة من الطائفة العلوية في البرازيل.

وبجانب هذا الحضور المتميز للمسلمين المنتمين إلى «الهجرة القديمة» في الولايتين سالفتي الذكر، هناك حضور متميز للمسلمين المنتمين إلى «الهجرة الحديثة» في ولاية بارانا، التي أنشأوا فيها تسع مؤسسات دينية. يتعلق الأمر بمهاجرين حلوا بالبرازيل خلال الأربعين سنة الأخيرة كما مرّ بنا، قادمين من لبنان بدرجة أولى ثم من سوريا وفلسطين والأردن وقلّة قليلة من مصر. وتقيم أكبر نسبة منهم في مدينة فوث دي إغواثو التي توجد فيها كذلك أهم المؤسسات الإسلامية بكل الولاية. وكان قد شجع هؤلاء المهاجرين على التوافد إلى المدينة، التسهيلات التي تعرفها التجارة بما في ذلك تجارة الصادرات والواردات مع ثيوداد ديل إستي الباراغواتية المجاورة، وهي منطقة حرة معفاة من الضرائب، يمتلك العرب أهم محلات المعدات الإلكترونية التي توجد فيها.

ومن أهم المؤسسات الدينية في «فوث دي إغواثو»، هناك مسجد عمر بن الخطاب الذي وُضع حجره الأساس سنة ١٩٨١ بحضور رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية، والمسؤولين السياسيين والدينيين في المنطقة. ويمتد هذا المسجد الذي كان تدشينه الرسمي في ٢٣ آذار/مارس ١٩٨٣، على مساحة يصل ما هو مشيد منها إلى ستمائة متر (أربعمائة منها هو الفضاء المخصص لأداء الصلوات). كما هناك المركز الثقافي الخيري الذي يعرف نفسه كـ «منظمة ثقافية علمية تسعى إلى نشر الإسلام والثقافة العربية». ويسهر هذا المركز على نشر كتب تعرف بالحضارة العربية الإسلامية وإسهاماتها في الحضارة الإنسانية، كما يسهر على تقوية التواصل بين مختلف مكونات الجالية المسلمة في المنطقة. والواقع أن مساعيه هذه أكسبته دعم الجالية التي عبرت عن تعلقها ودعمها للمركز، كما تبين عقب تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، عندما بدأت وسائل الإعلام الدولية تروج لوجود «مجاهدين إسلاميين» في صفوف الجالية المسلمة بـ «فوث دي إغواثو». وكان المركز قد قام، وكرد فعل على هذه الحملة الصحافية، بإنتاج شريط فيديو وزع مجاناً، يدحض فيه ما تذهب إليه الحملة، وفي

الوقت نفسه يشرح أهداف المركز ويتحدث عن أنشطته، وقد لقي ما تضمنه الشريط دعم وتأييد السلطات المحلية للمدينة.

وبحسب ما أخبرتنا به سكرتيرة المركز، تمّ تشييد المسجد التابع له بدعم من المهاجرين المسلمين في المنطقة، وكذا بدعم من المؤسسات الإسلامية في البرازيل^(٣٧). وللمركز علاقات متميزة مع السلطات المحلية للمدينة، حيث يستدعيها لحضور الاحتفالات التي ينظمها خلال المناسبات الدينية الإسلامية. ويُقدّر القائمون عليه عدد العرب في «فوث دي إغواثو» بـ ١٥ ألفاً، جلهم من المسلمين، ذلك لأن وصول المسيحيين لم يبدأ إلا في السنوات الأخيرة. وعلى غرار العرب في كلّ ولاية بارانا، جاء السواد الأعظم من عرب المدينة من لبنان.

ومن المؤسسات الدينية العربية الأخرى الموجودة بـ «فوث دي إغوازو»، هناك جمعية خيرية شيعية، وثلاث كنائس إحداها حديثة العهد، يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة ٢٠٠٣.

قد يكون من المفيد في السياق الذي نحن بصدد، توضيح أن مفهوم العروبة بين أفراد الجالية العربية في ولاية «بارانا» له بعض الخصوصيات، بحيث يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالديانة الإسلامية، ويكفي الإطلاع على منشورات الجمعيات الإسلامية، التي تنضوي تحت لوائها هذه الجالية، وكذا على مواقع هذه الجمعيات على شبكة الإنترنت لتتأكد من ذلك، إذ إنّها مثلاً وفي حديثها عن الحضارة العربية في بعدها الكوني، أو عن التأثير العربي في البرازيل، تستعمل مصطلحي عربي - إسلامي، على اعتبار أنه يتعذر الفصل بين ما هو إسلامي وما هو عربي^(٣٨).

وفي ولاية ساو باولو، وإذا كان لمفهوم الهوية العربية خصوصيات مختلفة لدى العرب المسيحيين كما مرّ بنا، فإن هذا المفهوم لدى العرب المسلمين، لا يختلف عن ذلك الموجود لدى نظرائهم في ولاية بارانا. ومن الرموز المعبرة عن ذلك، جريدة العروبة التي تشرف عليها الجالية المسلمة في ساو باولو، والتي يتجاوز عمرها ٧٠ سنة.

وبخلاف ما نسجله في ولايتي بارانا وساو باولو، لا تربط الجالية المسلمة في ولاية ريو دي جنيرو، هويتها بالعروبة بالحدة نفسها، وإن كانت هي الأخرى ولأسباب دينية، تسهر على أن تقوم جمعياتها بتدريس اللغة وينشر الثقافة العربية، وهي بنهجها لهذه الاستراتيجية، ترمي إلى نشر الإسلام بين البرازيليين كذلك.

(٣٧) يتعلق الأمر بالسيدة كفاء ننع، التي أجرينا معها حواراً بمدينة «فوث دي إغواثو»، في شهر آب/أغسطس ٢٠٠٤.

< <http://www.islam.com.br> >.

(٣٨) انظر على سبيل المثال:

يكمن جوهر الاختلاف بين مختلف مكونات الجالية المسلمة في البرازيل، بحسب تقديرنا، في درجة التعلق بالعروبة؛ فالتشبث بشكل كبير بالهوية العربية عدم التأقلم مع المحيط المضيف بالشكل المطلوب، كما يعني حصر الإسلام في المهاجرين العرب والمتحدرين منهم؛ وعدم التشبث بالهوية العربية بدرجة كبيرة، تفتحاً وتأقلاً أكبر مع المحيط المضيف، وفي الوقت نفسه توسيع دائرة الجالية الإسلامية لتشمل كذلك المسلمين البرازيليين الذين لا علاقة لهم بالأصل العربي.

وبغض النظر عن قضية الهوية هذه، يضطلع المسلمون في الوقت الحاضر بدور أساسي في نشر الثقافة العربية في البرازيل، سواء من خلال حضورهم المكثف في وسائل الإعلام، أو من خلال ما يصدرونه من كتب، أو من خلال المؤسسات التي أنشأوها وبخاصة بعد عام ١٩٨٠ والتي تتحرك بفعالية كبيرة، بخلاف النوادي الاجتماعية التي أسسها المهاجرون القدماء، والتي تراجعت أنشطتها بشكل ملموس.

خاتمة

يوجد في البرازيل أهم جالية عربية في أمريكا اللاتينية من حيث العدد، وفي غياب الإحصائيات الرسمية، تجعل التقديرات عدد العرب والمتحدرين منهم يتجاوز ثمانية ملايين.

وإذا ما استثنينا بعض المراحل التي استهدف فيها العرب ومست سمعتهم، مثل عهد الرئيس غيتوليو برغاس، أو مثل المرحلة الراهنة والتي يستهدف فيها بعض العرب المسلمين المقيمين جنوب البلاد، وهو ما يؤثر سلباً على اندماجهم، فإن العرب نجحوا بشكل كبير في الاندماج بالمجتمع البرازيلي، بل وساهموا من خلال ما حملوه معهم من عادات وتقاليد في إغناء الثقافة البرازيلية.

تكشف لنا المؤسسات التي أنشأها العرب في البرازيل على اختلاف توجهاتها، الدور النشط الذي اضطلعت به الجالية العربية في المجال الجمعي بمختلف أنحاء التراب الوطني. وكما هو طبيعي تراجعت أهمية المؤسسات التي تعود إلى بداية عهد الهجرة بشكل تدريجي، نتيجة اندماج المهاجرين والمتحدرين منهم في المجتمع المضيف، وكذا نتيجة للارتقاء الذي حققوه في هذا المجتمع والذي جعلهم يحسون أنهم لم يعودوا في حاجة إلى التكتل فيه. هذا الارتقاء سيزداد مع جيل المتحدرين الذين نجح بعضهم في تكريس الوضعية الاقتصادية المريحة التي ورثوها عن آبائهم، كما نجح البعض الآخر في البروز سياسياً، حيث أصبحوا من الفاعلين في الحياة السياسية البرازيلية. وبطبيعة الحال يهتم هؤلاء بالقضايا السياسية البرازيلية، أكثر من اهتمامهم بالقضايا السياسية لوطن الآباء.

لم ينجز لحدّ الآن إلا عدد محدود من الدراسات حول الهجرة العربية في البرازيل، ونرى أن الأمر يتطلب أبحاثاً معمقة وجادة، تهتم من بين أشياء أخرى بالخصوصيات التي تميز كلّ واحدة من المجموعات التي تكون هذه الجالية، وهي خصوصيات ما زالت موجودة حتى اليوم، ومن أهم مظاهرها الاختلاف الديني. ونظن أن التوقف عند هجرة المسلمين (مقارنة بهجرة المسيحيين)، أو عند الهجرة حديثة العهد (مقارنة بالهجرة القديمة)، يجعلنا نخلص إلى أن هناك استراتيجيات جديدة استعملت من طرف المعنّين بالأمر (المهاجرين الجدد) لتحقيق الاندماج في المجتمع المضيق. وهنا يلفت الانتباه الكيفية التي تعامل بها المسلمون مع تاريخ البرازيل، وبالضبط مع «الإسلام الأسود» الذي حملته الرقيق إلى هذا البلد، في محاولتهم إيجاد جذور مشتركة بينهم وبين جزء من ساكنة البرازيل حلت في هذا البلد قبل وصول المهاجرين العرب المسيحيين في نهاية القرن التاسع عشر. هناك نقطة أخرى تميز المهاجرين المسلمين حديثي العهد بالهجرة، عن المهاجرين المسيحيين القدماء وعن المتحدرين منهم، وتتمثل في اهتماماتهم السياسية؛ فهم وبخلاف المنتمين إلى الهجرة القديمة والمتحدرين منهم والذين يجعلون اهتماماتهم منحصرة في السياسة البرازيلية، يركزون اهتماماتهم على القضايا السياسية للشرق الأوسط، ومن بينها القضية الفلسطينية، ثمّ النزاعات الدولية التي لها علاقة بالوطن العربي.

أخيراً تجدر الإشارة إلى أن النخب السياسية البرازيلية، وبخاصة الحكومات التي تولت السلطة في السنوات الأخيرة، حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الجاليات العربية المسلمة، بعد أن أصبحت مستهدفة من طرف جهات معينة، وهذا في حدّ ذاته يدلّ على ثقة متبادلة بين هذه الجاليات وبين السلطات البرازيلية.

مراجع إضافية

Books

Bartholo, Jr. And A. Campos. «O Islã no Brasil.» dans: Landim, Leilah (ed.). *Sinais dos tempos*. Rio de Janeiro: Instituto de estudos da religiapo (ISER), 1990. (Cadernos do ISER; 23)

Bastide, Roger. «O Islã negro no Brasil.» dans: Bastide, Roger. *As Religiões Africanas no Brasil*. Sapo Paulo: Livraria pioneira, 1971. 2 vols. (Biblioteca pioneira de ciências sociais)

Hajjar, Claude Fahd. *Imigração árabe: Cem anos de reflexão*. São Paulo: Icone editora, 1985.

Irving, T. B. «King Zumbi and the Male Movement in Brazil.» in: *Annual Jour-*

nal of Department of Arabic, Urdu and Persian. Durban, South Africa: University of Durban-Westville, 1988.

Klich, Ignacio and Jeffrey Lesser (eds.). *Arab and Jewish Immigrants in Latin America: Images and Realities*. London; Portland, OR: F. Cass, 1998.

Nina Rodrigues, Raymundo. «Os Negros maometanos no Brasil.» dans: Nina Rodrigues, Raymundo (ed.). *Os Africanos no Brasil*. Brasília: Editora Universidade de Brasília, 1988.

Querino, Manuel. «Dos Malês.» dans: Querino, Manuel. *Costumes africanos no Brasil*. Prefácio, notas e organização de Raul Lody; apresentação de Thales de Azevedo. 2nd ed. ampliada e comentada. Recife: Fundação Joaquim Nabuco, editora massangana, 1988. (Seirie abolição; 20)

Ramos, Arthur. «As Culturas negro-mahometanas.» dans: Ramos, Arthur. *As Culturas negras no novo mundo*. Rio de Janeiro: Civilização brasileira, 1937.

Truzzi, Oswaldo. *Patrícios: Sírios e libaneses em São Paulo*. Sao Paulo: Editora Hucitec, 1997. (Estudos brasileiros; 31)

Periodicals

Hamidullah, M. «Arab Discovery of America before Columbus.» *Al'ilm* (Durban): vol. 5 (1985), pp. 79-87.

Hayek, S. «70 anos da sociedade beneficente no Brasil.» *Alvorada* (Sapo Bernardo do Campo): no. 49, 1999.

Irving, T. B. «Islamic Renewal in Iberia and Latin America.» *Islamic Studies* (Islamabad): vol. 30, no. 1, 1991.

Montenegro, Silvia Maria. «Identidades muçulmanas no Brasil: Entre o arabismo e a islamização.» *Lusotopie: Portugal, une identité dans la longue durée*: no. 2, 2002.

Osman, S. «A Imigração árabe no Brasil.» *Travessia-revista do migrante* (São Paulo): vol. 12, no. 35, setembro-dezembro 1999.

Winters, Clyde Ahmed. «A Chronology of Islam in Afro-America.» *Al'ilm*: vol. 5, 1985.

Theses

Montenegro, Silvia Maria. «Dilemas identitários do islã no Brasil.» (Tese de doutoramento, universidade federal do Rio de Janeiro, instituto de filosofia e ciências sociais, Brasil, 2000).

Pereira, Lenora Silveira. «A Discreta presença dos muçulmanos em porto Alegre: Uma análise antropológica das articulações de significados e da inserção do islamismo no pluralismo religioso local.» (Tese de mestrado, universidade federal do Rio Grande do Sul, 2001).

الفصل الرابع

الحضور العربي في البيرو: ذاكرة الأرز والزيتون

ليلي برطيط(*)

(*) باحثة من البيرو. تتقدم المؤلفة بالشكر إلى السيدة سوزانا بيدويا (Susana Bedoya) التي من دون دعمها وتشجيعها، ما كانت لتحصل على المعطيات اللازمة التي سمحت لها بإنجاز هذه الدراسة.

مقدمة

عرفت البشرية منذ أقدم العصور تنقلات، أحياناً لشعوب برمتها، من أماكن إلى أخرى، فراراً من البؤس الاقتصادي والسياسي، وبحثاً عن غد أفضل، إلا أن ما عرفته القارة الأمريكية بشطريها الشمالي والجنوبي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، هو شيء لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية؛ فقد كان للهجرة إلى الأمريكتين طابع خاص فرضته حاجة بلدانها الفتية، لتعمير أراضيها الشاسعة والخصبة وشبه الفارغة من السكان، بمجموعات بشرية جديدة.

ولتحقيق ذلك، سوف تصدر قوانين مشجعة على الهجرة في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية منذ مرحلة مبكرة، نذكر من بينها «قانون منح الأراضي والدواجن» الذي صدر في البرازيل سنة ١٨٤٨، و«القانون العام للهجرة» المعروف باسم قانون أبيانيدا (Avellaneda)^(١) الذي صدر في الأرجنتين سنة ١٨٧٦؛ و«قانون الهجرة» الذي صدر في الهندوراس سنة ١٩٠٦. وبجانب هذه القوانين، صدرت مجموعة من المراسيم تمنح امتيازات مختلفة للأجانب الذين يهاجرون إلى هذه البلدان، من بين هذه الامتيازات، إعفاء البواخر التي تحمل على ظهرها أكثر من ١٠٦ مهاجر، من رسوم الرسو في الموانئ؛ ومنح رخص التنقل بحرية داخل هذه البلدان، وتغطية تكاليف السفر إلى مناطق الاستغلال المنجمي، وتسليم رخص خاصة لمن يود ممارسة التجارة المتجولة مثل العرب.

ومع هذا حرصت بعض البلدان على أن تكون هناك هجرة منتقاة، تعطي الأفضلية للأوروبيين. نسجل ذلك في بلدان مثل التشيلي، كما يؤكد التقرير الذي أشرف على إعداده فيكونيا ماكينا (Vicuña Mackenna)، أو مثل الأرجنتين كما تؤكد كتابات بعض مثقفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمثال خوان البيردى (Juan Alberdi)، أو مثل البيرو والذي أثار فيه كتابات فرانسيسكو غارثيا كالديرون

(١) نسبة إلى «نيكولاس أبيانيدا» (Nicolas Avellaneda) الذي تولى رئاسة جمهورية الأرجنتين ما بين عامي ١٨٧٤ و ١٨٨٠ (المترجم).

(Francisco García Calder) جدلاً كبيراً، ما أن هدأ حتى عاد ليطفو على السطح من جديد خلال عهد الرئيس أوغوستو ليغويا (Augusto Leguía).

لكن وبجانب الأوروبيين، وصل إلى البلدان الأمريكية مهاجرون من جهات أخرى تمّ التعاقد مع بعضهم مسبقاً، بينما هاجر البعض الآخر من دون تعاقد مسبق، من بين هؤلاء والذين كان عددهم يتزايد في الفترات التي تخف فيها المراقبة على الهجرة، نجد العديد من العرب الذين حلوا بسواحل أمريكا الجنوبية الواقعة على المحيط الهادئ.

ينتمي أوائل المهاجرين العرب الذين وصلوا إلى أمريكا، إلى منطقة الشرق الأوسط (سوريا ولبنان وفلسطين)، وقد بدأت هجرتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (وصل أوائل العرب إلى الولايات المتحدة ما بين عام ١٨٦٠ وعام ١٨٦٥)، على عهد الإمبراطورية العثمانية. وهذا يفسر لنا لماذا أطلق عليهم اسم «توركوس» (أتراك)، بالرغم من أنهم لم يكونوا أتراكاً. ولم تكن أسباب هجرتهم تختلف كثيراً عن أسباب هجرة غيرهم ممن حلّ في أمريكا، حيثُ تتلخص في الصعوبات السوسيو - اقتصادية، والتي استمرّت حتى بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية وفرض الانتدابين الفرنسي والبريطاني.

لقد تعرف العرب على البلدان التي سيهاجرون إليها وعلى الغرب بشكل عام، من خلال بعض الأوروبيين الذين حلوا في المشرق العربي. هذا الاتصال الأول نبّه العرب، وبخاصة المسيحيين منهم، إلى وجود نوع من التشابه الثقافي مع الغربيين مصدره الديانة المسيحية، في وقت شاعت فيه أخبار تتحدث، وبشكل مبالغ فيه، عن غنى بعض هذه الدول، والإمكانيات المادية التي تتوافر عليها. ولعل هذا التقارب والتشابه الثقافي والديني المفترض، يشرح لنا لماذا كان أوائل المهاجرين العرب إلى العالم الجديد من المسيحيين، بحيث إن هجرة المسلمين لن تأخذ طابع الأهمية العددية إلا في وقت لاحق، وبخاصة بعد إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ والتي اضطر معها العديد من الفلسطينيين، وكنتيجة للحروب المتعددة التي شهدتها المنطقة والتي حرمتهم من أراضيهم ومن مساكنهم، إلى الهجرة، بعد أن تحولوا إلى مجرد لاجئين في بلدهم.

من جانب آخر وعلى ضوء الأحداث التي عرفتها المنطقة في السنوات الأخيرة، بدءاً من تشييد جدار عنصري لعزل ساكنة إسرائيل الفلسطينية، وانتهاءً بنقض إسرائيل وبشكل ممنهج لقرارات الأمم المتحدة، يتبين لنا أن منطقة الشرق الأوسط تعيش حالة نزاع دائم، من نتائجه تجدد الهجرة الفلسطينية إلى مناطق مختلفة من العالم

من بينها أمريكا اللاتينية، بالرغم من أن هذه القارة أصبحت في الوقت الحاضر، منطقة يغادرها المهاجرون، وليس منطقة جلب لهم. ويؤكد الباحث الفنزويلي خلدون نويض وهو محق في ذلك أن: «الهجرة السورية - اللبنانية - الفلسطينية إلى أمريكا اللاتينية تشكل ظاهرة اجتماعية أصبحت واقعاً لا يمكن اختفاؤه في بلدان هذه القارة، وبالتالي فإن هذه الهجرة لن تتوقف، والجالية العربية لن تعود إلى بلدانها الأصلية مهما حدث في الشرق الأوسط من أحداث تدعو إلى التفاؤل، مثل تعايش اجتماعي مثالي بين مختلف الطوائف في لبنان، وسلم دائم بين الإسرائيليين والفلسطينيين، واستقرار سياسي في سوريا». وإذا استمرّ النزاع في الشرق الأوسط، فإن الذي سيحدث هو هجرة جماعية للشباب، على غرار ما وقع في السنوات الأخيرة، نحو منطقة مايكاو (Maicao) الكولومبية، ونحو جزيرة مارغاريتا (Margarita) الفنزويلية^(٢).

هذا الكلام يفسر لنا إلى حدّ ما لماذا هاجر سكان قرية لبنانية برمتها^(٣)، وتشتتوا في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية فراراً من الحرب الأهلية اللبنانية التي عرفتها سنوات سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين.

أولاً: مراحل الهجرة العربية إلى البيرو

على غرار بقية بلدان القارة، يمكن أن نقسم الهجرة العربية إلى البيرو من حيث فترات وصولها، إلى ثلاث مراحل، تتحكم فيها الوضعية التي عرفتها البلدان الأصلية للمهاجرين. تمتد المرحلة الأولى من عام ١٨٨٥ إلى عام ١٩١٤ وتتزامن مع ما يمكن أن نسميه بمرحلة احتضار الإمبراطورية العثمانية؛ وتمتد المرحلة الثانية من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٣٦ وتتزامن مع سقوط الإمبراطورية العثمانية وفرض الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان والبريطاني في فلسطين؛ وتمتد المرحلة الثالثة من عام ١٩٤٥ إلى ثمانينيات القرن العشرين، وترتبط بالأوضاع السياسية التي عرفتها المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى رأسها إنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨، وما أعقب ذلك من حروب ونزاعات.

بخلاف البلدان المجاورة للبيرو مثل التشيلي والإكوادور اللتين وصلهما إضافة

(٢) خلدون نويض، «الهجرة السورية واللبنانية والفلسطينية إلى فنزويلا وكولومبيا والإكوادور: تقييم ثقافي لعلاقة عمرها مئة وعشر سنوات»، في: أنطونيا روبييدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، إشراف ماريا روزا دي مدارياغا؛ تقديم وترجمة عبد الواحد أكميز (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥)، ص ٢١٦-٢١٧.

(٣) هي قرية بعلول الموجودة في سهل البقاع في منطقة ذات أغلبية شيعية.

إلى الفلسطينيين، عدد من السوريين واللبنانيين، كانت الهجرة إلى البيرو فلسطينية بالأساس. ويقف وراء هذه الهجرة ما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، والتي تعني أن المهاجر وبعد استقراره، يبدأ بشكل تدريجي باستقدام أسرته أولاً ثم عائلته المقربة ثم أصدقائه. وكل هؤلاء ينتمون عادة إلى المنطقة نفسها في الوطن وأحياناً إلى المدينة أو القرية نفسها^(٤).

نختم هذه المقدمة بالإشارة إلى أن المصادر الببليوغرافية حول الهجرة العربية إلى البيرو، تكاد تكون منعقدة، أما السبب فيعود من جهة، لكون الهجرة العربية إلى هذا البلد متواضعة العدد إذا ما قورنت بالهجرة العربية إلى بلدان أخرى مثل البرازيل والأرجنتين والتشيلي، ويعود من جهة أخرى إلى أن العرب في البيرو اندمجوا بشكل سريع وسهل، لدرجة لم يلفتوا معها انتباه المجتمع، بل والباحثين إلا بشكل محدود جداً^(٥).

وقد اعتمدنا بالدرجة الأولى، وفي غياب العدد الكافي من المصادر، على الاستثمارات التي وزعناها على أفراد من الجالية العربية في البيرو من الجيل الأول والثاني، وبعضهم أبناء وحفداء أوائل المهاجرين الذين حلوا في هذا البلد ما بين نهاية القرن التاسع عشر وفترة ما بين الحربين، كما اعتمدنا على سلسلة من الحوارات، استفدنا منها بالخصوص في فهم خصوصيات المرحلة الثالثة من الهجرة العربية إلى البيرو، وهي المرحلة الأقرب منا زمنياً.

(٤) ينتمي أغلب المهاجرين الفلسطينيين إلى مدن ذات أغلبية أرثوذكسية مثل بيت لحم وبيت جالا وبيت سحور، بخلاف ذلك، لا ينتمي المهاجرون اللبنانيون إلى مدن بعينها، وهذا ما قد يدفع إلى الظن أن هجرة اللبنانيين إلى سواحل المحيط الهادئ لم تخضع لما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، وإنما كانت انطلاقاً من مبادرات فردية.

(٥) ومع ذلك صدرت بعض الدراسات حول الموضوع، نذكر من بينها: Denys Cuche: «L'Immigration libanaise au Pérou: Une Immigration ignorée.» dans: *Journal de la société des américanistes* (Paris: Au Siège de la société, 1997), et «Un siècle d'immigration palestinienne au Pérou: La Construction d'une ethnicité spécifique.» *Revue européenne des migrations internationales*, vol. 17, no. 3 (2001); Juan Sakhala Elías, *Arabes en América* (Valparaíso: Editorial C.E.I.C.A., 1997); Benjamin Jarufe Zedán, «Los Primeros inmigrantes árabes en Perú.» *Amanecer* (Lima) (1989); Alberto Farah, *La Inmigración árabe al Perú* (Santiago: FEARAB, 1977); Manuel Burga y Wilson Reátegui, *Lanas y capital mercantil en el sur: La Casa ricketts, 1895-1935*, serie estudios históricos; 9 (Lima: Instituto de estudios peruanos (IEP), 1981); Luis Alonso Negrón, «Los Arabes en el Cuzco,» (informe final de investigación, Cuzco, diciembre [1998]); Enrique Centurión Herrera, *El Perú actual y las colonias extranjeras: La Realidad actual y el extranjero en el Perú a Través de cien años, 1821-1921* (Bergamo: [s. n.], 1924), et Maxime H. Kuczynski-Godard, *La Vida en la Amazonía peruana; observaciones de un médico* (Lima: [s. n.], 1924).

١ - المرحلة الأولى من الهجرة العربية إلى البيرو

تمتد كما مرّ بنا من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية الحرب العالمية الأولى. وتختلف المصادر حول بداية وصول المهاجرين العرب إلى البيرو؛ فالباحث الفنزيولي خلدون نويهض يرى أنّه في منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر، كانت توجد نواة مهمة للمهاجرين العرب بسواحل المحيط الهادئ، وأنه من غير المستبعد أن يكون بعض الفلسطينيين الذين استقروا في التشيلي منذ عام ١٨٨٠، والذين رحلوا في ما بعد إلى البيرو، قد واصلوا طريقهم من هناك نحو الإكوادور، ويضيف أن أول عربي حلّ في البيرو هو سعيد ساحورية الذي هاجر من بيت لحم عام ١٨٨٤^(٦).

وإذا سلمنا بما جاء عند نويهض، فإن سعيد ساحورية هذا، سيكون قد وصل عن طريق البحر إلى البيرو بعد توقف بمدينة الباراييسو (Valparaiso) التشيلية. وهنا تجب الإشارة إلى أن حفر قناة باناما لم يتم الانتهاء منه إلا سنة ١٩٠٣، أما فتحها في وجه الملاحة فقد تأخر إلى سنة ١٩١١، وهذا ما يعني أن وصول سواحل المحيط الهادئ كان يتم عبر عاصمة الأوروغواي مونتيفيديو (Montevideo)، بحيث يعبر البعض نهر ريو دي لا بلاتا (Río de la Plata) نحو التراب الأرجنتيني لمواصلة السير عن طريق البر، بينما يواصل البعض الآخر طريقهم البحري، بمحاذاة سواحل المحيط الأطلسي، إلى أن يجتازوا رأس الأفران (Cabo Hornos)^(*)، ومن هناك إلى أحد موانئ المحيط الهادي. بجانب هذه المسالك، لا يستبعد بعض الباحثين ومن بينهم كوش وخروبي، نزول بعض العرب في ميناء باناما العاصمة، واستعمال البغال إلى غاية أول ميناء يصادفونه في المحيط الهادي، ليركبوا البواخر من جديد إما في اتجاه «غواياكيل» بالإكوادور، أو في اتجاه أحد موانئ البيرو.

وقد أكد لنا أحد الذين استجوبناهم من عائلة جاد الله، أن والده واسمه ربيع، وعمه واسمه سعيد، وصلا إلى مدينة هوانكابيليك (Huancavelica) البيروفية بعد أن عبرا التراب الأرجنتيني والبوليفي، وكان ذلك ما بين شهري أيار/مايو وحزيران/يونيو ١٨٩٦، أي حوالي عشر سنوات عن التاريخ الذي يقول نويهض إنّه كانت توجد فيه نواة من المهاجرين العرب في البيرو. ومن بين أوائل المهاجرين العرب في البيرو كذلك، والذين تنوافر على معلومات بصددهم، شخص يدعى سعيد، لا نعرف اسمه بالكامل ولا تاريخ هجرته، لكن نعرف أنّه كان يقيم في بداية القرن

(٦) نويهض، المصدر نفسه، ص ٣.

(*) يوجد أقصى جنوب الأرجنتين في منطقة التقاء المحيط الأطلسي بالمحيط الهادي، ويعتبره بعض الجغرافيين أقصى نقطة في الكرة الأرضية، لذا يعرف باسم «نهاية العالم» (المترجم).

العشرين في مدينة أريكيبا (Arequipa) البيروفية، قبل أن يغادرها نحو التشيلي. ويشير فلوريس غاليندو (Flores Galindo) إلى أنه ومن مجموع حوالي عشرين مؤسسة تجارية كانت توجد في «أريكيبا» ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩٢٠، خمس كانت في ملكية فلسطينيين، يعطي أسماء أصحابها وتواريخ إنشائها على النحو التالي: مؤسسة سعيد وأبنائه (عام ١٨٨٧)، ومؤسسة فرح وسعيد (عام ١٩٠٤) ومؤسسة خورخي مخلوف إخوان (عام ١٩١٠)، ومؤسسة أبو غطاس إخوان (عام ١٩١١) ومؤسسة سلمون إخوان (عام ١٩١١)^(٧).

ويرى دونيز كوش أن مهاجراً يدعى عيسى سعيد حلّ في البيرو عام ١٨٨٥، هو أحد أوائل الفلسطينيين الذين استقروا في هذا البلد. وقد قام بتأسيس مؤسسة للتصدير والاستيراد سنة ١٩١٤، وكان قبل ذلك قد وسع نشاطه التجاري بمساعدة أبنائه ليمتد إلى بوليفيا التي فتح مصنعاً للنسيج بعاصمتها لاباز (La Paz) عام ١٩١٢. وسوف يؤسس سعيد هذا عام ١٩٣٥ مؤسسة تجارية مزدهرة في مدينة سانتياغو عاصمة التشيلي التي استقر فيها بشكل نهائي^(٨). ويقدم خوان صقالة إلياس من جهته معلومات مختلفة عن أوائل العرب الذين وصلوا إلى البيرو، حيثُ نقرأ عنده: «يغلب الظن أن أوائل العرب وصلوا البيرو عام ١٨٨٨؛ يتعلق الأمر بالفلسطينيين بطرس وخليل ميخائيل اللذين امتهنا التجارة، وكان البيروفيون يشترون منهما السبحات وغيرها من المتوجات ذات الطابع الدينيّ المتقدمة من بيت لحم»^(٩).

ومن بين أوائل الفلسطينيين كذلك والذين استقروا في جبال الأنديس البيروفية، هناك الأخوة سالمون، الذين وصلوا إلى تلك المنطقة الوعرة بعد إنشاء خطّ السكك الحديدية الذي يربط بين مدينتي هواكي (Huaqui) وسيكواني (Sicuani). وبحسب سيسار سالمون، أحد المتحدرين من آل سالمون، فتح جدّ والده يوسف مؤسسة تجارية في سيكواني تحت اسم «خوسي سالمون وإخوته» عام ١٨٩٨. وكان يوجد في هذه المدينة، بحسب المصدر نفسه، عام ١٩٠٧ تسعة محلات تجارية في ملكية فلسطينيين^(١٠). وفي السياق نفسه، أكد أحد المتحدرين من أصل عربي من

Alberto Flores Galindo, Orlando Plaza et Teresa Oré, *Oligarquía y capital comercial en el sur (V) peruano (1870-1930): Informe preliminar* (Lima: Pontificia universidad católica del Perú (P.U.C.), departamento de ciencias sociales, 1977).

(٨) يتجلى النجاح الاقتصادي لعائلة سعيد في التشيلي، في كون اسم أحد أفرادها يوجد في لائحة أغنى أغنياء العالم الذين تورد أسماءهم مجلة فوربيس (*Forbes*) المتخصصة، انظر: Amanecer, no. 19 (1999).

(٩) Sakhala Elías, *Arabes en América*, p. 67.

(١٠) Cesar Salomón, «A Cien años de la inmigración árabe-palestina al Perú,» Amanecer, no. 19 (1999).

الذين استجوبناهم، أن عمه القادم من بيت جالا، وصل إلى مدينة اياكوتشو (Ayacucho) سنة ١٨٩٥، وهو حسب أول شخص من عائلة كحاط الفلسطينية يصل البيرو. ويقدر عدد المنتمين لآل كحاط اليوم في البيرو، بين مهاجرين و متحدرين من مختلف الأجيال، بحوالي ١٢٠٠ شخص.

يتأكد لنا من المعلومات سالفة الذكر، أن أوائل الفلسطينيين وصلوا إلى البيرو ما بين عام ١٨٨٥ و عام ١٨٩٠، غير أن عددهم يبقى محدوداً إذا ما قورن بعدد العرب الذين استقروا بالبلدان المجاورة مثل الأرجنتين والتشيلي خلال المرحلة نفسها. ويرى صقالة إلياس أن عدد الفلسطينيين الذين حلوا في البيرو خلال هذه المرحلة لم يتجاوز ثمانين عائلة، ومع هذا فقد كانوا يشكلون السواد الأعظم من الجالية العربية، ذلك لأن عدد السوريين واللبنانيين كان لا يزال متواضعاً جداً.

وبخلاف الفلسطينيين، لا نتوافر إلا على معلومات محدودة بخصوص أوائل اللبنانيين والسوريين الذين حلوا في البيرو، من بينها إشارة وردت عند كوش، في الاقتباس التالي: «هناك طريق آخر استعمله «التوركوس» للوصول إلى البيرو هو نهر الأمازون، الذي وصلوا عبره إلى مدينة «إيكييتوس» (Iquitos) قادمين من البرازيل. وكان استقرار أوائل المهاجرين اللبنانيين بمنطقة الأمازون البرازيلية ما بين ١٨٨٠ و ١٨٩٠، حيثُ عملوا في البداية كفلاحين وكتجار صغار، ومن هناك جلبهم من دون شك، الازدهار الاقتصادي الذي كانت تعرفه منطقة لوريتو (Loreto) البيروفية، والمرتبطة بإنتاج المطاط الذي وصل إلى ذروته ما بين عام ١٨٥٠ و عام ١٩٢٠»^(١١).

وقد اعتمد كوش في حديثه عن الرخاء الاقتصادي لمدينة إيكييتوس، على ما ورد عند خورخي بزادر (Jorge Basadre) الذي يقول: «كان المغامرون يصلون من مختلف الجهات، وكلهم حرص على العمل وعلى تكوين الثروة، وقد حول هذا الحرص إيكييتوس إلى مدينة نشيطة ومزدهمة بالسكان، وكان بالإمكان أن تسمع الناس في الشوارع وهم يتحدثون مختلف اللغات».

ويشير صفا إلي في الفصل الذي خصصه لوصول أوائل اللبنانيين إلى أمريكا الجنوبية، إلى وجود نواة مهمة من المهاجرين اللبنانيين الذين بعد أن حلوا في البرازيل، انتقلوا إلى بوليفيا^(١٢). وعلى الرغم من أنه لا يقول شيئاً عن انتقال بعض الذين حلوا في البرازيل إلى البيرو كذلك، فإن المنطق يدفع إلى التفكير بأن الرخاء

Cuche, «L'Immigration libanaise au Pérou: Une Immigration ignorée».

(١١)

Elie Safa, *L'Emigration libanaise*, préface du président Alfred Naccache (Beyrouth: (١٢)

Université Saint-Joseph, faculté de droit et des sciences économiques, 1960).

الاقتصادي الذي كان يعرفه آنذاك شرق البيرو، دفع ببعض المهاجرين العرب إلى الانتقال انطلاقاً من ميناء بليم دو بارا (Belém do Pará) البرازيلي، إلى مدينة إيكيتوس على ظهر البواخر التي كانت تؤمن الملاحة النهرية بين المنطقتين. هذه الفرضية تؤكدها المعلومات المتوافرة لدينا حول الهجرة السورية اللبنانية إلى البرازيل، حيث تقول في هذا السياق نزهة نايف النبهان: «ولم يكن هؤلاء الباعة المتجولون يكلون أو يتعبون، فقد جابوا البرازيل شمالاً وجنوباً، مدناً وقرى بما في ذلك النائية منها، وكانوا في مشيهم الدؤوب يقصدون التجمعات البشرية الموجودة على ضفاف الأنهار»^(١٣).

وتذكر الباحثة من بين المدن - الموانئ التي يتوقفون عندها، بليم ومناؤس (Manaus) الموجودتين في منطقة الأمازون، وتضيف أن السوريين واللبنانيين كانوا يبحثون باستمرار عن أسواق جديدة لمنتجاتهم. كُـلّ هذا يدفعنا إلى الاعتقاد أنه من شبه المستحيل أن لا يقوم هؤلاء التجار الجسورون باستغلال وضعية الرخاء الاقتصادي الذي كانت تعرفه مدينة إيكيتوس البيروفية في نهاية القرن التاسع عشر، ليقيموا فيها نشاطاً تجارياً مزدهراً.

بناءً على هذه المعطيات يمكن القول إن وصول السوريين واللبنانيين إلى منطقة الأمازون البيروفية خلال المرحلة التي نحن بصددتها شيء مؤكد، رغم عدم وجود وثائق تتحدث عن هذا الوصول والتاريخ الذي تمّ فيه. ويؤكد بعض المستجوبين، وإن من دون دليل محسوس، أن السوريين واللبنانيين الذين حلوا في إيكيتوس اشتغلوا في صناعة الخشب، وأن عدم المعرفة بوجودهم، تعود إلى كونهم لم يكن لهم أي اتصال ببقية عرب البيرو. وعلى الرغم من أن العرب في العاصمة ليما (Lima) أنشأوا مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي ساهمت في توثيق التواصل بينهم، فإن ذلك لم يشمل عرب المناطق النائية مثل الأمازون، الذين استمرّ ارتباطهم ببقية عرب البيرو محدوداً جداً في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ولم يكن من السهل خلال هذه المرحلة المبكرة ضبط هوية المهاجرين العرب، وهذا ما ساهم فيه حملهم لوثائق عثمانية في البداية، ثمّ فرنسية أو بريطانية في ما بعد، ولعل ذلك ما جعل المعلومات المتوافرة بصددهم في إحصاءات السكان الوطنية والجهوية التي نظمت في البيرو يلفها الغموض. هذا الغموض ساهم فيه كذلك الطابع التلقائي لهجرتهم؛ التي لم تخضع، بخلاف ما كان عليه الأمر بالنسبة إلى غيرهم، لتعاقد مسبق، وإنما كانت مجرد مبادرات فردية معزولة، في وقت لم يكن قد

(١٣) نزهة نايف النبهان، «الجالية العربية في البرازيل بين التقليد والتجديد»، في: روبييدو

[وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، ص ١٦٢.

شاع بينهم بعد، ما يسمى بـ «سلسلة المناداة» التي تتحكم فيها روابط القرابة والصدقة كما مرّ بنا.

ويؤكد أحد مستجوبينا أن العرب الذين وصلوا إلى منطقة الأندلس عبر بوليفيا أو عبر مدينة أريكيبا، لم يسجلوا أنفسهم في المؤسسات الرسمية، لذا يتعذر معرفة عددهم، كما يتعذر معرفة عدد المتحدرين منهم، والسبب بالنسبة إلى هذه الحالة الأخيرة، هو أن بعضهم كانت لهم علاقات غير شرعية مع بيروفيات، أثمرت أبناء لم يعترفوا بهم، وبالتالي لم يحملوا أسماءهم.

أ – بداية الهجرة الفلسطينية إلى البيرو

تؤكد كُـلُّ المؤشرات أن أوائل العرب وصلوا إلى البيرو من دون أن تكون تلك وجهتهم، غير أن هذه الوضعية لم تقتصر على البيرو، وإنما شملت كُـلَّ بلدان أمريكا اللاتينية حيثُ توجد هجرة عربية، باستثناء البرازيل التي ارتبطت بداية هجرتهم إليها، بالزيارة التي قام بها الإمبراطور بيدرو الثاني إلى لبنان ما بين عام ١٨٧٠ وعام ١٨٨٠، لاستقدام مهاجرين يعملون في الفلاحة. وبشكل عام يمكن القول إن غاية أوائل العرب الذين حلوا في العالم الجديد، كانت تحقيق ما يسمى بـ «الحلم الأمريكي» (Hacer la América) (*)، من دون أن تكون لهم فكرة واضحة عن البلد الذي يقصدونه، بل وحتى عن الحدود القطرية التي تفصل بلداً عن آخر. من هنا نرى أن وصول أوائل العرب إلى البيرو كان بمحض المصادفة وليس نتيجة اختيار مسبق، وما يؤكد ذلك، عدم وجود مهاجرين عرب وصلوا في هذه المرحلة المبكرة إلى البيرو عن طريق البحر، قادمين مباشرة من الضفة الأخرى للمحيط الأطلسي.

لقد اضطر المهاجر المشرقي لمغادرة بلده فراراً من وضع اقتصادي متأزم، ومن مصير سياسي مجهول لإمبراطورية في طريق الانقراض، هدفه البحث عن غد أفضل في أرض موعودة، تسمح بتكوين ثروة في مدة وجيزة والعودة إلى الوطن. وهذا ما يعني أن هجرته كانت موسمية (على شاكلة هجرة طائر السنونو)، تهدف إلى ترك المهجر بعد بضعة شهور أو في أقصى الحالات بضع سنوات.

شكل ميناء حيفا نقطة الانطلاقة بالنسبة إلى المهاجرين الفلسطينيين في اتجاه مينائي مرسيليا وجنوا، حيثُ يركبون بواخر أكبر، مؤهلة لعبور المحيط الأطلسي

(* يتعذر ترجمة هذه العبارة إلى العربية بشكل حرفي مع الحفاظ على المعنى، أما مضمونها فهو الرحيل إلى أمريكا من أجل تكوين ثروة، وقد استعمل المصطلح في حقّ المهاجرين الذين رحلوا إلى أمريكا منذ سبعينيات القرن التاسع عشر وثلاثينيات القرن العشرين، بغض النظر عن جنسيتهم (المترجم).

نحو القارة الأمريكية. وكان هؤلاء المهاجرون، و فقط عند وصولهم إلى العالم الجديد، يعون بشساعته وبوجود حدود تقسم بلدانه إلى كيانات. وقد أكد لنا عدد من المستجوبين أن المصادفة هي التي حملت أسلافهم إلى البيرو، وأن عدداً منهم لم يسبق أن سمع بوجود بلد يحمل هذا الاسم، كما أكد المستجوبون أنفسهم أن أسلافهم ومن دون استثناء تقريباً، كانوا عاقدي العزم على العودة إلى بلدهم الأصلي بعد قضاء مدة قصيرة نسبياً في المهجر.

ودائماً بحسب الرواية الشفوية، أخبرنا أحد المستجوبين أن بعض أسلافه تعرضوا للغرق أمام سواحل مونتيبيديو عاصمة الأوروغواي عندما كانوا يحاولون دخول الأرجنتين، وأن من كُتب له النجاة منهم، وبعد وصولهم إلى بوينوس أيريس، ركبوا القطار في اتجاه بوليفيا، مستفيدين في ذلك من شبكة السكك الحديدية التي تربط بوينوس أيريس بمدننتي قرطبة وسانتا في (Santa Fé) الأرجنتينيتين. ومن بوليفيا عبروا بحيرة تيتيكاكا (Titicaca) ليواصلوا الطريق براً إلى غاية كوزكو (Cuzco) في البيرو. كما أخبرنا مستجوب ثانٍ، أن أحد أسلافه قام برحلة شبيهة، وأنه بعد مروره بشمال الأرجنتين، استقر في مدينة هوانكابيلكا البيروفية، مستفيداً في ذلك من وجود خط حديدي (يعود تاريخ إنشائه إلى سنة ١٨٩٢) يربط عاصمة بوليفيا «لاباز ب هواكي (Huaqui) في البيرو. ويتحدث مستجوب ثالث، في حكاية أقرب إلى الخيال عن وصول والده إلى البيرو، فبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، قام جده، وحتى ينجو بانه من أخطار الحرب وعواقبها، بإرساله وعمره آنذاك إحدى عشرة أو اثنتا عشرة سنة إلى البيرو حيث يقيم عمه الذي وبعد أن هاجر من بيت جالا، استقر في قرية صغيرة جنوب البيرو اسمها شالا (Chala). وقد وصل الطفل الذي لم يكن يعرف شيئاً عن البيرو، ولا عن المسافات التي تفصل بين مناطقها المختلفة، ومن دون معرفة باللغة الإسبانية، إلى ميناء كاياو (Callao)، غير أنه لم يجد هناك، وكما كان متوقفاً، عمه في انتظاره. وأمام هذه الوضعية الصعبة، علم بوجود عرب يمتلكون محلات تجارية في عاصمة البيرو ليما التي انتقل إليها حيث انتهى به المطاف مستخدماً في دكان مهاجر عربي اسمه سلفادور معلوف، رأف بحاله بعدما علم بقصته.

من الشهادات سالفة الذكر، يتبين لنا أن أوائل المهاجرين العرب لم تكن لهم أية فكرة عن الخريطة السياسية والجغرافية للقارة الأمريكية، كما أنهم لم يختاروا البيرو كبلد للهجرة، وإنما استقروا فيه بمحض المصادفة. ومع ذلك فإن مسارهم في هذا البلد لم يختلف في خطوطه العريضة عن مسارهم في بقية بلدان القارة، حيث إن المهاجر وعند وصوله إلى أحد موانئ أمريكا الجنوبية، يسعى إلى ممارسة نشاط يمنحه استقلالاً

اقتصادياً، من هنا يقع الاختيار على التجارة المتجولة. وعلى الرغم من أن جلّ المهاجرين كانوا من أصول قروية، فإنهم فضلوا ممارسة النشاط التجاري، ساعدهم على ذلك انتماؤهم إلى بلدان ذات تقاليد تجارية. وبما أنهم كانوا يعون بأن بقاءهم متمركزين في المدن - الموانئ التي حلوا بها، قد يخلق منافسة بينهم تكون ضارة بالجميع، فضلوا بشكل تدريجي ومع تعرفهم على البلد، التوغل في المناطق النائية.

ومن البلدان التي نتوافر على معطيات بصددها بخصوص هذا المسار، إضافة إلى البيرو، هناك الأرجنتين، حيث إن أوائل العرب الذين حلوا في ميناء بوينوس آيريس انتقلوا نحو المناطق الداخلية، أولاً في اتجاه «قرطبة» و«سانتا» في، مستفيدين في ذلك من ارتباط المدينتين بالعاصمة بخطين حديديين، ثم بعد ذلك بـ مندوزا ولايات الشمال الغربي. وقد وصلت نسبة الذين كانوا يوجدون في ولايات الشمال الغربي الأرجنتيني سنة ١٨٩٥ إلى ٢٨ في المئة من مجموع المهاجرين العرب، يقيمون في: توكومان، وسانتياغو ديل استيرو، وكاتاماركا، وسالطا، ولاريوخا، وخوخوي. ولم تكن في نية هؤلاء المهاجرين العرب الذين بدأوا يصلون إلى الأرجنتين منذ نهاية ستينيات القرن التاسع عشر، وعلى غرار أولئك الذين وصلوا إلى البيرو عدة سنوات بعد ذلك، المكوث لمدة طويلة في أمريكا^(١٤).

(١) خيار التجارة المتجولة

من الاحتمالات التي قد يفسر بها تركهم النشاط الفلاحي وهو مهنتهم الأصلية لممارسة التجارة، هناك تواضع دخل المأجورين الذين يعملون في الفلاحة، وتعذر كراء أراض فلاحية بسبب تكلفتها المرتفعة. وبخصوص حالة البيرو لم تكن توجد أراضٍ بالقدر الذي يسمح لهم باستغلالها، باستثناء ما يوجد في منطقة الأمازون النائية. هناك احتمال آخر ربما يكون هو الذي جعلهم بالأساس لا يقبلون على النشاط الفلاحي، ويتمثل في كون ممارسة هذا النشاط تعني الاستقرار والمكوث في المهجر، وهو هدف لا يتماشى وما خططوا له من عودة إلى الوطن بعد قضاء مدة في أمريكا.

ولم يتردد بعض الباعة المتجولين العرب في الانتقال من بلد إلى آخر من بلدان أمريكا اللاتينية بحثاً عن أسواق جديدة، بحيث نسجل حالات لأشخاص انتقلوا من

(١٤) كانت مدة إقامتهم في أمريكا بحسب عبد الواحد أكميز، تتراوح ما بين ستة أشهر وستين، وهو الوقت الذي يسمح لهم بتوفير القدر الكافي من المال، لإعادة الديون التي في ذمتهم ببلدهم الأصلي، واقتناء منزل وفتح دكان هناك لممارسة التجارة. انظر: عبد الواحد أكميز، «الهجرة العربية إلى الأرجنتين»، في: المصدر نفسه، ص ٦١ - ٦٢.

غرب الأرجنتين إلى التشيلي عبر جبال الأنديس، أو استقروا بنقطة حدودية بين البلدين وهو ما كان يسمح لهم ببيع سلعهم في هذا البلد وذاك، كما نسجل حالات لباعة متجولين آخرين انتقلوا من شمال الأرجنتين إلى بوليفيا، ومن هناك إلى البيرو.

لقد سمح لبعض الباعة المتجولين استقرارهم في قرى قريبة من طرق المواصلات الرئيسية، بأخذ فكرة عن الوضعية الاقتصادية وعن التطور الذي تعرفه أسواق المنطقة. بهذه الكيفية سيعلمون من دون شك، بالازدهار الاقتصادي الذي كان يعرفه جنوب منطقة الأنديس البيروفية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والذي يعود إلى رواج تجارة صوف البাকা (Alpaca) (*).

ويمكن أن يفسر النجاح التجاري الذي حققه أوائل المهاجرين الفلسطينيين في البيرو بمجموعة من العوامل من بينها الرخاء الاقتصادي الذي كان يعيشه جنوب البيرو، ووجود أسواق خالية من أية منافسة. صحيح أنه في تلك المرحلة كان هناك مهاجرون من أجناس أخرى يمارسون تجارة متواضعة الأهمية، غير أن هؤلاء لم يكونوا من الباعة المتجولين، كما إن نشاطهم التجاري لم يكن قد شمل مدن منطقة الأنديس التي وصلها في تلك المرحلة الباعة المتجولون العرب؛ فقد استقر الإيطاليون والصينيون الذين فتحو محلات تجارية في البيرو منذ نهاية القرن التاسع عشر، بالخصوص في المناطق الساحلية وبالضبط في العاصمة ليما.

وينتمي جلّ الفلسطينيين الذين هاجروا إلى البيرو بحسب دونيز كوش (Denys Cuche)^(١٥) إلى بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور، وهي مناطق بدأت تستقطب السياح والحجاج الغربيين منذ مطلع القرن التاسع عشر. ونتيجة لمواسم الحج تلك، ازدهرت بعض المنتوجات الدينية التي كان ينتجها الصناع التقليديون المحليون. لذا فإن أوائل المهاجرين الفلسطينيين إلى البيرو، وبالرغم من أنهم من أصول قروية، كانوا يعرفون المنتوجات التي يقبل عليها الأجانب، والتي سيحملون معهم بعضها إلى البيرو لتسويقها هناك.

مارس الفلسطينيون في البيرو النشاط التجاري وفق معطيات تقليدية تنتمي إلى ثقافتهم. وقد ساهم هذا النشاط في الحفاظ على البنية الأبوية وعلى التلاحم العائلي؛ لأن التاجر المتجول وفي حالة ما إذا احتاج إلى مساعد فإنه يرسل في طلب أخ، أو

(* هو جمل صغير ليس له سنم، يعيش في أمريكا الجنوبية ويعرف بنعومة وبره، وصوف «البكا» هو قماش يستخرج من وبر هذا الحيوان (المترجم).

Cuche, «Un Siècle d'immigration palestinienne au Pérou: La Construction d'une ethnicité spécifique» (١٥).

ابن عم، أو على الأقل أحد معارفه الذي ينتمي إلى قريته نفسها، أما التاجر المستقر فإنه إذا ما قرر فتح محل ثان في مدينة أخرى، فإن الذي يتولى أمره هو ابنه، أو ابن أخيه، أو قريب من أقاربه يستدعيه من الوطن. انطلاقاً من هنا كان رأس العائلة هو الذي يراقب حركة هجرة الأقارب، وهو الذي يقرر من يجب أن يأتي من فلسطين إلى البيرو للانضمام إلى المؤسسة العائلية. ولم يكن يوجد تقريباً حدّ فاصل بين الحياة المهنية والحياة الخاصة لهؤلاء التجار الذين وصلوا إلى البيرو في بداية عهد الهجرة. ويحكي بعض المستجوبين في هذا السياق، أن ظروف عيش هؤلاء التجار كانت صعبة للغاية، لأن أغلبهم كان عليهم الإقامة في مساكن صغيرة جداً، وكان الدكان عادة يوجد بالمسكن نفسه، وهذا إن كانت له انعكاسات سلبية على ظروف عيشهم تتمثل في اقتطاع الفضاء المخصص للدكان من محل السكن، فإن له نتيجة إيجابية واحدة على الأقل، تتمثل في بقاء المتجر مفتوحاً أطول وقت ممكن في وجه الزبن.

لقد حمل أولئك المهاجرون معهم من وطنهم الأصلي، أساليب جديدة في ممارسة التجارة، وهنا وجب التذكير أن المتجر في الشرق الأوسط هو إضافة إلى كونه مكاناً للبيع والشراء، فضاء اجتماعي للتواصل مع الجيران واللقاء من أجل الدردشة. وتدخل ضمن هذه الدردشة المساومة قبل البيع، وهذا تقليد مشرقى نقله معهم من نسميهم بـ «توركوس» إلى البيرو. ويكون طلب ثمن مرتفع في المنتج المعروض، بمثابة فتح باب المساومة والتنازل المتبادل، إلى أن يتم الوصول إلى ثمن يرضي الطرفين. ولم يكن هؤلاء التجار يترددون في منح تسهيلات في الأداء لزبائنهم البيروفيين الذين يتعذر عليهم أداء ثمن ما اقتنوه دفعة واحدة، وهو ما كان ينظر إليه، وبشكل عام، نظرة إيجابية من طرف الساكنة المحلية. ويحكي أحد مستجوبينا عن تجربة والده الذي حلّ في البيرو عام ١٩١١، ما يلي: «كان والدي محبوباً جداً، وكان صديقاً لحمالي الميناء وصياديه. كان يمتلك محلاً تجارياً كبيراً، وكان زبائنه يقتنون منه مواد لزوجاتهم وملابس مدرسية لأبنائهم، بحيث يبيع للجميع بالدين من دون تمييز. وكان زبائنه يسددون ما في ذمتهم على رأس كلّ شهر أو كلّ نصف شهر. وبفضل ترحيب الزبن بهذه الطريقة، أصبح لكلّ سكان مدينة موييندو (Mollendo) تقريباً، حساب مفتوح بدكان والدي».

كان النشاط التجاري في بلاد العرب، خلال المرحلة التي نحن بصدددها، بمثابة مهمة اجتماعية ضرورية يلعب فيها التاجر الصغير دور الوسيط، لهذا السبب لم تكن التجارة الصغيرة أبداً في يد الأجانب. وكان التاجر الصغير يحس أنه في خدمة الغير، لذلك فهو بشوش لطيف دائماً مع الزبن. وبجانب هذا العنصر الذي حمله معه إلى المهجر، ساعدته عناصر أخرى على النجاح في البيرو، نذكر من بينها أولاً، الأسعار

المنخفضة التي يبيع بها سلعه مقارنة بغيره، وهذا استفاد منه لكون محله التجاري مؤسسة عائلية مصاريفها محدودة جداً^(١٦)؛ ونذكر من بينها ثانياً، حرصه على إيصال منتوجاته إلى غاية منازل الزبن من خلال الباعة المتجولين؛ ونذكر من بينها ثالثاً، وأخيراً تغييره المستمر لسلعه، وهو ما يجعل الزبون يقبل على دكانه باستمرار للحصول على مقتنيات جديدة.

لقد تمّ النظر في البيرو بشكل إيجابي جداً إلى الكيفية التي مارس بها العرب التجارة في هذه المرحلة المبكرة، وهذا ما تؤكده لنا دراسة يعود تاريخها إلى عام ١٩٢٤ للباحث البيروفي سيتوريون هيريرا (Centurión Herrera)، أشادت بالجالية العربية و«ثقافتها التجارية»^(١٧). ويذكر هذا المصدر أسماء عدد من المحلات التجارية العربية ساهمت في التنمية الاقتصادية للبيرو من بينها «نجمة بيت لحم» للأخوين موسى وإبراهيم كحاط اللذين وصلا إلى البلاد سنة ١٩٠٤، واللذين كانا يمتلكان أثناء إنجاز هيريرا لدراسته، عدداً من المحلات التجارية في البيرو. ومما كتبه الباحث المذكور في هذا السياق: «وصل السيدان كحاط إلى البيرو سنة ١٩٠٤، وقد استقرا في مقاطعة أياكوتشو التي أنشأ بها محلاً تجارياً غطى حاجيات المنطقة. ورغم وجود المحل في منطقة معزولة وبعيدة نسبياً عن الساحل، بحيث لم تكن تصلها وسائل النقل بسهولة، فإن جدية ونزاهة الأخوين كحاط، سمحت لهما بتحقيق النجاح، وهذا ما شجعهما على فتح محل آخر في ولاية أنداهوايلاس (Andahuaylas)، حقق هو الآخر نجاح محل أياكوتشو نفسه.

ويجمل المصدر سالف الذكر كذلك على مقالة نشرت في صحيفة التجارة البيروفية (*El Comercio*) سنة ١٩٢١، يشيد بكيفية ممارسة الفلسطينيين للتجارة، ويتوقف عند محل يمتلكه في العاصمة ليما، أخوان من عائلة مخلوف يقول عنه: «يأخذ المحل بعين الاعتبار حاجيات الزبون وإمكانياته المادية المتواضعة، لذا يضع أسعاراً تفضيلية تكون في متناول الزبون، غايته من ذلك، بيع أكبر كمية ممكنة من منتوجاته». وتضيف المقالة نفسها، أن الأمر يتعلق بمؤسسة تجارية تباع منتوجات مختلفة الأشكال والأنواع، مستوردة من الولايات المتحدة، واليابان، والصين، وأوروبا.

(١٦) يجمل «كوش (Cuche)» على إشهار يعود تاريخه إلى سنة ١٩٢٨، علق على باب محل تجاري يمتلكه تاجر عربي بمدينة كوئكو، جاء فيه: «عملة مؤسستنا هو البيع الكثير والريح القليل». انظر: المصدر نفسه.

(١٧) Centurión Herrera, *El Perú actual y las colonias extranjeras: La Realidad actual y el extranjero* (١٧) en *el Perú Través de cien años, 1821-1921*.

وبحسب المقالة المذكورة دائماً، أقامت مؤسسة مخلوف، وكانت للبيع بالجملة والتقسيم، ومنذ أنشأت نواتها الأولى في مدينة أريكيبا سنة ١٩٠٢، علاقات تجارية مع مؤسسات تجارية في مدن بيروفية أخرى، من خلال شبكة من الوكلاء التجاريين والباعة المتجولين الذين كانوا يطوفون مختلف أنحاء البلاد. وتضيف المقالة نفسها، أن حنا مخلوف وهو مدير المؤسسة، سبق وسافر إلى أوروبا ليقتني من هناك مباشرة السلع «بحسب متطلبات السوق المستهلكة». وسوف يستفيد الأخوة مخلوف في البيرو، من تجربتهم السابقة في بوليفيا، حيث سبق وأنشأوا في العاصمة «لاباز»، مصنعاً للقمبعات، ومؤسسة لتجارة النسيج ومنتجات الخردة، شبيهة بتلك التي أنشأوها في أريكيبا سنة ١٩٠٢.

(٢) تكريس الحضور التجاري في منطقة الأنديس^(١٨)

لقد تنبه المهاجرون الفلسطينيين إلى الوضعية الاقتصادية المزدهرة التي كان يعرفها جنوب البيرو في نهاية القرن التاسع عشر، وسوف يتزامن وصولهم إلى هذه المنطقة مع إقامة شبكة خطوط السكك الحديدية، وهذا ما جعل نجاحهم التجاري يسير بشكل متواز مع امتداد هذه الخطوط، بحيث إنهم كانوا أول التجار الذين استقروا في المحطات السككية المحورية مثل أريكيبا، وبونو، وسيكواني، وكوتكو^(١٩).

وترجع الديناميكية الاقتصادية التي عرفها جنوب منطقة الأنديس في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، إلى ازدهار صادرات الصوف وبخاصة صوف الباك كما سلف ذكره. وكان ذلك مرتبطاً بنتائج الثورة الصناعية في بريطانيا، والطلب المتزايد على المواد الأولية المستعملة في صناعة النسيج الإنكليزية. وبجانب حاجة الإنكليز إلى استيراد المواد الأولية، أصبحت لهم حاجة ملحة للبحث عن أسواق جديدة، في وقت غزا فيه النسيج الإنكليزي الأسواق العالمية، وعلى رأسها أسواق أمريكا اللاتينية.

وكان عدد من الشركات التجارية الإنكليزية والفرنسية والألمانية الكبرى، قد

(١٨) لمعرفة خصوصيات الحضور العربي بهذه المنطقة (من الناحية الكيفية وليس الكمية)، يمكن الرجوع إضافة إلى أعمال دونيز كوش؛ ومانويل بورغا؛ وولسن رياتيغي؛ وإلياس خروفي سالفه الذكر، إلى الدراسة المتميزة التي أنجزها الباحث الانثروبولوجي لويس ألونزو نيجرون. انظر: Alonso Negrón, «Los Arabes en el: انظر: Cuzco».

Benjamín Jarufe Zedán, «Los Primeros inmigrantes árabes en Perú.» *Identidad*, vol. 1, no. 2 (١٩) (setembro 1993).

فتحت منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكالات تابعة لها في البيرو، وبالضبط في مدينة أريكيبا التي تتميز بموقع استراتيجي بالنسبة إلى الحركة التجارية، ذلك لأنها تقع بين منطقة الأنديس المتخصصة في إنتاج الصوف، وبين ميناء موييندو الواقع على المحيط الهادي، والذي يتم انطلاقاً منه تصدير المواد الأولية. وسوف تطلع أريكيبا بدور مزدوج، تمثل في تحولها إلى مركز لتجميع السلع وكذا توزيعها، وبالتالي أصبحت نقطة أساسية في حركة التصدير والاستيراد. وكُل هذا جعلها تعرف نمواً ديمغرافياً غير مسبق.

كان هذا الانتعاش الاقتصادي، وراء إقدام الحكومة البيروفية على إنشاء عدد من خطوط السكك الحديدية جنوب البلاد، أولها الخط الرابط بين موييندو وأريكيبا الذي دشن في ٣١ كانون الثاني/يناير ١٨٧٠؛ والخط الرابط بين هذه الأخيرة وبونو الذي يعود تاريخه إلى عام ١٨٧٦ والذي سوف يمتد سنة ١٨٩١ إلى غاية سيكواني، ثم إلى غاية كوئكو سنة ١٩٠٨. والواقع أن إنشاء هذه الخطوط شكّل نقلة نوعية مهمة بالنسبة إلى الحركة التجارية، لأن نقل السلع إلى ذلك التاريخ كان يتم على ظهر الدواب. وتجدر الإشارة هنا إلى أن استعمال القطارات بقي حكراً على نقل السلع، أما المسافرون فقد استمروا ولمدة من الزمن، يستعملون البغال في تنقلاتهم.

إلى غاية ثمانينيات القرن التاسع عشر، وبالضبط إلى المرحلة السابقة لإنشاء شبكة السكك الحديدية، حافظت التجارة جنوب منطقة الأنديس على طابعها التقليدي القروي^(٢٠)، حيث كان هذا النشاط يرتبط بالمواسم التجارية التي تنظمها الساكنة المحلية من الهنود والتي قد تمتد إلى أسبوعين، وكان القرويون يُسوّفون في هذه المواسم أصواف قطعانهم ومنتجات فلاحية أخرى، ويقتنون في المقابل مواد لا تنتجها منطقتهم. وكان التبادل التجاري يتم نقداً كما كان يتم بالمقايضة. وبالإضافة إلى سكان القرى، كان يشارك في هذه المواسم، تجار محترفون سبق وأنشأوا مؤسسات تجارية في المنطقة، ذلك لأنه إلى غاية ذلك التاريخ، لم يكن قد ظهر الوكيل التجاري الذي سيلعب دور الوسيط بين الدور التجارية الكبرى وبين القرويين.

من جهة أخرى كانت التجارة الصغيرة في تلك الفترة، بيد كبار ملاك الأراضي الذين أنشأوا داخل ضيعاتهم الفلاحية دكاكين بقالة متخصصة في بيع المواد الاستهلاكية، يجد القرويون أنفسهم مجبرين على التعامل معها، وهنا نسجل انتشار

(٢٠) المصدر نفسه؛ Cucho, «Un Siècle d'immigration palestinienne au Pérou: La Construction d'une ethnicité spécifique,» et Burga y Reátegui, *Lanas y capital mercantil en el sur: La Casa ricketts, 1895-1935.*

نوع من الاحتكار التجاري، لا تكسره إلا تلك المواسم السنوية التي تحدثنا عنها.

وبحسب دراسة بورغا ورياتيغي سالفة الذكر، نجم عن اندلاع «حرب المحيط الهادي» اضطراب كبير في الحركة التجارية التقليدية، لأنها أدت إلى اختفاء البغالين الذين كانوا يؤمنون نقل السلع بين الأسواق الموسمية القروية، كما نجم عن الهجوم الكاسح الذي شنته على اقتصاد المنطقة الرأسمالية الماركنتيلية الدولية المستفيدة من إنشاء شبكة خطوط السكك الحديدية، اضطراب ثانٍ كان وراء الاختفاء التدريجي لهذه الأسواق الموسمية.

وسوف تظهر في ظلّ الوضعية الجديدة التي أصبحت تعرفها منطقة جنوب الأندلس منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، ما يسمى بـ «الأسواق الحضرية ليوم الأحد» التي حلت محلّ المواسم القروية. وما كان يميز هذه الأسواق، شيوع التبادل التجاري بين المنتوجات الفلاحية من جهة، وبين المواد المصنعة المستوردة من جهة أخرى. هذه الأخيرة التي أصبحت تصل تلك الأسواق بكميات كبيرة نسبياً، كانت المستفيد الأول من الوضعية الجديدة.

من خصوصيات هذه المرحلة كذلك، استغناء سكان القرى عما تقدمه دكاكين البقالة الموجودة في الضيعات الفلاحية، وتعويضه بما يوجد في الأسواق الأسبوعية التي أصبحوا يبيعون فيها كذلك منتوجاتهم الفلاحية وبخاصة الصوف الذي سمح تسويقه ببعض التحسن في قدراتهم الشرائية. وما يؤكّد أهمية الصوف في حركة التبادل التجاري تلك، جملة شاعت بين وكلاء المؤسسات التجارية الأجنبية تقول: «لا تجارة من دون صوف».

وسوف تظهر خلال المرحلة التي نحن بصدددها، في المدن التي تمرّ بها أو تجاورها خطوط السكك الحديدية، محلات تجارية صغيرة متخصصة في مواد غير المواد الغذائية. وقد كانت بعض هذه المحلات في ملكية مهاجرين فلسطينيين. ومن بين أوائل هؤلاء هناك الأخوان إبراهيم وموسى كحاط سالف الذكر اللذان استقرا في أياكوتشو وفي أندهوايلاس منذ سنة ١٨٩٥، والأخوان يوسف ولويس سلمون اللذان استقرا في سيكواني منذ سنة ١٨٩٦ (كلتا العائلتان هاجرتا من بيت جالا). ويظهر أن الهجرة الفلسطينية إلى المدينة الأخيرة بدأت تسجل ارتفاعاً منذ هذه السنوات، وكان ذلك في إطار مسلسل الهجرة العائلية، يؤكّد لنا هذا فتح العرب لعدد آخر من المحلات التجارية بمركز المدينة، وبالضبط في المنطقة المجاورة لما يسمى بـ «ساحة الأسلحة».

وبخصوص مدينة كوثكو، فقد وصلها كذلك المهاجرون الفلسطينيون في نهاية

القرن التاسع عشر. وسيتصادف وصولهم مع مرحلة انتعاش اقتصادي أعقبت الأزمة التي عرفتها المدينة بعد الاستقلال، والناجمة عن عوامل متعددة أهمها فقدانها لوضعيتها القانونية كعاصمة اقتصادية لما كان يعرف خلال المرحلة الاستعمارية بـ «البيرو الأعلى»، والذي كان يضم كذلك جزءاً من بوليفيا. وستفقد كوثكو الريادة الاقتصادية الإقليمية لفائدة أريكيبيبا. ومن المؤشرات التي تؤكد حالة الركود الاقتصادي التي عرفتها كوثكو بعد الاستقلال، تراجع ساكنتها من ٤٠ ألف نسمة سنة ١٨٢٥ إلى ١٥ ألف نسمة سنة ١٨٥٠. ولن تستعيد المدينة، بعضاً من مجدها الاقتصادي إلا في نهاية القرن التاسع عشر، وكان ذلك بفضل رواج تجارة الصوف، وكذا بفضل مدّ خطوط السكك الحديدية. وسوف تتكرس الوضعية الاقتصادية للمدينة منذ بداية القرن العشرين، عندما تحولت إلى مركز لتجميع ما ينتج في منطقة الأمازون من مواد فلاحية مثل البن والكافوا والشاي والمطاط. وكان يتم تصنيع بعض هذه المواد كالكافوا بالمكان عينه، وهو ما سمح بظهور معامل الشوكولاته، بينما يتم تصدير البعض الآخر كمواد خام.

هناك عنصر آخر ساهم في الازدهار الاقتصادي الذي عرفته كوثكو في نهاية القرن التاسع عشر، هو قيام الدور التجارية الأجنبية التي لها وكالات في أريكيبيبا، بفتح فروع تابعة لها في كوثكو، تخصصت في التصدير والاستيراد. تزامن ذلك مع استقرار أوائل المهاجرين الفلسطينيين بالمدينة، حيث سيطروا بسرعة على التجارة الصغيرة التي طبعوها بطابع خاص يتمثل كما مرّ بنا، في البيع بأسعار منخفضة جداً، وفي منح تسهيلات في الأداء للزبن. وقد دأب التجار الفلسطينيون على استخدام سلعهم مباشرة من أريكيبيبا، وكان تخصصهم بالأساس في تجارة النسيج والملابس الجاهزة، بالرغم من أن بعضهم وسع هذا التخصص ليشمل منتجات مثل القبعات والعطور ولوازم أخرى شبيهة بها.

شكّل الفلسطينيون بخطتهم التجارية القائمة على البيع بأسعار منخفضة وبالدين، تهديداً حقيقياً ليس فقط لغيرهم من التجار الصغار، بل ولمونبيهم من تجار الجملة كذلك والذين كانوا يقتنون منهم السلع بعد مساومة شرسة لا يتركون لهم معها إلا ربحاً محدوداً جداً. كلُّ هذا أصبح مصدر إزعاج لتجار الجملة الذين عبروا عن رغبتهم في إقصاء «التوركوس» من السوق، سواء في كوثكو أو سيكواني أو غيرهما. وقد وقفنا على وثائق تعود إلى سنة ١٩٠٧، تتحدث عن قيام تحالف بين تجار الجملة في هذه المدينة الأخيرة، بهدف طرد «التوركوس» منها. ولتحقيق ذلك بدأوا بالضغط على أصحاب المحلات التجارية التي يكتريها هؤلاء، لإلغاء عقود الكراء التي تربطهم بهم. أمام هذا الخطر، لم يجد الفلسطينيون من حلّ غير شراء تلك المحلات.

أنداك لجأ تجار الجملة إلى خطة أخرى تتمثل في الترويج لإشاعات تتحدث عن عدم قدرة «التوركوس» تسديد الديون التي بذمتهم، وأنهم أصبحوا على حافة الإفلاس. غير أن هذه الخطة باءت هي الأخرى بالفشل، ذلك لأن الفلسطينيين كانوا قد غرسوا جذورهم الاقتصادية بنجاح في المنطقة، وبالتالي لم تكن هذه الضربات لتنال منهم.

ونقرأ في رسالة مؤرخة في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩١٠، بعث بها ممثل مؤسسة تجارية في كوثكو إلى المقر الرئيسي للمؤسسة في أريكييا ما يلي: «توجد مدينة كوثكو اليوم بيد «التوركوس»، ويستحيل علينا تسويق سلعنا إذا لم نتعاون معهم»^(٢١).

وبحسب دراسة بورغا (Burga) ورياتيغي (Reátegui): «كان تجار الجملة يعتبرون «التوركوس» بمثابة خطر حقيقي على التجارة الإقليمية في سيكواني وأريكييا وكوثكو، وحيث وجدوا. وكانت الوسيلة الوحيدة لتفادي خطرهم، تكمن في الحيلولة دون اقتنائهم السلع مباشرة من المعامل التي تنتجها، وإرغامهم على المرور بالوسيط الذي يمثله تجار الجملة؛ وهكذا فبالنسبة إلى الدور التجارية الكبرى، كان «التوركو» الخطير هو ذلك الذي يتعامل مع أرباب المصانع، أما «التوركو» النجيب فهو ذلك الذي يشكل جزءاً من جيش تجار التقسيط، الذين يلتجئون إلى هذه الدور التجارية لاقتناء سلعهم»^(٢٢).

ومن أجل إبعادهم عن مصادر الإنتاج مباشرة، جعلت مؤسسة ريكيترز (Ricketts) الإنكليزية وكان لها حضور تجاري قوي في البيرو، من قضية «التوركوس» شغلها الشاغل، بحيث لم تتوقف عن بعث المراسلات إلى أرباب المعامل والمؤسسات التجارية الكبرى خارج البيرو، تطلب منها عدم التعامل مع «التوركوس». ومن المبررات التي ضمنيتها تلك المراسلات، اكتفاء تجار الجملة «التوركوس» بعمولة لا تتجاوز ٥ في المئة على السلع المستوردة عند بيعها لتجار التقسيط، بينما تكون بقية الدور التجارية مضطرة، وبسبب ارتفاع مصاريفها، على الاحتفاظ بعمولة لا تقل عن ١٠ في المئة. ونفهم من رسالة بعث بها وليام ريكيترز، مدير المؤسسة المذكورة إلى أحد أرباب المعامل في نيويورك عام ١٩١٨، أن استيراد السلع مباشرة من الخارج لم يعد مقتصراً على تجار الجملة من «التوركوس» وإنما تجار التقسيط كذلك، وهذا ما ترفضه الرسالة التي جاء فيها: «.. أما البقية منهم، فهم تجار تقسيط لا يجب أن تتعاملوا معهم مباشرة»^(٢٣).

Burga y Reátegui, Ibid.

(٢١)

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) المصدر نفسه.

من جهتهم بدأ التجار الفلسطينيون منذ حوالي سنة ١٩١٠، سياسة جريئة هدفوا من خلالها إلى تدعيم وضعيتهم الاقتصادية، وتمثل في اقتناء السلع مباشرة من الدور التجارية الموجودة في العاصمة ليما، بل وأنشأ بعضهم وكالات خاصة في أوروبا ولا سيما في الولايات المتحدة، مكلفة بتسهيل استيراد السلع^(٢٤)، ساعدهم على ذلك شبكة الروابط العائلية التي لهم مع أقاربهم المهاجرين بهذه البلدان. كل هذا أصبح مصدر إزعاج إضافي لتجار الجملة الذين واصلوا إلحاحهم على أرباب المعامل حتى لا يتعاملوا مباشرة مع التجار «التوركوس» وبخاصة الصغار منهم. ونقرأ في هذا السياق في رسالة ثانية مؤرخة في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٥، بعثت بها مؤسسة ريكيتر إلى أحد رجال الصناعة في ليما ما يلي: «إن جالية التوركوس متحدة مع بعضها البعض بشكل كبير جداً، لدرجة يمكن القول معها، إنه بإمكان أفرادها الاستغناء عن مؤسسات البيع بالجملة هنا، للتعامل فقط مع مومنين من الجالية نفسها، والذين لن يترددوا في بيعهم السلع من دون ربح أو الاكتفاء بربح رمزي. من أجل ذلك، طلبنا دائماً من سيادتكم الحرص على مصالحنا، والامتناع عن بيع السلع مباشرة إلى «التوركوس»، وكذا عدم التوسط لهم لشرائها من مؤسسات أخرى في ليما».

وعلى الرغم من هذه العراقيل، واصل الفلسطينيون ممارستهم للتجارة بنجاح، حيث سبكرس عدد منهم وضعيتهم كتجار للجملة، ثم كتجار تصدير واستيراد بعد الحرب العالمية الأولى. وقد انتقل الذين وصلوا منهم إلى هذا المستوى، إلى مدينة أريكيبا التي كانت تعرف ازدهاراً اقتصادياً مهماً كما مرّ بنا. وسوف يستمرّ إلى غاية عشرينيات القرن العشرين النزاع بين التجار «التوركوس»، وبين بقية مؤسسات البيع بالجملة وبخاصة الأجنبية منها.

ومن بين التغييرات التي أدخلها التجار الفلسطينيون على اقتصاد المنطقة، هناك الشروع في التعامل بالعملة النقدية بدل المقايضة، ذلك لأنه لم يكن بإمكانهم المنافسة في سوق تجارية تقوم على المقايضة. ومن بين الصعوبات التي اعترضتهم في البداية، قلة النقود في أيدي القرويين، الذين كان عملهم غير المأجور، يتلخص في الاشتغال كفلاحين ورعاة مواش في ضيعات كبار ملاك الأراضي، مقابل الحصول على قطع أرضية للاستغلال، أو مقابل السماح لبعض ماشيتهم بالرعي في تلك الضيعات. ورغبة من الفلسطينيين في التأقلم مع الوضع القائم، التجأوا إلى طريقة تتمثل في

(٢٤) من بين الحالات التي وقفنا عليها في هذا السياق، تلك التي تمه مؤسسة مخلوف سالفة الذكر، والتي كان أحد وكلائها يقيم في أوروبا سنة ١٩٢٢، لتسهيل عملية تصدير السلع من هناك إلى المؤسسة الأم.

البيع بالدين المشروط الذي يفرض على الزبون دفعاً مسبقاً عما يقتنيه، يعادل القيمة التي ابتاعه بها التاجر الفلسطيني من محلات البيع بالجملة، على أن يدفع الباقي في وقت لاحق.

كانت وحدات التبادل التجاري هي السول (El sol) كعملة نقدية، والرطل كأداة للوزن، والمخصرة كأداة لقياس الطول(*) . ومن السلع التي كان القرويون يقتنونها من التجار الفلسطينيين، القماش القطني، والقماش الصوفي، وقماش كشمير، وقماش قشالة، والشُرط الملونة المعروفة باسم «بولون»(***)، والشرط المعروفة باسم الشرط البوليفية والتي تصلح لتزيين القبعات، وأنواع مختلفة من الخيوط، والإبر، وما شابه ذلك. وبحسب نيجرون الونسو اعتاد التجار الفلسطينيون على تسجيل ما يبيعهونه قرضاً لزبائنهم، في كراسة خاصة تعرف باسم «كتاب الشهرية» (Libro de mensualidad). وكان الهنود القرويون منضبطين عادة في أداء ما في ذمتهم، بحيث كان عدد الذين يتأخرون في فعل ذلك، محدوداً جداً مقارنة بسكان المدن. وسوف يسمح هذا الانضباط بتوطيد العلاقة بين الهنود والتجار الفلسطينيين، الذين تزكى لديهم المبدأ التجاري القائل «اختر الزبون قبل المشتري».

وبجانب إدخالهم تقليد التعامل النقدي، يؤكد نيجرون أن التجار الفلسطينيين هم أول من أدخل تقليد التعامل بالدين إلى المنطقة، وهم بذلك جعلوا حضور الهنود القرويين في الأسواق العصرية أمراً ممكناً. وإذا كانت التسهيلات في الأداء ظاهرة ميزت تعامل التجار الفلسطينيين مع الهنود القرويين بشكل عام، فإننا نسجل في بعض المدن خصوصيات محددة؛ مثلما هو الحال في مدينة سيكواني التي عرفت ما يسمى بـ «قرض النملة»، الذي يعني أن الهندي كان يؤدي ما في ذمته يومياً على أقساط صغيرة، طيلة تسعة وعشرين يوماً.

هناك تقليد آخر أدخله التجار الفلسطينيون إلى المنطقة، يمكن أن نسميه «دمقرطة العلاقات التجارية»، ذلك لأنهم كانوا يعاملون الهنود القرويين بالطريقة الودية نفسها التي يعاملون بها سكان المدن. عن هذا يقول نيجرون: «عامل التجار الفلسطينيون الهنود القرويين بأدب، وتعلم بعضهم لغة «كيتشوا» الهندية لمخاطبتهم بلغتهم، وكانوا ينادونهم بأسمائهم مصغرة(***)»، كما كانوا يقدمون لهم بعض

(*) هي عصا طولها ٨٣٥,٩٠ ملم (المترجم).

(**) نسبة إلى ولاية بولونيا (Bologna) الواقعة شمال إيطاليا (المترجم).

(***) يدل ذلك في الثقافة الإسبانية والأمريكية اللاتينية على نوع من المودة ورفع التكليف، بحيث يطلق على «بابلو» اسم «بابليتو»، و«مانويل» اسم «مانولو»، و«خوان» اسم «خوانيتو» (المترجم).

الهدايا الصغيرة وبعض الحلويات، وهذا التصرف على بساطته، يدخل البهجة في نفوس القرويين»، الذين فضلوا بحسب المصدر نفسه، التعامل مع العرب على التعامل مع البيروفيين الذين كانوا يعاملونهم بطريقة جافة^(*).

من جانب آخر، سمح النجاح الاقتصادي الذي حققه الفلسطينيون في مجتمع الأندلس القروي، بتزكية وضعيتهم الاجتماعية التي أصبحت شبيهة بوضعية أعيان وحكام تلك المناطق. وعلى الرغم من التحفظ الذي أبدته النخبة المحلية في البداية، فإنها ستتقبل الوضع مع مرور الوقت؛ وسيختلط عن طريق الزواج، بعض أبناء العائلات مالكة الضيعات والمناجم، بمتحدرين من أصل عربي.

ويورد نيجرون اعتماداً على «التقرير التجاري لمدينة سكواني»^(٢٥)، حكاية طريفة يتبين من خلالها الثقل الاقتصادي الذي أصبح للجالية الفلسطينية بالمدينة في عشرينيات القرن العشرين؛ فقد اتخذ عمدتها قراراً أرتجالياً، يتمثل في تغيير يوم السوق الأسبوعي من الأحد إلى الخميس وهو يوم عطلة بالمدينة. هذا الإجراء لم يكن يناسب التجار الفلسطينيين، لأن محلاتهم التجارية تكون مغلقة يوم الخميس، لذا وبسبب الضغط الذي مارسوه على سلطات البلدية بالمدينة، تمّ الإبقاء على موعد السوق الأسبوعي يوم الأحد^(٢٦)، مع تغيير يوم العطلة التي تغلق بها المحلات التجارية أبوابها من الخميس إلى الأربعاء.

ب - بداية الهجرة السورية - اللبنانية إلى البيرو

بحسب ما تسمح به المصادر القليلة المتوافرة، حلّ أوائل السوريين واللبنانيين في مدن البيرو الساحلية في بداية القرن العشرين، أما مدن منطقة الأمازون وبخاصة مدينة إيكيتوس، فمن المحتمل أنهم وصلوها قبل هذا التاريخ، شجعهم على ذلك الازدهار الذي كانت تعرفه تجارة المطاط بالمنطقة.

ويقول دونيز كوش عن أوائل المهاجرين اللبنانيين إلى البيرو، إنهم كانوا يأتون وحدهم من دون عائلة، وإنهم كانوا يغيرون أسماءهم إسبانية بعد وصولهم إلى المنطقة. وللإشارة فإن تغيير أسمائهم، جعل عملية ضبط هويتهم من طرف

(*) إن رفض البيروفيين على غرار بقية سكان أمريكا اللاتينية للهنود، له جذور تاريخية تعود إلى المرحلة الاستعمارية (المترجم).

(٢٥) نشر هذا التقرير في صحيفة لافيرداد. انظر:

La Verdad, 9/1/1923.

(٢٦) لا زالت الذاكرة الجماعية بالمدينة إلى اليوم تربط بين الإبقاء على السوق الأسبوعي يوم الأحد وبين

العرب، لذا تسميه «يوم الأحد التركي».

إحصاءات السكان وغيرها من الإحصاءات الرسمية أمراً صعباً. ويتحدث المصدر نفسه عن شخص يدعى أنطونيو ساسون ولد في ليما عام ١٩٠٧ من أبوين لبنانيين، وهو ما يدل على وجود هجرة لبنانية بالمدينة قبل هذا التاريخ، كما يتحدث عن مهاجرين لبنانيين من المحتمل أنهما غيرا اسميهما عند وصولهما إلى البيرو، ويدعى الأول ميغيل هيريرا الذي حلّ في البيرو عام ١٩٠٨ وكان عمره ١٨ سنة^(*)، ويدعى الثاني دافيد غوستين الذي حلّ في ليما برفقة والديه خلال المرحلة نفسها وكان عمره ١٥ سنة.

وتؤكد نتائج الاستثمارات التي قمنا بتوزيعها كذلك، إلى وصول السوريين واللبنانيين إلى السواحل البيروفية في مرحلة مبكرة. وقد حكي لنا مستجوب اسمه مجيد عيسى حمد، وهو مسلم من أصل فلسطيني، أن عمه طالب حمد هو أول فرد من عائلته حلّ في البيرو الذي قدم إليها من كوبا عام ١٩٢٨، حيث تعلم مبادئ اللغة الإسبانية^(٢٧). وكان متردداً عند وصوله السواحل الشمالية للبيرو بين الاستقرار في مدينة تيومبيس (Tumbes) ومدينة بيورا (Piura)، وسوف يفضل هذه الأخيرة لأن فيها مهاجرين سوريين ولبنانيين، ومن غير المستبعد أن يكون قد قدم من كوبا إليبيورا بعدما سمع بوجود مهاجرين سوريين ولبنانيين فيها^(٢٨). ويذكر المستجوب نفسه، عائلات سورية ولبنانية أخرى استقرت في المنطقة، من بينها عائلة جرور، وعائلة أبو بسام التي استقر أفرادها في شيكلايو (Chiclayo) وتروخييو. وبحسب مستجوب آخر اسمه ماريو منصور الشامي، حلّ جداه في البيرو عبر مضيق ماجلان حوالي سنة ١٩٠٨، وكانت هجرتهما في البداية إلى المكسيك التي وصلها حوالي سنة ١٩٠٠ على ظهر باخرة مملوءة بالمهاجرين. وقد تعرف جده وأصله من اللاذقية، على جدته وأصلها من بيروت على ظهر تلك الباخرة. وسوف يلتحق بعد ذلك بهما في المكسيك، ثلاث من إخوة جده، أصبح أحدهما مسؤولاً سياسياً في قرية بانشو فيا (Pancho Villa) إبان الثورة المكسيكية لعام ١٩١٠. وكان جده قد غادر آنذاك المكسيك في اتجاه البيرو برفقة زوجته حيث حلا في مدينة كاياو. ويجهل المستجوب الأسباب

(*) الترجمة الحرفية للقب هيريرا هو حدّاد، والمقابل العربي لميغيل هو ميخائيل (المترجم).

(٢٧) ترى الباحثة مايدا خيمينيس غارسيا، أن جزيرة كوبا في بحر الكاريبي، كانت بمثابة محطة عبور بالنسبة إلى المهاجرين المشاركة إلى أمريكا الجنوبية، ومع ذلك فقد استقر بعضهم بها بشكل نهائي. انظر: مايدا خيمينيس غارسيا، «الهجرة العربية إلى جزر بحر الكاريبي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين: كوبا نموذجاً»، في: روبييدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، ص ٢٥٣.

(٢٨) هذا الاحتمال لم تؤكد ابنة المعنى بالأمر التي أخبرتنا أن والدها لم يحدّثها أبداً عن وجود لبنانيين في «تومبيس»، أو في «بيورا».

التي جعلت جديه يختاران البيرو، وإن كنا نظن أن تركهما المكسيك يرجع إلى عدم الاستقرار السياسي، وإلى الحرب الأهلية التي أعقبت الثورة المكسيكية. وكانا يحملان معهما عند وصولهما إلى كاياو أموالاً جمعها في المكسيك اقتنيا بها دكاناً، كما كانا يحملان معهما سلعاً سوقاها بالدكان نفسه. ودائماً بحسب المستجوب نفسه، في ٢٤ أيلول/سبتمبر سنة ١٩١٦، استقر والده سلمون منصور في كاياو. وسوف ينتقل جزء من عائلة منصور بعد ذلك للاستقرار بمدينة ليما وشيمبوتي (Chimbote)، بينما انتقل جزء آخر إلى التشيلي للاستقرار فيها.

ويروي مستجوب ثالث اسمه لاثرو أبو غصن، أن عائلته والمنتمية في الأصل إلى منطقة طرابلس اللبنانية، هاجرت حوالي سنة ١٨٨٠ إلى بوسطن في الولايات المتحدة، وكانت عائلة قروية اشتغلت في بلدها بالفلاحة. وفي الولايات المتحدة أقبل رب العائلة على إنتاج خمرة العرق. وبعد أزمة عام ١٩٢٩ اضطر أبناء هذا الأخير ومن بينهم والد المستجوب، إلى ترك الولايات المتحدة نحو كوبا التي كانت توجد فيها جالية لبنانية على درجة من الأهمية. وسوف تترك العائلة بعد الحرب العالمية الثانية كوبا حيث مارست التجارة المتجولة لتعود إلى لبنان، الذي تركته من جديد سنة ١٩٥٠ نحو البيرو، بدعوة من أصدقاء كانوا يوجدون هناك منذ سنوات طويلة. ويضيف مستجوبنا أن أولئك الأصدقاء وصفوا لعائلته البيرو كبلد مضياف «فيه عنب وزيتون». وقد استقرت العائلة في البداية بمدينة شيكلايو (Chiclayo) التي افتتحت بها محلاً لتجارة النسيج، اشتغل فيه مستجوبنا كمستخدم وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة.

ويتحدث صفا إيلي عن عائلات لبنانية أو متحدرة من أصل لبناني وصلت البيرو قادمة من البرازيل^(٢٩)، استقرت في البداية في منطقة الأمازون البيروفية قبل أن تنتقل إلى ليما، التي واصلت فيها ممارسة النشاط نفسه الذي مارسه في البرازيل وهو التجارة، وبخاصة صناعة الأحذية والورق في مستوى متواضع. من جهته يشير دونيز كوش إلى أن بعض المهاجرين اللبنانيين دخلوا البيرو شمالاً عبر كولومبيا والإكوادور، وجنوباً عبر بوليفيا والتشيلي بعد أن قضوا مدة من الزمن بهذه البلدان. وتجدد الإشارة في هذا السياق إلى أن بعض البلدان المجاورة للبيرو مثل التشيلي، وضعت منذ العقود الأولى من القرن العشرين، قوانين معرقة لدخول العرب.

نختم هذا المحور بالتذكير أن هجرة السوريين واللبنانيين إلى البيرو بقيت متواضعة العدد مقارنة بهجرة الفلسطينيين خلال المرحلة الأولى من عهد الهجرة، والتي تمتد كما سلف القول، من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية الحرب العالمية الأولى لدرجة وجب معها القيام بمجهود كبير من أجل العثور على متحدرين من أوائل المهاجرين السوريين واللبنانيين الذين يمكن من خلالهم الحصول على معلومات تهم أجدادهم، وبخاصة أن العديد من هؤلاء المتحدرين أصبحت لهم أسماء عائلية إسبانية. وما يزيد الأمر صعوبة، عدم تسجيل المهاجرين أثناء دخولهم البيرو أو مغادرتها في سجلات الهجرة خلال تلك المرحلة، وتنقلهم الدائم، بحيث إن عدداً منهم كان يترك البلد الأول الذي هاجر إليه بعد بضع سنوات، ليواصل السفر نحو بلد آخر.

٢ - المرحلة الثانية للهجرة العربية إلى البيرو

تميزت الهجرة العربية إلى البيرو خلال المرحلة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى بداية الحرب العالمية الثانية، بعدة خصوصيات سنحاول تسليط الضوء عليها في السطور التالية.

بعد وصول من يمكن اعتبارهم رواد الهجرة العربية إلى البيرو والذين يحصر خوان صقالة إلياس عددهم في حوالي ثمانين عائلة^(٣٠)، بدأت هجرة من وصلوا في إطار ما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، والذين تمّ استدعاؤهم من طرف أقاربهم الذين يمتلكون محلات تجارية، من أجل مساعدتهم بهذه المحلات. وتجب الإشارة إلى أن بعض رواد الهجرة الذين عملوا وقت وصولهم إلى البيرو كباعة متجولين، حققوا نجاحاً سمح لهم بفتح محلات تجارية منذُ بداية القرن العشرين. وقد شجعهم الرواج الذي كانت تعرفه هذه المحلات على البحث عن أسواق أوسع في بلدان مجاورة كالتشيلي وبوليفيا. وكان توسيع المشروع التجاري يعني الزيادة في عدد المستخدمين، وبما أن الحاجة تكون ملحة لأهل ثقة، فإنه يتم استقدام الأقارب. لكن ليس كل من هاجر خلال هذه المرحلة إلى أمريكا كان في إطار «سلسلة المناداة»، ذلك لأن ما كان يتلقاه الأقارب في الوطن من أخبار عن نجاح ذويهم في البيرو، ودعوتهم لهم للالتحاق بهم، فتح شهية غيرهم من الذين سيهاجرون من دون أن يرسل أحد في طلبهم. وبجانب من قدم من الوطن مباشرة، كان هناك من وصل البيرو من بلدان أخرى بأمريكا بعد تجربة فاشلة هناك، شجعهم على ذلك علمهم المسبق أن البيرو

Sakhala Elías, *Arabes en América*.

(٣٠)

وبخلاف بلدان مثل التشيلي والأرجنتين لم تضع قيوداً على الهجرة، وأن أهلها يرحبون بمن يصلهم من الأجانب^(٣١).

استقر المهاجرون العرب الذين وصلوا البيرو في مرحلة مبكرة بمدن منطقة الأنديس كما مرّ بنا، هؤلاء سيفتح عدد منهم فروعاً لمحلّاتهم في المدن الساحلية منذ عقد العشرينيات. أما الذين وصلوا في العقد المذكور، فإنهم فضلوا - على منطقة الأنديس -، الاستقرار مباشرة في العاصمة أو في مدن أخرى مثل موييندو (Mollendo) وإيكا (Ica) و شينشا (Chincha) في الساحل الجنوبي من المحيط الهادي؛ وبيورا (Piura)، وشيكلايو في الساحل الشمالي.

خلال هذه المرحلة الثانية من تاريخ الهجرة العربية إلى البيرو، أصبح الوصول إلى المناطق الساحلية أسهل مما كان عليه الأمر خلال المرحلة الأولى، وذلك بفضل فتح قناة باناما التي يسمح اجتيازها بالوصول إلى سواحل المحيط الهادي البيروفية. وكان بعض المهاجرين العرب وقبل الوصول إلى هذه السواحل، يتوقفون بمحطات بحرية أخرى في المكسيك أو كوبا لمدة قد تطول أو تقصر.

ومما نسجله لدى المهاجرين الذين وصلوا خلال هذه المرحلة الثانية، توافرهم بشكل عام على مستوى تعليمي أحسن من مستوى أولئك الذين وصلوا خلال المرحلة الأولى، وكان لعدد منهم بعض المعرفة بالفرنسية أو الإنكليزية، وهو ما استفادوا منه في تعلم الإسبانية، كما كان للذين قدموا منهم من بلد آخر من بلدان أمريكا اللاتينية معرفة بالإسبانية.

بخصوص درجة الارتباط بالوطن، تجدر الإشارة إلى أن فكرة العودة كانت غير قابلة للنقاش بالنسبة إلى أولئك الذين وصلوا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، غير أنها بدأت تتبدد شيئاً فشيئاً معهم، ثم بعد ذلك مع الذين وصلوا خلال المرحلة الثانية، بحيث إن من عاد منهم، قام بذلك من أجل البحث عن زوجة ومرافقتها إلى المهجر. وكان يقف وراء البحث عن زوجة بالوطن، الرغبة في الحفاظ على التقاليد الأصلية وعلى العادات العربية التي كان المعنيون يعون بأنها ستختفي في المهجر مع مرور الوقت. ومع وعيهم أن هجرتهم تحولت من مؤقتة إلى دائمة، حمل

(٣١) ربما يكون من المفيد هنا التذكير بما ورد عند الباحث غونزالو فيال (Gonzalo Vial) في كتابه تاريخ التشيلي ما بين ١٨٩١ - ١٩٧٣، حيث يقول بخصوص المرحلة التي نحن بصدها، إن الطبقة الوسطى التشيلية، دخلت في صراع مع «التوركوس» بعدما لاحظته من تحسن في وضعيتهم الاجتماعية، وأنها بسبب ذلك كانت تنظر إليهم بازدراء، وتناديهم بألقاب تحقيرية. انظر: Gonzalo Vial, *Historia de Chile, 1891-1973*, 4: vols. (Santiago: Editorial santillana del pacifico, 1981-1996).

العديد منهم الجنسية البيروفية. كل هذا كان له انعكاس على المتحدرين الذين فقدوا كل ارتباط فعلي بالثقافة العربية، لدرجة أن جلهم لا يتحدث اليوم اللغة العربية، وهم في أحسن الحالات يفهمونها فقط. هذه الوضعية ساهم فيها، عدم إقدام الجالية العربية في البيرو على تأسيس مدارس لتعليم اللغة العربية.

أ - تطور الحضور الفلسطيني في البيرو

تؤكد بعض المصادر أن الحضور التجاري المتميز للفلسطينيين في منطقة الأنديس بدأ منذ مطلع القرن العشرين، في هذا الإطار يتحدث بورغا وريباتغي عن تاجر فلسطيني اسمه خوسي سالمون، كان يمتلك بمدينة سيكواني سنة ١٩٠٧ تسعة محلات تجارية، اضطر في وقت لاحق وبسبب الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩ وما ألقته من أضرار بالحركة التجارية، إلى بيع سبعة منها لتجار عرب آخرين. وسوف يتكرس حضور التجار الفلسطينيين بمنطقة الأنديس خلال العقد الثاني من القرن العشرين، وهو ما يتأكد من رسالة مؤرخة في عام ١٩١٠ بعث بها وكيل مؤسسة ريكيترز في كوثكو إلى رئيس المؤسسة نفسها بـ «أريكييا»، يطلب منه أن يرخص له بالتعامل مع التجار العرب، وقد جاء في الرسالة المذكورة: «توجد مدينة كوثكو في الوقت الحاضر بيد التجار العرب، بحيث يستحيل علينا تسويق سلعنا إذا لم نتعامل معهم»^(٣٢). أمام هذه الوضعية، لم تجد الشركة الأم بدأ من إعطاء وكيلها الضوء الأخضر ليتعامل مع التجار «التوركوس» وبيعهم السلع بالطريقة التي يراها مناسبة.

ومع اقتراب العقد الثاني من القرن العشرين من نهايته، تكرس حضور الفلسطينيين التجاري بمنطقة الأنديس بشكل واضح، ساعدهم على ذلك التعاون المثمر الذي كان لهم مع تجار عرب آخرين من أقاربهم ومواطنيهم، مستقرين في العاصمة ليما، وفي الولايات المتحدة، وفي أوروبا، وكذا مع بعض المؤسسات الصناعية الأجنبية التي لها فروع في البيرو والتي بدأت تزودهم بالسلع مباشرة، وهو ما أثار حفيظة بعض مؤسسات البيع بالجملة مثل مؤسسة ريكيترز، التي وقفنا على رسالة احتجاجية بعثت بها في خريف ١٩١٩ إلى مؤسسة غريس (Grece) الصناعية الكائن مقرها في ليما، تخبرها أنها أوقفت كل تعاون معها بسبب تزويدها بالسلع

(٣٢) الرسالة مؤرخة في ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩١٠، انظر: Burga y Reátegui, *Lanas y capital mercantil en el sur: La Casa ricketts, 1895-1935*.

لمحل تجاري تمتلكه عائلة عربية، ومما جاء في الرسالة: «إن المبرر الذي قدمته لكم إحدى المؤسسات الصناعية بمدينة ليما، والذي يقول إن مؤسسة سالمون إخوان هي في ملكية سوريين وليس «توركوس»، لن يغيّر شيئاً من قرارنا القاضي بإلغاء التعاقد الذي يربطنا بكم، ذلك لأن كُـلَّ «توركوس أريكيبا ليسوا أتراكاً، وإنما عرباً، وأرمينيين، قدموا من تركيا الآسيوية وخصوصاً من فلسطين»^(٣٣).

هذه العراقيل لم تنل من العرب الذين تكرر مساهمهم كتجار جملة خلال عقد الثلاثينيات، وهذا ما نسجله بالنسبة إلى عائلة سلمون سالفة الذكر، التي أصبحت بعد عشر سنوات من تاريخ الرسالة، تمتلك مؤسسة تجارية مهمة للبيع بالجملة.

ويظهر تدمير صاحب مؤسسة ريكيترز ورفضه للطريقة التي يتجر بها العرب، في رسالة أخرى مؤرخة في ١٣ آذار/ مارس ١٩١٩، بعث بها إلى «الشركة الوطنية للنسيج» الموجودة في مدينة سانتا كاتالينا (Santa Catalina) جاء فيها: «بالرغم من أنه لا يجب أن تكون هناك أية صعوبة في تسويق هذا المنتج وتحقيق الربح فيه، فقد اعترضتنا عدة صعوبات، مصدرها المنافسة القوية التي نتعرض لها من طرف التجار العثمانيين، والذين هم من الأهمية العديدة بمكان كما تعلمون، بحيث إنهم يضعون أيديهم على كُـلِّ منطقة الجنوب».

لقد سعى تجار الجملة دائماً إلى إبعاد تجار التقسيط العرب عن مصادر الإنتاج، غير أن هذا لم يحلّ دون مواصلة بعض المؤسسات الصناعية تعاملها مع هؤلاء مباشرة، من بين هذه المؤسسات شركة غريس التي لم تعر أهمية كبيرة لاحتجاجات وشروط عائلة ريكيترز، وواصلت تعاملها مع تجار التقسيط العرب. ونعثر في رسالة ثالثة مؤرخة في ١٠ شباط/ فبراير ١٩٢٣ بعثت بها مؤسسة ريكيترز إلى أحد المصانع، تبريراً إضافياً إلى سعيها الدؤوب من أجل الحيلولة دون قيام تعامل تجاري مباشر بين المؤسسات الصناعية الممونة وبين التجار العرب، ومما جاء في الرسالة: «إن سيادتكم تتفهمون من دون شك أنه وبالنظر إلى مصاريفنا المرتفعة، يتعذر علينا أن لا نحصل على أرباح تصل إلى ١٠ في المئة على كُـلِّ منتج نقوم بتسويقه، هذا في وقت يقنع فيه «التوركوس» بأي ربح مهما كان تافهاً».

وبالفعل لم يكن يتجاوز في أحسن الحالات ما يحصل عليه «التوركوس» كربح عن السلع التي يسوقونها نسبة ٥ في المئة كما سلف ذكره، وهذا ما يحسم المنافسة لصالحهم وبالتالي يدفع بمؤسسات البيع بالجملة مثل ريكيترز إلى شنّ الحرب عليهم.

(٣٣) المصدر نفسه.

بل ونجد أحياناً أن بعض هذه المؤسسات نجحت في تأليب الرأي العام ضدهم من خلال الدعوة إلى احتجاجات شعبية، كما حدث بمدينة كوثكو، حيث نُقِرَ بهذا الخصوص في رسالة مؤرخة في ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٢٤ ما يلي: «تمّ تشكيل رابطة تضم كلّ تجار المدينة، يدعمهم الصناع التقليديون والأساتذة الجامعيون، إضافة إلى المجلس البلدي للمدينة، وسوف تنظم هذه الرابطة غداً تجمّعاً كبيراً تطلب فيه من الحكومة طرد كلّ «التوركوس» من البيرو، وذلك بسبب الأضرار الكبيرة التي يلحقونها بالبلاد»^(٣٤).

كان ذنب التجار العرب إذاً هو البيع بأسعار منخفضة وحسم المنافسة لصالحهم، وتكسير المضاربة التي كانت تسعى إليها كبريات الشركات التجارية. وكما لاحظ بورغا ورياتيغي «كانت خطة «التوركوس» هذه تستحق مظهرة شعبية معاضدة وليست معادية»، لكن الأوليغارشية التجارية وكما فعلت سنة ١٩٢٣ عندما نظمت تجمّعاً شعبياً ضدّ «النقابة البيروفية»، نجحت هذه المرة كذلك في تأليب الصناع التقليديين بل والأساتذة الجامعيين ضدّ أولئك المحاربين المجهولين والتجار الشعبيين»^(٣٥).

ربما يكون من المفيد أن نسجل هنا، أن مثل هذه الأحداث ومثل هذه اللحظات الصعبة في تاريخ الجالية العربية في البيرو، طواها النسيان في الوقت الحاضر، إذ لا تحتفظ الذاكرة الجماعية لعرب البيرو، بأية ذكريات عما عاشه أوائل المهاجرين الذين استقروا جنوب منطقة الأنديس من صعوبات تعيق تأقلمهم مع المجتمع المضيف. وهكذا فشهادات المتحدرين سواء منها المكتوبة أو المروية، تتحدث عن الترحيب الذي استقبل به أسلافهم من طرف الشعب البيروفي.

سوف يتمركز التجار الفلسطينيون في المراكز الحضرية المهمة، وبخاصة في مدينة أريكيبا التي كان يمتلك محلات تجارية فيها في بداية عشرينيات القرن العشرين ٥٧ في المئة منهم^(٣٦)، في حين يتوزع ٤٣ في المئة الباقون على المدن الصغيرة المجاورة لها، وكذا على مدن أخرى مثل كوثكو وسيكواني، أما وجودهم في المناطق القروية فإنه كان شبه منعدم خلال هذه المرحلة الثانية^(*).

(٣٤) الرسالة مؤرخة في ٢٧ حزيران/يونيو ١٩٢٤، انظر: المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٥١.

(*) كان الذين يوجدون هذه المناطق القروية من العرب في المرحلة المعنية من الباعة المتجولين من دون شك، لذا لا يحصيهم المصدر المذكور الذي يتحدث فقط عن المحلات التجارية (الترجم).

وعلى الرغم من الحملة التي شنتها ضدهم مؤسسة ريكيترز للبيع بالجملة، فإنهم مثلوا ما بين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٣٥، نسبة ١٨ في المئة من تجار التقسيط المتعاملين معها، وهذا في حد ذاته معطى يدل على أهمية حضورهم العددي بمنطقة الأنديس.

الجدول رقم (٤ - ١)

التجار المتعاملون مع مؤسسة «ريكيترز» بحسب مناطق وجودهم

المجموعة	آخرون	«توركوس»	المنطقة
٦٢٨	٤٨١	١٤٧	أريكيبا المدينة
٩١	٧٧	١٤	أريكيبا الساحل
٩٥	٧٥	٢٠	ساحل الباسيفيك
١٤٣	١٣٩	٤	منطقة ماخيس
٧	٧	-	أريكيبا الوسطى
١٢٤	٩٠	٣٤	كوثكو المدينة
٢٨	٢٨	-	كوثكو الوسطى
٦١	٤٧	١٤	سيكواني
٢٥	٢١	٤	أبوريماك
٥٠	٣٨	١٢	بونو المدينة
٤٦	٤٠	٦	خولياكا
٧٤	٧٢	٢	بونو الوسطى
١,٣٧٢	١,١١٥	٢٥٧	المجموع

AFA, Libros deudores por efecto.

المصدر:

لقد شجع النجاح الاقتصادي الذي حققه التجار العرب جنوب منطقة الأنديس، عدداً منهم على البحث عن آفاق أرحب منذ ثلاثينيات القرن العشرين بالبلدان المجاورة، وبخاصة في العاصمة ليما، التي نقل إليها بعضهم نشاطهم كاملاً، بينما اكتفى البعض الآخر بفتح فروع فيها لمحللاتهم التجارية الموجودة جنوب الأنديس. وتجدد الإشارة إلى أن العاصمة البيروفية أصبحت بعد الاستقلال، وفي إطار سياسة المركزية الاقتصادية التي نهجتها الحكومات المتعاقبة، قطب الرحى في مختلف المجالات الحيوية بالبلاد. ومن بين المؤسسات العربية التي نقلت نشاطها إلى ليما، هناك مؤسسة خورخي مخلوف إخوان التي يتحدث عنها ثينتوريون هيريرا

بالعبارات التالية: «بعد النجاح الذي حققه الإخوة مخلوف في مدينة أريكييا، قرروا التحرك في مجال أوسع يتماشى وتطلعاتهم، لذا نقلوا منذ عام ١٩٢٢ ثقل تجارتهم إلى مدينة ليما التي فتحوها بها مؤسسة تجارية بشارع ليبيرياً»^(٣٧)، وسوف يمنح الاستقرار بالعاصمة، العرب فرصة التحول إلى مستوردين مباشرين لمختلف أنواع السلع من الولايات المتحدة وأوروبا والصين.

ولم يكن تحولهم إلى تجار الجملة يعني تخليهم عن تجارة التقسيط التي واصلوا ممارستها لها عن طريق وكلائهم من الباعة المتجولين، وهذا ما سمح لهم بمد نفوذهم، من خلال ما يروجه هؤلاء الوكلاء من سلع، إلى المدن المجاورة للعاصمة. وكان الباعة المتجولون العرب في البيرو، قبل أن يستقلوا بأنفسهم ويؤسسوا محلاتهم التجارية، يعملون لحساب أقاربهم ومعارفهم الذين استقدموهم إلى هذا البلد. وهكذا فبالنسبة إلى عائلة مخلوف سالفة الذكر مثلاً، وهي من أكبر العائلات العربية في البيرو عدداً حتى الوقت الحاضر (أغلب أفرادها اليوم من المتحدرين)، فإن من اشتغل من أفرادها بالتجارة المتجولة، هم الأقارب الذين التحقوا بالعائلة المؤسسة خلال المرحلة الثانية من تاريخ الهجرة العربية إلى البيرو، والتي تمتد ما بين الحربين العالميتين كما ورد من قبل.

وبجانب عائلة مخلوف، برزت عائلة عربية أخرى بشكل كبير في حقل التجارة، هي عائلة كحاط التي هاجرت إلى مدينة أياكوتشو سنة ١٩٠٤ والتي أصبحت في سنة ١٩٢٣ تمتلك محلاً تجارياً ضخماً في ليما تحول إلى المقر الرئيس للمؤسسة، في وقت أصبح فيه محل أياكوتشو وكذا محل تمتلكه العائلة في «أنداهاويلاس» مجرد فروع. وقد أقبلت عائلة كحاط خلال هذه المرحلة على تجارة الحرير والعمود وغيرها من منتوجات الأناقة، وكانت تستورد سلعها من أوروبا والولايات المتحدة.

هناك عائلة عربية ثالثة، كان لها حضور متميز في مجال التجارة في البيرو، هي عائلة أبو غطاس التي انتقلت من أريكييا إلى ليما سنة ١٩٢١ حيثُ فتحت محلاً تجارياً مهماً بشارع اليهود، الكائن في المركز التجاري للمدينة. وكان لـ «مؤسسة أبي غطاس إخوان» وكلاء في عدد من المدن الأوروبية يبعثون لها بالسلع كل أسبوعين.

وليس من باب المصادفة أن يفقد مصطلح «التوركو» وبشكل تدريجي بعده

Centurión Herrera, *El Perú actual y las colonias extranjeras: La Realidad actual y el extranjero* (٣٧) en *El Perúa través de cien años, 1821-1921*.

التحقيقي منذُ هذه المرحلة والتي عرفت فيها وضعية العرب تحسناً اقتصادياً واضحاً، واعترافاً تدريجياً من طرف مجتمع أبدى استعداداً أكبر من أي وقت سابق لقبولهم. وقد لاحظ دونيز كوش في هذا السياق، أنه وبسبب ذلك التحسن في صورة العربي وفي وضعيته الاقتصادية، فقد مصطلح «التوركو» هملته العرقية وأصبحت له هملوة اجتماعية محضة، تعني من يمارس تجارة التقسيط^(٣٨)؛ بحيث إن عبارة «هذا توركو» تحولت في جنوب منطقة الأنديس إلى مرادف لعبارة «هذا تاجر صغير». من هذا المنطلق لم يعد المصطلح يعبر بشكل واضح عن العرب، بعد أن تحولوا إلى تاجر مستوردين وبخاصة أن ارتقاءهم الاقتصادي واكبه ارتقاء اجتماعي، سمح لبعضهم بأن يصبحوا جزءاً من المجتمع الراقى. وسوف يتراجع استعمال مصطلح «التوركو» داخل المجتمع البيروفي بشكل عام، منذُ الحرب العالمية الثانية^(٣٩).

وتتميز المرحلة الثانية من تاريخ الهجرة العربية، بوصول مهاجرين فلسطينيين جدد من الديانة المسيحية عبر المحيط الهادي، استقروا بالشريط الساحلي للبلاد، والذي يشبه بطبيعته القاحلة نسبياً، طبيعة البلدان التي قدم منها المهاجرون.

ومن العائلات المسيحية التي استقرت هذه المنطقة وحققت نجاحاً اقتصادياً مهماً، هناك عائلة القحواس التي سبق وحل أوائل الذين هاجروا منها بمنطقة شينشا (Chincha) الفلاحية في الساحل الجنوبي حوالي سنة ١٩١٠، قبل أن يلتحق بهم أفراد آخرون من العائلة نفسها خلال المرحلة التي نحن بصدها. لكن رغم استقرارها بمنطقة فلاحية، ورغم أن أفرادها كانوا في وطنهم الأصلي من الفلاحين، فإنهم لما وصلوا البيرو لم يمارسوا الفلاحة وإنما التجارة التي حققوا فيها نجاحاً مهماً، سمح بالتحاق من تحلف في الوطن بأقاربهم، في إطار «سلسلة المناذاة»، وهي السلسلة التي سينجم عنها قدوم أقارب للعائلة المذكورة، ينتمون إلى عائلة شهبية^(٤٠). وسوف تترك عائلة القحواس النشاط التجاري لتستثمر في الفلاحة منذُ عشرينيات القرن العشرين، عندما اقتنت ضيعة كبيرة في ضواحي مدينة بيسكو (Pisco). ويظهر أن هذه العائلة استفادت من استثمارها في الفلاحة، لتزكي وضعها الاجتماعي.

Cuche, «Un Siècle d'immigration palestinienne au Pérou: La Construction d'une ethnicité spécifique».

(٣٩) بخلاف ما هو عليه الأمر بالنسبة إلى بلدان الجوار، حيث لا زال المصطلح يستعمل إلى اليوم في حق العرب.

(٤٠) برز أحد أفراد هذه العائلة في الحياة السياسية البيروفية منذُ وقت مبكر، يتعلق الأمر بسلفادور شهبية الذي عين سنة ١٩٢٧ قنصلاً للبيرو في فلسطين، وهو المنصب الذي شغله إلى سنة ١٩٤٥.

وللتذكير، تمتع ملاك الأراضي الفلاحية في البيرو إلى غاية منتصف القرن العشرين، بوضعية اجتماعية أرقى من وضعية التجار.

وبجانب عائلتي القحواس وشهية، برزت عائلة مسيحية عربية أخرى في المنطقة هي عائلة منصور، وكان جد العائلة سلمون منصور مطر وهو في الأصل من اللاذقية، قد تعرف على زوجته وهي لبنانية في المكسيك، قبل هجرتهما إلى البيرو حيث استقرا في مدينة كاياو سنة ١٩١١ كما مرّ بنا. وفي عام ١٩٢٠ تركت العائلة المكونة من زوجين وخمسة أبناء المدينة في اتجاه العاصمة ليما، التي ستصبح من كبار تجارها^(٤١). وقد دخل أبناء عائلة منصور المدارس الكاثوليكية - على الرغم من أن الأبوين كانا يدينان بالأرثوذكسية - وتابع الابن الأكبر بعد ذلك، ويدعى سلمون، دراسته في الأكاديمية العسكرية^(٤٢). والواقع أن ولوج العرب الأكاديميات العسكرية هو أمر بالغ الدلالة، يعبر من جهة عن غياب أي نوع من أنواع الإقصاء أو الرفض ذي الأبعاد العنصرية أو العرقية من طرف مؤسسة حساسة مثل المؤسسة العسكرية، ويعبر من جهة ثانية عن درجة الاندماج التي وصلها المهاجرون العرب وبخاصة المتحدرين منهم من أبناء الجيل الثاني خلال هذه المرحلة، في مجتمع لا يزال متأثراً بالنموذج الأوروبي. وهنا تجب الإشارة إلى أن وجود بعض الشبه الفيزيولوجي بين المهاجرين العرب والمهاجرين الأوروبيين القادمين من بلدان البحر الأبيض المتوسط مثل إسبانيا وإيطاليا، ربما يكون قد سهل اندماجهم بالمجتمع البيروفي، بل وأحياناً بالمجتمع البيروفي الراقى، مثلما هو حال عائلة منصور^(٤٣).

وكما هو الشأن مع عائلة القحواس، كانت «سلسلة المناذاة» وراء قدوم أفراد آخرين من عائلة سلمون منصور إلى البيرو، حيث استقر اثنان من إخوته هما إبراهيم ونجيب بمدينة شيمبوتي، وهي مرفأً للصيد على الساحل الشمالي، ساهم إنشاء شبكة للسكك الحديدية تربطها بمدينة هواراز (Huarraz)، في ما عرفته من ازدهار اقتصادي. كما استقر أخ ثالث واسمه يعقوب، بمدينة هواشو (Huacho) الواقعة كذلك على الساحل الشمالي. وكما حدث مع عائلة القحواس سالفه الذكر، استثمر يعقوب منصور في الفلاحة وكان يمتلك ضيعة فلاحية كبيرة.

(٤١) كان ولع منصور مطر بتربية وسباق الخيول وراء الصداقة المتينة التي نشأت بينه وبين رئيس الجمهورية البيروفية آنذاك أوغوستو ليغيا (Augusto Leguía) (١٩١٩-١٩٣٠)، نتيجة لهذه الصداقة أصبح الرئيس ليغيا عرباً لأحد أبناء سلمون منصور.

(٤٢) بحسب الرواية التي سمعناها من ابن المعنى بالأمر.

(٤٣) يتأكد الاندماج التدريجي لعائلة منصور في الأوساط الراقية البيروفية بزواج أحد أبنائها بإحدى وريثات عائلة سالكادو (Salgado)، وكانت واحدة من أهم عائلتين تمتلكان الأراضي الفلاحية بمنطقة ليما.

وتكشف لنا الرواية الشفوية التي استقينها من أحد أفراد عائلة منصور^(٤٤)، أنه وبالرغم من اندماجها الكبير واختلاطها بالمجتمع البيروفي الراقى، حرصت على الحفاظ على بعض التقاليد العربية، وهو ما جعلها تعيش حالة تأرجح بين الانصهار وبين الرغبة في التشبث بالأصل، يتجلى ذلك في عودة أحد أفرادها إلى سوريا للبحث عن زوجة هناك. كما تكشف لنا حالة العائلة نفسها، أنه وكما تكتلت عائلات عربية في بلد واحد من بلدان أمريكا اللاتينية، تفرقت عائلات أخرى في مختلف بلدان هذه القارة، بحيث رحل بعض أفراد آل منصور في عقد الثلاثينات، - ومن ضمنهم أم مستجوبنا -، للاستقرار في التشيلي، لتبدأ حركة ذهاب وإياب لأفراد هذه العائلة في التشيلي والبيرو إلى غاية ١٩٤٦، وهي السنة التي عاد جميع أفرادها للكتل من جديد في البيرو.

وبجانب المهاجرين المسيحيين، عرفت هذه المرحلة الثانية من تاريخ الهجرة العربية إلى البيرو، وصول أوائل المسلمين الفلسطينيين الذين لم يجدوا صعوبة في التأقلم مع وسط يدين بالكاثوليكية، وهو تأقلم تمّ من دون صعوبة أو على الأقل بالكيفية نفسها التي تمّ بها تأقلم العرب المسيحيين. والواقع أنه لم تكن هناك أية أسباب تحول دون اندماج المسلمين بكيفية اندماج مواطنيهم من المسيحيين نفسها. وهذا ما نسجله كذلك في بلدان أخرى في أمريكا اللاتينية كانت هجرة المسلمين إليها سابقة لهجرتهم إلى البيرو. وهنا يجب التذكير أن المجتمعات الغربية بما في ذلك مجتمعات أمريكا اللاتينية، كانت أقلّ عدوانية ولها أحكام قيمة أقلّ سلبية عن الإسلام مما هو عليه الأمر اليوم؛ ففي البيرو لم يكن هناك أي موقف رافض لمن يدين بديانات غير المسيحية^(٤٥)، وهذا ما يجعلنا نضع موضع نقاش الأدلة التي ساقها بعض الباحثين الذين درسوا موضوع الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية، والذين يربطون الاستقبال الحسن الذي حظي به العرب في هذه البلدان، بكونهم من الديانة المسيحية.

وبحسب ما سمعناه من ضامن عوّاد رئيس المركز الإسلامي في ليما والذي جمع العديد من المعطيات عن الحضور الإسلامي في البيرو، حل أوائل المسلمين الفلسطينيين في هذا البلد حوالي سنة ١٩٢٠، ولم يكن قدومهم مباشرة من الوطن، وإنّما من كوبا التي أقاموا فيها لبعض الوقت، وكانت فيها جالية فلسطينية مهمة. وقد

(٤٤) هو ماريو منصور الشامي.

(٤٥) هذا ما نسجله كذلك في بلدان أخرى مثل البرازيل وفنزويلا، حيث توجد جاليتان مسلمتان مهمتان. وقد حلت هذا البلد الأخير، والذي شُيد به أهم مسجد بأمريكا اللاتينية، جالية شيعية مهمة منذ عدة سنوات، استقرت أساساً بمدينة إيسلا مارغاريتا (Isla Margarita)، حيث اندمجت في مجتمعها المضيف من دون صعوبة كبيرة.

سمح لهم مقامهم في هذا البلد، بتكوين فكرة عن بلدان القارة وما تتوافر عليه من إمكانات، وبخاصة عن الأنشطة التجارية التي يمارسها مواطنوهم في مدنها، وعن الأسواق التي يكثر فيها عدد هؤلاء والتي يستحسن عدم الانتقال إليها تفادياً للمنافسة، وعن القرى التي تعرف رواجاً تجارياً والمواد الرائجة فيها. من جانب آخر، ودائماً في محطتهم الأولى في القارة وهي كوبا، كان حديثو العهد بالهجرة يتعلمون مبادئ اللغة الإسبانية (قد تستغرق هذه العملية شهوراً بالنسبة إلى البعض وسنوات بالنسبة إلى البعض الآخر)، وهو ما استفادوا منه كثيراً وقت وصولهم إلى البيرو.

ويذكر مستجوبنا سالف الذكر، أسماء عشر عائلات فلسطينية حلت في البيرو في عشرينيات القرن العشرين، يقول إنها كانت أول من وصل إلى هذا البلد من المسلمين. هذه العائلات تقف وراء «سلسلة المناذرة» التي سمحت بتوافد مهاجرين فلسطينيين آخرين من الديانة نفسها. ومن بين رواد هذه الهجرة هناك طالب حامد (ربما أول مسلم فلسطيني وصل البيرو)، وسليمان شلان، وأحمد سبلا، وأحمد جابر، وميغيل عطا الله، وسعود صالح. وقد قدم كل هؤلاء من منطقة رام الله الفلاحية، وكان نزولهم في البيرو في ميناء كاياو، الذي غادره نحو ولايات ساحلية أخرى مثل بيورا وشيكلايو في الشمال؛ وبيسكو في الجنوب.

ومنذ وصولهم إلى البيرو، تعاطى الفلسطينيون المسلمون، على غرار المسيحيين، التجارة المتجولة، قبل أن يفتحوا محلات تجارية للبيع بالتقسيط، أو يؤسسوا شركات عائلية صغيرة لحياكة الملابس الجاهزة. وعلى غرار المسيحيين كذلك، تركوا المدن التي استقروا فيها في البداية، نحو العاصمة ليما، حيث أقبلوا على ممارسة تجارة التصدير والاستيراد، أو قاموا بإنشاء مؤسسات صناعية متخصصة في النسيج.

ومن الحالات المعبرة عن اندماج الجالية المسلمة في البيرو، تلك التي تهتم عائلة حامد التي هاجر أول أفرادها، وهو طالب حامد المزداد سنة ١٩٠٨، من إحدى القرى القريبة من مدينة رام الله الفلسطينية، هاجر في البداية إلى المكسيك وعمره حوالي عشرين سنة. غير أنه لم يكن يتوافر على الوثائق التي تسمح له بالحصول على بطاقة الإقامة، لذا غادرها عائداً إلى بلاده، وكان أثناء مقامه في المكسيك قد تقصى عن البيرو وإمكاناتها، لذا ستكون هجرته الثانية إليها.

وعند وصوله إلى ليما نزل في فندق صغير يمتلكه بعض مواطنيه بشارع هوانكابيليك الكائن في مركز المدينة. وسوف يشتغل في البداية كبائع متجول، وكان تعامله مع زبائنه يتم عادة بالدين. وقد سمح له سفره المستمر من أجل ممارسة هذا النشاط، بالتعرف على مدن الساحل الشمالي ومن بينها بيورا التي قرر الاستقرار فيها.

وعلى الرغم من أنه كان مسلم الديانة، فإنه لم يكن متديناً، وربما بسبب ذلك لم يجد أي حرج في الزواج من شابة بيروفية رزق منها بثلاثة أبناء، قدمت لنا إحداهن وتدعى جميلة، بعض المعلومات التي اعتمدها في هذه الدراسة. ونعلم من مستجوبتنا أن والدها نقل إلى أبنائه صورة إيجابية جداً عن الإسلام، إلا أنهم لم يكونوا في وضعية تسمح لهم بممارسة شعائره. وكان طالب حامد^(٤٦) عند وصوله إلى البيرو أمياً لا يتكلم غير العربية، إلا أنه تعلم بعد ذلك الإسبانية قراءة وكتابة. وسوف يعث في وقت لاحق ببعض أبنائه إلى فلسطين ليدرسوا العربية وليتعرفوا على بلد أسلافهم.

وأثناء عمله في التجارة بـ «بيورا»، كان يشتغل في محلّه أشخاص بيروفيون، لكنه استقدم حوالي سنة ١٩٤٠ ابن أخته المقيم في كوبا واسمه ميغيل عطا الله لمساعدته. ومن أجل توسيع تجارته انتقل إلى ليما، حيث فتح بمعية ابن أخته، محلات «طالب وعطا الله» التي تخصصت في بيع الأثواب والملابس الجاهزة المستوردة والتي حققت نجاحاً مهماً.

وبعد انتقاله إلى ليما، انفصل عن زوجته البيروفية وعاد إلى بلاده ليتزوج من فلسطينية شابة رزق منها أربعة أبناء، ما يستدعي عقب ذلك للحاق به إلى البيرو. وفي إطار «سلسلة المناداة»، اثنين من أبناء أخيه، استقدا بدورهما عائلتيهما. وفي الوقت الحاضر نجد أن العديد من المسلمين المتحدرين من أصول فلسطينية والمقيمين في ليما، هم أبناء أو أحفاد عائلة حامد، وصلوا إلى البيرو في إطار «سلسلة المناداة» التي يقف وراءها «العم طالي» كما يسمي بعض أفراد الجالية العربية في العاصمة البيروفية طالب حامد.

ب - تطور الحضور السوري - اللبناني في البيرو

سلفت الإشارة في المحور السابق إلى الصعوبات التي اعترضتنا للحصول على معلومات تهم الحضور السوري - اللبناني في البيرو، وبخاصة أن مستجوبينا لا يحتفظون إلا بذكريات قليلة عن أسلافهم الذين هاجروا إلى هذا البلد. ولعل السبب هو كون العديد من هؤلاء لم يمكثوا في البيرو إلا مدة وجيزة قبل أن ينتقلوا إلى مناطق أخرى.

وباستثناء بعض العائلات التي استقرت في شيكلايو وليما والتي وصلت إلى البيرو في إطار «سلسلة المناداة»، فإننا لا نسجل أي حضور عددي مهم للسوريين واللبنانيين في البيرو، وهذا ما يدفع إلى الاعتقاد بأن الأمر يتعلق بمهاجرين «رحل».

(٤٦) غير اسمه الشخصي من طالب إلى طالي (Tali) الذي أصبح فيما بعد لقب العائلة.

هذه الوضعية حالت دون وجود جالية قائمة بذاتها، بخلاف ما هو عليه الحال في التشيلي والأرجنتين والبرازيل، حيث نجح السوريون - اللبنانيون نتيجة تميز هجرتهم بطابع الاستقرار، ونتيجة أهمية عددهم، في إنشاء صحف ومدارس ومؤسسات دينية ومراكز تعليمية اضطلعت بأدوار نشيطة، لم ترق إليها بعض الجمعيات التي أسسها مواطنوهم في البيرو، مثل الجمعية اللبنانية في ليما، وقرينتها في شيكلايو.

ومع ذلك فإن الإحصاء المتوافر لدينا والذي يعود تاريخه إلى شهري حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو ١٩٢٢، والصادر عن وزارة الخارجية الفرنسية بخصوص مهاجري جبل لبنان في البيرو، يُظهر أن عدد اللبنانيين في ليما كان أكبر من التقديرات التي قدمها لنا المستجوبون الذين يتذكر بعضهم إلى الوقت الحاضر، أسماء عائلات ظهرت في الإحصاء، لكنها لم تعد موجودة اليوم في العاصمة البيروفية، مثل عائلة جعجع، التي حلت في ليما سنة ١٩٠٥ والتي كانت لا تزال فيها سنة ١٩٢٢.

وبجانب ليما، يكشف لنا الإحصاء وجود عائلات لبنانية في بيسكو مثل عائلة وردان، وبخاصة في شيكلايو التي استقرت فيها مجموعة من العائلات اللبنانية من بينها عائلة حدّاد، وعائلة فخري، وعائلة إسكندر، وعائلة جبور، وعائلة مفرج، وعائلة نعيم، وعائلة أبو غصن، الذين احترفوا جميعاً التجارة، وامتلكوا بعد مدة غير طويلة محلات تجارية مهمة في هذه المدينة الشمالية التي ما فتئت تعرف رواجاً تجارياً متزايداً. وقد حافظت هذه العائلات على التواصل مع أقاربها بالوطن، وهو ما سمح بوصول عدد من هؤلاء، في إطار «سلسلة المناداة»، في مرحلة متأخرة، تعود إلى خمسينيات القرن العشرين.

ومن المدن التي تميز فيها وجود السوريين واللبنانيين بطابع مؤقت، هناك مدينة إيكيتوس في غابة الأمازون البيروفية التي وصلوا إليها عن طريق نهر الأمازون خلال مرحلة ازدهار إنتاج المطاط. وسيكون تراجع رواج هذا المنتج وراء مغادرتهم البيرو، مع استثناءات تهم أشخاصاً فضلوا المكوث في المدينة، لكن مع تركهم النشاط التجاري إلى أنشطة أخرى مثل استغلال الغابات لإنتاج الخشب^(٤٧)، أو مثل ممارسة الفلاحة والتي سمحت لبعضهم بتأسيس مستوطنات زراعية.

ومن الأدلة التي تؤكد إنشاءهم لمستوطنات زراعية، كتاب صدر سنة ١٩٢٤

(٤٧) من بين هؤلاء، عائلة منصور التي استثمرت في القطاع الغابوي، وقد أصبح أحد المتحدرين منها

عمدة لمدينة «إيكيتوس» سنة ١٩٨٠.

لـ ماكسيمو كوكزينسكي (Máximo Kuczynski) حول خصوصيات سكان المناطق الغابوية في البيرو، يتضمن صوراً وتعليق تهم المستوطنات التي أنشأها الأجانب في المناطق الغابوية، من بينها مستوطنات أسسها مهاجرون لبنانيون^(٤٨).

من جهة أخرى تتحدث تقارير الإدارة العامة للهجرة التابعة لوزارة الخارجية البيروفية، عن وصول عدد من اللبنانيين والسوريين إلى البيرو خلال الثلث الأول من القرن العشرين، ومنها يتبين أن العديد منهم قدموا من بلدان أمريكية لاتينية أخرى وليس من بلدهم الأصلي مباشرة. ومن بين اللبنانيين الذين تتحدث عنهم هذه التقارير، مُهاجِرَان قداما من البرازيل اسمهما العائلي سوسن، حلّ أحدهما في البيرو سنة ١٩٠٥ وحل ثانيهما فيها عام ١٩٢٤، ومهاجر يدعى حنا فضول قدم من كوبا سنة ١٩١٩ (التحقت به سنة ١٩٢١ زوجته التي جاءت مباشرة من لبنان)، وآخر يدعى خليل اليازجي دخل البيرو سنة ١٩٢١ بجواز سفر فرنسي (لا يقدم التقرير أية معلومات إضافية بصدده)، وخامس اسمه حسين الحجار جاء من الإكوادور سنة ١٩٣٤. وبخصوص السوريين تتحدث التقارير عن مهاجر اسمه ميخائيل مخلوف، قدم من بوليفيا سنة ١٩٠٥، وآخر يدعى ميخائيل نعمة، قدم من التشيلي سنة ١٩٢١.

وبخصوص المعطيات الإحصائية اللاحقة لهذه المرحلة، تجدر الإشارة إلى قيام وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٤٢، قبيل حصول لبنان وسوريا على استقلالهما، بدراسة إحصائية عن اللبنانيين والسوريين المقيمين في أمريكا، والحاصلين على جواز سفر فرنسي. وقد اقتصرَت الدراسة بالنسبة إلى البيرو على العاصمة ليما، لعدم وجود قنصليات فرنسية في غيرها، كما أنها لم تدرج من يحمل جنسيات أجنبية أخرى غير الفرنسية. وهي تقدم الأرقام التالية:

- اللبنانيون: ٨٧ رجلاً؛ و ٣٠ امرأة؛ و ٨٧ طفلاً.

- السوريون: ٢٣ رجلاً؛ و ١٠ نساء؛ و ٣٠ طفلاً^(٤٩).

كما تجدر الإشارة إلى أن مهاجراً عربياً يدعى أحمد مطر، نشر سنة ١٩٤٥ دليلاً خاصاً بالجالية العربية في بلدان منطقة الأنديس باستثناء التشيلي^(٥٠). قامت بتمويله الجالية نفسها التي كان هدفها من ذلك، التعريف بخصوصياتها، وربما كذلك إبراز

Kuczynski-Godard, *La Vida en la Amazoniía peruana; observaciones de un médico.* (٤٨)

Cuche, *Ibid.*, p. 185. (٤٩)

(٥٠) صدر له سنة ١٩٤١ دليل خاص بالجالية العربية في التشيلي (المترجم). انظر: Ahmad Hassan

Mattar, *Guía social de la colonia arabe en Chile (Siria, Palestina y Libanesa)* (Santiago: [Ahues Hermanos], 1941).

نجاح مسلسل اندماجها، وما أصبحت تتمتع به من رقي اجتماعي في البلدان التي هاجرت إليها. هذا الدليل يسمح بأخذ فكرة عن الحضور العربي في البيرو، غير أنه لم يغط كل التراب البيروفي، إذ ليست هناك أية معلومات عن العرب الذين استقروا بـ «إيكيتوس». أما السبب فقد يعود إلى عامل جغرافي يتمثل في كون شرق البيرو بقي دائماً منطقة معزولة مقارنة ببقية أنحاء البلاد، كان لها، ونتيجة سهولة التواصل عبر نهر الأمازون، تعامل تجاري مع البرازيل أكثر مما كان لها مع المنطقة الساحلية أو مع جبال الأنديس البيروفية. كما قد يعود السبب إلى عامل شخصي، يتلخص في أن الأشخاص المعنيين، كان عليهم أن يقوموا باكتتاب خاص، حتى تظهر أسمائهم ومهنهم وأسماء عائلاتهم في الدليل، وهو ما لم يكن مغرياً بالنسبة إلى البعض.

ويكشف لنا الدليل تركز الجالية العربية خلال أربعينيات القرن العشرين في ليما وشيكلايو وبأعداد أقل في أريكيبا وكوثكو. أما عددهم الإجمالي في كل التراب البيروفي خلال هذه المرحلة، فيجعله حوالي ١,٥٠٠ شخص، وهو ما لا يعبر عن الواقع بدقة في تقديرنا، لأحد السببين سالفين الذكر.

من جانب آخر، أغفل الدليل العديد من المتحدرين من أصل عربي، والسبب هذه المرة هو أن هؤلاء انصهروا بشكل كبير في المجتمع البيروفي وفقدوا كل تواصل مع الجالية العربية. وقد أخبرتنا متحدرة من أصل لبناني من بين مستجوباتنا، أن شاهد الإثبات الوحيد على أصلها العربي هو اسمها العائلي (فياض). وجدير بالذكر في هذا السياق أن جيل المتحدرين لم يعد له ذلك الارتباط بالوطن الأصلي الذي كان للمهاجرين، والذين دأب العديد منهم على العودة إلى الوطن بحثاً عن زوجة من الأصل نفسه. ومن الأمثلة التي أمدتنا بها الرواية الشفوية، تلك التي تم عائلة جبور؛ فقد هاجر أول أفرادها وهو بطرس جبور إلى البيرو سنة ١٩٣٧، وبعد عشر سنوات من ذلك، وفي الوقت الذي أصبح فيه تاجراً كبيراً، عاد إلى بلاده للزواج، حيث رافقته إلى البيرو زوجته الشابة ذات التسعة عشر ربيعاً، وكانت لها بعض المعارف بالفرنسية وهو ما ساعدها على تعلم الإسبانية، وقد استقرا في مدينة شيكلايو. وسوف يلتحق بطرس جبور خلال الأربعينيات، في إطار «سلسلة المنادة» ابن أخ له كان يقيم في كوبا، بعدما أخبره عن الرواج التجاري الذي تعرفه البيرو. بالنسبة إلى بقية أفراد عائلة جبور الذين شملتهم «سلسلة المنادة» نفسها، فإنهم وصلوا إلى البيرو - بحسب ما استقيناه من الرواية الشفوية - بعد توقف الباخرة التي تقلهم، بجنوا فالبرازيل ثم الأرجنتين التي ركبوا منها الطائرة إلى البيرو. وقد فتحوا في البداية محلات تجارية في تروخيو، وفي مطلع الخمسينيات انتقلوا إلى ليما التي استقروا فيها بشكل نهائي.

نختم هذا المحور عن المرحلة الثانية من الهجرة العربية إلى البيرو، بالإشارة إلى هجرة النساء اللواتي سجلن في الوثائق الرسمية المتعلقة بالهجرة إلى البيرو كمتزوجات أو كعازبات. يتعلق الأمر من دون شك بالنسبة إلى الحالة الأولى بنساء التحقن بأزواجهن، وبالنسبة إلى الحالة الثانية بفتيات رافقن عائلاتهن أو التحقن بها في إطار ما يسمى بـ «التكثّل العائلي». هؤلاء وأولئك، وأغلبهن من الديانتين الأرثوذكسية والمارونية، اندمجن بشكل إيجابي جداً في المجتمع البيروفي، ساعدهن على ذلك أولاً تربيتهن وثقافتهن المسيحية المتفتحة إلى حدّ ما على التقاليد والثقافة الغربية، وثانياً الطابع المحافظ الذي يميز المجتمع البيروفي، وبخاصة أبناء البرجوازية الصغيرة الحضرية، وكان مجتمعاً أبوياً على شاكلة المجتمع العربي، تتربى فيه النساء على غاية واحدة هي أن يصبحن أمهات في المستقبل. وقد أخبرتنا إحدى المستجوبات، أنها لما حلت بـ شيكلايو في منتصف أربعينيات القرن العشرين، عاشت تحت سقف واحد مع عائلة زوجها، بمجتمع محافظ شبه قروي، لا يختلف إلا قليلاً عن المجتمع اللبناني، وبخاصة في ما يتعلق بحرية المرأة.

وإذا كان التأقلم مع بيئة الوسط العربي في البيرو لم يطرح أي مشكل بالنسبة إلى النساء العربيات المهاجرات، فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للمتحدرات من بنات الجيل الثاني والثالث. وقد أخبرتنا إحدى المتحدرات والتي ولدت ودرست في البيرو، أنها لما بلغت الثامنة عشرة، أرسلها والدها إلى فلسطين لتتعرف على أرض الأجداد، وكان الأبوان يتمنيان في قرارة نفسيهما لو تتاح لها فرصة الزواج هناك. وتتذكر مستجوبتنا اليوم تلك المرحلة ككابوس، فهي لم تستطع أن تتقبل مثلاً كيف أن البيت الذي كانت تقيم فيه هناك تمّ توزيع مرافقه بحسب جنس أفراده.

ومن الأمور التي اختلفت فيها كذلك المتحدرات عن المهاجرات، قضية تحديد النسل، بحيث لم تعد موجودة بينهن تلك العائلة المكونة من عشرة أو اثني عشر ابناً كما كان الحال مع الأمهات أو الجدات، غير أنهن من جانب آخر، كن ملزمات على الحفاظ على ذلك الارتباط القوي بالعائلة، وعلى تقديم فروض الاحترام التام لرأس العائلة. وبخصوص قضية تدرسهن، تجب الإشارة إلى أن النساء العربيات اللواتي ولدن وتربين في البيرو خلال هذه المرحلة، لم تتح لهن فرصة دخول الجامعة كما هو الشأن بالنسبة إلى الرجال.

٣ - المرحلة الثالثة للهجرة العربية إلى البيرو

تبتدئ مع إنشاء دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ وتعرض الفلسطينيين لأعمال السلب والنهب في أراضيهم وهو ما سبب جرحاً لم يندمل بعد. ونسجل هنا أنّه إذا كانت

الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية وغيرها من مناطق المعمور، إلى غاية ذلك التاريخ، ناجمة عن الأزمات الاقتصادية السابقة واللاحقة لسقوط الإمبراطورية العثمانية، فإن الهجرة بعد عام ١٩٥٠ تعود بالأساس إلى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي الذي عرفته منطقة الشرق الأوسط، وإلى الحروب المتتالية التي شهدتها، وإلى انسداد الأفق بالنسبة إلى الأجيال الجديدة من الشباب.

لقد حول هذا النزاع السياسي منطقة الشرق الأوسط إلى شبه زقاق مغلق، وبطبيعة الحال كان لهذا الوضع السياسي انعكاسات اقتصادية، من هنا لا يمكن نفي وجود علاقة بين الهجرة والوضع الاقتصادي الصعب. ومع ذلك لم تعد أمريكا اللاتينية تجلب المهاجرين العرب بالأهمية نفسها التي جلبتهم بها في الماضي، والسبب هو اختفاء مصادر الإغراء الاقتصادي، وتحول القارة إلى منطقة يغادرها أبناؤها بحثاً عن أفق أفضل، وليس منطقة جلب للمهاجرين كما كان الأمر في الماضي.

وسوف يجد المهاجرون العرب بديلاً عن ذلك في بلدان أخرى، وهكذا مال الفلسطينيون إلى الاستقرار في البلدان المجاورة مثل الإمارات العربية المتحدة والسعودية والأردن ولبنان، بينما فضل اللبنانيون الهجرة إلى مناطق أبعد مثل أستراليا، وكندا، والولايات المتحدة، أو بعض البلدان الأفريقية مثل السينيغال^(٥١).

لقد اضطر الفلسطينيون إذاً منذ خمسينيات القرن العشرين نتيجة أوضاع خارجية وداخلية^(٥٢) إلى ترك بلدهم الذي مزقته الحرب والاحتلال، بلد أصبحت حدوده غير ثابتة، ما فتى الغير يمدّ يده عليها. هذا الوضع وكما سبب جرحاً لمن يوجد في بلده، سبب جرحاً من نوع آخر لمن يعيش بعيداً عنها، مصدره استحالة العودة إلى أرض الوطن. ومع ذلك فالحلم بالعودة لا يزال حياً لدى هذه الفئة، كما استنتجنا من الاستجابات التي أجريناها مع المعنيين بالأمر والذين عبروا عن رغبتهم وتمنياتهم بالعودة يوماً ما إلى ذلك البلد الذي هو بلدهم. وهنا نود الإشارة إلى أنه ومهما تكن درجة الاختلاف بينهم حول القضايا السياسية البيروقراطية، فهم ملتزمون وبالإجماع مع القضية الفلسطينية، أكانوا محافظين أو تقدميين، يساريين أو يمينيين.

بالنسبة إلى اللبنانيين فإنهم اضطروا كذلك، ومنذ نهاية خمسينيات القرن العشرين

(٥١) ومع هذا نسجل بعض الاستثناءات بالنسبة إلى أمريكا اللاتينية منذ النصف الثاني من خمسينيات القرن العشرين، تتمثل في وصول عدد من المهاجرين العرب إلى فنزويلا وكولومبيا.

(٥٢) تأزمت الأوضاع الداخلية بالخصوص منذ سبعينيات القرن العشرين.

إلى ترك بلدهم نحو البلدان سالفة الذكر، نتيجة عدم الاستقرار الإقليمي الناجم عن إنشاء دولة إسرائيل، ونتيجة النزاعات الداخلية والجهوية التي ترتبط بطريقة أو بأخرى بهذا الحدث. وسوف يبدأ منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين عدد منهم بالمجيء إلى البيرو وبلدان أمريكية لاتينية أخرى، فراراً من الحرب الأهلية التي مزقت البلاد إلى غاية مطلع تسعينيات القرن العشرين، وكان ذلك بدعوة من أقاربهم ومعارفهم المقيمين في هذه القارة.

لقد عرفت الهجرة العربية إلى البيرو وبقية بلدان منطقة الأنديس تراجعاً عددياً واضحاً خلال المرحلة التي نحن بصدددها، كما إن خصوصياتها تختلف، كما مر بنا، عن خصوصيات المرحلتين الأولى والثانية. ومن خصوصيات هذه المرحلة كذلك، تزايد نسبة المهاجرين المسلمين الذين أصبحوا يعادلون من حيث العدد تقريباً، المهاجرين المسيحيين. كما إن الأصول الجغرافية للمهاجرين الفلسطينيين لم تعد محصورة في المثلث الذي يغطي منطقة بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وإنما أصبح أكبر عدد منهم يأتي من منطقة رام الله.

صحيح أن الدافع الأساسي للهجرة العربية لا يزال اقتصادياً، لكن الدافع السياسي، وهذه سابقة لم نسجلها من قبل على الأقل بالأهمية نفسها، كان هو الآخر من أسباب الهجرة. وعلى غرار هجرة المرحلتين السابقتين، يجلب المهاجر العربي في البيرو بدعوة من صديق أو قريب، ويبدأ مشواره المهني بممارسة التجارة.

وسيجد المهاجرون العرب الذين حلوا في البيرو خلال هذه المرحلة، بلداً مختلفاً نوعاً ما عن ذلك الذي وجدته من هاجر من قبل؛ بلداً كان يعيش في عقد الخمسينيات تحولات اقتصادية عميقة، من مظاهرها تراجع الفلاحة التقليدية، في وقت كان كبار ملاك الأراضي يسيطرون بشكل كامل على القطاع الفلاحي. وقد نجم عن تراجع الفلاحة التقليدية، تضرر وضع الفلاحين الصغار وبالتالي هجرتهم نحو المدن. هذا الوضع ساهم فيه انتشار وسائل الإعلام من راديو وتلفزيون وغيرها، وكانت تتحدث عن المدن بكثير من الإغراء، وهو ما حفز القرويين على الهجرة بحثاً عن غد أفضل^(٥٣)، وهكذا تدفق سكان قرى منطقة الأنديس بشكل لم يسبق له مثيل على المدن الساحلية^(٥٤). وبخصوص المهاجرين العرب، فإنهم تأثروا كذلك بهذه

Henry Pease García, *El Ocaso del poder oligárquico: Lucha política en la escena oficial, 1968-1975* (Lima: Desco, 1977).

(٥٤) تضاعف سكان «أريكيبا» و«شكلايو» و«شيمبوتي» خمس مرات خلال بضع سنوات، ومز سكان العاصمة «ليما» من نصف مليون نسمة سنة ١٩٤٠، إلى ثمانية ملايين نسمة سنة ٢٠٠٠.

التحولات الاقتصادية، وفضل حديثو العهد بالهجرة منهم، الاستقرار في هذه المدن الساحلية حيث الرواج التجاري، بدلاً من مدن منطقة الأنديس.

لقد أثار الوضع الجديد نقاشاً حول مدى ضرورة تطبيق الإصلاح الزراعي، وهو نقاش أخذ أبعاداً سياسية في عقد الستينيات، وانتهى بانقلاب عسكري تقدمي قاده الجنرال خوان فيلاسكو (Juan Velasco) في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٨. وسوف تبدأ منذ ذلك التاريخ مرحلة سياسية جديدة اصطلاح على تسميتها بـ «المرحلة الفيلاسكية»، لخصها الباحث هوغو نيغيرا (Hugo Neira) في الجملة التالية: «تفصل الفيلاسكية بين مرحلتين حاسمتين في تاريخ الحياة السياسية البيروفية، لكن هذا لا يعني أنها فقط تشكل قطيعة وإنما هي نفسها القطيعة»^(٥٥) وبالفعل فالى غاية وقوع الانقلاب سالف الذكر، وعلى الرغم من ما كانت تدعو إليه بعض الأحزاب الإصلاحية، لن يجرؤ أحد على المس بالمصالح البنكية أو المنجمية أو الفلاحية لكبريات العائلات البيروفية، أو بمصالح الشركات الأمريكية المتجذرة في البلاد، كما إنه لم يسبق لأية حكومة أن دافعت بالحماس نفسه عن مصالح الطبقات المحرومة. من هنا نجحت «الفيلاسكية» في تقريب الدولة من الشعب، ودفنت في المقابل «الدولة الأوليغارشية»، و«النظام القديم» برمته، ذلك لأن الإصلاحات المتكررة التي عرفتها البيرو في ما بعد، لن تسعى أبداً إلى العودة إلى ذلك «النظام القديم».

لقد تحدثت وسائل الإعلام الدولية بشكل واسع عن «الفيلاسكية»، وقارن البعض بينها وبين الناصرية في مراحلها الأولى. وكان عدد من المهاجرين الفلسطينيين الذين وصلوا إلى البيرو خلال النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين قد سمعوا بها. ويمكن القول إن اختيار بعضهم البيرو كبلد للهجرة يعود بالإضافة إلى «سلسلة المناداة»، إلى الرغبة في التعرف على هذه التجربة السياسية. ويؤكد أحد مستجوبينا وهو فلسطيني مسلم وصل إلى البيرو سنة ١٩٦٦، أن مواطنيه استفادوا من الوضع الذي عرفته البلاد، إبان المرحلة «الفيلاسكية»، ليتحولوا من تجار صغار إلى رجال أعمال وإلى أصحاب مؤسسات صناعية صغيرة. وعن الكيفية التي استفادوا بها يقول: «فضل العديد من رجال الأعمال وبعضهم من اليهود، ترك البلاد خوفاً من أن يتم تأميم شركاتهم، وقد استفدنا نحن من ذلك، حيث قمنا بشرائها منهم».

Hugo Neira, *Hacia la tercera mitad: Perú XVI-XX: Ensayos de relectura herética*, 2da ed. (٥٥)
(Lima: SIDEA, 1997), pp. 421-423.

- أسواق جديدة وتجار جدد

عاش قرويو منطقة الأنديس الذين انتقلوا إلى المدن الساحلية وضعية اقتصادية صعبة في البداية؛ فقد استقروا في الأحياء الهامشية للمدن، ومارسوا مهناً قليلة الأهمية. غير أنهم سيبدأون بالاندماج التدريجي وبخاصة على المستوى المهني؛ إذ أقبلوا على أنشطة صناعية وتجارية معينة، ساهمت بشكل عام في توسيع السوق التجارية الحضرية. وسيلفت تطور قدرتهم الاستهلاكية، انتباه التجار العرب، الذين جاءوا إلى ليما إما من الولايات الداخلية حيث استقروا في الماضي، أو مباشرة من بلدانهم (حدث ذلك ما بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٧). وجعلوا من أولئك القرويين زبائنهم الرئيسيين، وهو ما سمح لهم بتحقيق أرباح مهمة وحضور قوي في «سوق الجملة» في ليما^(٥٦).

وقد درس بعض الباحثين وضع الحركة التجارية في العاصمة ليما في ظلّ التحولات الطارئة، ومما نقرأه عند أحدهم: «وموازاة مع تزايد المهاجرين القادمين من منطقة الأنديس في المدن، ظهرت أنشطة اقتصادية جديدة، من بينها التجارة التي بدأت تزاول بشكل جماعي وأحياناً بكيفية تتنافى والشروط التي وضعتها الدولة من أجل تقنينها، وهكذا ظهرت التجارة غير المنظمة التي أصبحت تمارس في الشوارع والأسواق بشكل ارتجالي»^(٥٧).

سوف يستفيد التجار الفلسطينيين الذين وصلوا إلى البيرو بعد عام ١٩٦٧، واللبنانيون الذين وصلوا إليها ما بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٥، من هذه الوضعية ليفتحوا محلات تجارية في ليما، أولاً في سوق المدينة المركزي، ثم بعد ذلك في سوق غمارا (Gamarra) الذي نشأ بشكل عشوائي في أحد الأحياء الشعبية. وكما تؤكد الدراسات التي تناولت الموضوع، فإن هذا النوع من الأسواق غير المنظمة يستجيب بدرجة أولى لحاجيات الطبقات الدنيا. ومع ذلك نجد في سوق «غمارا» مثلاً، منتجات مستوردة، وهو ما يجعله قبلة للطبقة الوسطى ذات القدرة الشرائية الجيدة أيضاً.

لقد أعاد التجار العرب في المدن الساحلية خلال هذه المرحلة الأخيرة من تاريخ هجرتهم إلى البيرو، التجربة التي عاشوها في بداية القرن العشرين جنوب منطقة الأنديس، حيث وجدوا زبن من المستوى الاجتماعي نفسه أي الطبقة الفقيرة،

(٥٦) سوق في الهواء الطلق، للبيع بالجملة والتقسيم، يوجد في أحد أكثر أحياء ليما شعبية.

Hernando de Soto [et al.], *El Otro sendero: La Revolución informal*, 3^{ème} ed. ([Lima]: (٥٧) Editorial el barranco, 1986), p. 62.

ونهجوا معهم الخطة نفسها، أي البيع وبأسعار منخفضة، أكبر كمية ممكنة من السلع، وهذا ما سمح لهم بتحقيق أرباح مهمة.

ثانياً: المؤسسات العربية في البيرو

كانت جلّ الجمعيات التي أسسها العرب في البيرو قبل خمسينيات القرن العشرين متواضعة الأهمية، لا يوجد أي تعاون أو تعامل بينها، ولم يكن هناك أي تفكير لدمجها في بعضها البعض من أجل تكوين جمعيات قوية. ومن بين التي يعود تاريخ ظهورها إلى بداية القرن العشرين، نذكر تلك التي تأسست بـ سيكواني وكوثكو وأريكييا. وكان الهدف الأساسي من وجود هذه الجمعيات، تقديم الدعم والمساعدة لحديثي العهد بالهجرة، وتقوية التواصل بين المهاجرين والمتحدرين منهم، والحفاظ على بعض العادات العربية مثل الاحتفال بالأعياد، والطبخ المشرقي. وتشير وثيقة يرجع تاريخها إلى عام ١٩٢٨ صادرة عن الاتحاد الفلسطيني في كوثكو، إلى أن غاية الجمعية تكمن فقط في خلق مجال للترفيه، وفي تركية التعاون والمساعدة المتبادلة بين أعضائها. وبما أن المهاجر العربي لم يكن له خلال هذه المرحلة المبكرة، إحساس بالانتماء إلى مكان آخر غير القرية أو المدينة التي جاء منها، فإن الجمعيات التي ظهرت خلالها كانت تضم عادة مهاجرين ينتمون إلى القرية أو المدينة الواحدة.

ومع التزايد العددي الذي عرفته الجالية الفلسطينية في العاصمة البيروفية ليما في ثلاثينيات القرن العشرين، تأسست جمعيتان، تضم الأولى، القادمين من بيت جالا، والثانية، القادمين من بيت لحم. في المقابل أسس اللبنانيون في المدينة نفسها سنة ١٩٣٥ الجمعية اللبنانية البيروفية، التي عرفت انضمام أعضاء جدد خلال السنوات الموالية، وهو ما دفع إلى نقل مقر الجمعية منذ مطلع الأربعينيات إلى حيّ خيسوس ماريا (Jesus María) الذي كان يقيم فيه العديد من المهاجرين العرب^(٥٨)، في هذا الوقت لم يعدّ النادي مقتصرًا على المهاجرين اللبنانيين. وفي عام ١٩٤٨ وبسبب انتقال عدد من العرب إلى الإقامة في حيّ ماغداлина ديل مار (Magdalena del mar)، نقل النادي مقره إلى هذا الحيّ، ثم إلى حيّ مونتييريكو (Monterrico) الراقي عام ١٩٧٧، الذي اقتنت به الجالية العربية قطعة أرضية شاسعة (مساحتها ٥٦,٠٠٠ متر^٢)، شيدت عليها ناديها الضخم الذي يحمل اليوم اسم نادي الاتحاد العربي الفلسطيني^(٥٩).

(٥٨) حيّ للطبقة الوسطى يوجد في مركز العاصمة ليما.

(٥٩) انظر مجلة نادي الاتحاد العربي الفلسطيني :

إن التطور الذي عرفه هذا النادي على مستوى عدد الأعضاء، والمساحة التي يمتد عليها، والمرافق التي يضمها، ثم تغيير مكانه بشكل مستمر تبعاً للتطور العمراني للمدينة، هو دليل واضح على الارتقاء الاجتماعي للجالية العربية بشكل عام في ليما، ذلك لأنه وإن كان يحمل اسم النادي الفلسطيني، فهو يضم العديد من المهاجرين السوريين واللبنانيين، على الرغم من وجود جمعية خاصة بالمهاجرين اللبنانيين في العاصمة، كما أنه يضم العديد من المتحدرين من أصول عربية من أبناء الجيل الثاني والثالث.

ولا يرتبط ظهور هذا النادي وغيره من الجمعيات العربية التي تأسست في البيرو^(٦٠) بأية أحداث سياسية، بخلاف ما هو عليه الأمر في مناطق أخرى مثل بلدان أمريكا الوسطى. ومع ذلك، وفي غياب لوبي فلسطيني أو لبناني في البيرو، لا يمكن نفي الدور السياسي الذي لعبه نادي الاتحاد العربي الفلسطيني في بداية ثمانينيات القرن العشرين، والذي تكفل باعتراف الحكومة البيروفية على عهد الرئيس آلان غارثيا (Alain García) (من الحزب الديمقراطي الاجتماعي) رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية التي عينت عقب ذلك ممثلاً متنقلاً لها في بلدان منطقة الأنديس.

وبجاناب المؤسسات الاجتماعية، أنشأ الفلسطينيون المسلمون بعض المؤسسات الدينية. وبحسب أحد الأعضاء البارزين بالجمعية الإسلامية في ليما وهو مهاجر فلسطيني من رام الله، كانت حالة الإحباط التي أصيب بها الفلسطينيون على أثر احتلال أراضيهم عام ١٩٤٨، وراء تجدد الهجرة من فلسطين إلى بلدان أمريكا اللاتينية، بعد توقفها أثناء الحرب العالمية الثانية بسبب خطورة الملاحة البحرية، هذه الهجرة شملت المسلمين والمسيحيين على حد سواء. وتعتبر سنة ١٩٦٧ سنة محورية في تاريخ الهجرة الفلسطينية إلى البيرو، حيث ستأتي موجة جديدة من المهاجرين المسلمين والمسيحيين على حد سواء والذين اختاروا بلدان أمريكا اللاتينية لأنها ترضع قيوداً أقل على دخول الأجانب من تلك التي تضعها البلدان الأوروبية والولايات المتحدة. وسوف تستمر هذه الموجة إلى ثمانينيات القرن العشرين.

وكان تزايد عدد المسلمين في ليما، وراء إنشاء جمعية دينية خاصة بهم، هي

(٦٠) من بين الجمعيات العربية الأخرى التي أسسها العرب في البيرو، هناك النادي الاجتماعي البيروفي العربي الذي رأى النور في شكلايو سنة ١٩٥٠، ويضم في عضويته بالأساس مهاجرين لبنانيين، باستثناء فلسطينيين أو ثلاثة، وهو أكثر نشاطاً من ناد يحمل الاسم نفسه موجود في ليما، يظهر أنه يعيش مرحلة الأفل.

الجمعية الإسلامية في البيرو، التي رأت النور سنة ١٩٨٥، بعد أن تبرع بمقرها أحد قدماء المهاجرين المسلمين، هو الراحل ميغل عطا الله. يتعلق الأمر ببناء فسيح يوجد في حي للطبقة الوسطى^(٦١) تعود ملكيته في الأصل إلى مهاجر إيطالي شيده في عشرينيات القرن العشرين على الطراز الكلاسيكي الجديد، حيث توجد فيه أعمدة من المرمر. وقد تمّ إضفاء الطابع الإسلامي عليه، بإضافة آيات قرآنية وزخارف على جدرانها. ويعرف مقر الجمعية إقبالاً كبيراً يوم الجمعة، إذ تمتلئ اثنتان من قاعاته وقت صلاة، الأولى مخصصة للرجال والثانية للنساء. ويقوم بإمامة المصلّين شيخ مصري يدعى أمين عبد الواحد وصل منذ وقت قريب إلى البيرو. وتقوم الجمعية الإسلامية بعدة أنشطة للتعريف بالإسلام، مثل توزيع أقرص مدحجة تتضمن آيات قرآنية، وطبع سلسلة كتب تشرح تعاليم الإسلام، بعضها يتضمن نصوصاً دينية ترجمت من العربية إلى الإسبانية في البيرو. ومن بين العناوين التي صدرت في إطار هذه السلسلة، نذكر لمحة عن الإسلام، والنظام الأخلاقي في الإسلام، وحقوق الإنسان في الإسلام، وعيسى في الإسلام.

بالإضافة إلى ذلك، أصدرت الجمعية طبعة ثانية من الترجمة الإسبانية للقرآن التي أنجزها أحمد عبود. وتبرمج في الوقت الحاضر لتنظيم دروس في اللغة العربية، كما إنها تخطط لتشييد مدرسة للغاية نفسها إذا سمحت الإمكانيات المادية بذلك. وبحسب تصريحات القائمين عليها، لا تجعل الجمعية ضمن أهدافها الرئيسية الدعوة إلى الإسلام، ولا دعم مواقف سياسية معينة، بل إنها تحترم كل الاتجاهات السياسية للمنخرطين فيها. وحتى لا تأخذ طابعاً سياسياً، وصلت إلى اتفاق مع مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في البيرو، يرمي إلى تفادي إعادة إنتاج الخلافات السياسية الموجودة بين مختلف الفرقاء الفلسطينيين في البيرو، وبخاصة أن بعض القائمين على الجمعية، سبق وعبروا في الماضي عن مواقف متعاطفة مع «فتح» أو مع «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين». في الاتجاه نفسه تحرص الجمعية على عدم السقوط في أي نوع من أنواع الأصولية الإسلامية، وكان رئيسها ضامن عواد من أوائل الذين توجهوا إلى سفارة الولايات المتحدة في ليما لتقديم التعازي بعد كارثة ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. ويؤكد عواد أن الهدف الأساسي والوحيد للجمعية، يكمن في الحفاظ على خصوصيات الثقافة الإسلامية، وفي تسهيل ممارسة الشعائر الدينية، من دون أن يشكل ذلك أي عائق في وجه اندماج المسلمين بالمجتمع المضيف.

(٦١) هو حيّ «سان ميغيل» (San Miguel).

ثالثاً: المثاقفة والهوية البيروفية

كان لفوز ألبرتو فوجيموري (Alberto Fujimori) في الانتخابات الرئاسية في البيرو سنة ١٩٩٠^(*)، وقع مهم على الساكنة البيروفية من أصول أجنبية، كما إنه دفع بالعديد من المثقفين إلى إعادة التفكير في قضية الهوية، في بلد لم يحظ فيه موضوع الهجرة إلى ذلك التاريخ إلا باهتمام محدود. وهكذا سيتم نشر مقالات صحفية وأبحاث سوسولوجية عن الهجرات الصينية واليابانية والإيطالية وغيرها. وقد أشرفت مصلحة النشر في البرلمان البيروفي على طبع عدد من هذه الدراسات.

إن الشعبية النسبية التي تمتع بها فوجيموري خلال فترة حكمه الأولى والتي تعود إلى نجاحه في تحقيق نوع من الاستقرار الاقتصادي، وفي محاربة الإرهاب، دفعت العديد من المتحدرين من أصول أجنبية إلى خوض غمار الممارسة السياسية بفاعلية أكبر، وكان من بين هؤلاء بعض المتحدرين من أصل فلسطيني والذين بدأ حضورهم في السياسة البيروفية منذ عهد الرئيس آلان غارثيا^(٦٢).

ويُقدّم العرب في أغلب الحالات على الممارسة السياسية في البيرو بعد تحقيق النجاح الاقتصادي، لذا فهذه الممارسة ليست وسيلة للحصول على اعتراف المجتمع، وإنما هي وسيلة لإثبات الحضور والاندماج بالبلاد. ومع ذلك فمصطلح اندماج قد لا يكون هو الكلمة المضبوطة، أو على الأقل ليس هو الكلمة المناسبة للتعبير عن ظاهرة التأقلم التدريجي مع الوسط المضيف. وهنا يجب التذكير أن النقاش حول الهوية البيروفية ليس بالشيء الجديد، كما إنه نقاش اتسم دائماً بالصعوبة والتعقيد؛ لأن عدم التجانس العرقي، ووضعية التهميش التي عاش فيها ولقرون السكان الأصليين من الهنود، لا زالت تشكل عائقاً في وجه تكوين هوية وطنية واضحة، بالرغم من أن هذا النقاش طرح منذ بداية القرن العشرين.

لقد قُدمت آنذاك أجوبة حاسمة في موضوع الهوية البيروفية، من طرف مثقفي من يسمى بـ «جيل ١٩٠٠»^(٦٣)، الذين دحضوا الفكرة التي كانت مسيطرة في القرن

(*) ترك السلطة سنة ٢٠٠٠ بطريقة غير طبيعية؛ فأثناء وجوده في جولة جنوب شرق آسيا، بعث بفاكس يخبر فيه أنه يتنازل عن منصبه، وطلب حق اللجوء السياسي في اليابان البلد الذي هاجر منه والداه. وتطالب البيرو في الوقت الحاضر بتسليمه، بعد أن وجهت له عدة اتهامات، من بينها تدبير عمليات اغتيال خصومه السياسيين، وعدم احترام حقوق الإنسان، واختلاس المال العام (المترجم).

(٦٢) شغل أحدهم منصب وزير الصناعة والتجارة والسياحة، وشغل آخر منصب المدير العام للضرائب.

(٦٣) نذكر من بينهم خوسي دي لاريفا (José de la Riva) وفرانثيسكو غارثيا (Francisco García)

وفكتور أندريس (Victor Andrés).

التاسع عشر والتي ترى أن تقدم البيرو يكمن في إدماج وصهر كل ما هو محلي في الثقافة اللاتينية، وفي الوقت نفسه بينوا أن الاختلاف وعدم التجانس الثقافي هو مظهر وعنصر أساسي في الوطنية البيروفية. وسوف يتجدد النقاش حول الموضوع خلال عشرينيات القرن العشرين مع مثقفي «جيل القرن»^(٦٤)، وكذا مع تيار من المثقفين اليساريين^(٦٥) الذين رأوا أن ما ذهب إليه «جيل ١٩٠٠» بخصوص الهوية الوطنية البيروفية، لم يمس المشكل بما فيه الكفاية، لذا قدموا بصددها طروحات جديدة، كانت مصدر جدل حاد وبخاصة أنه مس قضية شائكة جداً هي التمييز بين البيروفيين من أصول هندية، والبيروفيين من أصول أوروبية^(*). وعلى الرغم من أن الجدل هدأ لفترة من الزمن، فإنه عاد ليفرض نفسه من جديد منذ نهاية سبعينيات القرن العشرين، مع جيل آخر من المثقفين أشهرهم ألبرتو فلوريس (Alberto Flores)، الذي ربط بين ضرورة الاعتراف بالتعدد اللغوي والثقافي والجنسي في البيرو، وبين حالة التهميش التي يعيشها الهنود. وقد ذهب ممثلو هذا الجيل إلى حد القول بعدم وجود وطن بيروفي حقيقي، لأن هذا «الوطن لا زال في طور التشكل»، وإلى أن التحدي الحقيقي يكمن في النضال من أجل تحقيق ما يسميه الكاتب البيروفي خوسي ماريا أرغيداس (José María Arguedas) «وطن كلّ الدماء».

إن المظاهر المرتبطة بالجانب العرقي، وبالهوية، وبدرجة انتماء المهاجرين بشكل عام إلى البيرو، هي مواضيع لم تدرس بعد إلا بشكل محدود، وهذا ما يجعل البحث فيها أمراً ملحاً. وسنحاول في نهاية هذه الدراسة التوقف عند قضية الهوية البيروفية في علاقتها بالحضور العربي في البيرو، من خلال طرح أسئلة من قبيل، كيف يعرف البيروفيون المتحدرون من أصول عربية أنفسهم؟ ما هي درجة البيروفية في هويتهم؟ هل يحسون أنهم عرب بيروفيون أم بيروفيون عرب؟ إنها أسئلة في غاية التعقيد لا يمكن فهمها بمعزل عن الواقع التاريخي البيروفي، ولعل هذا ما ينبه إليه دونيز كوش عندما يقول: «إذا كان أغلب المتحدرين من أصول عربية يعتبرون أنفسهم بيروفيين، فهم يحسون أنهم أقرب إلى الكرييوس (Criollos) منهم

(٦٤) من أشهر ممثليه راؤول بوراس (Raul Porras)؛ وخورخي باسادري (Jorge Basadre) ولويس ألبرتو (Luis Alberto)؛ وأبيلاردو سوليس (Abilardo Solís).

(٦٥) من بينهم خوسي كارلوس (José Carlos)؛ ولويس فالكارسل (Luis Valcarcel)؛ وأنتينور أوريجو (Antenor Orrego).

(*) كان يطلق على سكان أمريكا اللاتينية من أصول إيبيرية خلال المرحلة الاستعمارية اسم «الكرييوس» (Criollos)، هؤلاء سيصبح لهم شأن عظيم منذ مطلع القرن التاسع عشر، لأنهم سيقودون الحركات التحررية التي أنهت أكثر من ثلاثة قرون من الاحتلال الإيبيري لهذه القارة (المترجم).

إلى السكان الأصليين»^(٦٦). والسبب هو أن الثقافة التي تشبعوا بها في البيرو، وكغيرهم من المهاجرين، هي ثقافة الكرييوس وليست ثقافة الهنود، وهم بذلك يسلمون وفي أغلب الحالات، بأحكام القيمة السلبية التي للفئة الأولى عن الفئة الثانية.

خاتمة

انطلاقاً مما سلف ذكره، نرى أنه إذا كان هناك من انصهار للمهاجرين بشكل عام في البيرو، فإنه انصهار جزئي فقط، لأن البيرو لا يتوافر بعد على نموذج متكامل للوطن، وهنا تبقى ازدواجية الهوية سمة تفرض نفسها. عن ذلك تقول إحدى مستجوباتنا، وهي لبنانية مارونية هاجرت إلى البيرو سنة ١٩٤٧: «عندما أعود إلى لبنان ينادونني الأمريكية الجنوبية، في حين لا زالوا ينادونني هنا اللبنانية أو العربية أو في أحسن الحالات الأجنبية».

Cuche, «Un Siècle d'immigration palestinienne au Pérou: La Construction d'une ethnicité (٦٦) spécifique.» p. 115.

الفصل الخامس

العرب في الباراغواي

سيلفيا مونتينيغرو

أولاً: الإطار الجغرافي والتاريخي للهجرة العربية إلى الباراغواي

تقع جمهورية الباراغواي في المنطقة الوسطى من أمريكا الجنوبية، تحدها من الشمال بوليفيا، ومن الشرق البرازيل، ومن الجنوب الشرقي الأرجنتين، مساحتها ٤٠٦,٧٥٢ كلم^٢. وبالإضافة إلى العاصمة الفدرالية أسونسيون (Asunción)، تنقسم البلاد إدارياً إلى سبع عشرة ولاية، أربع عشرة منها تشكل ما يسمى بالمنطقة الشرقية، والأربعة الباقية المنطقة الغربية. وقد وصلت ساكنة البلاد بحسب إحصاءات عام ١٩٩٩ إلى ٥,٦٣٣,٨٥٩ نسمة، منها ٥٧٠ ألف في العاصمة، و٧٤٠ ألف في ولاية بارانا العليا (Alto Paraná)^(١) والتي تعتبر ثيوداد ديل إيستي (Ciudad del Este) أهم مراكزها الحضرية، حيث سجلت أكبر نمو ديمغرافي عرفته البلاد خلال الثلاثين سنة الأخيرة^(٢). وتبرز المدينة المذكورة كأهم مركز كذلك بكل المنطقة المعروفة بـ «الحدود الثلاثية»، والتي تلتقي عندها حدود ثلاثة بلدان هي الباراغواي والأرجنتين والبرازيل.

ويربط ثيوداد ديل إيستي بمدينة فووث دي إغوازو (Foz de Iguazu) البرازيلية، وبمدينة بويرتو دي إغوازو (Puerto de Iguazu) الأرجنتينية، جسران يمتدان على نهر «بارانا». هذا الامتداد سمح بتحول منطقة «الحدود الثلاثية»، إلى نقطة تجارة حرة مزدهرة تعرف كثافة وديناميكية سكانية نشيطة.

تعتبر الفلاحة أهم مصدر اقتصادي في الباراغواي. وقد قامت الحكومة منذ سبعينيات القرن العشرين بتطبيق عدة برامج للنهوض بالصناعة، غير أنها برامج متواضعة الأهمية اقتصرت على المنتجات الفلاحية والغابوية وكذا بعض المواد الاستهلاكية مثل اللحوم، أو بعض الصناعات الخفيفة مثل النسيج والخشب والصناعة الكيماوية.

(١) *La Población en el Paraguay, 1999* (Fernando de la Mora, Paraguay: Dirección general de estadística, encuestas y censos (DGEEC), 1999).

(٢) تعرف المدينة نمواً سكانياً، يقدر بحوالي ٥,٨ في المئة سنوياً. انظر: *Divulgación popular alto parañ: De la encuesta permanente de hogares, 1999* (Fernando de la Mora: DGEEC, 2000).

ينتمي السكان الأصليون للباراغواي إلى الهنود من إثنية غواراني (Guarani). وقد أسس الغزاة الإسبان سنة ١٥٣٧ على ضفاف نهر الباراغواي أول مستوطنة لهم في هذه المنطقة، تحولت بعد سنوات قليلة إلى مدينة ستحمل في ما بعد اسم أسونسيون.

وحتى عام ١٧٧٦ شكلت الباراغواي جزءاً من نيابة ملك البيرو، إلا أنه ابتداءً من تلك السنة والتي أسس فيها التاج الإسباني نيابة ملك ريو دي لابلاتا (Río de la Plata)، أصبحت بجانب الأرجنتين والأوروغواي وبوليفيا جزءاً من نيابة الملك المذكورة. وفي سنة ١٨١١ حصلت الباراغواي على استقلالها، بقيادة الدكتور خوسي غاسبار (José Gaspar) الذي أعلن نفسه حاكماً مطلقاً، واستأثر بالسلطة حتى وفاته سنة ١٨٤٠. وقد خلفه ابنه كارلوس أنطونيو لوبيز (Carlos Antonio López) الذي حكم البلاد ما بين عام ١٨٤٤ وعام ١٨٦٢، قبل أن يخلفه هو الآخر ابنه فرانثيسكو سولانو لوبيز (Francisco Solano Lopez)، الذي ستقع في عهده حرب «الحلف الثلاثي» (١٨٦٥ - ١٨٧٠) والتي كان على الباراغواي أن تواجه فيها حلفاً ثلاثياً مشكلاً من الأرجنتين والبرازيل والأوروغواي. وسوف تنتهي الحرب بهزيمة الباراغواي سنة ١٨٧٠، وهي سنة وفاة سولانو لوبيز نفسها.

وكان من تبعات الحرب أن دخلت البلاد في مرحلة من عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، حالت دون أن يكمل أي من الرؤساء الذين تولوا السلطة بعدها فترة حكمه. وللخروج من هذه الأزمة، تأسس عام ١٨٨٠ أهم حزبين في تاريخ الباراغواي إلى الوقت الحاضر، هما الحزب الجمهوري أو الملون، والحزب الديمقراطي والذي يعتبر النواة الأصلية للحزب الليبرالي الحالي. وقد استمر هذا الاستقرار السياسي حتى عام ١٩٣٠، غير أنه ابتداءً من تلك السنة ستبدأ سلسلة من النزاعات الحدودية بين الباراغواي وبوليفيا، كانت سبباً في اندلاع ما عرف بحرب الشاكو (Chaco) (*) التي لم تضع أوزارها إلا سنة ١٩٣٨، بعد جلوس الطرفين إلى مائدة المفاوضات لرسم حدود جديدة بينهما لا زالت محترمة من قبل الدولتين إلى اليوم.

وإلى غاية سنة ١٩٥٠ كانت السلطة في البلاد تؤول حيناً للمدنيين وحيناً آخر للعسكريين، استمر ذلك حتى أيار/مايو ١٩٥٤ عندما أسقط انقلاب عسكري الحكومة الدستورية، على أثرها زكى الناخبون القائد العام للجيش الجنرال ألفريدو ستروسنير (Alfredo Stroessner)، زعيم الحزب الملون، كرئيس للبلاد. وسوف يبقى

(*) نسبة إلى المنطقة التي اندلعت فيها، والتي تقع على الحدود بين البلدين (المترجم).

ستروسنير في الحكم لثمانى مراحل انتخابية متتالية، لم يتردد خلالها ومن أجل تخليد نفسه كحاكم أبدي، في تغيير الدستور وفي قمع كل معارضة بعنف، وفي إعلان حالة الحصار التي استمر العمل بها ومن دون انقطاع إلى سنة ١٩٨٧. ولم يترك ستروسنير الحكم إلا سنة ١٩٨٩ بعد أن نجح عسكري آخر هو الجنرال أندريس رودريغيز (Andrés Rodríguez) في الإطاحة به من خلال انقلاب عسكري أيضاً. وقد ترشح الجنرال الجديد للانتخابات الرئاسية التي نظمت في السنة نفسها والتي فاز بها عن الحزب الملون. ولا زال عدم الاستقرار هو السمة الغالبة على الوضع السياسي في البلاد، ذلك لأنه ما أن يتبدى مسلسل ديمقراطي حتى تعقبه أزمات خطيرة تنتهي بانقلابات عسكرية، أو بإقالة المسؤولين بسبب قضايا الفساد التي تورطوا فيها، أو بسبب تمردات شعبية ينجم عنها أحياناً سقوط ضحايا. كل هذا جعل مسلسل الانتقال الديمقراطي في الباراغواي واحداً من أصعب وأطول المسلسلات التي عرفتها أمريكا اللاتينية، بحيث يمكن القول إنه لم ينته بعد.

ثانياً: سياسة الهجرة في الباراغواي

مر التطور الديمغرافي في الباراغواي بأربع مراحل على الأقل هي (٣) :

- ١ - مرحلة الغزو والتعمير الإسباني؛ بدأ خلالها مسلسل التهجين، كما تميز بظهور ثنائية ثقافية تمثلها الثقافة الهندية ذات الأصل الغواراني (Guarani) من جهة، والثقافة الإسبانية ذات الأصل الأوروبي من جهة أخرى.
- ٢ - مرحلة الاستقلال؛ عرفت البلاد خلالها تزايداً ديمغرافياً مهماً، كما تميزت بتكريس الثقافة الوطنية.
- ٣ - مرحلة حرب ١٨٧٠؛ توفي خلالها ما لا يقل عن ٨٠ في المئة من ساكنة البلاد.

٤ - مرحلة ما بعد حرب ١٨٧٠ والتي ستستمر على امتداد القرن العشرين؛ عاد النمو الديمغرافي للارتفاع من جديد، إذ عرفت البلاد ديناميكية سكانية نشيطة سمحت بالمشهد الديمغرافي التي توجد عليه الباراغواي اليوم. من خصوصياتها كذلك بداية وصول المهاجرين الأجانب.

Migraciones laborales en América Latina: Diagnóstico demográfico, estudios demográficos y (٣) jurídicos de la migración internacional, en los países miembros de la OEA, 10 vols. ([Washington, DC]: Organización de los estados americanos (OEA), [1983]-1995), vol. 6: Las migraciones laborales en Paraguay.

ويعرف معدل النمو الديمغرافي في الباراغواي اليوم نوعاً من الاستقرار، إذ يقدر بـ ٢,٦ في المئة سنوياً، إلا أن التوزيع الجغرافي للسكان يتميز بعدم التجانس، بحيث نسجل اختلالات واضحة بين مختلف المناطق، مردداً الهجرة الداخلية إلى مناطق بعينها على رأسها العاصمة أسونسيون، وثيوداد ديل إستي؛ والهجرة من المناطق القروية التقليدية إلى مناطق قروية جديدة تعرف انتعاشاً فلاحياً؛ والهجرة إلى المناطق الحدودية التي شيدت فيها مجموعة من الخزانات الهدرولية الدولية لتوليد الكهرباء، مثل منطقة نهر بارانا (Paraná)، ومنطقتي ياثيريتا (Yaciretá) الموجودة في الأرجنتين، وإيتابوا (Itapúa) الموجودة في البرازيل.

ولفهم التطور الديمغرافي الذي عرفته الباراغواي، يتوجب إبراز بعض مظاهر مسلسل الهجرة الأجنبية إليها، فعلى الرغم من أن الأجانب القادمين من أوروبا وآسيا بدأوا بالتوافد إلى الباراغواي منذ القرن التاسع عشر، لم تكن هناك سياسة خاصة بالهجرة على غرار ما نجده في بلدان أخرى في أمريكا اللاتينية، ولعل السبب هو أن موجات الهجرة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لم تصل إلى الأهمية نفسها التي عرفتها بلدان أخرى من القارة، ما جعل الباراغواي تكتفي بدور ثانوي في هذا المسلسل. وإذا ما استثنينا حالات تهمة مهاجرين يابانيين وأوروبيين استقروا في البلاد وأسسوا مستوطنات لها خصوصياتها الإثنية والثقافية والاقتصادية، فإن الباراغواي وإلى غاية العقود الأخيرة لم تجلب الأجانب إلا بشكل محدود^(٤).

وبجانب هجرة المراحل السابقة، ستصل في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين موجات جديدة من المهاجرين الأجانب، كان لهم دور في التحولات التي عرفتها البلاد. ونود الإشارة في هذا السياق إلى أن مسلسل الهجرة إلى الباراغواي مرّ بمرحلتين متباينتين، وأن الهجرة العربية كان لها حضور في كلتا المرحلتين.

لأخذ فكرة عن نشوء وتطور الهجرة الأجنبية إلى الباراغواي، يلزم العودة إلى عهد الرئيس كارلوس لوبيز (Carlos Lopez) (١٨٤٤ - ١٨٦٢)، الذي تميز بتشجيع دخول المهاجرين إلى البلاد، وبخاصة أولئك الذين يودون إنشاء مستوطنات فلاحية. ويعود تاريخ إنشاء أول مستوطنة إلى سنة ١٨٥٥، عندما حلّ في الباراغواي ٤١٠ مهاجرين فرنسيين أسسوا مستوطنة في منطقة الشاكو، غير أن التجربة لم تحقق النجاح المطلوب، لأن هؤلاء الفرنسيين سرعان ما بدأوا يغادرون المستوطنة التي عوضهم بها الباراغوتيون وبعض الأجانب من أصول مختلفة. وسوف تعرف البلاد منذ مطلع القرن

Heikel y Bhar, «Inmigración al Paraguay desde países limítrofes.» *Revista paraguaya de sociología*, vol. 30, no. 84 (1993).

العشرين محاولات جديدة لإقامة مستوطنات خاصة بالأوروبيين تأسست أولاها حوالى سنة ١٩٠٩، إلا أن المهاجرين الذين أنشأوها لم يأتوا من أوروبا مباشرة وإنما من البلدان المجاورة مثل الأرجنتين والبرازيل. ويخبرنا إحصاء السكان الذي نظمته الباراغواي سنة ١٨٨٦، أن عدد الأجانب في البلاد هو ٧,٨٨٦، كما تخبرنا المعطيات الإحصائية المتعلقة بالمرحلة الممتدة ما بين عام ١٨٩٩ وعام ١٩٠٠، أن أكبر عدد من الأجانب الذين دخلوا الباراغواي في المرحلة المذكورة قدموا من الأرجنتين^(٥).

وبخصوص الهجرة العربية، فإن المعطيات الإحصائية المتوافرة عن هذه المرحلة الأولى، لا تسمح بمعرفة حجمها بشكل مضبوط، لأنه وبالرغم من تقسيم إحصاءات السكان المهاجرين بحسب جنسياتهم، فإن العرب أدمجوا في الخانات المخصصة لـ «جنسيات مختلفة». ولا نستبعد أن يكون بعض العرب قد أدمجوا في الخانات المخصصة لـ «الجنسية الأرجنتينية»، لدخولهم الباراغواي عبر هذا البلد وبيطاقة الإقامة فيه. ويلخص تقرير أنجزته منظمة الدول الأمريكية سنة ١٩٩٢، خصوصيات الهجرة الأجنبية إلى الباراغواي على النحو التالي:

١ - لم تعرف الهجرة الأجنبية من حيث ثقلها العددي وكذا من حيث تأثيرها، الأهمية نفسها التي سجلت، ومنذُ نهاية القرن التاسع عشر، في بلدان أخرى مثل الأرجنتين والبرازيل.

٢ - رغم تواضع عدد الأجانب وهم أساساً من الأوروبيين، مقارنة بالعدد الإجمالي للسكان، فقد كان لهم ولا يزال حضور مهم في الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية.

٣ - فشل مشروع إقامة المستوطنات الخاصة بالأجانب في بعض المناطق، لكنه نجح في مناطق أخرى، من بينها منطقة إيتابوا (Itapúa) التي أنشئت فيها مستوطنات خاصة بالألمان والسلاف والألبانيين؛ و«بارانا العليا» التي أنشئت فيها مستوطنات خاصة باليابانيين والبرازيليين.

بناءً على ما سلف ذكره يمكن القول إن مسلسل الهجرة الأجنبية إلى الباراغواي مرّ بالمحطات التالية:

١ - ١٨٧٢ - ١٩١٠: بداية الهجرة الأجنبية وإنشاء أولى المستوطنات في بعض جهات البلاد.

٢ - ١٩١١ - ١٩٤٩ : تزايد حجم الهجرة وامتداده ليشمل جلّ أنحاء البلاد.

٣ - ابتداء من ١٩٥٠ : وصول مجموعات جديدة من المهاجرين، وظهور هجرة انتقائية مرتبطة بالصناعة الكهربائية التي أقامتها شركات أجنبية.

٤ - ما بين سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين : وصول موجة جديدة من المهاجرين الآسيويين من بينهم عرب ينتمون إلى أصول مختلفة.

ثالثاً: خصوصيات الهجرة العربية إلى الباراغواي

يمكن أن نلمس بعض مظاهر الحضور الثقافي العربي في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية قبل المرحلة التي نحن بصددتها، فقد بدأ هذا الحضور مع وصول أوائل المكتشفين والمعمرين الإسبان إلى أمريكا سنة ١٤٩٢، بحسب ما أقرته منظمة اليونسكو من خلال مشروع «إسهام الحضارة العربية في ثقافة أمريكا اللاتينية عبر شبه الجزيرة الإيبيرية» والذي لم يستبعد أن يكون الإسبان والبرتغاليون هم أول من نقل بعض مظاهر الثقافة العربية إلى أمريكا الجنوبية^(٦).

وبحسب هذا الطرح فإن التأثير الثقافي العربي الذي يعود إلى تلك المرحلة المبكرة، ساعد العرب الذين هاجروا في ما بعد، على الاندماج في مجتمعات أمريكا اللاتينية. ونعلم في هذا السياق أن عدد الإسبان الذين انتقلوا من منطقة الأندلس إلى أمريكا اللاتينية كغزاة أو كمعمرين كبير جداً، وكانوا بحكم التعايش أكثر من بقية الإسبان تأثراً بالحضارة العربية. هذا ما تؤكده على الأقل دراسة أنجزها الباحث حامد فرانكو سنة ١٩٩٦، اعتماداً على «كتالوغ المسافرين إلى الهند الغربية ما بين ١٥٠٩ و١٥٣٤»، حيث وصل مجموع المهاجرين الإسبان إلى أمريكا اللاتينية إلى ٧,٦٤١ شخصاً، أغلبهم من منطقة الأندلس. وبحسب المصدر نفسه، بلغت نسبة الذين قدموا من ولبة وإشبيلية ما بين عام ١٤٩٣ وعام ١٥٠٨ إلى ٧٨ في المئة من مجموع المهاجرين الإسبان، في حين بلغت خلال المرحلة الممتدة ما بين عام ١٥٠٩ وعام ١٥١٩ إلى ٣٧ في المئة. ومع ما لهذه الأرقام من دلالة، فإن البحث حول الأهمية العددية للهجرة إلى أمريكا خلال هذه المرحلة المبكرة لا يزال في بدايته، وهو ما يتعذر معه في الوقت الحاضر، تقديم معطيات إحصائية مدققة تسمح أو تساهم في ضبط المسار التاريخي للهجرة إليها.

(٦) انظر الترجمة العربية لهذا المشروع: أنطونيا روبييدو [وآخرون]، الوطن العربي وأمريكا اللاتينية، إشراف ماريا روزا دي مدارياغا؛ تقديم وترجمة عبد الواحد أكمير (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥)، الفصل التمهيدي، ص ٣٧ (الترجم).

وبخصوص الهجرة العربية التي تمه الفترة موضوع هذه الدراسة، يمكن أن نقسمها من الناحية الكرونولوجية إلى مرحلتين؛ تبتدئ الأولى مع بداية وصول الأجنبي بشكل عام إلى الباراغواي، وتبتدئ الثانية وهي الأهم عددياً حوالى عام ١٩٦٠، وبخاصة بعد عام ١٩٨٠.

رابعاً: الهجرة العربية القديمة والحديثة

١ - الهجرة القديمة

نقصد بها تلك التي بدأت تصل إلى الباراغواي بعد انتهاء حرب «الحلف الثلاثي»، التي تعرضت ساكنة الباراغواي خلالها إلى خسائر بشرية فادحة، سواء بسبب المعارك، أو بسبب انتشار وباء الكوليرا وبخاصة بين المتحاربين، لدرجة أن ساكنة هذا البلد والتي كانت تقدر سنة ١٨٦١ بمليون وثلاثمائة ألف نسمة، تراجعت بأكثر من الثلثين سنة ١٨٦٤. هذه الوضعية مست بخاصة الذكور الذين وصلت نسبة من قضى منهم خلال سنوات الحرب الأربع إلى حوالى ٨٠ في المئة. وأمام هذا التراجع السكاني، أصبحت الحاجة ملحة للمهاجرين الذين بدأوا بالتوافد على البلاد، ما سمح بإعادة تشكيل المجتمع. وقد بلغ عدد الأجنبي عام ١٨٧٢، ٣١,٢٩٦ من أصل ٢٣١,٠٠٠ نسمة، هو مجموع ساكنة البلاد.

وسوف تبدأ ساكنة الباراغواي بالتزايد التدريجي منذ هذه المرحلة، التي عرفت كذلك بداية وصول المهاجرين العرب، الذين نعثر عليهم منذ سنة ١٨٨٨ في مدن أسونسيون (Asunción)، وبييتا (Villeta)، وإنكارناسيون (Encarnación)، وبيارريكا (Villa Rica)، وسان بيدرو (San Pedro)، وسانتاني (Santani)، وبويرتو روساريو (Puerto Rosario) وكونسيبيسيون (Concepción)، إضافة إلى مراكز أخرى في منطقة نهر بارانا الأعلى.

وكما هو الحال بالنسبة إلى الأرجنتين، يتعلق الأمر بمهاجرين سوريين ولبنانيين قدموا من الأراضي الخاضعة للإمبراطورية العثمانية. وسوف تستمر هذه الموجة الأولى من المهاجرين العرب إلى سنة ١٩١٤ حيث توقفت بسبب الحرب العالمية الأولى، لتبدأ مرحلة ثانية تمتد من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٣ التي توقفت عندها الهجرة العربية إلى الباراغواي لمدة زمنية طويلة.

كان أغلب أولئك المهاجرين من الشباب الذين يتراوح عمرهم ما بين ١٦ و١٨ سنة، وكانت أول مدينتين استقروا فيهما هما إنكارناسيون وأسونسيون، حيث أسسوا محلات تجارية، سنتناول بعض خصوصياتها في الصفحات الموالية.

وعن انتمائهم الدينيّ، كان أغلب المهاجرين العرب من المسيحيين، وهم بدرجة أولى من الأرثوذكس ثمّ من الموارنة، وينسب أقل من المسلمين وبخاصة الشيعة، بمن فيهم الإسماعيليون والعلويون.

ولم تنهج الحكومات المتعاقبة في الباراغواي سياسة خاصة بالهجرة، وهو ما لم يشجع الأجانب على القدوم إلى البلاد. ولا نعثر على أي قانون خاص بالهجرة إلا سنة ١٨٨١ التي صدر فيها قانون تمّ العمل به حتى عام ١٨٨٥، وقد هدفت الحكومة من خلاله استقطاب الأجانب، لإعادة التوازن الديمغرافي للبلاد بعد التراجع الكبير الناجم عن حرب «الحلف الثلاثي». وسيتم بمقتضى هذا القانون إنشاء ما سمي بـ «الإدارة العامة للهجرة»، إضافة إلى إصدار مراسيم تمنح الأراضي للعائلات المهاجرة التي تشتغل بالفلاحة، وتسليم بطاقات السفر، وتسهيل الإقامة، ودعم برامج التغذية لمدة نصف سنة للمهاجرين. إلا أن هذه الامتيازات لم تعمر إلا مدة قصيرة، لأنه عندما وصل العرب إلى الباراغواي كان قد تمّ إلغاؤها. وسيصدر قانون آخر سنة ١٩٠٣ وضع مجموعة من الشروط على دخول المهاجرين لم يكن من السهل الالتزام بها، من بينها تحديد مهن الذين تقبل هجرتهم (من بين هؤلاء رجال الصناعة والمهنيون والميكانيكيون والمهندسون والفلاحون)، وتوافر كُّل من يود دخول البلاد على قدر معلوم من المال.

كان طبيعياً أن تحرص النخب الأمريكية اللاتينية لتلك المرحلة على استقدام هجرة منتقاة، وهكذا نجحت بالنسبة إلى الباراغواي في منع هجرة السود والآسيويين والعجّر. انطلاقاً من هذا يتبين أن الهجرة العربية لم تكن تصنف ضمن الهجرة المرغوب فيها، وبخاصة أن أوائل المهاجرين العرب استقروا في المراكز الحضرية الصغيرة، وأقبلوا بالأساس على ممارسة التجارة كما سنرى، في وقت كانت الحكومة تشجع هجرة من يود ممارسة الفلاحة التي كان ينظر إليها كنشاط منتج يساهم في تقدم البلاد وفي تنميتها، عكس التجارة التي كان ينظر إليها كنشاط طفيلي عقيم.

إن كلمة «هجرة» تعني ترك البلد الأصلي والاستقرار بشكل مؤقت أو دائم في بلد آخر، أما أسبابها فكثيرة ومعقدة؛ فهناك الهجرة النابعة من قرار فردي ومن رغبة شخصية؛ وهناك الهجرة الناجمة عن تأثير عائلي؛ كما هناك الهجرة التي تفرزها الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلد الأصلي^(٧). من هنا لا يمكن فهم

Graciela Malgesini y Carlos Giménez, *Guióa de conceptos sobre migraciones, racismo e (٧) interculturalidad*, libros de la catarata; 108 (Madrid: Libros de la catarata, 2000).

الهجرة العربية القديمة إلى الباراغواي من دون وضعها في سياقها العام، والمتمثل في الأسباب التي كانت وراء تلك الهجرة الجماعية التي انطلقت من منطقة الشرق الأوسط إلى جهات مختلفة من العالم.

لقد توقفت بعض الدراسات التي تناولت أسباب الهجرة العربية القديمة، عند عناصر مثل روح المغامرة عند العربي، وميله الطبيعي إلى ممارسة التجارة. ونظن أن هذه الدراسات، إضافة إلى إعادة إنتاجها لتلك الصورة النمطية الذاتية عن المهاجرين العرب، لا تأخذ بعين الاعتبار العناصر الفعلية التي كانت وراء الهجرة الجماعية التي عرفتها منطقة الشرق الأوسط في نهاية القرن التاسع عشر. زد على هذا أنه لا يمكن جعل الهجرة خاضعة لخصوصية محددة بالنسبة إلى كل البلدان التي قدم منها المهاجرون العرب، ذلك لأنه وحتى داخل البلد الواحد، هناك خصوصيات ثقافية جهوية، تجعل أسباب الهجرة أحياناً تختلف ليس فقط من بلد إلى بلد، بل ومن جهة إلى جهة داخل البلد نفسه.

وتجعل بعض الدراسات سألقة الذكر العامل الديمغرافي من بين أسباب الهجرة العربية^(٨)، فتشير إلى أنه منذُ حوالي سنة ١٨٨٠ تاريخ بداية وصولهم إلى أمريكا اللاتينية، كانت بعض المناطق التي قدموا منها تعرف اكتظاظاً سكانياً كبيراً، من بينها منطقة جبل لبنان التي قدرت ساكنتها سنة ١٨٨٠ بـ ٤٤٢,٠٠٠ نسمة والتي كانت قد فقدت سنة ١٩١٤ ما لا يقل عن ١٠٠ ألف شخص هاجروا نحو أمريكا.

ودائماً وبحسب المصادر نفسها، هناك عنصر ثانٍ، يتفق حوله المؤرخون ساهم في هذه الهجرة، يتعلق الأمر بوضعية القهر والحيث التي كان السكان عرضة لها، بدرجة أولى المسيحيون ثم بدرجة ثانية المسلمون والدروز.

يمكن ذكر عنصر ثالث، كان هو الآخر من أسباب الهجرة، يتمثل في فرض الخدمة العسكرية الإجبارية التي ازدادت حدّة الصرامة التي تطبق بها بعد دخول الإمبراطورية العثمانية غمار الحرب العالمية الأولى، بحيث أصبح المسيحيون على غرار المسلمين، مجبرين على أدائها، ولم يعد بإمكانهم الحصول على الإعفاء منها إلا بعد أداء رسوم خاصة، وهذا ما كانت له انعكاسات على وضعيتهم الاقتصادية الصعبة التي شكلت الهجرة مخرجاً لها.

Theresa Alfaro Velcamp, «The Historiography of Arab Immigration to Argentina.» in: (٨)

Ignacio Klich and Jeffrey Lesser, eds., *Arab and Jewish Immigrants in Latin America: Images and Realities* (London; Portland, OR: F. Cass, 1998).

هناك عنصر رابع، ساهم كذلك في تبلور ظاهرة الهجرة، هو الوضعية الاقتصادية المزرية التي آلت إليها بعض المناطق، مثل جبل لبنان خلال الحرب العالمية الأولى والذي استفحلت فيه المجاعة بشكل رهيب، عندما منع الحلفاء دخول المواد الغذائية المستوردة، في وقت لم يعد ما ينتج محلياً كافياً لتغطية حاجات السكان. وسوف تمتد المجاعة من جبل لبنان إلى مناطق أخرى إذ ستصل حتى سوريا.

لقد تضافرت هذه العوامل الديمغرافية والسياسية والاقتصادية والسوسيو - ثقافية لتجعل من الهجرة مخرجاً لعدد مهم من الأفراد وعائلاتهم، بحيث إنّه وبمجرد ما يصل المهاجر إلى البلد الذي يقصده، ويتعرف عليه، حتى يدخل في اتصالات مع أفراد عائلته للالتحاق به، وهنا يبدأ ما يسمى بـ «سلسلة المناداة».

وقبل التطرق إلى ظاهرة «سلسلة المناداة»، نود الإشارة إلى أن الباراغواي نادراً ما كانت هي الوجهة المقصودة لأوائل المهاجرين العرب الذين استقروا فيها. وقد وصلها هؤلاء عبر الأوروغواي أو الأرجنتين بعد إقامة قصيرة فيهما، كما إن آخرين وصلوها بعد أن أقاموا لوقت ما في فرنسا أو الولايات المتحدة أو أي بلد آخر من بلدان أمريكا اللاتينية لهم أقارب فيه.

ويرى بعض الباحثين أن الوجهة المفضلة للمهاجرين السوريين واللبنانيين كانت الولايات المتحدة، وأن العديد منهم كان وصولهم إلى أمريكا اللاتينية اضطراراً، بعدما تعذر حصولهم على التأشيرة إلى الولايات المتحدة، كما إن آخرين حلوا في أمريكا اللاتينية خطأً، بعد أن خدعوا من طرف وكالات الأسفار التي باعتهم بطاقة الباخرة إلى أي بلد من بلدان أمريكا اللاتينية، على أساس أنها بطاقة سفر إلى الولايات المتحدة^(٩).

صحيح أن الإقدام على الهجرة كان بمبادرات فردية لأشخاص يسعون إلى تحسين مستوى معيشتهم والخروج من الوضعية الاقتصادية الصعبة التي كانوا يعيشونها في بلدانهم الأصلي، لكن وجود ما يسمى بـ «سلسلة المناداة»، يجعلنا نعتبر أن قرار الهجرة لم يكن فردياً وإنما تحكمت فيه عوامل من بينها الروابط العائلية أو الطائفية أو علاقات الصداقة، وهي روابط تؤدي دوراً مهماً في أي ظاهرة هجرة. وقد ساهم التكتل العائلي في التزايد العددي للمهاجرين العرب، كما ساهمت «سلسلة المناداة» في التعريف بالإمكانات المادية للبلدان التي كانت هناك رغبة في الهجرة إليها، وكذا في التخفيف من حدة الصعوبات التي قد

(٩) هذا ما تذهب إليه الباحثة باتريسيا نبتى (Patricia Nabti)، نقلاً عن: Alfaro Velcamp, Ibid., p. 235.

تعترض أي حديثٌ عهد بالهجرة، داخل المجتمع الذي يحلّ فيه.

نختم هذا المحور بالإشارة إلى أن ما أسميناه بـ «الهجرة العربية القديمة»، تضم أولئك الذين وصلوا قبل عام ١٩٣٥، وهي السنة التي توقف فيها تقريباً وصول المهاجرين العرب إلى الباراغواي، في وقت بدأ فيه نوع من الديناميكية النشيطة للمتحدثين من أصل عربي داخل المجتمع الباراغواي، سمحت باندماجهم في هذا المجتمع بطريقة تختلف عن تلك التي سيتم بها اندماج من ينتمي إلى «الهجرة الحديثة». من هذا المنطلق نرى ضرورة الفصل بين المهجرتين على اعتبار أن لكلٍ منهما خصوصياتها.

٢ - الهجرة الحديثة

بدأ وصول العرب الذين سيشكلون ما أسميناه بـ «الهجرة الحديثة» إلى الباراغواي في ستينيات القرن العشرين، وقد اختاروا الاستقرار في ولاية «بارانا العليا»، وبخاصة مدينة ثيوداد ديل إيستي. ويصل عددهم في هذه المقاطعة في الوقت الحاضر إلى حوالي عشرة آلاف، أغلبهم من اللبنانيين، مع قلة من السوريين والمصريين والفلسطينيين والأردنيين.

يتعلق الأمر بمهاجرين استقروا في ما يسمى بمنطقة «الحدود الثلاثية» والتي تتقاطع عندها حدود الباراغواي مع حدود الأرجنتين والبرازيل كما مرّ بنا. وهم يمارسون التجارة خصوصاً مع مدينة فوز دي إغوازو (Foz de Iguazú) البرازيلية والتي استقر فيها هي الأخرى وللغاية نفسها، ما لا يقل عن ثمانية آلاف مهاجر عربي، وهذا ما يجعل عدد العرب في المنطقة يتجاوز ثمانية عشر ألفاً.

لهذه الهجرة الحديثة خصوصيات أخرى، من بينها أن الأنشطة التجارية التي يمارسها العرب تعتبر خاصة في المنطقة، ومن بينها كذلك كون جلّ هؤلاء من المسلمين، وهو ما يفسر لنا كيف أن أغلب المؤسسات التي ينضون تحت لوائها ذات توجه ديني مثل المساجد، والمراكز الثقافية الإسلامية، والمدارس.

وقد علمنا من خلال الاستجابات التي أجريناها مع أفراد من الجالية العربية في ثيوداد ديل إيستي، أن عدد الرخص التجارية التي سلمت للعرب في هذه المنطقة الحضرية تجاوز ٢,٥٠٠ رخصة. وإذا سلمنا أن عدد أفراد العائلة العربية يتراوح عادة بين أربعة وخمسة أفراد، تأكيداً لنا، وفي غياب الإحصائيات الرسمية، صحة تقديرات أفراد الجالية والذين يرون أن العدد الإجمالي للعرب في ولاية «بارانا العليا» هو في حدود عشرة آلاف كما مرّ بنا.

ويشكل اللبنانيون ٩٠ في المئة من المهاجرين العرب في مدينة ثيوداد ديل إيستي، ينتمي أغلب الذين حلوا منهم فيها خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة إلى قرية قبريخا الواقعة جنوب لبنان. وكان القادمون من هذه القرية في البداية من الذكور الذين شرعوا بعد ذلك في استقدام عائلاتهم. وبحسب مهاجر ينتمي إلى القرية المذكورة، يقدر عدد الذين هاجروا منها إلى ثيوداد ديل إيستي حوالى ألف شخص، من أصل خمسة آلاف هم مجموع ساكنتها.

إن ما لفت انتباهنا بخصوص الهجرة العربية حديثة العهد إلى الباراغواي، هو عدم وجود أية دراسة تتناولها من الناحية التاريخية أو السوسولوجية، أو تتحدث عن خصوصيات المجموعات البشرية التي تشكلها وأسباب هجرتها. ومع ذلك فبحكم أن حوالى ٩٠ في المئة من المهاجرين هم لبنانيون، فإن أسباب الهجرة واضحة، بحيث ترتبط بغياب فرص الشغل، وبالاضطرابات والعنف السياسي الذي عرفه هذا البلد خلال العقود الأخيرة. وكما نعلم، بدأت إسرائيل باحتلال أجزاء من لبنان منذ سنة ١٩٧٨، إذ بلغ مجموع ما احتلته حوالى ١٠ في المئة من التراب اللبناني، وكان ذلك بالخصوص في منطقة الجنوب التي ينتمي إليها أغلب المهاجرين. وسيستقر هؤلاء المهاجرون أول عهدهم في أمريكا اللاتينية جنوب البرازيل، قبل أن ينتقلوا إلى منطقة «بارانا العليا» المحاذية للتراب البرازيلي، وهو ما سمح لهم بالتنقل باستمرار بين البرازيل والباراغواي من أجل ممارسة التجارة.

وبحسب عدد من مستجوبينا، كانت ظروف المعيشة الصعبة التي أصبحت تعرفها بعض قرى جنوب لبنان وراء هجرتهم، غير أنهم لم يقصدوا في البداية البلد الذي كانوا ينوون الاستقرار فيه بشكل نهائي، وإنما بلداً آخر أقاموا فيه لبعض الوقت. ويحكى أحد المستجوبين المنتمين إلى قرية قبريخا أنه وقبل الانتقال إلى الباراغواي أقام بضع سنوات في مدريد حيث درس ثم عمل كمدرس، وبعد انتقاله إلى الباراغواي استقر على الحدود الباراغواتية البرازيلية. ويشير مستجوب ثان، وهو لبناني أيضاً، يقيم في ثيوداد ديل إيستي منذ سبع وعشرين سنة، ويمتلك مطعماً مزدهراً، أنه وقبل الوصول إلى الباراغواي، استقر لعدة سنوات بالكوت ديفوار في أفريقيا الغربية. كما يحكي مستجوب ثالث ينتمي هو الآخر إلى قرية قبريخا، أن كل أقاربه يقيمون حالياً في مدينة ثيوداد ديل إيستي، وأن انتقالهم من قريتهم إلى هذه المنطقة تم بشكل تدريجي، حيث استغرقت العملية حوالى عشر سنوات. وهنا تجب الإشارة إلى أن مساعدة من يوجد في المهجر لأقاربهم المتخلفين في الوطن والذين ينوون الهجرة كانت مهمة، لأنهم كانوا يبعثون لهم بالمعلومات الضرورية حول إمكانيات البلد الذي ستم الهجرة إليه، وكذا حول العراقيل التي قد تعترضهم في مجتمعهم المضيف.

لقد بينت التحريات الميدانية التي قمنا بها، أن استقرار المهاجرين في بلد ما لمدة من الزمن قبل الانتقال إلى البلد الذي تمّ الاستقرار فيه بشكل نهائي هو أمر طبيعي بالنسبة إلى أشخاص مثل اللبنانيين الذين يوجدون في مختلف أنحاء العالم، بحيث يقدر عددهم مع المتحدرين منهم في المهاجر بعدة ملايين، كما بينت التحريات نفسها، الأهمية التي تمثلها لدى هؤلاء المهاجرين، العودة إلى أرض الوطن إما للإقامة الدائمة أو فقط للزيارة. وقد اعترف بعضهم والذين قضوا أكثر من عقد من الزمن من دون زيارة بلدهم، أن عدم قيامهم بذلك يعود إلى تخوفهم من «عدم التعرف على لبنان»، بعد هذه السنوات الطويلة التي قضوها بعيداً عنه، وبخاصة أن أصدقاءهم وأقاربهم تركوا هذا البلد كذلك للاستقرار في جهات مختلفة من العالم منذ اندلاع الحرب الأهلية. وبجانب هذه الفئة، هناك قلة قليلة - وبخاصة من بين الذين نجحوا في تحسين وضعيتهم الاجتماعية - قامت بزيارة وطنها الأصلي، أو غطت تكاليف سفر أقاربها الموجودين في الوطن والذين جاءوا لزيارتها.

وبخلاف مواطنيهم الذين ينتمون إلى ما أسميناها بـ «الهجرة القديمة»، وبعضهم سبقهم إلى الهجرة بحوالي قرن من الزمن، لم يمارس المهاجرون المنتمون إلى «الهجرة الحديثة» التجارة المتجولة. وقد عمل حديثو العهد بالوصول منهم في المحلات التجارية لمواطنيهم، أو فتحوا محلات تجارية صغيرة استقلوا بها. من جانب آخر، وبالرغم من أن بعضهم تمكن من تسوية وضعيته إقامة في الباراغواي، فإن عدداً منهم لا يتوافر حتى الآن على بطاقة الإقامة، وهم يسعون جاهدين إلى تسوية وضعيتهم القانونية.

خامساً: التقييم العددي للهجرة العربية إلى الباراغواي

تجعل طبيعة المصادر الإحصائية، إمكانية ضبط عدد المتحدرين من المهاجرين القدماء، وكذا عدد المنتمين إلى «الهجرة الحديثة» المقيمين حالياً في الباراغواي أمراً صعباً. تكمن هذه الصعوبة في المعايير الغامضة، التي اعتمدت في الماضي تسجيل المهاجرين بحسب جنسيتهم؛ ففي إحصاءات السكان للمرحلة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين، وهي المرحلة التي وصل فيها إلى الباراغواي المنتمون إلى «الهجرة القديمة»، أدرج العرب في الخانات المخصصة لـ «جنسيات مختلفة».

ويسمح ما يوجد من معطيات حول المهاجرين في مختلف المصادر الإحصائية، بأخذ فكرة عن الثقل العددي الذي مثله الأجانب بشكل عام في الباراغواي منذ بداية عهد الهجرة حتى اليوم.

الجدول رقم (٥ - ١)
عدد الأجانب في الباراغواي ما بين الأعوام، ١٨٧٢ - ١٩٧٩

الفترة	مجموع الأجانب
١٨٧٢ - ١٨٩٩	١٠,٥٥٥
١٩٠٠ - ١٩٠٩	٧,١١٥
١٩١٠ - ١٩١٩	٦,٣٠٦
١٩٢٠ - ١٩٢٩	٣,٤٩٥
١٩٣٠ - ١٩٣٩	٢٠,١٤٥
١٩٤٠ - ١٩٤٩	٧,٥٥٢
١٩٥٠ - ١٩٥٩	١١,٦٧٠
١٩٦٠ - ١٩٦٩	١٠٢,٢٩٥
١٩٧٠ - ١٩٧٩	٤٧,١٣٧

المصدر: *Migraciones laborales en América Latina: Diagnóstico demográfico*, estudios demográficos y jurídicos de la migración internacional, en los países miembros de la OEA, 10 vols ([Washington, DC]: Organizacioin de los estados americanos (OEA), [1983]-1995).

يبين الجدول رقم (٥ - ١) أن هجرة الأجانب إلى الباراغواي كانت متقطعة. وبخصوص هجرة العرب، فإن المعطيات المتوافرة تشير الاهتمام بالمراحل المتأخرة فقط، ذلك لأنه في الماضي أدرج العرب في خانات «جنسيات مختلفة» كما سلف ذكره، وكانت تضم الأقليات المهاجرة مجتمعة. ولن تظهر معطيات إحصائية خاصة بالعرب إلا في نهاية ثمانينيات القرن العشرين، غير أن هذه، وكما يبرز لنا الجدول رقم (٥ - ٢)، لا تعكس بدقة الأهمية العددية للهجرة العربية إلى الباراغواي.

الجدول رقم (٥ - ٢)
المهاجرون العرب في الباراغواي بحسب أصولهم الجغرافية
ما بين الأعوام، ١٩٨٩ - ١٩٩٢

البلد	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢
لبنان	١٠٦	٦١	١٣٢	٥٠٠
سوريا	٢	٣	٩	١٢
السعودية	-	-	١	-

Dirección general de estadística, encuestas y censos (DGEEC), 1992.

المصدر:

يبين الجدول رقم (٥ - ٢) أن حجم الهجرة اللبنانية تضاعف خمس مرات في أربع سنوات، كما يبين أن سنة ١٩٩٠، عرفت دخول أقل عدد من المهاجرين العرب، الذين وصلوا إلى الباراغواي ما بين عام ١٩٨٩ وعام ١٩٩٢.

الجدول رقم (٥ - ٣)

العرب الحاصلون على بطاقة الإقامة بحسب الجنسية، ١٩٩٩ - ٢٠٠١

البلد الأصلي	١٩٩٩			٢٠٠٠			٢٠٠١		
	الرجال	النساء	المجموع	الرجال	النساء	المجموع	الرجال	النساء	المجموع
الأردن	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر
لبنان	٣٢	٣	٣٥	٤	صفر	٤	صفر	صفر	صفر
سوريا	٣	صفر	٣	٢	١	٣	١	صفر	١
مصر	١	صفر	١	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر	صفر
المغرب	صفر	صفر	صفر	٢	٢	صفر	صفر	صفر	صفر

المصدر : DGEEC, [Fernando de la Mora, Paraguay]: *Paraguay total: Resultados preliminares* (2003), p. 54.

يبين الجدول رقم (٥ - ٣) أن المرحلة الممتدة ما بين ١٩٩٩ و ٢٠٠١ عرفت تراجعاً واضحاً في عدد العرب الذين دخلوا الباراغواي من أجل الاستقرار الدائم.

كخلاصة حول هذه النقطة، نسجل نقصاً كبيراً في المعطيات الإحصائية المتعلقة بالعرب في الباراغواي، كما نسجل عدم توافر العديد من المنتمين إلى «الهجرة الحديثة» على بطاقة الإقامة الدائمة بل وحتى على بطاقة الإقامة المؤقتة، وهو ما حال، وبسبب عدم معرفتنا بعددهم، دون إدراجهم ضمن المهاجرين الذين يتحدث عنهم الجدولان الثاني والثالث. وتفرض الوضعية القانونية التي يوجدون فيها، تصنيفهم ضمن من يقيم في المنطقة الحدودية على التراب البرازيلي. ومع ذلك، وكما أوضحنا سالفاً، يمكن الحديث إذا ما أضفنا إلى هؤلاء من يتوافرون على بطاقة الإقامة، عن حوالي عشرة آلاف عربي في منطقة بارانا العليا، كلهم ينتمون إلى هذه «الهجرة الحديثة». أما مجموع العرب في جميع أنحاء الباراغواي، فإن تقديرات المهاجرين وضمنها تلك التي قدمها لنا القنصل الفخري لسوريا في الباراغواي، وفي غياب إحصاءات ذات صدقية، تجعلهم حوالي ٥٠,٠٠٠.

سادساً: المؤسسات العربية في الباراغواي

مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، احتل الحلفاء سوريا ولبنان بعد فصلهما عن الإمبراطورية العثمانية. خلال تلك المرحلة وبالضبط في ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٩ سترى النور جمعية الاتحاد السوري، وهي أول مؤسسة خيرية أنشأها المهاجرون السوريون واللبنانيون في الباراغواي. وبحكم عدم وجود تمثيل قنصلي لسوريا ولبنان في هذا البلد، اضطلعت الجمعية المذكورة بدور شبيه بدور القنصلية، في وقت لم يكن بالإمكان فيه التمييز بين السوريين واللبنانيين، لأن الجالية العربية كانت تشكل كتلة واحدة. وبجانب اهتمامها بما يقع في وطنها، اهتمت الجمعية بما كان يقع من أحداث سياسية في الباراغواي، وبخاصة أثناء حرب الشاكو العسكرية. وكان ممثلو الجاليات الأجنبية في الباراغواي، قد توصلوا إلى اتفاق يرمي إلى إنشاء ما سمي بـ «الفيلق المدني الأجنبي» والذي تلخصت مهمته في تقديم المساعدة للمستشفيات والجمعيات الخيرية، وكانت الجالية العربية ممثلة في هذا الفيلق بثلاثة مندوبين^(١٠).

بعد هذا التاريخ سترى النور جمعية الاتحاد اللبناني التي تأسست في العاصمة أسونسيون في ٢٨ نيسان/أبريل ١٩٤٢. هذه الجمعية لا زالت موجودة إلى اليوم على غرار النادي السوري الذي تأسس في العاصمة كذلك سنة ١٩٤٤ والذي يعدّ اليوم أهم نادٍ عربي في الباراغواي. وبحسب قانونه الأساسي، يسعى النادي إلى تحقيق اندماج السوريين في الباراغواي، وتقوية الروابط الأخوية بين السوريين المقيمين في الباراغواي والمتحدرين منهم، وبين أبناء هذه الجمهورية، وتوفير الوسائل الثقافية ووسائل الترفيه لأعضائه، والسعي إلى تحسين صورة سوريا وسمعتها.

وقد أشرف النادي على الإجراءات المتعلقة بإنشاء أول تمثيل دبلوماسي سوري في الباراغواي، وهي الإجراءات التي بدأها منذ سنة ١٩٤٥ والتي كللت بفتح سفارة سوريا في هذا البلد عام ١٩٥٣. وسوف تسمح العلاقات المتينة التي كانت تربطه مع جمعيات سورية في بلدان أخرى في أمريكا اللاتينية، وبخاصة في الأرجنتين والبرازيل، بإنشاء اللجنة العامة العربية لمعاضدة فلسطين سنة ١٩٤٨ والتي جعلت من الأرجنتين مقراً لها.

Humberto Domínguez Dibb, *Presencia y vigencia arabes en el Paraguay* (Asunción: (١٠) [Editorial cromos], 1977), p. 16.

خلال هذه المرحلة نفسها، تحول النادي السوري إلى نقطة وصل بين المهاجرين العرب في الباراغواي وبين الوطن العربي. هذا الدور الذي أصبح يضطلع به، كان وراء زيارة مقره من طرف عدد من الساسة والدبلوماسيين العرب. وقد نظم النادي خلال ستينيات القرن العشرين، العديد من الأنشطة بالتعاون مع النادي اللبناني، والنادي العربي، والاتحاد السوري في الباراغواي، من بينها الاحتفال بعيد استقلال سوريا ولبنان والذي كان يتم في مقر النادي. ويكشف لنا التعاون القائم بين الجمعيات المذكورة، متانة العلاقات بين مختلف مكونات الجالية العربية. وسوف تشهد بداية السبعينيات توسيع فضاء النادي بإقامة مرافق جديدة من بينها ملعب رياضي تمّ الانتهاء من بنائه سنة ١٩٧٤، حيثُ أشرف على تدشينه رئيس الجمهورية آنذاك ألفريدو ستروسنير.

وسيضطلع النادي السوري كذلك بدور آخر، تمثل في تحوله إلى حلقة وصل بين فدراليات الجمعيات العربية «فياراب» (FEARAB) في الباراغواي والتشيلي والأرجنتين والأوروغواي، في مسعاها للتوصل إلى اتفاقيات تجارية بين البلدان المذكورة وبين البلدان العربية.

لقد نسقت الجمعيات التي أسسها العرب في أمريكا اللاتينية، الأعمال الخيرية التي قام بها المهاجرون في قراهم ومدنهم الأصلية، كمثل على ذلك نذكر تنسيقها في سبعينيات القرن العشرين، بين مهاجري «قرية محردة» السورية المقيمين في الباراغواي، وأبناء قريتهم المقيمين في الأرجنتين، لتشييد مستشفى في القرية المذكورة، فوضت إدارته إلى أسقفية الكنيسة الأرثوذكسية، وهي الديانة التي يدين بها أغلب مهاجري الباراغواي الذين قدموا من محردة.

وبجانب المؤسسات ذات الطابع الاجتماعي، أنشأ المهاجرون المنتمون إلى هذه «الهجرة القديمة»، مؤسسات ذات طابع ديني في السنوات الأخيرة، نذكر من بينها المركز الإسلامي الذي تأسس سنة ١٩٩١، ولم يكن يضم في بدايته أكثر من مئة شخص، والمركز الخيري الثقافي الإسلامي في العاصمة أسونسيون سنة ١٩٩٩ والذي أصبح تابعاً له بعد مدة قصيرة من تأسيسه، ومسجد خالد بن الوليد في المدينة نفسها، والمركز الإسلامي الموجود في مدينة إنكارنسيون. وينضوي المركز الخيري الثقافي الإسلامي تحت لواء منظمة المؤتمر الإسلامي، ويشرف على أموره الدينية شيخ مصري. ومن بين الأنشطة التي يضطلع بها، هناك تعليم اللغة العربية، ومبادئ الديانة الإسلامية.

وبخصوص المؤسسات ذات الطابع الاقتصادي، تأسست مؤخراً في مدينة

أسونسيون الغرفة التجارية الباراغواتية العربية التي يديرها رجل الأعمال محمد رحال، وتتمثل أهدافها في دعم التبادل التجاري بين الباراغواي والبلدان العربية، والتعريف بالإمكانيات الاقتصادية لهذه البلدان في الباراغواي، وتسهيل التواصل بين المؤسسات الاقتصادية العربية والباراغواتية، والإشراف على مساهمة المؤسسات التي تنضوي تحت لوائها في بورصة القيم، إضافة إلى إعداد بنك معطيات حول الأوضاع السوسيو - اقتصادية للبلدان العربية^(١١).

وتختلف المؤسسات المنتمة «للهجرة القديمة» من حيث طبيعتها وخصوصياتها عن تلك المنتمة إلى «الهجرة الحديثة»، بحيث إن التابعة لهذه الأخيرة أحدثت زمناً، كما إنها تتمركز في جلها في منطقة بارانا العليا وبخاصة مدينة «ثيوداد ديل إيستي» التي استقر فيها أغلب العرب المنتمين لهذه «الهجرة الحديثة». ويجب التنبيه بخصوص المؤسسات التي أنشأها هؤلاء، إلى أنها لم تقم على أساس الانتماء الجغرافي للمهاجرين، وإنما على أساس انتمائهم الديني والثقافي. ومن بين المؤسسات الدينية التي ينضون تحت لوائها نذكر مسجد النبي محمد الواقع وسط مدينة «ثيوداد ديل إيستي» والذي شيد منذ أقل من عقد من الزمن، والمركز العربي الإسلامي الباراغواي، الذي أسسه عام ١٩٨٨ تاجر لبناني يدعى حسين تحين^(١٢). وقد جعل المركز المذكور من بين أهدافه تسهيل اندماج الجالية المسلمة بمنطقة بارانا العليا. ويشرف عليه في الوقت الحاضر سعيد تحين وهو قريب مؤسسه، بينما يتولى أموره الدينية شيخ قادم من الهند. ويسعى المركز إلى استقطاب المسلمين ليس من العرب فقط، وإنما من باكستانيين وهنود وباراغوايين اعتنقوا الإسلام.

وبحكم أن المهاجرين العرب يتنقلون بشكل دائم في هذه المنطقة الحدودية، بين مدينة «ثيوداد ديل إيستي» الباراغواتية، ومدينة «فوث دي إغواثو» البرازيلية، فقد تأسس في هذه الأخيرة كذلك مسجد مهم، يؤمه باستمرار المسلمون المقيمون بـ «ثيوداد ديل إيستي».

وبخلاف المتحدرين من «الهجرة القديمة» والذين انصهروا ثقافياً في المجتمع الباراغواي، وبالتالي لم يعد لهم كبير اهتمام باللغة العربية، لا زال المنتمون «للهجرة الحديثة»، يولون أهمية كبرى لهذه اللغة، بحيث أنشأ مهاجرون لبنانيون عام ١٩٩٦، مدرسة عربية تابعة للجمعية الخيرية لـ «بارانا العليا»، يديرها في الوقت الحاضر

Alejandro Hamed Franco, *Los Arabes y sus descendientes en el Paraguay: Un Largo recorrido* (١١) *histórico* ([Paraguay]: Arandurá editorial, [2002]), p. 192.

(١٢) سبق وتولى رئاسة الغرفة التجارية لمدينة «ثيوداد ديل إيستي» التي تأسست عام ١٩٨٥.

مهاجر يدعى وحيد إبراهيم الزين، سبق له وأن عمل أستاذاً للغة العربية في إسبانيا، وهو يقيم منذ عشر سنوات في ثيوداد ديل إيستي. وقد تبين لنا من خلال زيارتنا لهذه المدرسة ومن الاستجابات التي أجريناها مع مديرها وأساتذتها، أنها من أنشط المؤسسات التي أنشأها من ينتمي «للهجرة الحديثة».

والجمعية الخيرية لـ «بارانا العليا» التي تعتبر المدرسة سالفة الذكر من بين فروعها، يرأسها أحد قدماء المهاجرين العرب، يدعى أبو سالم، وهو يقيم في أمريكا اللاتينية منذ حوالي خمس وأربعين سنة، حيث استقر لمدة من الزمن في البرازيل قبل أن ينتقل إلى الباراغواي. وبجانب تبعيتها للجمعية المذكورة، تشكل المدرسة العربية جزءاً من مركز ثقافي يوجد في بناية تضم إضافة إلى المدرسة، بناء يستعمل كمسجد للصلاة وكفضاء لأنشطة دينية أخرى من بينها إحياء المآتم. والمدرسة معترف بها من طرف وزارة التربية والثقافة الباراغواتية، لكنها لا تتلقى أي دعم مادي من طرف الحكومة، وإنما تتولى مصاريفها الجالية العربية في هذه المنطقة. ويصل عدد تلاميذها إلى حوالي ٣٧٠، يتلقون تعليماً متكاملًا، يعتمد إضافة إلى العربية، وهي اللغة التي تدرس بها المواد الأساسية، كلاً من الإسبانية والإنكليزية. ومن المواد التي يتم تلقينها، هناك مادة الأخلاق الدينية التي يتم الاعتماد في تدريسها على مقررات المجلس الشيعي الأعلى. وتتكون هيئة التدريس من أستاذات لبنانيات مهاجرات مرّ على وصولهن إلى الباراغواي ما بين سنتين وثمان سنوات.

كان وراء فكرة إنشاء هذه المدرسة، راهب كاثوليكي ينتمي إلى قرية قريخا، دخل بعد فترة وجيزة من وصوله إلى «ثيوداد ديل إيستي»، في اتصالات مع رواد الجالية العربية المنتمين إلى «الهجرة القديمة» من أجل هذه الغاية. وسوف يتلقى الدعم من أهم التجار العرب في المدينة، كما حصل على قطعة أرضية من سلطات المدينة لإنجاز المشروع. وبعد ثماني سنوات على ظهور الفكرة، - وكان صاحبها قد توفي - عرف المشروع بعض التحول، حيث أصبح المعني الأساسي بالمدرسة من ينتمي إلى «الهجرة الحديثة»، وجلّهم من المسلمين.

لقد وعى المهاجرون العرب المنتمون إلى «الهجرة الحديثة» والمقيمون في منطقة «بارانا العليا» أهمية المدرسة العربية، والدور الذي تضطلع به. والحقيقة أن المدرسة نجحت في فرض نفسها كمرجع للتربية العربية في مدينة ثيوداد ديل إيستي، وهي تعمل على التأقلم مع خصوصيات ساكنة غير مستقرة؛ ذلك لأن التلاميذ اعتادوا على التنقل مع عائلاتهم بين هذه المدينة الباراغواتية، وبين مدينة فوث دي إغواثو البرازيلية، التي أصبحت المدرسة العربية فيها، تقبل التلاميذ الذين بدأوا دراستهم

في مدرسة ثيوداد ديل إيستي، كما تقبلهم بعض مدارس الوطن مثل مدرسة المصطفى في لبنان بعد اجتيازهم امتحان القبول.

وتعطينا المدرسة العربية في ثيوداد ديل إيستي من جهة أخرى، فكرة عن التحول الطارئ في توجه الجمعيات العربية في الباراغواي؛ فالمؤسسات التي أنشأتها «الهجرة القديمة» والتي يوجد أغلبها في العاصمة أسونسيون، قامت على أساس جنسية المهاجرين وانتمائهم الجغرافي، في حين قامت الجمعيات التي أنشأتها «الهجرة الحديثة» على أساس مشاريع ثقافية ودينية وسياسية وتربوية، ويقول مدير المدرسة العربية في ثيوداد ديل إيستي في هذا السياق: «إن الانتماء إلى وطن واحد ليس برابط قوي يربط بين الأشخاص، بحيث يمكن أن نتحدث مع شخص ما حول اللغة أو حول حكايات قديمة وقصص قديمة، لكن ذلك ينتهي في خمس عشرة دقيقة». ونظن أن هذا الخطاب الذي يجعل من العنصر الديني - الثقافي محوراً للارتباط بين الأشخاص، وليس الانتماء إلى وطن واحد، يفسر قلة الاختلاط، وقلة العلاقات المؤسساتية، وقلة الاندماج، بين «الهجرة القديمة» و«الهجرة الحديثة».

سابعاً: الاندماج الاقتصادي للجالية العربية في الباراغواي

فضل العرب منذ وصولهم إلى الباراغواي، الاستقرار في المراكز الحضرية وممارسة التجارة. وقد عملوا في البداية كباعة متجولين يتنقلون بين مختلف أرجاء البلاد، مستعملين في ذلك الخيول ووسائل نقل أخرى متواضعة. ولضمان التواصل مع زبائنهم، لم يتعلموا الإسبانية فحسب، بل «الغوارانية» أيضاً، وهي اللغة التي يتكلمها هنود الباراغواي. وسوف يمرّ العرب من مرحلة التجارة المتجولة إلى مرحلة التجارة المستقرة، بعد عدة عقود على بداية هجرتهم، بحيث نسجل ما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٤٠ فتح أولى محلاتهم التجارية والتي سيعقبها إقبال بعضهم على الاستثمار في الصناعة.

عرفت الباراغواي خلال خمسينيات القرن العشرين نمواً اقتصادياً بطيئاً جداً، ناجماً عن جمود البنية السوسيو - اقتصادية. يتعلق الأمر باقتصاد ضعيف الإنتاج يعتمد على القطاع الأول، وعلى تكنولوجية بدائية لا تسمح بتكوين يد عاملة مؤهلة إلا بشكل محدود. وسوف تعاني البلاد من جراء ذلك من وضعية تضخم، فرضت نهج سياسة جديدة ترمي إلى توسيع الاستثمارات العمومية، وإنشاء البنى التحتية، وتحقيق استقرار العملة الوطنية، وتنظيم وضبط استخلاص الضرائب. وقد سجل العقد الموالي نوعاً من الديناميكية الاقتصادية، سمحت بتحسين الوضع نسبياً، غير أن ذلك لم يكن كافياً لتغيير البنى الاقتصادية التي استمرت معتمدة على القطاع الفلاحي إلى

غاية السبعينيات. ولن يسجل نمو اقتصادي ملموس إلا في عقد الثمانينيات، وبالضبط منذ عام ١٩٧٥ عندما تمّ تحديث بعض القطاعات الفلاحية، وتطوير بعض قطاعات الصناعة الخفيفة، واستقدام وسائل التكنولوجيا الغربية، وجلب بعض الرساميل الأجنبية، إضافة إلى إنشاء سدين لتوليد الكهرباء من طرف شركات دولية في كُُلّ من إيتابوا ويثيريتا^(١٣).

ومن بين القطاعات الاقتصادية التي مستها هذه التحولات، هناك صناعة النسيج التي كان للعرب المنتمين إلى «الهجرة القديمة» استثمارات مهمة فيها^(١٤)، وكذا صناعات أخرى استثمر فيها العرب، مثل الخشب، والأرز، والخرف، والتبغ، والصناعات المعدنية، والصابون الذي أنشأت عائلة عربية معملاً لإنتاجه في مدينة كونسيبسيون خلال المرحلة نفسها التي عرفت فيها البلاد هذه التحولات الاقتصادية. وقد استثمر العرب كذلك في بعض القطاعات الفلاحية المرتبطة بالصناعة، مثل زراعة كروم العنب المرتبطة بإنتاج الخمر، وزراعة أعشاب الماتي (Mate).

ومن الأمور المتعلقة بالاقتصاد كذلك والتي كان للمهاجرين العرب مساهمة فيها، نشوء نوع من التعاون الاقتصادي بين الباراغواي والوطن العربي، ذلك لأنه بفضل الدور التنسيقي الذي يقوم به النادي السوري، وقعت الباراغواي اتفاقيات تجارية مع بعض البلدان العربية أولها مع مصر سنة ١٩٧٧، بحيث سمحت الاتفاقية بقيام تبادل تجاري أهم عدداً من منتوجات البلدين^(١٥). في السياق نفسه، ويهدف تدعيم التبادل التجاري بين الباراغواي والبلدان العربية، أنشئت الغرفة التجارية الباراغواتية العربية التي لا تزال موجودة إلى اليوم. وبموازاة ذلك تمّ إنشاء فرع الباراغواي لفدرالية الهيئات العربية في أمريكا «فياراب» التي تأسست عام ١٩٧٣ في الأرجنتين والتي لها فروع في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية. وتتلخص أهداف فرع الباراغواي في: «توحيد الجاليات العربية والمتحدرة من أصول عربية في أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية في فدرالية واحدة، من أجل القيام بأنشطة ثقافية

Migraciones laborales en América Latina: Diagnóstico demográfico, vol. 6: *Las migraciones laborales en Paraguay*.

(١٤) ساهم المنتمون إلى الهجرة الحديثة في تكريس الحضور الاقتصادي العربي، وبخاصة في منطقة بارانا العليا. وبحسب الإحصاءات الرسمية، سلمت للعرب في هذه المنطقة ٢,٥٠٠ رخصة تجارية كما سلف ذكره، مثيرة للاهتمام في قطاع النسيج وقطاعات تجارية أخرى.

(١٥) بمقتضى الاتفاقية أصبح بإمكان الباراغواي تصدير عدة منتوجات إلى مصر من بينها الخشب، واللحوم، والتبغ، وأعشاب الماتي، والقهوة، والزيت النباتية، والنسيج القطني، والقصب، وبعض أنواع الفواكه. انظر: Domínguez Dibb, *Presencia y vigencia arabes en el Paraguay*, p. 70.

واقتصادية وإعلامية ومهنية ورياضية وسياحية مشتركة، إضافة إلى المساهمة في دعم التقارب بين العالم العربي والباراغواي، من دون التدخل في القضايا ذات الطابع السياسي، والديني والعرفي^(١٦).

ثامناً: الحضور الاجتماعي للعرب في الباراغواي: الاندماج والهوية

اعتمدنا في هذا المحور على خطاب المهاجرين وتصريحاتهم، سواء تلك التي ركزت على المؤسسات التي أنشأوها، أو تلك التي تتحدث عن تجربتهم الشخصية كمهاجرين، وهنا كذلك وجب التمييز بين واقعين مختلفين، يهم الأول «الهجرة القديمة»، ويهم الثاني «الهجرة الحديثة».

بالنسبة إلى المجموعة الأولى، نجد أنفسنا غالباً أمام حالة «اندماج فعلي»، بمعنى أنه وبعد مرور أكثر من مئة سنة على بداية الهجرة، أصبح الأمر وكما تؤكد تصريحات المعنيين، يتعلق باندماج تام في المجتمع الباراغواي. والواقع أن خصوصيات المؤسسات التي أنشأتها هذه المجموعة، ومعظمها في العاصمة أسونسيون، وكذا المساهمة الفعالة التي تضطلع بها في مختلف مظاهر الحياة المهنية في العاصمة، تؤكد لنا وبجلاء نجاح مسلسل قبولها من طرف المجتمع المضيف. وللإشارة، لا زال يوجد في العاصمة أسونسيون عدد من العائلات التي تتحدر من أوائل المهاجرين، وهي تتمتع بوضعية اقتصادية متينة، بحيث لها ثقل اقتصادي على الصعيد الوطني برمته.

وكما يؤكد تصريح يعود إلى نهاية سبعينيات القرن العشرين، أدلى به أحد المشرفين على النادي السوري في أسونسيون كان يشغل في الوقت نفسه منصب القنصل الفخري لسوريا في الباراغواي: «لم يجد السوريون صعوبة للاندماج في البيئة الباراغواتية، وقد كونوا عائلات محترمة، ودخل أبناؤهم الجامعة التي تخرجوا منها كأطباء، ومهندسين، وكيميائيين، وعلماء اقتصاد، وأطباء أسنان، وضباط جيش، وصحافيين، وأطر عليا في مجالات علمية وإبداعية أخرى»^(١٧).

وينحو ما أخذناه من تصريحات المشرفين الحاليين على النادي السوري المنحى نفسه بخصوص اندماج العرب، ومساهماتهم في ما عرفته الباراغواي من تنمية. ومما نقرأه في أحد هذه التصريحات: «توجد صناعة النسيج الوطنية الحديثة في الوقت

(١٦) من النصوص المنظمة لـ «فياراب الباراغواي»، انظر: المصدر نفسه، ص ٨٩-٩٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص ١٨.

الحاضر بيد السوريين الذين يمتلكون كذلك أفخم البنايات التي أعطت للعاصمة رونقاً خاصاً»^(١٨).

ويحاول الذين يتبنون هذا الخطاب، إقناع الرأي العام الباراغواي بأن أهداف السوريين ومصالحهم لا تتعارض مع المصلحة العامة للباراغواي، وأنهم يعيدون استثمار أرباحهم داخل البلاد. يقول أحدهم: «لم يتم إخراج ما حصل عليه السوريون من أموال بطريقة شريفة من الباراغواي، بل استثمرت برمتها داخل البلاد، سواء في الصناعة أو في تشييد العمارات، ذلك لأن السوريين استقروا بصفة نهائية في الباراغواي التي غرسوا فيها جذورهم، والتي يكون لها التقدير والحب نفسيهما الذي يكونه لبلدهم الأصلي»^(١٩).

لقد سمحت مساهمة عرب «الهجرة القديمة» في الحياة السياسية الباراغواتية، بتولي عدد منهم لمناصب سياسية على درجة من الأهمية منذ مرحلة مبكرة نسبياً، بحيث نعثر سنة ١٩٢٠ على متحدر من أصل لبناني يشغل منصب رئيس شركة الطاقة الكهربائية بمدينة كازبا (Caazapa). وسوف يشغل بعد ذلك متحدر من عائلة لبنانية معروفة هو بدر رشيد، مناصب مهمة داخل الحزب الملون، من بينها منصب رئيس الحزب الذي جمع بينه وبين منصب عضو في مجلس الشيوخ. وتتنمي إلى العائلة نفسها ليلي رشيد التي شغلت هي الأخرى مناصب سياسية من بينها منصب نائبة وزير الخارجية، وسفيرة الباراغواي في الأرجنتين والولايات المتحدة. ومن بين المتحدرين من أصل عربي أوسفالدو دومينغيز ديب (Osvaldo Domínguez Dibb)، الذي شغل مناصب سياسية بارزة، كما رشح عدة مرات لاستحقاقات انتخابية عن الحزب الملون.

وبخلاف شهادات وتصريحات المنتمين إلى «الهجرة القديمة» والذين يتحدثون عن «اندماج فعلي»، لا تنم تصريحات المنتمين إلى «الهجرة الحديثة» عن اندماج مشابه. وهذا يعود لأسباب متعددة أولها، أن طبيعة هجرتهم تختلف عن طبيعة الهجرة القديمة؛ وثانيها، أن هؤلاء المهاجرين لم يحصلوا إلى حد الآن على الاعتراف نفسه الذي حصلت عليه «الهجرة القديمة» من طرف المجتمع الباراغواي، ويصرح عدد منهم في هذا السياق أن هجرتهم هي في طور وضع الأسس لتحقيق ذلك؛ وثالثها، (وهذا عنصر في غاية الأهمية) أنهم عرفوا في السنوات الأخيرة موجات تمييز وإقصاء ورفض في منطقة «الحدود الثلاثية» التي يستقرون بها، وبخاصة في مدينة ثيوداد ديل إيستي.

(١٨) المصدر نفسه.

(١٩) المصدر نفسه.

وفي تصريح يعود إلى سنة ١٩٩٦ أدلى به حسين تخين، وهو مهاجر لبناني حلّ في الباراغواي سنة ١٩٧٠، وترأس لمدّة اثنتي عشرة سنة الغرفة التجارية لثيوداد ديل إيستي، لا تتجاوز نسبة الباراغواتيين المنتمين للطبقتين الوسطى والدنيا الذين لهم مواقف رافضة للعرب ٢٠ في المئة، وبحسب التصريح نفسه، يعلم الباراغواتيون أن المهاجرين العرب، وعلى بعد البلاد التي قدموا منها واختلاف عاداتها عن عاداتهم، يُشبهونهم إلى حدّ بعيد من حيث أحاسيسهم الدينيّة، ذلك لأنّ العرب أناس متدينون مثلهم، ومعتقداتهم الدينيّة لا تختلف كثيراً عن معتقداتهم. ويضيف التصريح ذاته أن الباراغواتيين يعتبرون العرب أناساً خيرين عمليين. وفي تصريح آخر من عقد التسعينيات، لمهاجر يدعى محمد ناصر، وهو من أهمّ التجار العرب في ثيوداد ديل إيستي، يشير إلى أن الباراغواتيين يعون أن العرب على غرارهم يناضلون ويطلبون بالحقوق المهضومة للبلدان النامية، وأن هذه القناعة المشتركة تساهم في خلق نوع من التضامن بين العرب والباراغواتيين^(٢٠).

إلى غاية منتصف تسعينيات القرن العشرين، كان خطاب قادة الجالية العربية في منطقة الحدود الثلاثية بخصوص الاندماج المرتقب بين عرب تلك المنطقة وبين الباراغواتيين يبعث على الأمل، بل ذهب هذا الخطاب إلى حدّ التأكيد أن الممارسات العنصرية ضدّ العرب هي في طريق الاختفاء. لكن خلال السنوات الخمس الأخيرة وقعت مستجدات يمكن اعتبارها معرقة لاندماج العرب في هذه المنطقة. وبالرغم من أن ذلك خلق رغبة لدى العرب في تدليل هذه العراقيل الطارئة، فإنه خلق لديهم كذلك نوعاً من القلق على مستقبلهم في المنطقة المذكورة.

أجرِيَتْ أثناء الزيارة التي قمت بها إلى ثيوداد ديل إيستي سنة ٢٠٠١، عدة استجابات مع مهاجرين عرب تحدّثوا من خلالها عن أحداث وقعت في السنوات الأخيرة، لعل أبرزها اغتيال حسين تخين سنة ١٩٩٩، وهو المهاجر اللبناني الذي قام بمجهودات كبيرة من أجل تنظيم أوضاع الجالية العربية وتمثيلها في مختلف المحافل، وكان عضواً فاعلاً في لجنة الحدود الثلاثية، وكذا في المركز الإسلامي الباراغواي. وقد فضح وندد، وهو الرجل النشيط في المجتمع المدني الباراغواي، بوجود «إرهابيين عرب إسلاميين» في المنطقة. والحقيقة أن جرأته تلك، أكسبته شعبية كبيرة حيثُ عرضت عليه عدة أحزاب الانضمام إليها من أجل ترشيحه لتولي مناصب مهمة على المستوى المحلي، من بينها منصب عمدة مدينة ثيوداد ديل

Hamed Franco, *Los Arabes y sus descendientes en el Paraguay: Un Largo recorrido histórico*, (٢٠) p. 26.

إيستى. وبحسب بعض الذين استجوبناهم، خلفت وفاته حزناً عميقاً لدى الجالية العربية، وبخاصة أن الشرطة الباراغواتية لم تكشف أبداً من يقف وراء عملية الاغتيال. واعترافاً بما أسداه للمدينة من خدمات، وضع له نصب تذكاري يتحدث عنه كـ «شهيد ناضل من أجل مدينة أفضل»، وأطلق المجلس البلدي للمدينة اسمه على أحد شوارعها، كما تقرر الاحتفال كل سنة في ذكرى وفاته بـ «يوم الأخوة العربية - الباراغواتية».

لقد أصبحت الصحافة المحلية والدولية تتحدث باهتمام كبير عن منطقة «الحدود الثلاثية»، كما كان يأوي «خلايا وتنظيمات لها علاقة بالإرهاب الإسلامي»، وهذا ما صعّد من موجة الرفض للمهاجرين العرب الذين يقيمون في المنطقة وأغلبهم من المسلمين، وبالتالي عرقل مسلسل اندماجهم.

ولتقييم اندماج الجالية العربية حديثة الهجرة في مدينة ثيوداد ديل إيستي، ربما يكون من المفيد قياس درجة تفاعلها ليس فقط مع الباراغواتيين، وإنما كذلك مع الجاليات الأخرى المقيمة في المنطقة، ومن أهمها الجاليتان الصينية والكورية الجنوبية، وهذا ما حاولنا رصدّه أثناء وجودنا في ثيوداد ديل إيستي. في هذا السياق أخبرنا وحيد الزين وهو مدير المدرسة العربية في المدينة، وأحد أبرز وجوه الجالية العربية فيها، أن علاقة العرب مع الجاليات الأجنبية تقتصر على التعامل في المجال الاقتصادي وأساساً في التجارة. وهذا صحيح إلى حد بعيد، بحيث من الصعب وجود علاقة بين العرب وبين الصينيين والكوريين تتجاوز الجانب الاقتصادي إلى الجانب الشخصي.

وفي ما يتعلق بطبيعة العلاقة مع الباراغواتيين، أخبرنا عدد ممن استجوبناهم أنها أقوى من تلك الموجودة مع الصينيين والكوريين، وأن ذلك ساهم فيه وجود حالات زواج مختلط بين مهاجرين عرب ونساء باراغواتيات. وكانت ساكنة المنطقة من الباراغواتيين تواجه بالرفض حالات الزواج المختلط هذه، بل وتميل إلى تهيمش واحتقار النساء اللواتي يتزوجن من عرب ينتمون إلى «الهجرة الحديثة»، لكن وبحسب شهادة من استجوبناهم، ساهم تزايد أعداد العرب الذين يتزوجون باراغواتيات (١٥) في المئة من حالة زواج العرب في المنطقة هي من باراغواتيات) وبشكل تدريجي في تسهيل عملية الاندماج، وبخاصة بعد أن أثمرت حالات الزواج هذه أبناء يعتبرون باراغواتيين، ويتقاسمون هموم بقية أبناء المجتمع الباراغواتي. وتتوافق معطيات إحصائية صدرت منذ وقت قريب حول نسب زواج الأجانب بنساء باراغواتيات، مع ما أكدته الحوارات التي أجريناها مع المهاجرين العرب في هذه المنطقة.

الجدول رقم (٥ - ٤)

عدد حالات الزواج المختلط بين باراغواتيين وأجانب عام ٢٠٠١

المجموع	من دون تحديد	زواج أجانب بـ		زواج باراغواتيين بـ		الشهر
		أجانب	باراغواتيين	أجانب	باراغواتيين	
١٧,٩٥٠	٢	٥٣٧	٨٨٠	٣٩٤	١٦,١٣٧	كانون الثاني/يناير - كانون الأول/ديسمبر

المصدر: *Censo 2001* (Fernando de la Mora, Paraguay: DGEEC, [2002]), p. 53.

المصدر:

من جانب آخر نسجل أن مساهمة المهاجرين العرب في المجتمع المدني الباراغواتي، وكذا في التنظيمات السياسية في منطقة بارانا وضمنها ثيوداد ديل إيستي محدودة جداً، إذا ما استثنينا بعض المؤسسات مثل الغرفة التجارية العربية الباراغواتية. كما إنهم لا يتوافرون على تنظيمات سياسية خاصة يمكن أن تمثلهم، بل وليس لهم لحد الآن، بحسب ما أكد لنا بعض المشرفين على الجمعية الخيرية لـ بارانا العليا التي تضم بالأساس مهاجرين لبنانيين، علاقات قارة مع الأحزاب السياسية الباراغواتية^(٢١) أما سبب هذا القصور في التواصل، فهو أن المجتمع المدني الباراغواتي لا زالت هيكلته السياسية في طور التكوين بعد سنوات من الحكم الديكتاتوري. وبخلاف هذه الوضعية، وبحسب شهادة عدد من الذين استجوبناهم، يقيم العرب الذين لهم أهداف ذات طابع ديني، علاقات شخصية مع بعض المسؤولين السياسيين المحليين الذين يمكن أن يمددوا لهم يد المساعدة لإنشاء مساجد ومراكز دينية.

وبخصوص تقييم المجتمع الباراغواتي للجالية العربية في منطقة بارانا، أكد لنا بعض المستجوبين، وهم من أعضاء الجمعية الخيرية لـ بارانا العليا، أن هناك فئة من السكان تنظر بشكل إيجابي إلى مساهمة العرب في الحياة الاقتصادية، أساساً في المجال التجاري، على اعتبار أن ذلك يعود بالفائدة على المنطقة وساكنتها، غير أن هناك فئة أخرى تنظر بشكل سلبي إلى المهاجرين بشكل عام بمن فيهم العرب، على اعتبار أنهم يحرمونهم من فرص شغل هم أحق بها منهم.

نخلص إلى القول حول هذا المحور، إن موجة التهميش والرفض التي تستهدف ومنذ عدة سنوات الجالية العربية المنتمية إلى «الهجرة الحديثة» في منطقة «الحدود الثلاثية»، تمثل ضربة قوية لمسلسل اندماج هذه الجالية.

(٢١) من الحوار الذي أجريناه مع عدد من أعضاء الجمعية، في شهر أيار/مايو ٢٠٠١.

تاسعاً: صورة نمطية وتمييز عنصري : الصحافة الدولية والجالية العربية في منطقة «الحدود الثلاثية»

أصبحت الجالية العربية المستقرة في منطقة «الحدود الثلاثية» مستهدفة بما يقع من نزاعات دولية، وهي تتعرض إلى اتهامات من طرف الصحافة ومصادر أخرى تؤكد كلها وجود مجموعات «أصولية» بين مكونات هذه الجالية. وقد صعدت هذه الجهات من حدة اتهاماتها بعد وقوع أحداث عنف، وبخاصة بعد اغتيال أحد الزعماء الرئيسيين للجالية العربية في المنطقة كما مرّ بنا.

إن تأثر الجالية العربية في المنطقة بالنزاعات التي تعرفها الساحة الدولية، يجبرنا على تحليل قضية الهوية لدى مختلف المجموعات البشرية التي تكونها، فالتعريفات المتباينة التي تقدمها هذه المجموعات لهويتها، والخطاب الذي تبناه والذي يوجد في حالة ديناميكية مستمرة، يرغمنا أكثر من أي وقت مضى على التخلي عن تلك الصورة التي تجعل من الجالية العربية مجموعة متجانسة لها غاية واحدة؛ تتمثل في تحقيق الاندماج بمجتمعها المضيف.

لقد أصبحت قضية هوية المهاجرين العرب في منطقة «الحدود الثلاثية»، تثير جدلاً ساهمت فيه وبشكل فعّال وسائل الإعلام، التي تنتج خطاباً يكرس تهميش هؤلاء المهاجرين وإقصاءهم. وقد كان لوقوع مجموعة من الأحداث الدولية، دور في تبلور مسلسل الرفض والتمييز العنصري ضدّ العرب في مدينة ثيوداد ديل إيستي. نذكر من بين هذه الأحداث تفجيرين في الأرجنتين المجاورة ضدّ الجالية اليهودية؛ استهدف الأول الذي وقع سنة ١٩٩٢ سفارة إسرائيل في بوينس آيريس، واستهدف الثاني الذي وقع سنة ١٩٩٤ جمعية التعاضد الإسرائيلية في المدينة نفسها، وخلفت العمليتان ما لا يقل عن ١٢٠ قتيلاً.

وقد سارت التحريات القضائية في العمليتين بإيقاع بطيء، ولم تقدم بعد مرور عدة سنوات على وقوعهما توضيحات شافية، كما لم يتم التحقيق إلا مع بعض أفراد الشرطة الفدرالية الأرجنتينية، وذلك بتهمة إخفاء بعض الأدلة وتحريف بعض الحقائق. والواقع أن ما نشرته الصحافة في الموضوع، وضمنه تصريحات بعض الموظفين الحكوميين الأرجنتينيين، أضر بسمعة المسلمين الشيعة في الأرجنتين، وبخاصة بعد أن تمّ الحديث عن «تورط إيراني»، في شخص الملحق الثقافي للسفارة الإيرانية في بوينس آيريس محسن رباني الذي اضطر إلى ترك البلاد بعد الاتهامات التي وجهت إليه. ويطالب في الوقت الحاضر بعض القضاة الأرجنتينيين من خلال الإنتربول، بإيقاف اثنين وعشرين مواطناً إيرانياً، من بينهم الملحق الثقافي سالف

الذكر والذي كان يشرف أثناء وجوده في بوينس آيريس على أحد مساجد المدينة (مسجد التوحيد). وقد ردت الجالية الشيعية باستمرار على هذه الاتهامات، مؤكدة على براءة رباني، ومذكرة بغياب الأدلة بخصوص ما تذهب إليه الصحافة وبعض الموظفين الأرجنتينيين من اتهام للحكومة الإيرانية.

إن ما يلفت الانتباه بخصوص هذه التفجيرات، أن صداها وانعكاساتها القوية على العرب لم تسجل في مكان وقوعها (أي الأرجنتين)، وإنما في منطقة «الحدود الثلاثية» وبالتحديد في مدينة ثيوداد ديل إيستي الباراغواتية، وما ساهم في ذلك عدم استبعاد جهاز المخابرات الأرجنتيني (SIBE) أن تكون المتفجرات التي استعملت في العمليتين أرسلت من هذه المنطقة، وكذا عدم استبعاده تورط عدد من التنظيمات الإسلامية في التفجيرات، من بينها تنظيم الجهاد الإسلامي الذي كان يوجد في منطقة «الحدود الثلاثية» عدد من ناشطيه. وقد أكدت الصحافة الأرجنتينية والباراغواتية في أكثر من مناسبة، أن مصدر هذه الاتهامات هو الحكومة الأرجنتينية التي ذكرت أن منطقة «الحدود الثلاثية» تحولت إلى بؤرة «للحركات الإسلامية المتطرفة».

وبعد تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ التي استهدفت مركزي التجارة العالمية في نيويورك، عادت منطقة «الحدود الثلاثية» وعلى رأسها ثيوداد ديل إيستي إلى احتلال مكان بارز في الصحف الأرجنتينية والباراغواتية الأكثر انتشاراً، بل وفي الصحافة الدولية أيضاً، في وقت بدأ فيه الحديث عن إرسال دعم مادي من عرب ثيوداد ديل إيستي إلى التنظيمات الإسلامية في الشرق الأوسط، وكذا الحديث عن وجود «خلايا نائمة» في المنطقة، مرتبطة بتنظيمات إرهابية دولية. والواقع أن تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر لم تكن مسؤولة فقط عن الأضرار التي لحقت بسمعة العرب في الباراغواي، بل ترجمت أحياناً على أرض الواقع من خلال عمليات اعتقال استهدفت مهاجرين لبنانيين، سوف يطلق سراهم بعد ذلك، عندما تبين عدم وجود أية أدلة تدينهم.

لقد بدأت بعض المجلات الأمريكية التي لها ارتباط بحكومة الولايات المتحدة مثل *المجلة العسكرية (Military Review)* الصادرة عن مكتب الدراسات العسكرية الخارجية، بنشر مقالات حول ثيوداد ديل إيستي منذ بداية سنة ٢٠٠٢، تعتبر فيها المدينة بمثابة بؤرة جديدة للإرهاب الدولي^(٢٢)، كما تعتبر المهاجرين العرب في الباراغواي أعضاء محتملين في التنظيمات المتطرفة. وتستدل المجلة المذكورة على ذلك باعتقال تاجر لبناني في ثيوداد ديل إيستي في شهر شباط/فبراير سنة ٢٠٠٠ اسمه علي

Military Review (Fort Leavenworth, Kan.), vol. 82, no. 2 (March-April 2002).

(٢٢)

خليل مهري بتهمة «ارتباطه بتنظيم حزب الله الإرهابي». غير أن التهمة الموجهة إلى الشخص المعني والتي كانت وراء اعتقاله، هي قيامه بشكل غير قانوني بنسخ مجموعة من الأقراص المدججة (Compact Discs).

وقد نشرت المجلة نفسها في تشرين الثاني/نوفمبر من السنة نفسها، ومعها بعض الصحف الصادرة في ثيوداد ديل إيستي، خبر اعتقال مواطن فلسطيني يدعى صلاح عبد الكريم ياسين بتهمة «التهديد بوضع قنبلتين في سفارتي الولايات المتحدة وإسرائيل في عاصمة الباراغواي أسونسيون»، لكن التهمة الرسمية التي وجهت إليه والتي أعتقل بسببها، كانت حمله لوثائق شخصية مزورة ودخوله الباراغواي بشكل غير قانوني.

وبخصوص الصحافة الأرجنتينية، فقد بدأت تكرر فيها، منذ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ عناوين من قبيل «إيقاف جماعي للعرب في الأرجنتين»^(٢٣)، وهي عناوين لأخبار تتحدث عن عملية الاعتقال التي كان يتعرض لها العرب في ذلك البلد. وسوف تمتد عدوى هذه الاعتقالات إلى الجارة الباراغواي، حيث تعرض للحجز في ٢٢ أيلول/سبتمبر المذكور، عشرون من العرب السوريين واللبنانيين والأردنيين الذين يمتنون التجارة في مدينة إنكارناسيون. وقد تمّ عقب ذلك نقلهم إلى العاصمة أسونسيون، غير أنهم وبعد أن قضوا مدة غير طويلة قيد الحجز أطلق سراحهم. وفي تشرين الأول/أكتوبر من السنة نفسها اعتقلت الشرطة في ثيوداد ديل إيستي، لبنانيين هما حسام صالح وصالح فياض، وبررت الاعتقال بانتماهما إلى «حزب الله»، على الرغم من أن التهمة التي وجهت إليهما هي دخول البلاد بجوازي سفر مزورين^(٢٤).

ومن بين المقالات الأخرى التي لها علاقة بالموضوع والتي نشرتها الصحافة الأرجنتينية، ذاك الذي ظهر في صحيفة *كلارين* (Clarín) واسعة الانتشار والذي استندت فيه إلى تقرير لجهاز المخابرات الأرجنتينية. قالت الصحيفة إن الجهاز المذكور بعث بنسخ منه إلى جهازي المخابرات الأمريكية والإسرائيلية عام ١٩٩٩، وأضافت استناداً إلى التقرير نفسه، أن بعض رجال المخابرات الأرجنتينية كانوا يحضرون اجتماعات بعض المسلمين المقيمين في منطقة «الحدود الثلاثية»، وكان من بين أهدافهم إلقاء القبض على المصري سيد حسن حسين مخلص الذي: «تدرب في أفغانستان وهو عضو في الجماعة الإسلامية ومنتهم بالمشاركة في العملية الإرهابية التي عرفتها الأقصر، وفي العمليتين الإرهابيتين اللتين عرفتهما الأرجنتين». ودائماً

La Nación, 22/9/2001.

(٢٣)

Military Review, vol. 82, no. 2 (March-April 2002).

(٢٤)

بحسب الصحيفة المذكورة، سمحت التحريات بإلقاء القبض عليه في الباراغواي في شباط/فبراير ١٩٩٩، حيث بدأت الإجراءات القانونية لتسليمه إلى الأرجنتين^(٢٥).

وبجانب هذه المقالات، بدأت الصحف الأرجنتينية بالمطالبة بتكثيف المراقبة على العرب المقيمين في منطقة «الحدود الثلاثية»، ومن بين تلك التي ألحت في مطلبها هذا، نذكر صحيفة لا ناسيون (La Nación) المحافظة والتي خصصت مجموعة من افتتاحياتها للموضوع. وكانت هذه الصحيفة قد اعتبرت في أحد أعدادها الصادرة في أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، مدينة ثيوداد ديل إيستي منطقة مليئة بالجواسيس، وفي المقالة نفسها، تنتقد الصحيفة غياب التنسيق بين أجهزة المخابرات الدولية الموجودة في المدينة والتي تذكر من بينها أجهزة المخابرات الأرجنتينية، والإسرائيلية، والألمانية، والإسبانية، والبرازيلية، والباراغواتية، إضافة إلى وكالة الاستخبارات الأمريكية. ودائماً بحسب لا ناسيون، تتفق كل هذه الوكالات الاستخباراتية على أن التجار العرب في المنطقة يساهمون بشكل فعال في تمويل العمليات الإرهابية من خلال ما يوفرونه لها من عملة صعبة. وتضيف الصحيفة أنه يوجد بين عرب ثيوداد ديل إيستي، «مجموعات راديكالية تنتمي إلى الجالية المسلمة»، وأن عدداً من أفراد هذه الجالية «هم متطرفون من الذين فروا من القتال الدائر في منطقة الشرق الأوسط»^(٢٦).

ومن دون شك فإن هذه الصورة التي تقدمها الصحافة، جعلت عرب الباراغواي ينطوون على أنفسهم، وبخاصة أولئك المنتمين إلى «الهجرة الحديثة» والذين بدأوا يتفادون الحديث، وكما بينت لنا الاستجابات التي أجريناها، مع كل شخص غير معروف لديهم، معلمين ذلك بملاحظتهم المستمرة من طرف الصحافة، وبتخوفهم من إصاق تهم باطله بهم.

وسوف يزداد الوضع حدّة بالنسبة إليهم منذ نهاية عام ٢٠٠١، على أثر الزيارة التي قام بها إلى الباراغواي فرانسيس تايلور (Francis Taylor) وهو مسؤول أمريكي رفيع المستوى، يشرف على سياسة مكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة، حل في الباراغواي للإشراف على تنظيم ندوة في موضوع «الاحتياطات اللازم اتخاذها لتفادي الإرهاب الدولي والجريمة المنظمة في منطقة الحدود الثلاثية». وهي الندوة التي حضرها رئيس الجمهورية الباراغواتية، إضافة إلى عدد من الشخصيات البارزة التي قدمت من البلدان المجاورة. وكان موقف الولايات المتحدة واضحاً أثناء اللقاء

Daniel Santoro, «Las Huellas de Bin Laden que la SIDE encontró en la Triple Frontera.» (٢٥) Clarín, 16/9/2001.

«Ciudad del Este est llena de espías.» La Nación, 23/9/2001.

(٢٦) انظر :

بخصوص عرب الباراغواي، حيث عبر عنه تايلور في محاضرتة التي ألقاها يوم ٢٠ كانون الأول/ديسمبر والتي جاء فيها: «ليس سراً أن أكثر من خمسة عشر ألف شخص من الذين يعيشون في هذه المنطقة (يقصد منطقة الحدود الثلاثية)، هم مهاجرون جاءوا من لبنان وفلسطين وسوريا، وإنني أهنئهم على المجهودات التي قاموا بها من أجل تحقيق تلاحق ثقافي هنا؛ وليس سراً كذلك أن أغلب سكان منطقة الشرق الأوسط، مهّد الديانات السماوية يدينون بالإسلام، وهذا شيء رائع، أهنئ عليه حكومات هذه البلدان التي تؤمن وتسمح بحرية الأديان».

بعد هذه المقدمة يعبر تايلور عن الموقف الأمريكي الرسمي من الموضوع إذ يقول: «لكن الذي ليس برائع، وهذا نستدل فيه بالمعلومات المتوافرة لدى قوات حفظ الأمن وضباط المخابرات في البلدان المذكورة، هو أن تستخدم تنظيمات إسلامية متطرفة مثل حزب الله وحماس والجماعة الإسلامية، منطقة الحدود الثلاثية، كقاعدة خلفية لدعم الإرهاب. وإن أقل ما يمكن أن نقوله بخصوص هذه النقطة التي تشغلنا، هو إن بعض سكان منطقة «الحدود الثلاثية»، وكما أكدت الأدلة المتوافرة لدينا، يشاركون في عدة أنواع من الجريمة المنظمة. لقد علمنا، من خلال التعاون الوثيق الذي لنا مع قوات حفظ الأمن الباراغواتية، أن هناك عناصر من حزب الله في منطقة «الحدود الثلاثية» يمارسون التهريب وتزوير الوثائق وتبويض الأموال»^(٢٧). وأضاف المسؤول الأمريكي أن «الخلايا المحلية للإرهاب» يمكنها أن تساهم في عمليات إرهابية دولية مثل العمليات التي شهدتها الأرجنتين.

لقد ترك الجدل الذي أطلقته الصحافة حول الحضور العربي في منطقة الحدود الثلاثية، صداه وسط الجالية العربية التي بدأت، كذلك من خلال الصحافة، تندد بما اعتبرته حملة معادية لها، لكن الأمر لم يكن يتعلق كما أوضح أحد مستجوبينا، بحملة مضادة منظمة من طرف هذه الجالية، وإنما فقط بمبادرات فردية حاولت تنفيذ ما يروج عن العرب. ومع ذلك يمكن الحديث عن خطة نهجتها الجالية العربية، لمواجهة عملية الإقصاء هذه، وتتمثل في نشر مجموعة من الأخبار، وإجراء مجموعة من الحوارات مع الصحافة الدولية، تتحدث عما يثيره ما ينشر عن هذه الجالية في الصحافة المذكورة، من بلبلة واضطراب بين مكوناتها^(٢٨)، وتفضح حملة التخويف التي أصبح عرب منطقة «الحدود الثلاثية» عرضة لها. وقد أجمعت الحوارات على أن عملية استهدافهم من طرف

(٢٧) نشرت عدد من سفارات الولايات المتحدة في بلدان أمريكا اللاتينية، نصّ المحاضرة في نشراتها الخاصة، تحت عنوان «الردّ على الإرهاب».

(٢٨) Martín Koppel y Romina Green, «Pluchan contra caso amañado movilizaciones campesinas refuerzan lucha contra represión por el gobierno.» *Perspectiva mundial*, vol. 26, no. 8 (septiembre 2002).

الصحافة، بدأت بعد التفجيرات التي تعرضت لها المؤسسات اليهوديتان سالفتي الذكر في الأرجنتين، كما أكدت أن إنشاء الحكومة الباراغواتية لهيئة خاصة بمكافحة الإرهاب جاء بإلحاح من واشنطن. ومع ذلك اعترفت الحوارات نفسها بأن التجار العرب كانوا يضعون في محلاتهم التجارية حصّلات نقود صغيرة لجمع التبرعات لفائدة جمعيات خيرية إسلامية، وكان ينسق هذه العملية تاجر يدعى بركات. وسوف تتهم الهيئة الخاصة بمكافحة الإرهاب، التجار الذين يتكلفون بجمع هذه التبرعات بأنهم يرسلونها إلى تنظيمات إرهابية. على ضوء ذلك تمّ اعتقال المدعو بركات في التراب البرازيلي من منطقة «الحدود الثلاثية»، غير أنه أطلق سراحه بعد وقت قصير لغياب أدلة الإدانة ضده. ومنذ ذلك التاريخ والولايات المتحدة تطالب بتسليمه لها، غير أن ذلك لم يتم، لغياب اتفاقات في هذا الشأن بين البرازيل والولايات المتحدة.

إن ما تحدثت عنه وسائل الإعلام من وجود علاقة بين المهاجرين العرب والإرهاب، لم تعبر عن تحفظها بصدده إلا صحف قليلة أوردت آراء أفراد من الجالية العربية حول الموضوع، وذلك بالرغم من الاحتجاجات المتكررة للناطقين باسم الجالية ضدّ هذه الحملة. ويمكن أن نورد من بين هذه الاحتجاجات، ما صرح به ميخائيل مسكين، القنصل الفخري السوري في ثيوداد ديل إيستي الذي أكد أن: «الانتهامات التي توجهها الولايات المتحدة لعرب المنطقة، جعلت هؤلاء يعيشون حالة ذهول، بل حالة خوف؛ فقد تغيرت الأمور بالنسبة إلى الجميع، وبخاصة بالنسبة إلى العرب». وفي ما يتعلق بموجة الاعتقالات التي طالت المهاجرين العرب، أضاف مسكين: «إن الطريقة التي يعتقلون بها الأشخاص تثير الانتباه، فقد أوقفوا الكثيرين الذين تبين في ما بعد أنهم أبرياء، والذين بقوا مدة طويلة رهن الحجز. ولإظهار أن الصحيح ليس هو ما يروج ضدهم، وفي الوقت نفسه إزالة الخوف من نفوسهم وإعادة الطمأنينة إليهم، كان علينا أن نبذل مجهودات كبيرة، والواقع أن السلطات المحلية قدمت لنا كل أنواع الدعم لتحقيق ذلك»^(٢٩).

وسيعاضد بعض المثقفين الباراغواتيين المهاجرين العرب ضدّ ما كتبه الصحافة، من بين هؤلاء عالم الاقتصاد رونالدو بينر (Ronaldo Penner) الذي يهتم بدراسة الحركة التجارية في منطقة «الحدود الثلاثية»، والذي صرح بما يلي: «شكل ما حدث بعد ١١ أيلول/سبتمبر ضربة قوية للجالية العربية التي أحست لأول مرة أن هناك من يلاحقها، وهنا أود الإشارة إلى أن العديد من العرب المقيمين في ثيوداد ديل إيستي هم أنفسهم الذين يقيمون في مدينة فوث دي إغواثو البرازيلية، وأن العديد من الأسماء

«Ciudad del Este, falsa imagen o realidad?» (BBC Mundo, 5 septiembre 2002).

(٢٩)

العائلية التي نجدها في ثيوداد ديل إيستي، تتكرر في ريو دي جنيرو، وساو باولو، وفوثن دي إغواثو. وهذا ما جعل العرب يحسون بالملاحقة في كل هذه المناطق. ولعل من نتائج هذه الوضعية أن أصبح لهم وعي بذاتهم». ويضيف بينر: إن هذه الصورة السلبية التي رسمت حول العرب في ثيوداد ديل إيستي خلقت لديهم مزيداً من الرغبة لتحقيق الاندماج في المجتمع المضيف. ويقول عن ذلك: «أظن أنه بعد كل هذا أصبح العديد من العرب في ثيوداد ديل إيستي يحسون أنهم في بيوتهم». إلا أنه، ودائماً بحسب المصدر نفسه، «إذا كانت سمعة الباراغواي سيئة في الخارج، فسمعة ثيوداد ديل إيستي، وبسبب ما روج عن العرب، هي أسوأ مما هو عليه الأمر بالنسبة إلى بقية البلاد»^(٣٠).

هذه الأمور لم تمس فقط العلاقات بين المهاجرين العرب وبين سكان المنطقة من الباراغوايين، وإنما أدت إلى تراجع عدد السياح الأجانب الذين يزورونها، لأن ما نشرته الصحافة حول الموضوع خلق نوعاً من البلبلة بصدد مدى توافر الشروط الأمنية اللازمة لضمان سلامة السياح.

وكما سلف ذكره، كان رد فعل الجالية العربية تجاه كل هذا ديناميكياً وإيجابياً، وهذا ما لمسناه أثناء زيارتنا لثيوداد ديل إيستي؛ فبالرغم من تحفظ البعض على إجراء حوارات معنا، فإن الأغلبية عبرت عن استعدادها للتعاون، وبالتالي المساهمة في نحو تلك الصورة السلبية التي عممتها الصحافة الدولية. ولتحقيق الغاية نفسها، تم إنشاء ما سمي بـ «حركة السلام من دون حدود» التي تسعى إلى تحسين الصورة السلبية والتي أصبحت لصيقة ليس بالعرب فحسب، وإنما بالمنطقة برمتها على المستوى الدولي.

خاتمة

تمت الهجرة العربية إلى الباراغواي عبر مرحلتين يفصل بينهما قرن من الزمن تقريباً، وهما هجرتان مختلفتان من حيث الانتماء الديني والثقافي، ومن حيث طبيعة الممارسة الاقتصادية، وكذا من حيث درجة الاندماج بالمجتمع المضيف.

لقد أنشأ أولئك الذين يمثلون «الهجرة القديمة» - أغلبهم من المسيحيين -، وعلى امتداد مراحل وجودهم في الباراغواي، مؤسسات قامت على أساس الانتماء الجغرافي لوطن واحد. وسمح النجاح الاقتصادي الذي حققه العديد منهم في العاصمة أسونسيون والذين بدأوا حياتهم كباعة متجولين، لبعض المتحدرين منهم ابتداءً من الجيل الثاني، بالإشراف على مؤسسات صناعية أو محلات تجارية كبرى،

(٣٠) المصدر نفسه.

كما سمح للبعض الآخر، وبخاصة من المنخرطين في الحزب الملون، بتولي مناصب سياسية رفيعة.

بخلاف ذلك أقام المنتمون إلى «الهجرة الحديثة» - أغلبهم من المسلمين -، مؤسساتهم بدرجة أولى على أساس ديني أو ثقافي، وليس على أساس الانتماء الجغرافي لوطن واحد. وتحظى القضية الفلسطينية باهتمام خاص من قبلهم، وبخاصة أن العديد منهم ينتمون إلى المناطق التي احتلتها إسرائيل في فلسطين. ونعثر في منطقة «الحدود الثلاثية» على منظمات وكذا على مهاجرين يتعاطفون مع الجمعيات الخاصة بمعاودة الشعب الفلسطيني. ولا زال معظم هؤلاء المهاجرين الجدد يستعملون العربية كلغة تواصل، وقد أنشأوا لتلك الغاية، وكذا للحفاظ على الدين الإسلامي، مؤسسات تربوية خاصة.

وكما مرّ بنا، وجهت الصحافة الدولية اتهامات إلى عرب بارانا العليا، ذهبت إلى حدّ الحديث عن وجود علاقة بينهم وبين العمليات الإرهابية التي عرفتها الأرجنتين ومناطق أخرى، وهذا ما أثر سلباً في مسلسل اندماجهم في المجتمع المضيف، وفي الوقت نفسه قلل من التواصل بينهم وبين من يشكل الهجرة العربية القديمة.

مراجع إضافية

Book

Mendoza, Raúl A., Domingo M. Rivarola y G. Heisecke. *Población, urbanización y recursos humanos en el Paraguay*. 2da ed. [Asunción]: Centro paraguayo de estudios sociológicos, [1970].

Periodicals

Hamed Franco, Alejandro. «Cinco siglos de presencia cultural árabe en el Paraguay.» *Revista de la cultura del mediterráneo*: vols. 15-16, nos. 56-57, 1996.

Montenegro, Silvia M. «Discursos e contradiscursos: O olhar da mídia sobre o Islã no Brasil.» *Mana: Estudos de antropologia social* (Rio de Janeiro): vol. 8, no. 1, abril 2002.

These

Montenegro, Silvia Maria. «Dilemas identitários do islã no Brasil.» (Tese de doutoramento, universidade federal do Rio de Janeiro, instituto de filosofia e ciências sociais, Brasil, 2000).

الفصل الساوس

الجاليات العربية في الأرجنتين

سيلفيا مونتينيغرو

تقع جمهورية الأرجنتين جنوب خط الاستواء بأقصى جنوب أمريكا اللاتينية، وتمتد على مساحة ٣,٧٥٧,٤٠٧ كلم^٢. يخرقها من الجهة القارية مدار السرطان، وتتميز بتنوع مناخي كبير، يتدرج من مداري حار في أقصى الشمال إلى قطبي في أقصى الجنوب. تقسم البلاد من الناحية الإدارية إلى ٢٣ ولاية، وتبلغ ساكنتها ٣٦ مليون نسمة، وهي ساكنة متنوعة الأعراق، تضم بالإضافة إلى المتحدرين من أصول هندية (تمت إبادة أغلبهم إبان مرحلة الاستعمار الإسباني)، أولئك الذين يتحدرون من أصول أجنبية مختلفة والذين يرتبطون جينياً بموجات المهاجرين الذين توافدوا على البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

أولاً: إشكالية دراسة الأرجنتين كبلد للهجرة

كما يشير إتيان باليبار (Etienne Balibar)، تميل كل أمة منذ بداية تكوينها إلى خلق مجتمع طبقي^(١)، غير أن هذه القاعدة ليست ثابتة، بحيث تتغير بتغير نموذج الأمة وبخاصة بتغير المفهوم الذي للنخب عن هذا النموذج. إن القيام بـ «إنتاج شعب ما»، أو جعل هذا الشعب ينتج نفسه كمجموعة بشرية منتمية لبلد واحد، هو مثار جدال لا نهاية له في بلد مثل الأرجنتين، اعتمد في تكوينه بدرجة أولى على المهاجرين، وهكذا تفرض نفسها تساؤلات من قبيل: ما هي الصفات الموحدة للمجموعات البشرية التي يمكن أن تشكل شعباً واحداً؟ أو ما هي العناصر التي يجب التركيز عليها لإيجاد مشروع تكوين أمة واحدة؟

وبخلاف بلدان مثل ألمانيا وفرنسا والمكسيك والتي تضم سكاناً أصليين إضافة إلى مهاجرين كانت لهم مساهمة في إعادة تشكيل البنية البشرية للبلاد، تتكون البنية البشرية للأرجنتين، وعلى غرار الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، بشكل شبه كامل من الأجانب. ذلك لأن المجتمع الأرجنتيني يستند في تكوينه إلى الهجرة الأجنبية،

Etienne Balibar, «The Nation Form: History and Ideology,» in: Etienne Balibar and (١) Immanuel Wallerstein, *Race, Nation, Class: Ambiguous Identities*, translation of Etienne Balibar by Chris Turner (London; New York: Verso, 1991).

التي أصبحت منذ القرن التاسع عشر عنصراً أساسياً في مشروع البناء الوطني^(٢). هذه الخصوصية شكلت المنطلق لكل دراسة حول ظاهرة الهجرة إلى هذا البلد، إذ تمّ على ضوءها، ومن زوايا مختلفة، مناقشة قضايا من قبيل مسلسل الاندماج، والانصهار، والتهميش، والهوية الوطنية التي تعتبر من التعقيد، بحيث لا زالت مطروحة حتى اليوم مع المهاجرين، وكذا مع الأرجنتينيين المتحدرين منهم، بسبب اختلاف الأصول الجغرافية لهؤلاء المهاجرين، وكذا بسبب اختلاف الثقافات التي حملوها معهم والتي نقلوها إلى أبنائهم.

جعلت الحكومات التي تولت السلطة في البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سياسة تشجيع الهجرة الأجنبية من بين أولوياتها، وهذا ما نلمسه في دستور عام ١٨٥٣. وقد تم سنة ١٨٧٠ إطلاق مشاريع مُنحت من خلالها عدة امتيازات للمهاجرين، وبخاصة القادمين من شمال ووسط أوروبا. وسوف تصدر خلال هذه المرحلة مجموعة من القوانين المنظمة للهجرة، أهمها قانون عام ١٨٧٦ الخاص بـ «الهجرة والاستيطان» والذي يحدد من الناحية القانونية، الصفات التي يجب أن تتوافر في من يحلّ في البلاد من الأجانب، أساساً القادمين من بلدان ما وراء البحار. ويقول القانون المذكور عن المهاجر ما يلي: «تطبق وضعية مهاجر، بمقتضى هذا القانون على كلّ أجنبي مهنته مياوم أو فلاح أو صانع أو أستاذ، يقل عمره عن ستين سنة، ثبتت حسن سيرته وقدرته العقلية والجسدية، جاء إلى الجمهورية من أجل الإقامة واستعمل في سفره باخرة أو سفينة شراعية، وتكفلت بتكاليف سفره الدولة الأرجنتينية، أو ولاية من ولاياتها، أو شركة من الشركات الخاصة التي تهتم بأموال الهجرة والاستيطان».

وتقدم لنا الوثائق الرسميّة، النسب التالية بخصوص الأصول الجغرافية للمهاجرين الذين حلوا في الأرجنتين ما بين عام ١٨٧٦ وعام ١٩٢٧: الإيطاليون ٤٦,٢١ في المئة؛ الإسبان ٣٣,١٨ في المئة؛ الفرنسيون ٣,٣٢ في المئة؛ الروس ٣,١ في المئة؛ آخرون ١٩,١٤ في المئة (تمّ إدراج العرب ضمن هذه الفئة)^(٣).

لقد تبين من بعض الدراسات التي أنجزت في السنوات الأخيرة حول قضايا متعلقة بالهجرة، المشاكل التي تطرح عندما يتم اعتماد معطيات إحصائية لا تستند إلى

Enrique Oteiza, Susana Novick y Roberto Aruj, *Inmigración y discriminación, políticas y discursos*, 2da ed. (Buenos Aires: Trama editorial; Prometeo libros, 2000), p. 8.

Fernando Devoto, *Movimientos migratorios: Historiografía y problemas* (Buenos Aires: Centro editor de América Latina, 1992), p. 90.

مصادر رسمية، وإنّما إلى تقديرات باحثين مهتمين بالموضوع، حيث تضمنت هذه الدراسات أحياناً أخطاء فادحة^(٤). من هنا يتوجب القيام بتحليل نقدي لما تقدمه، وبخاصة إذا لم تُحل إلى الجهات التي استندت إليها في ما تورده من أرقام. ومن بين الهفوات التي وقعت فيها بعض هذه الدراسات، خلطها بين ما تقدمه من أرقام. لكن الملفت للانتباه هو أن عيوباً من هذا النوع، لم تُحل منها حتى السجلات الرسمية التي تتضمن معطيات إحصائية تمّ بلورتها بكيفية تجعلها أحياناً ناقصة، ولا تقدم صورة مضبوطة عن أعداد المهاجرين، وبخاصة مع وجود ما سمي بـ «الهجرة التلقائية» والتي تم مهاجرين دخلوا البلاد بشكل عفوي ومن دون استدعاء مسبق من طرف السلطات الأرجنتينية. ولا نعثر في الوثائق الرسمية الأرجنتينية على معطيات مضبوطة بخصوص أعداد الأجانب الذين دخلوا البلاد إلا ابتداءً من عام ١٩٢٠، مع صدور قوانين شددت المراقبة على الوافدين الجدد، وجعلت تسجيل كل من يصل منهم إلى الموانئ الأرجنتينية أمراً إجبارياً، بحيث بدأ استعمال استمارات خاصة تتضمن معلومات من قبيل ما ينوي المهاجر ممارسته كمهنة، وهل دخل البلاد عن طريق البحر أو عن طريق النهر؟ غير أنه حتى بعد ذلك التاريخ، لم يتم وضع تقييم عددي للوافدين وللمغادرين، ما كان سيسمح بأخذ فكرة عن نسب المهاجرين الذين يمكنون في الأرجنتين.

كانت الأهمية العددية للهجرة الأوروبية وراء إنجاز عدة أبحاث حولها، أخذت كنموذج الهجرة الإيطالية والإسبانية والفرنسية. وقد تناولت بالدراسة مواضيع تُهم مراحل هذه الهجرة، وحجمها، والجمعيات التي أسسها المهاجرون، وأهمية حضورهم وكذا حضور المتحدرين منهم في الحياة السياسية والاجتماعية الأرجنتينية. مقابل ذلك لم تلق هجرات أخرى، من بينها الهجرة العربية، إلا اهتماماً محدوداً؛ إذ لم تظهر أولى الأبحاث التي تناولت الموضوع إلا في ثمانينيات القرن العشرين. والواقع أن قلة الوثائق والمعطيات الإحصائية والتي تُدرج عادة العرب في خانات «آخرين» التي تم مهاجرين من جنسيات مختلفة، كانت من العوائق التي حالت دون إنجاز دراسات كمية حول هذه الجالية في الأرجنتين.

وعلى غرار سجلات دوائر الهجرة، لا تقدم أولى الإحصاءات الوطنية للسكان التي نظمت في الأرجنتين، معطيات واضحة عن المهاجرين العرب، فهي تدرجهم في العديد من الحالات في الخانات الخاصة بالأقليات والتي تحمل اسم «جنسيات مختلفة»، وهذا ما يحول من جهة دون معرفة عددهم، ومن جهة أخرى دون معرفة

H. Asdrubal y otros, «Registros del movimiento migratorio,» dans: *Inmigración y estadísticas en (٤) el cono sur de América*, serie inmigración; 6 (México: Instituto panamericano de geografía e historia, 1990).

البلدان العربية التي قدموا منها. ومع ذلك، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما تقدمه هذه الإحصاءات، نسجل تزايداً ملحوظاً في عدد العرب بحسب الإحصاء الوطني الثالث لسنة ١٩١٤، مقارنة بالإحصاء الوطني الثاني لسنة ١٨٩٥.

الجدول رقم (٦ - ١)

عدد الأجانب في الأرجنتين عام ١٩١٤ بحسب جنسيتهم

الجنسية	العدد
الألمان	٢٦,٩٩٥
الإسبان	٨٢٩,٧٠١
الفرنسيون	٧٩,٤٩١
الإنكليز	٢٧,٦٩٢
الإيطاليون	٩٢٩,٨٦٣
الأورغواتيون	٨٦,٤٢٨
جنسيات أخرى	٣٧٧,٧٨٢
مجموع الأجانب	٢,٣٥٧,٩٥٢
مجموع ساكنة البلاد	٧,٨٨٥,٢٣٧

المصدر: Tercer censo nacional, levantado el 1 de junio de 1914, 10 vols. (Buenos Aires: Talleres gráficos de L. J. Rosso, 1916-1919).

الجدول رقم (٦ - ٢)

عدد العرب في الأرجنتين عامي ١٨٩٥ و ١٩١٤

الجنسية	العدد	المصدر
الأتراك	٨٧٦	الإحصاء الوطني الثاني ١٨٩٥
المغاربة	٧٥	
المصريون	٣٩	
الجزائريون	٣٥	
العثمانيون	٦٤,٣٦٩	الإحصاء الوطني الثالث ١٩١٤
المغاربة	٨٠٢	
المصريون	١٣٠	
الجزائريون	١٢٥	

اعتبرت بعض الدراسات التقليدية الأرجنتين بلد الانصهار العرقي، وهذا ما تمّ تفنيده من طرف دراسات حديثة أبرزت التعدد الثقافي لهذا البلد والذي يرجع إلى تعدد الانتماءات الجغرافية والثقافية للمهاجرين. غير أن ما نسجله في هذه الدراسات الحديثة، هو تناولها ظاهرة الهجرة فقط من أجل فهم قضايا أكثر شمولية مثل قضية الهوية^(٥)، وعدم إعطائها أهمية كبيرة لبعض الهجرات مثل الهجرة العربية، مقارنة بهجرات أخرى مثل الأوروبية. ومع ذلك فإن من تناول منها موضوع العرب في الأرجنتين، تمكن من تقديم معلومات أولية مهمة، ومن ضبط بعض المفاهيم مثل من هم المقصودون بعرب الأرجنتين؟ وما هي انتماءاتهم الجغرافية؟ حيث تتفق الدراسات المذكورة على أن الأمر يتعلق بمهاجرين قادمين من سوريا، ولبنان، ومناطق أخرى كانت خاضعة في بداية القرن العشرين للإمبراطورية العثمانية. ومن القضايا التي نجحت هذه الدراسات في إمطاة اللثام عنها، التوزيع الجغرافي للعرب في الأرجنتين، وأسباب تفضيلهم الاستقرار في المدن، ومساهمهم المهني الذي بدأ بالتجارة المتجولة التي مارسها أغلب حديثي العهد بالهجرة في بداية القرن العشرين قبل أن يُقبلوا على فتح محلات تجارية. زد على ذلك، توقفت هذه الدراسات عند الجمعيات التي أسسوها، وكيف أنها لم تنشأ فقط انطلاقاً من أسس عرقية وثقافية.

بجانب كلّ هذا، ركزت هذه الدراسات الحديثة على مسلسل اندماج العرب في المجتمع المضيف، وتحدثت عن الاستعداد الذي كان لهم للأخذ ببعض مظاهر الثقافة الأرجنتينية مثل شرب الماتي (Mate)^(٦)، وتعلم اللغات الهندية، والتمكن من اللغة الإسبانية التي أصبحت اللغة الأم مع أبناء الجيل الثاني الذين شغل بعضهم مناصب سياسية بارزة بعد أن خاضوا غمار الممارسة السياسية. والواقع أن هذا الاستعداد لم يسمح فقط بنجاح مسلسل اندماج العرب، بل أيضاً بتحول هذا الاندماج إلى انصهار، وهذا ما جعلهم يساهمون في تكوين مجتمع متجانس ثقافياً^(٧).

لقد تحقّق اندماج العرب في كلّ المجالات الحيوية، وتمكّن المتحدرون منهم من البروز سياسياً وثقافياً وصناعياً. ولنفهم بشكل أعمق الكيفية التي تمّ بها هذا الاندماج، ربما يكون مفيداً التوقف عند ما كتبه بعض هؤلاء المتحدرين عن

Devoto, Ibid., p. 37.

(٥)

(٦) مشروب من أصل هندي، يحضر من أعشاب «الماتي»، له انتشار واسع في الأرجنتين والبرازيل والباراغواي، يشرب ساخناً في أكواب خاصة.

(٧) من أجل فهم أعمق لمصطلحي الاندماج والانصهار، يمكن العودة إلى: Graciela Malgesini y Carlos Giménez, *Guía de conceptos sobre migraciones, racismo e interculturalidad*, libros de la catarata; 108 (Madrid: Libros de la catarata, 2000).

جاليتهم؛ وعن موقفهم من المجتمع المضيف وما يعتبره البعض سياسة تهميش وإقصاء للعرب ناجمة عن أحداث دولية؛ وعن طبيعة العلاقة بين الجالية العربية وبقية الجاليات الأخرى، وهنا يجب أن ننبه إلى نقطة أساسية، هي أن تشبث كل مجموعة بشرية تحل في مجتمع ما بهويتها، وتبنيها خطاباً خاصاً بذلك، هو من العوامل التي تؤخر انصهارها في المجتمع المضيف.

لقد أنجز بعض هؤلاء المتحدرين مؤخراً دراسات متميزة حول الجالية العربية، تحاول إمطة اللثام عن عدد من القضايا سالفة الذكر، نذكر من بينها أعمال غلاديس خزامي (Gladys Jozami)^(٨) التي تناولت موضوع اندماج السوريين واللبنانيين وكذا الفلسطينيين والعراقيين في الأرجنتين، انطلاقاً من انتماءاتهم الدينية؛ حيث بينت أن اندماج هؤلاء منذ نهاية القرن التاسع عشر، اختلف باختلاف هذا الانتماء، إذ كان الاندماج أسهل لدى المسيحيين بطوائفهم المختلفة من أرثوذكس، وروم أرثوذكس، وموارنة، وكلدانيين، وبروتستانت، منه لدى المسلمين. غير أن هذا التباين في درجة الاندماج يتراجع مع المتحدرين، والسبب هو أن التشبث بالأصل العربي يتراجع لدى الجميع في مجتمع يقوم على أساس التنوع العرقي، وهذا في حد ذاته سهل للمتحدرين، بغض النظر عن انتمائهم الديني، الاختلاط ببقية مكونات المجتمع من خلال الزواج المختلط، ومن خلال دخول المدارس الأرجنتينية، بل وأحياناً من خلال اعتناق الديانة الكاثوليكية.

غير أن الاندماج الذي حققه العرب في الأرجنتين لم يكن يعني أن هويتهم في طريق الذوبان، وهكذا عادت في الوقت الراهن ونتيجة للأحداث الدولية التي عرفها العالم مؤخراً، هذه الهوية لتبرز من جديد بينهم، لكن بمفاهيم مختلفة، ذلك أن تسمية عدد منهم لمؤسساتهم بـ «العربية» ليس معناه أن المصطلح له الحمولة نفسها لديهم، وهذا ما يجعل هذه المؤسسات تتبنى خطابات متباينة بخصوص انتمائها العربي.

من خلال ما سلف ذكره، سنسلم في تحليلنا للموضوع بوجود مجموعات بشرية غير متجانسة، متعددة الخطاب حول الهوية، لكل منها جمعياتها الدينية ومنظماتها السياسية. وعلى ضوء هذا سنحاول البحث في الأسباب التي كانت وراء هجرة موجات كبيرة من العرب إلى الأرجنتين، والعوامل التي تحكمت في توزيعهم

Gladys Jozami, «Identidad religiosa e integración cultural en cristianos sirios y libaneses en (٨) Argentina (1890-1990),» *Estudios migratorios latinoamericanos* (Buenos Aires), vol. 9, no. 26 (abril 1994), p. 112.

الجغرافي، والجمعيات التي أسسوها، وحضورهم في الحياة السياسية والاقتصادية الأرجنتينية. كُـلّ هذا سنقوم به انطلاقاً من سلسلة حوارات أجريناها مع بعض البارزين في هذه الجالية من ساسة ودبلوماسيين وفنانين، قيّموا جميعاً حضور العرب في المجتمع الأرجنتيني، من خلال حديثهم عن الاندماج في هذا المجتمع، وكذا من خلال حديثهم عن النزاعات الدولية وانعكاساتها السلبية على صورة العرب في البلد المضيف.

ثانياً: المهاجرون العرب في الأرجنتين من التهميش إلى الاندماج

أطلق على المهاجرين العرب القادمين من الأراضي التابعة للإمبراطورية العثمانية لقب «توركوس» (أتراك)، وهو اللقب الذي جعل المجتمع يصنفهم في خانة خاصة. وكما تُبين بعض الدراسات، يظهر أن المجتمع الأرجنتيني وكأنه اكتشف حوالى سنة ١٨٨٩ وجود مجموعات بشرية جديدة أصبحت تشاطره البيئة الجغرافية التي يعيش فيها، والتي انضافت إليها تلك السنة أعداد كبيرة جداً من المهاجرين وصل عددهم إلى حوالى ٣٠٠ ألف، من بينهم ألفا عربي. وعلى الرغم من التباين الثقافي لهذه المجموعات البشرية التي قدمت من مختلف الأصقاع، فإن العرب اعتبروا من أعرب هذه المجموعات، أولاً، لانتمائهم إلى ثقافة مختلفة تماماً عن الثقافة الأرجنتينية، وثانياً، لممارستهم التجارة المتجولة بشكل جماعي، وهو ما جعلهم يلفتون انتباه بقية مكونات المجتمع.

كانت الأرجنتين خلال هذه المرحلة تحلم بمجيء من سموها بـ «المهاجرين المثاليين»، غير أن الذين وصلوها هم مهاجرون ليسوا كذلك تماماً في تقدير المجتمع، وبخاصة في تقدير الصحافة التي انتقدت سياسة الحكومة في مجال الهجرة، لعدم اتسامها بطابع انتقائي، ولعدم حرصها بما فيه الكفاية على استقدام المهاجرين الذين يرغبون في الاستقرار في المناطق الريفية، بدل الذين يفضلون المراكز الحضرية، ويحرصون على ممارسة أنشطة غير مفيدة للبلاد مثل التجارة المتجولة.

لم تحل هذه الحملات وما حملته من انتقادات، دون تزايد عدد العرب الوافدين على الأرجنتين خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، وهكذا ارتفع عددهم بحسب إحصاءات السكان، من ٨٧٠ مهاجر سنة ١٨٩٥ (من مجموع حوالى مليون مهاجر)، إلى ٦٠ ألف مهاجر سنة ١٩١٠^(٩). وأمام هذا التزايد، صدرت عدة قوانين

Liliana Ana Bertoni, «De Turquía a Buenos Aires: Una Colectividad nueva a fines del siglo (٩) XIX.» *Estudios migratorios latinoamericanos*, vol. 9, no. 26 (abril 1994).

معركة لدخول العرب إلى الأرجنتين، استمرّ العمل بها حتى نهاية عشرينيات القرن العشرين. ولم يكن يسمح لهم خلال هذه المرحلة، بالاستقرار في فندق المهاجرين في العاصمة بوينوس آيرس، بخلاف بقية المهاجرين القادمين من بلدان ما وراء البحار.

وبسبب حضورهم العددي المكثف، أصبحت كلمة «توركوس» رائجة في المجتمع الذي أعطاها بعداً قديماً، وقد دخل المصطلح إلى الأدب الأرجنتيني المكتوب وكذلك إلى الأدب الشفوي بهذه الصفة، ولا زال يستعمل إلى اليوم وإن فقد بعده القدحي^(١٠). وبسبب هذه التسمية، حملت الأحياء التي استقروا فيها اسم «الحيّ التركي» والذي كان يمتد في بداية القرن العشرين بالنسبة إلى مدينة بوينوس آيرس على مساحة مهمة شملت أربعة شوارع^(١١).

لقد بينت بعض الدراسات الحديثة، أن استعمال مصطلح «توركوس» في بعض الأعمال الأدبية التي صدرت في الماضي لم يكن استعمالاً صائباً، أولاً، لأن هذه الصفة رفضها المهاجرون العرب، وثانياً، لأنها لا تسمح بتحديد انتمائهم الجغرافي، وثالثاً، لأنها استعملت أحياناً، وهذا خطأ آخر، كمرادفات لتسميات مثل «قوازين» أو «شرق أوسطيين» أو «عرب» أو «أرمن» أو «مسلمين» أو «دروز» أو «منتمين إلى الجنس الأبيض»، وذلك على اعتبار أن كل هؤلاء جاءوا من الإمبراطورية العثمانية. وعلى الرغم من ما بذله المهاجرون العرب من مجهود ليشرحوا للمجتمع الأرجنتيني بعض الاختلافات الجوهرية من قبيل أن الأتراك ليسوا عرباً، وأن الأرمن ليسوا أتراكاً، وأن ليس كل العرب مسلمين، فإن هذا المجتمع لم يأخذ هذه الاختلافات بعين الاعتبار، واستمرّ الجميع بالنسبة إليه «توركوس»، لا يهمه ما يوجد بينهم من تباين ثقافي أو عرقي أو ديني، بل وحتى من نزاعات سياسية^(١٢). بناءً على ذلك، يمكن القول إن هذا المجتمع هو الذي فرض عليهم الهوية التي عرفوا بها. وبجانب تسمية «توركوس» استعملت في حقهم تسمية «عثمانيين»، على اعتبار أنهم قدموا بجوازات سفر عثمانية. وبالرغم من أن هذه التسمية لم تكن هي الأخرى معبرة، فإنها كانت أكثر قبولاً من طرف أوائل المهاجرين، من تسمية «توركوس».

(١٠) أصبح تقليداً في اللغة الشعبية إلى الوقت الحاضر، أن ينادى كل شخص يحمل اسماً عائلياً عربياً، وإن كان من الجيل الثالث، بلقب «توركو» مقروناً باسمه العائلي، لكن من دون أن يكون لهذا الاستعمال بعد تحقيري، كما كان الأمر في الماضي.

(١١) هي شوارع «لاريكونكيستا»، و«تشاركاس»، و«قرطبة»، و«الباراغواي».

(١٢) Ignacio Klich and Jeffrey Lesser, «Turco Immigrants in Latin America,» *Americas*, vol. 53, (١٢) no. 1 (July 1996), pp. 1-14.

ثالثاً: أسباب الهجرة العربية إلى الأرجنتين

بحسب التحقيب الذي نجده عند جرجي البستاني، بدأت الهجرة من سوريا ولبنان إلى العالم الجديد حوالي سنة ١٨٦٠، حيثُ قصدت بلداناً مثل الولايات المتحدة والبرازيل والأرجنتين والتشيلي، وقد اختلفت أسباب الهجرة بحسب المراحل التاريخية التي تمت فيها:

١ - المرحلة الأولى (١٨٦٠ - ١٩٢٠)

عرفت خلالها منطقة الشرق الأوسط، وبخاصة لبنان تزايداً ديمغرافياً مهماً في ظلّ وضعية اقتصادية جديدة، متمثلة في دخول النظام الرأسمالي إلى المنطقة، وهو ما سمح بحدوث تحسن في وسائل النقل، وفي الوقت نفسه في ظهور نشاط صناعي أثر سلباً في وضعية الصناع التقليديين وما يروجونه من منتوجات. وبموازاة مع ذلك تميزت سياسة الإمبراطورية العثمانية بكثير من الحيف، وبخاصة في حقّ العرب المسيحيين. وقد ساهم هذا وذاك في انطلاق مسلسل الهجرة الذي أثار بالدرجة أولى اهتمام المسيحيين، وهي هجرة غير قانونية كان الباب العالي يضع قيوداً عليها. ومع ذلك سيرتفع إيقاعها مع مرور الوقت، وبخاصة منذ عام ١٩١١، بعد تعميم الخدمة العسكرية الإجبارية عقب اندلاع حرب طرابلس. ومن الأسباب الأخرى التي كانت وراء تزايد إيقاع الهجرة، هناك النمو الديمغرافي الذي أصبحت معه الأراضي الفلاحية غير مؤهلة لتوفير القوت والعمل للجميع، إضافة إلى انتشار ظاهرة «سلسلة المنادة» بعد عام ١٩١١ والتي تتلخص في بعث من استقر في المهجر في طلب الأقراب والأصدقاء.

٢ - المرحلة الثانية (١٩٢٠ - ١٩٤٥)

ستستمر خلالها المشاكل الاقتصادية بل وستتضاعف، نتيجة استمرار التزايد الديمغرافي الذي أدى إلى تراجع فرص العمل. وستتميز هذه المرحلة من الناحية السياسية بفرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، وهو الانتداب الذي دفع إلى هجرة المسلمين والدروز كذلك، والمتضررين من السياسة الاستعمارية التي استفاد منها في المقابل، الموارنة في لبنان.

٣ - المرحلة الثالثة (١٩٤٥ - ١٩٧٤)

تميّز خلالها إيقاع الهجرة من سوريا ولبنان إلى العالم الجديد بالاستقرار، على الرغم من حدوث نوع من التزايد الطارئ عام ١٩٥٨ نتيجة اندلاع الحرب الأهلية

اللبنانية. وبحسب الإحصاء الذي نظم في الأرجنتين عام ١٩٤٧، وصل عدد السوريين المقيمين في هذا البلد خلال السنة المذكورة إلى ٣٢,٧٨٩، وعدد اللبنانيين إلى ١٣,٥٠٥. وسوف تعرف هذه الأرقام بعض التراجع مع تقدم الوقت، كما يتبين من إحصاء عام ١٩٦٠ الذي يحصر عدد السوريين في ٢٣,٣٣٤، وعدد اللبنانيين في ١٣,٠٢٨^(١٣). وبخصوص العرب من جنسيات أخرى يتحدث هذا الإحصاء عن وجود ١,٠٨٦ فلسطينياً، و٦٨ عراقياً، و٤,٦٤٠ «عربياً» من دون تحديد للجنسية.

وتتباين الأصول الجغرافية للمهاجرين العرب في الأرجنتين، بحيث نسجل قدوم مهاجرين من مدن مثل دمشق، وحلب، ومحص، وحماة، وبيروت، وطرابلس، وحيفا، واللاذقية، إضافة إلى قدومهم من مختلف قرى سوريا ولبنان والأردن وفلسطين.

وفي ما يتعلق بالنشاط الذي مارسه هؤلاء المهاجرون عند دخولهم الأرجنتين، صرح ٨٦ في المئة منهم بأنهم تجار، ويظهر أن الأمر لا يتعلق بمهنتهم الأصلية، وإنما بالمهنة التي كانوا ينوون ممارستها. وقد كانت ممارستهم التجارة بشكل جماعي وراء تحديد أماكن استقرارهم والتي ارتبطت بأماكن وجود تجار كبار يمتلكون محلات تجارية مهمة، تقوم بتمويل التجار الصغار والباعة المتجولين. وبحسب دراسة إحصائية، كان العرب يمتلكون عام ١٩١٧ في الأرجنتين ١٤٣ محلاً تجارياً مهماً^(١٤)، يرتبط بكل واحد منها عدد من الباعة المتجولين الذين يسوقون سلعاً مثل القماش والأحذية ومنتجات الخردة. ومع تقدم الوقت، وبفضل تطور خطوط السكك الحديدية، سوف يمتد وجود العرب إلى الولايات الداخلية لتسويق سلعهم كباعة متجولين، بحيث سيصلون وفي فترة محدودة من الزمن، إلى كل أنحاء البلاد من دون استثناء.

ويقدم حسام عمّار، أحد أعضاء مؤسسة «الجامعة» الموجودة في مدينة سانتا في (Santa Fé)، معلومة مهمة بخصوص النشاط المهني لأوائل العرب، إذ يشير إلى أن بعضهم اشتغل في البداية في ورش السكك الحديدية ذات الرأسمال الإنكليزي والتي تولت ربط مختلف جهات البلاد بعضها ببعض، قبل أن يتركوا

(١٣) أصبح السواد الأعظم من العرب مشكلاً اليوم من المتحدرين.

Alejandro Schamún, *La Siria nueva: Guía a del comercio sirio-libanés* (Buenos Aires: (١٤) Assalám, 1917).

تلك الورش لممارسة التجارة المتجولة على غرار بقية مواطنيهم^(١٥). ويرى هذا المصدر أن الهجرة العربية إلى الأرجنتين مرت بأربع مراحل، تمتد الأولى من عام ١٨٧٥ إلى عام ١٨٩٠؛ والثانية من عام ١٨٩٠ إلى عام ١٩٠٠؛ والثالثة من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٩١٤؛ والرابعة من عام ١٩٢٠ (بعد نهاية الحرب العالمية الأولى) إلى عام ١٩٣٠. وسوف تتراجع بعد هذا التاريخ وبشكل كبير الهجرة العربية إلى الأرجنتين.

من جانب آخر، وبخصوص ديانة المهاجرين العرب، تركز الدراسات التي تناولت الموضوع، على الأهمية العددية للمسيحيين منهم، غير أن المعطيات الإحصائية القليلة التي نتوافر عليها، تتحدث عن تنوع كبير في المعتقد الديني للعرب لحظة وصولهم إلى التراب الأرجنتيني^(١٦).

الجدول رقم (٦ - ٣)

الديانة التي صرح بها المهاجرون العرب لحظة دخولهم الأرجنتين

المجموع	الديانة
١	المعمدية
١	الفارسية
٢	البوذية
٦	الفسيفسائية
٧	السبتية (مذهب عودة المسيح)
٨	الدرزية
١١	الأرثوذكسية الرومية
١٢	اللوثرية
٣١	الغريفورية
٣٤	الكاثوليكية الإغريقية
٣٧	الأرمنية
٥٤	الإصلاحية

يتبع

Revista arabe, vol. 3, no. 3 (2001).

(١٥) من حوار أجرته معه المجلة العربية، انظر:

Jozami, «Identidad religiosa e integración cultural en cristianos sirios y libaneses en Argentina (1890-1990)».

تابع

٨٥	الكاثوليكية
١٠١	الإغريقية الشرقية
١٦١	الإنجيلية
١٩٤	من دون ديانة
٢٥١	الإغريقية
٢٥٣	الأرثوذكسية الإغريقية
٣٦٦	التركية
٤٢١	المارونية
٥٦٦	العبرية
٦٥١	اليهودية
٨٩٢	المسيحية
١,٦١٣	البروتستانتية
٢,١٧٢	العثمانية
٢,٧٤٣	الإسرائيلية
١٢,٦١٠	الكاثوليكية
٦,٠٦٦	الإسلامية
٨,٦٩٦	المحمدية
٤,٧٣١	غير معروفة
٩,٧٢٦	مختلفة
٥٣,١٤٥	المجموع

يتبين لنا من الجدول رقم (٦ - ٣) أن الوثائق المعتمدة وقعت في أخطاء فادحة بخصوص ديانة المهاجرين، إذ نجد مثلاً خانات خاصة بـ «مسلمين» وأخرى بـ «محمديين»، كما إنَّ هذه الوثائق تخلط أحياناً بين الديانة والجنسية، حيثُ هناك خانات خاصة بالديانة التركية وأخرى بالديانة العثمانية^(*).

(*) يرجع هذا الخلط من دون شك إلى عدم تمييز موظفي الجمارك وقت دخول المهاجرين التراب الأرجنتيني، بين بعض الديانات وبعض الجنسيات، بحيث يسجلون أحياناً جنسية المهاجر في الخانة المخصصة للديانة، أو العكس (المترجم).

رابعاً: التوزيع الجغرافي للمهاجرين العرب

ستعرف الهجرة العربية توزيعاً جغرافياً لا يختلف كثيراً عن ذلك المسجل لدى بقية الهجرات الأجنبية، إذ كان استقرار أوائل المهاجرين في بداية القرن العشرين في ولايتي بوينوس أيريس وسانتا في، وكانت إقامتهم خلال هذه المرحلة المبكرة أساساً في المدن والتي وصلت نسبة من استقر فيها إلى حوالي ٧٢ في المئة.

وبخلاف ما هو شائع اليوم في الأرجنتين والذي يقول بوجود أكبر تجمعات للعرب في منطقة الشمال الغربي، أثبتت بعض الدراسات أن العرب استقروا في جلّ ولايات البلاد، وأن عددهم في ولايات الشمال الغربي لا يتجاوز ٢٠ في المئة من عددهم الإجمالي. أما السبب في ما هو شائع، فيعود إلى كون ولايات هذه المنطقة مثل سانتياغو ديل إستيرو (Santiago del Estero) ولاريوخا (La Rioja) وكتاماركا (Catamarca)، لم تعرف هجرات أجنبية، وبخاصة أوروبية مهمة على غرار بقية الولايات، ما جعل الحضور الأجنبي الوحيد الذي يلفت الانتباه هو حضور الجالية العربية^(١٧).

وعلى الرغم من أن وجود العرب شمل كُُلّ التراب الأرجنتيني، فمن المسلم به أن حضورهم في بعض الولايات كان أهم من حضورهم في غيرها، وبجانب ولايات بوينوس أيريس، وسانتا في وسانتياغو ديل إستيرو سالفة الذكر والتي لا زالت توجد فيها إلى اليوم جمعيات تلتف حولها الجالية العربية، نسجل حضوراً مهماً لهذه الجالية في ولاية قرطبة. وسوف نحاول في الصفحات الموالية تسليط الضوء على حضور العرب في هذه الولايات.

١ - العرب في قرطبة

تعتبر قرطبة من أهم الولايات الأرجنتينية من حيث عدد السكان وكذا من حيث الثقل الاقتصادي، تحدها من الشمال ولايتا كتاماركا وسانتياغو ديل إستيرو؛ ومن الشرق ولايتا سانتا في وبوينوس أيريس؛ ومن الجنوب ولاية لابامبا؛ ومن الغرب ولايتا لاريوخا وسان لويس. وتبلغ ساكنتها ثلاثة ملايين نسمة، منها ١,٢٠٠,٠٠٠ في عاصمة الولاية والتي تعتبر ثالث أهم مدينة في البلاد.

ترجع بداية هجرة العرب إلى الولاية إلى سنة ١٨٨٥، وقد اقتصر وجودهم في

Gladys Jozami, «Aspectos demográficos y comportamiento espacial de los migrantes (١٧) árabes en el NOA,» *Estudios migratorios latinoamericanos*, vol. 2, no. 9 (abril 1987), pp. 57-58.

البداية على وسط المدينة، قبل أن يمتد إلى بقية أحيائها. ونعشر سنة ١٩١٥ على تجار سوريين ولبنانيين وفلسطينيين و«توركوس» في الشمال الشرقي من المدينة، كما نعشر عليهم في الأحياء الهامشية، ثم في المناطق الريفية التي مارسوا فيها التجارة المتجولة. وتبين لنا المعطيات الإحصائية أن ما لا يقل عن ٨٠ في المئة من العرب الذين استقروا في قرطبة خلال هذه المرحلة مارسوا النشاط التجاري (سواء التجارة المتجولة أو المستقرة)، بينما أقيمت ٢٠ في المئة الباقية على العمل ككياومين أو مستخدمين أو أصحاب عربات نقل السلع.

حقق التجار العرب نجاحاً سريعاً في قرطبة، بحيث ما فتئت محلاتهم التجارية في تزايد، وقد تخصص معظمها في بيع القماش والحريز والملابس الجاهزة. هذا النجاح التجاري سمح لبعضهم بامتلاك المحلات التجارية التي كانوا يكترونها، كما سمح للبعض الآخر بفتح فروع لهذه المحلات في جهات أخرى من المدينة أو في المناطق القروية.

وترتبط الحركة التجارية للعرب في قرطبة بـ«سلسلة المناداة» والتي يقوم التجار المستقرون في إطارها، باستقدام أقاربهم ومد يد المساعدة لهم، من خلال منحهم قروضاً مالية صغيرة، تمكنهم من بدء مشوارهم في الأرجنتين كتجار. وسوف ينجم عن تزايد الهجرة إلى قرطبة في إطار «سلسلة المناداة»، بعض التنوع في الأنشطة المهنية التي مارسها العرب والتي لم تعد منحصرة في التجارة كما كان الأمر في البداية.

ومن الأمور التي تلفت الانتباه بخصوص حالة عرب قرطبة، انتماءاتهم الدينية المتباينة، ذلك لأننا نعشر فيها في بداية القرن العشرين على ممثلي ثلاث ديانات على الأقل، هم المسيحيون بطوائفهم المختلفة (من موارنة، وكاثوليك، وأرثوذكس، وسيربانيين وغيرهم)، والمسلمون واليهود. وقد أسست كُلاً واحداً من هذه المجموعات، مؤسسات دينية منذ مرحلة مبكرة، نذكر من بينها المركز الأرثوذكسي الذي رأى النور عام ١٩١٨؛ وجمعية الدعم الاجتماعي العربية الإسلامية التي تأسست عام ١٩٢٨؛ والاتحاد الأخوي السرياني الأرثوذكسي الذي أنشئ عام ١٩٣٣؛ والجمعية الخيرية الإسرائيلية السفردية التي تأسست عام ١٩١٠؛ والجمعية الإسرائيلية لسفر التلمود التي رأت النور عام ١٩٢١؛ والجمعية الإسرائيلية السفردية التي أنشئت عام ١٩٢٣. وكما يتبين من أسماء هذه الجمعيات الأخيرة، ينتمي أغلب اليهود العرب في قرطبة وغيرها من مناطق الأرجنتين، إلى أصل سفردية.

وبخصوص المرحلة الراهنة، يصل عدد المؤسسات العربية في ولاية قرطبة إلى

أربعة عشر، جلها ذات توجه اجتماعي أو ديني، لا يقتصر وجودها على عاصمة الولاية، بل نعثر عليها كذلك في بعض المدن الصغيرة. ومن أبرز الجمعيات التي توجد خارج عاصمة الولاية، الجمعية السورية اللبنانية للإسعاف المتبادل في مدينة سان فرانسيسكو. وعلى الرغم من أن جلّ سكان هذه المدينة هم من أصل إيطالي (حوالي ٩٠ في المئة)، فإن للعرب فيها، وأغلبهم من أصل لبناني، حضوراً نشيظاً، وهم يتكثرون داخل الجمعية المذكورة التي يعود تاريخ تأسيسها إلى عام ١٩٣٠. وقد عرفت الجمعية تراجعاً في نشاطها ما بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٨٦ تاريخ بداية تفعيلها من جديد، حيث بدأت منذ ذلك التاريخ بوضع برامج خاصة بنشر الثقافة العربية، من خلال تنظيم دروس في اللغة والأدب والتراث العربي. وكان للجمعية دور فعال في إقناع السلطات بإطلاق اسم «ساحة العرب» على إحدى فضاءات المدينة، وذلك بهدف تخليد الحضور العربي فيها. وترفرف حتى اليوم في الساحة المذكورة رايات الأرجنتين وسوريا ولبنان. ويصل عدد المنخرطين في الجمعية في الوقت الحاضر إلى حوالي ٢,٥٠٠، تقدم لهم خدمات متنوعة مثل المساعدة في المجال العقاري للحصول على سكن خاص؛ والمساعدة في المجال الاقتصادي للحصول على دعم بعض المؤسسات والشركات الصغيرة التي تسهل لهم المعاملات البنكية؛ والمساعدة في القطاعين الطبّي والسياحي.

وكما تمّ تفعيل المؤسسات ذات التوجه الاجتماعي، تمّ تفعيل تلك التي لها توجه ديني، في هذا السياق نذكر الجمعية العربية الإسلامية في مدينة قرطبة التي يرجع الفضل في تجدد نشاطها بدرجة أولى إلى رئيسها الراحل الشيخ منيف حسن السكرية^(١٨) الذي أدّى كذلك دوراً فعالاً في إنشاء حركة تعدد الأديان في قرطبة، والداعية إلى إقامة حوار بين أتباع الديانات السماوية الثلاث المتساكنين في المدينة.

نختم هذا المحور حول عرب قرطبة، بالإشارة إلى أنه على الرغم من تفضيل المهاجرين العرب في بداية عهد الهجرة الزواج من داخل الجالية، فإننا نسجل في هذه الولاية ميل عدد منهم للزواج من خارجها، إذ وصلت النسبة في بداية القرن العشرين إلى ٥٠,٣١ في المئة، وكان هذا الزواج من أرجنتينيات، وكذا من منتميات إلى أصول أخرى مثل الإسبانيات والإيطاليات والفرنسيات. وكما أظهرت بعض الدراسات التي تناولت الموضوع، فإن قدومهم جميعاً من الإمبراطورية العثمانية، لم يخلق لديهم إحساساً بالانتماء إلى كيان سياسي واحد تمثله هذه الإمبراطورية، وإنّما الإحساس بالانتماء كانت تحدده الهوية الدينيّة.

(١٨) ولد في لبنان وتوفي في شمال غرب الأرجنتين إثر حادث سير.

٢ - العرب في سانتياغو ديل إستيرو

تنقسم هذه الولاية من الناحية الإدارية إلى ٢٧ مقاطعة، تحدها شمالاً ولايتا سالطا وتشاكو؛ وشرقاً ولايتا سانتا في وتشاكو؛ وجنوباً ولاية قرطبة؛ وغرباً ولايتا توكرمان وكتاماركا. تبلغ ساكنتها حالياً ٨٠٠,٠٠٠ نسمة، وينتمي أغلب العرب المقيمين فيها إلى منطقة حماة، وقد أقبلوا منذُ البداية على تجارة النسيج والملابس الجاهزة. وسوف يمتد نشاطهم التجاري، ودائماً في التخصص نفسه، من عاصمة الولاية إلى المناطق الريفية، بحيث كانوا من أوائل من أسس محلات تجارية في قطاع النسيج والملابس الجاهزة في تلك المناطق.

ومن الأمور المهمة التي نسجلها لدى عرب ولاية سانتياغو ديل إستيرو، خوضهم غمار الممارسة السياسية في الأرجنتين منذُ مرحلة ميكرة، إذ بدأ ذلك منذُ سنة ١٩٢٨ عندما اختير مهاجر لبناني نائباً في البرلمان المحلي^(*)، هذا المهاجر أدى دوراً فعالاً في إقناع بقية مواطنيه بالمساهمة في الحياة السياسية في الولاية، وهي المساهمة التي ستعرف تطوراً ملحوظاً مع مرور الوقت، وستمتد إلى السلطة القضائية منذُ سنة ١٩٥٨.

وقد وصلت درجة اهتمام الجالية العربية في هذه المنطقة بالممارسة السياسية، أن جعلت من النجاح السياسي لبعض أفرادها ثروة خلقت لديها نوعاً من الاعتزاز بهويتها العربية. هذا النجاح السياسي سيساهم في تحسين صورة المهاجر العربي في المجتمع المضيف. وهنا ربما يكون من المفيد التوقف عند بعض خصوصيات مجتمع سانتياغو ديل إستيرو، وهي خصوصيات ساعدت العرب على الاندماج وعلى الارتقاء الاجتماعي؛ فقد بقي المجتمع في هذه الولاية وإلى بداية القرن العشرين، تقليدياً ذا ساكنة قروية مهمة عددياً، وطبقة وسطى محدودة العدد. وكما تؤكد الدراسات التي تناولت الموضوع^(١٩)، بدأ العرب مشوارهم الاجتماعي كمنتمين إلى أسفل الطبقة الوسطى، قبل أن يتدرجوا فيها بفضل الثروة التي حصلوا عليها، وبخاصة بفضل خوضهم غمار الممارسة السياسية، ثم بفضل عدم وجود أجانب من أصول أخرى يمكن أن يزاومهم في هذا الارتقاء، كما هو الأمر في ولايتي بوينوس آيريس وسانتا في، حيثُ كان على العرب ومن أجل تحقيق

(*) يتعلق الأمر بروسيندو أيوب الذي وصل الأرجنتين وهو طفل، والذي شغل منذُ عام ١٩٢٨ ولمدة خمس فترات برلمانية متتالية منصب نائب في برلمان ولاية سانتياغو ديل إستيرو عن الحزب الراديكالي، قبل أن ينتخب سنة ١٩٤٦، بعد انضمامه إلى الحزب البيروني، نائباً في البرلمان الوطني الأرجنتيني (المترجم).

Alberto Tasso, «Migración e identidad nacional,» *Estudios migratorios latinoamericanos*, (١٩)

vol. 2, nos. 6-7 (1987), pp. 321-336.

النجاح الاقتصادي، الدخول في منافسة مع مهاجرين آخرين.

ومن أولى المؤسسات التي أنشأها العرب في سانتياغو ديل إستيرو، هناك المركز الحموي، والاتحاد المحرداوي، والكنيسة الكاثوليكية سان خورخي التي رأت النور سنة ١٩١٤، والجمعية السورية اللبنانية التي تأسست سنة ١٩٣١.

وبالرغم من جهل المتحدرين من أصل عربي في هذه الولاية ابتداءً من الجيل الثاني باللغة العربية، فإن لديهم نوعاً من الإحساس بالانتماء إلى الثقافة العربية، يتجلى ذلك في حفاظهم على بعض مظاهر هذه الثقافة مثل الطبخ العربي. لكن التثبث ببعض هذه المظاهر، لم يعرقل بأي شكل من الأشكال اندماجهم في المجتمع الذي ولدوا فيه والذي تحقق بشكل كامل في مختلف المجالات وعلى رأسها المجال السياسي، حيث يشغل في الوقت الحاضر المتحدرين من أصل عربي ما بين ١٠ و ٣٥ في المئة من المناصب السياسية المهمة في الولاية.

وقد وصلت أهم موجة من المهاجرين العرب إلى سانتياغو ديل إستيرو ما بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٣٠، لأنه قبل هذا التاريخ، وكما يبين لنا الإحصاء الوطني الثالث لعام ١٩١٤، لم يتجاوز عدد «العثمانيين» منها ١,٧٤٨ شخصاً. وكان ٨٠ في المئة من عرب الأرجنتين يقيمون خلال السنة المذكورة في ولايتي سانتا في وبوينوس أيريس، في حين يتوزع ٢٠ في المئة الباقون على كل الولايات الأخرى.

وبحسب الإحصاءات التي اعتمدها ألبرتو تاسو (Alberto Tasso)، شكل العرب سنة ١٩٣٠ حوالي ٣ في المئة من سكان الولاية^(٢٠)، ويؤكد هذا الباحث في دراسته المتعلقة بالمهاجرين السوريين واللبنانيين إلى سانتياغو ديل إستيرو، أن أوائل العرب كانوا من اللبنانيين الذين استقروا في عاصمة الولاية ثم في قرية لوريتو (Loreto) قبل سنة ١٩٠٠، ولم يلتحق بهم السوريون إلا بعد عشر سنوات من التاريخ المذكور، حيث استقروا في قرى قريبة من محطات السكك الحديدية، ومن هناك توغلوا في قرى ومناطق الولاية كباعدة متجولين يسوقون النسيج المستورد. وبحسب المصدر ذاته، ستعرف ممارسة العرب للتجارة المتجولة تراجعاً لفائدة التجارة المستقرة منذ ثلاثينيات القرن العشرين. وفي الأربعينيات منه وبفضل النجاح الذي حققه في التجارة أقبل بعضهم على الاستثمار العقاري.

وتكشف لنا دراسة تاسو سالفه الذكر، وجود نوع من الرفض للعرب في ولاية

Alberto Tasso, *Aventura, trabajo y poder: Sirios y libaneses en Santiago del Estero, 1880-1980* (٢٠) ([Buenos Aires]: Ediciones indice, 1988).

سانتياغو ديل إستيرو في بداية القرن العشرين، وهذا ما تؤكد ذلك بعض الصحف التي كانت تصدر في الولاية في عشرينيات القرن المذكور، وكذا بعض الكتب التي صدرت فيها خلال الثلاثينيات والتي حذرت من النتائج السلبية التي قد تنجم عن الزواج المختلط بينهم وبين الأرجنتينيين، كما إنتقدت الكيفية التي تمكنوا بها من التأقلم وبشكل سريع مع المجتمع المحلي، وفي الوقت نفسه هاجمهم بسبب حصرهم كُلاً نشاطهم في التجارة بدلاً من ممارسة الفلاحة التي كانت تعتبر آنذاك محور التنمية الاقتصادية في البلاد. غير أن هذا الموقف السلبي من العرب سرعان ما سينمحي وبخاصة بعد خوضهم غمار الممارسة السياسية، وكان ذلك منذُ مرحلة مبكرة كما مرّ بنا. وقد شجعهم زوال تلك النظرة السلبية إليهم، على ترك «الحيّ التركي» الذي كانوا يتكثرون فيه، للاستقرار في مختلف أحياء المدينة.

٣ - العرب في «سانتا في»

تحد ولاية سانتا في شمالاً بولاية تشاكو؛ وشرقاً بولايتي كوربينتيس، وإينتري ريبوس؛ وجنوباً بولاية بوينوس آيريس؛ وغرباً بولايتي سانتياغو ديل إستيرو، وقرطبة. وهي ولاية ساحلية لها منفذان على البحر عبر نهرى بارانا ولابلاتا. يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين نسمة، وتعتبر ثاني أهم ولاية في البلاد بعد بوينوس آيريس. أما مدنها الرئيسيّة فهي سانتا في العاصمة، وبيراكروز، وروساريو التي توجد فيها جالية عربية مهمة استقرّت هناك منذ العقد الثاني من القرن العشرين.

توجد في سانتا في العاصمة أقدم المؤسسات التي أنشأها العرب في الولاية، نذكر من بينها جمعية الاتحاد السوري اللبناني للإسعاف المتبادل التي رأت النور في ١٧ آذار/ مارس ١٩٢٤، ولم يكن عدد المنخرطين فيها وقت تأسيسها يتجاوز الـ ١٧ شخصاً، غير أنه ارتفع بسرعة ليصل إلى ٥٠٠. ويقتصر اليوم نشاط الجمعية التي أصبحت تحمل اسم النادي السوري اللبناني، على نشر بعض مظاهر الثقافة العربية، من خلال إعطاء دروس في اللغة العربية وفي الطبخ العربي وفي الرقص الشرقي.

ومن بين المؤسسات العربية الأخرى في الولاية، هناك البيت العربي، وهو نادٍ اجتماعي تأسس عام ١٩٥٦ على أنقاض نادٍ آخر هو الاتحاد العربي، ورغم كونه مؤسسة اجتماعية وليس دينية، فقد تكتلت فيه بدرجة أولى الجالية العربية المسلمة.

وبخصوص روساريو والتي تعتبر أهم مدينة في الولاية، وثاني أهم مدينة في البلاد من حيث عدد السكان والذي يتجاوز ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة، فإن أهم مؤسسة عربية فيها هي: الجمعية اللبنانية، التي رأت النور في العقد الثالث من القرن العشرين، بمبادرة من مهاجرينّ هما كميل بعقلاني ونصيف حايك المنتميان إلى قرية

المتين، واللدان هاجرا إلى روساريو سنة ١٩١١، حيث مارسا في البداية التجارة المتجولة في القرى المجاورة للمدينة، ثم عملا في مجال البستنة، قبل أن يفتحا في العشرينيات محلين تجاريين في مدينة روساريو (لا زال المحلان موجودين إلى اليوم). وبسبب عدم توافر مقر خاص، كان هذان الشخصان ومؤسسون آخرون يعقدون اجتماعات الجمعية أولاً في أحد الفنادق، ثم في أحد المسارح. وسوف يتم بعد ذلك وبفضل مساهمات المنخرطين، اقتناء بناية متواضعة في حي سان خورخي احتضنت أول مقر للجمعية والتي انتقلت مع مرور الوقت إلى بناية أكبر وسط المدينة. بعد ذلك وفي خمسينيات القرن العشرين، تم اقتناء المقر الحالي والذي يضم ثلاثة مرافق ومطعماً عربياً، وموقفاً للسيارات.

من جهتهم أسس المهاجرون السوريون جمعيات خاصة بهم في روساريو، من بينها جمعية الشباب العربي التي رأت النور سنة ١٩٢٨ والتي برزت بخاصة من خلال نشاطها الثقافي. ويرجع فضل تأسيسها إلى مهاجر حليبي يدعى صبحي غلام. وتُلخص حكاية هذا المهاجر المسار الذي قطعه بعض المهاجرين السوريين الذين حلوا في الأرجنتين، فهو ينتمي في الأصل إلى إحدى العائلات المسيحية المسيورة الحال^(٢١) والتي غادرت حلب مع اندلاع الحرب العالمية الأولى بعد أن نصحتها بذلك القائمون على الكنيسة الأرثوذكسية فيها، والتجأت إلى إحدى الأديرة في لبنان. وفي عام ١٩٢٥ هاجر إلى روساريو، وهناك أسس برفقة بعض مواطنيه الجمعية سألقة الذكر والتي أنشأوا فيها مكتبة، كما شكلوا فرقة مسرحية تابعة لها، كانت تقوم بتمثيل مسرحيات باللغة العربية تعرض في بعض مسارح المدينة، حيث تقبل على مشاهدتها الجالية العربية.

وبجانب هذه الجمعية، أسس السوريون عام ١٩٤٦ في روساريو كذلك، النادي الاجتماعي الأرجنتيني السوري والذي يقع مقره على بعد ١٠٠ متر فقط من الجمعية اللبنانية.

وتوجد جمعيات عربية أخرى في عدد من المدن الصغيرة بل والقرى التابعة لولاية سانتا في، مثل مدينة سان كريستوبال (San Cristobal) التي لا زالت فيها إلى اليوم مؤسسة تحمل اسم الجمعية اللبنانية، يعود تاريخ إنشائها إلى سنة ١٩٢١، أو قرية لاريكونكيستا (La Reconquista) التي توجد فيها كذلك جمعية تحمل اسم الجمعية السورية اللبنانية للإسعاف المتبادل، يعود تاريخ إنشائها إلى سنة ١٩٢٤.

٤ - العرب في منطقة لابامبا

يوجد في ولاية بوينوس أيريس، على بعد ٣٦٠ كيلومتر من العاصمة، قرية صغيرة تعرف في الوثائق الإدارية باسم أنخيليتا (Angelita)، أما الاسم الذي تشتهر به فهو «سوريا الصغيرة»، والسبب هو أن ساكنتها المكونة من حوالي ٥٠٠ نفر، كلها من المهاجرين السوريين والمتحدرين منهم والذين يدينون جميعاً بالإسلام. ويرجع تاريخ تأسيس هذه القرية إلى سنة ١٩٠٩ عندما وصل إلى المنطقة - وكانت شبه فارغة من السكان - مهاجران عربيان مسلمان، قاما بتعميرها من خلال «سلسلة المناداة»، التي ازدادت وتيرتها ابتداء من عام ١٩٢٦ عندما بدأ يتوافد عليها أجداد من يقطنها اليوم.

وقد أشأ العرب في القرية جمعية تحمل اسم الجمعية العربية الإسلامية العلوية الخيرية، تظلم بمهام تثقيفية مهمة، تتضمن تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي. وتنضوي تحت لواء الجمعية، مجموعة فنية للرقص العربي التقليدي تحمل اسم «سلام وأمل».

وتوجد في بناية الجمعية عدة مرافق من بينها مسجد، وقاعة للأعراس، وفضاء لغسل وتكفين الأموات على الطريقة الإسلامية، وكذلك مذبح لذبح الدواجن على الطريقة الإسلامية، ومطبخ.

وما يلفت الانتباه في قرية سوريا الصغيرة، أن القناة التلفزيونية التي تحظى بأكبر قدر من الاهتمام لدى ساكنتها، هي القناة الثانية للتلفزيون السوري، وهذا ما يعبر عن ارتباط هذه الساكنة بجذورها. وللقرية شيخها الذي يتولى تلقين الأجيال الجديدة تعاليم الإسلام، وهو رجل مسن حلّ في «سوريا الصغيرة» عام ١٩٢٨ قادماً - على غرار من هاجر إليها من العرب - من قرية عين الحاضرة.

وكان المهاجرون المسلمون وقت وصولهم القرية، يستأجرون أراضٍ فلاحية من أحد كبار الإقطاعيين في المنطقة بهدف استغلالها، وسيقومون بشراء هذه الأراضي في ما بعد. من جهة أخرى، قاموا بإرسال أبنائهم إلى إحدى المدارس التي شيدت في المنطقة، ليتلقوا التعليم وفق مناهج التربية الأرجنتينية. ومن العوامل التي ساعدت ساكنة هذه القرية المسلمة على الحفاظ على عاداتها وديانته ولغتها، هو بعدها الجغرافي عن المراكز الحضرية المهمة، وكذا الوعي الديني لبعض أوائل المهاجرين إليها والذين حرصوا على الحفاظ على عاداتهم وثقافتهم، حرصهم نفسه على إدخال أبنائهم المدارس الأرجنتينية.

ولم تنتبه الصحافة الأرجنتينية لوجود هذه القرية إلا بعد تفجيرات ١١ أيلول/

سبتمبر ٢٠٠١، حيث نشرت عدة مقالات حولها^(٢٢)، وهو ما تأسفت له ساكنة القرية على اعتبار أن الاهتمام بها ارتبط بحادث دموي، مع أن كلمة إسلام التي تمثل جوهر هويتهم الدينية، تعني - بحسب تعبير أحدهم - السلام قبل أي شيء آخر.

خامساً: المؤسسات العربية في الأرجنتين

١ - المؤسسات القديمة

سبقت الإشارة أثناء الحديث عن التوزيع الجغرافي للعرب في الأرجنتين، عن بعض المؤسسات التي أنشأوها في القرى والمدن، غير أن ما تجب الإشارة إليه كذلك، هو أن الجالية العربية في الأرجنتين أنشأت أقدم وأهم المؤسسات العربية في مختلف أنحاء أمريكا اللاتينية. هذه المؤسسات لا يمكن الحديث عن ظهورها والدور الذي اضطلعت به في الماضي، من دون ذكر اسم مهاجر سوري هو موسى يوسف عزيزة^(٢٣). ومن بين المؤسسات التي أنشأها يوسف عزيزة، «البنك السوري اللبناني للنهر الفضي»، الذي رأى النور عام ١٩٢٥ والذي يعتبر أول بنك في العالم يحمل اسماً عربياً. وينص القانون الأساسي لهذا البنك، على تخصيص جزء من أرباحه للأعمال الخيرية. وقد ساهم البنك من خلال القروض التي خصص بها الجالية العربية، في النجاح الاقتصادي للعديد من المهاجرين، لدرجة يمكن معها القول إن إنشاءه يمثل الانطلاقة الحقيقية للعرب في المجال الاقتصادي في الأرجنتين، ذلك لأن أغلب المؤسسات البنكية الأخرى كانت ترفض منحهم القروض، وبخاصة حديثي العهد بالهجرة منهم.

ومن المؤسسات الأخرى التي أنشأها يوسف عزيزة، هناك جمعية حماية المهاجرين السورية اللبنانية التي رأت النور عام ١٩٢٤^(٢٤) والتي ومن أجل تسهيل دخول العرب إلى الأرجنتين، وتسوية وضعهم وإقامتهم فيها، منح عزيزة رئاستها الشرفية لرئيس الجمهورية آنذاك هيبوليتو إيريجويين (Hipólito Yrigoyen). وقد نجحت الجمعية

(٢٢) من بين هذه المقالات ذلك الذي نشرته صحيفة كلارين (Clarín) والذي حاول أن يربط بين العروبة والإسلام، وبين الإرهاب. انظر:

(٢٣) ولد في حماه، سنة ١٨٩٢، وتوفي في بوينوس آيريس سنة ١٩٧٣.

(٢٤) من بين المؤسسات الأخرى التي أنشأها يوسف عزيزة، نذكر: الغرفة التجارية السورية اللبنانية، والجريدة السورية اللبنانية، والمجلة الشرقية، ومجلة الوضعية (La Situación) ذات التوجه الاقتصادي، والنادي السوري اللبناني شرف ووطن، والمعهد السوري اللبناني، ومنتدى الأخوة الأمريكية اللاتينية، والمعهد الثقافي الأرجنتيني - الإسباني - العربي، والمركز الحموي في الأرجنتين. انظر: E. Azize, «Losirabes en la cultura nacional.» *Todo es historia*, vol. 35, no. 412 (noviembre 2001), p. 12.

المذكورة في إقناع الحكومة الأرجنتينية، ومن خلالها الإدارة الوطنية للهجرة، بتعديل سياستها تجاه العرب، وبإصدار نصّ قانوني يشيد بهم جاء فيه: «تظهر للرأي العام الأرجنتيني بشكل واضح الكيفية التي يساهم بها المهاجرون الناطقون باللغة العربية في نشأة وتطور الشعب الأرجنتيني، وهي مساهمة تبرز من خلال اندماجهم التام في الأمة الأرجنتينية، ومن خلال أخذهم بمختلف القيم الأخلاقية والروحية والمادية لهذه الأمة»^(٢٥).

لقد نشأت المؤسسات العربية في الأرجنتين من جهة على أساس الانتماء الجغرافي، ومن جهة أخرى على أساس الانتماء الطائفي. ومن أقدم المؤسسات التي اعتمدت هذا المعطى الأخير، نذكر البعثة الدينيّة المارونية التي رأت النور في بوينوس آيريس في نهاية القرن التاسع عشر والتي أسست معهداً لتعليم اللغة العربية عام ١٩٠٢، كان لها دور مهم في الحفاظ على هذه اللغة بين المتحدرين من أصل عربي. وقد قامت البعثة في بداية عهدها، من خلال أحد قساوستها، بترجمة قوانين الهجرة الأرجنتينية إلى اللغة العربية وتعميم نشرها بين المهاجرين. كما نذكر الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية التي رأت النور في بوينوس آيريس سنة ١٩٢٧ والتي أنشأت في السنة نفسها مدرسة تابعة لها هي المدرسة السورية اللبنانية التي جعلت من بين برامجها إضافة إلى تعليم اللغة العربية، إلقاء دروس في التاريخ العربي. وسوف تظهر خلال عشرينيات القرن العشرين كذلك، مراكز دينية عربية أخرى في بوينوس آيريس، من بينها الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والمركز الإسلامي لجمهورية الأرجنتين.

٢ - المؤسسات الجديدة

تحول العديد من المؤسسات التي أنشأها العرب في الماضي والتي ساهمت في تكتلهم، إلى مجرد نواد اجتماعية لم يعد الانخراط فيها مقتصراً على العرب، وإنما أصبحت مفتوحة في وجه كُُلّ من يريد الاستفادة من خدماتها مثل ممارسة الرياضة، وتعلم الرقص الشرقي، وتذوق الطبخ العربي، وتعلم اللغة العربية. وسوف تظهر منذ سبعينيات القرن العشرين، بجانب هذه المؤسسات، مؤسسات أخرى؛ إذ نعثرت في الوقت الحاضر في ولاية بوينوس آيريس وحدها، على ما لا يقل عن خمسين مؤسسة عربية. ويرتبط من دون شكّ تزايد الاهتمام بإنشاء المؤسسات العربية حالياً، بانبعث نوع من التعلق بالجذور الثقافية والدينية العربية لدى مختلف مكونات الجالية.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٨.

وقد تبين لنا من خلال بعض الحوارات التي أجريناها مع أفراد من هذه الجالية، أن الانتماء الجغرافي إلى بلد معين، ليس عنصراً يمكن من خلاله تحديد هوية المتحدرين من أصل عربي في الأرجنتين، وإنما من خلال الانتماء الديني، من هنا يمكن القول إن الجالية العربية وبعد مرور أكثر من قرن من الزمن على بداية هجرتها، لا تكون مجموعة بشرية متجانسة. وكان من تداعيات تزايد الإحساس بالانتماء الديني، تراجع دور بعض الجمعيات التي نجحت في الماضي في استقطاب المهاجرين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية. وقد كان هذا الإحساس بالانتماء إلى هوية دينية مختلفة، وراء إقدام المسلمين على تأسيس جمعياتهم ومراكزهم الدينية ومساعدتهم خلال العقود الأخيرة.

غير أن ما سلف ذكره، لا يعني أن الهوية القائمة على أساس العروبة بدأت تتراجع، بل نظن أن العكس هو الصحيح، لأن الذي بدأ يتراجع هو النموذج الذي قامت على أساسه المؤسسات العربية التي ظهرت في الماضي والذي يستند إلى الانتماء الجغرافي لبلد محدد هو سوريا أو لبنان أو الاثني معاً، في حين يستند النموذج الذي قامت على أساسه المؤسسات التي ظهرت في العقود الأخيرة إلى الانتماء الديني أو القومي، إذ تضم إما المسلمين بشكل عام، بمن فيهم غير العرب من الأرجنتينيين الذين اعتنقوا هذه الديانة، أو العرب بشكل عام، مسلمين ومسيحيين، من دون النظر إلى البلد الذي قدموا منه.

أ - فدرالية المؤسسات العربية

تعتبر هذه الفدرالية والتي يختزل اسمها في «فياراب» (FEARAB)، شاهداً على نجاح العمل الجماعي للجالية العربية في الأرجنتين. وكان تأسيسها ثمرة لقاءات متكررة بين المهاجرين العرب المقيمين في مختلف بلدان ما وراء البحار. هذه اللقاءات تمخض عنها تنظيم مؤتمر المغتربين في دمشق عام ١٩٦٥ والذي تقرر على أثره إنشاء «فدرالية للمؤسسات العربية في بلدان المهجر». وفي سنة ١٩٧٢ وكفرع من «فياراب»، رأت النور «فدرالية المؤسسات العربية بالأرجنتين» التي دعت في السنة الموالية إلى تنظيم مؤتمرها الأول في بوينوس آيريس، وهو المؤتمر الذي يعقد منذ ذلك التاريخ كل سنتين. وتعمل «فياراب» من خلال فروعها في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية، على تقوية التعاون بين البلدان التي توجد فيها وبين البلدان العربية، ومن بين المهام التي تضطلع بها هذه الفروع نذكر:

(١) التعريف بثقافة الشعوب العربية والأمريكية اللاتينية، وإبراز التأثير التاريخي للحضارة العربية في الثقافة الأمريكية اللاتينية عبر شبه الجزيرة الإيبيرية.

(٢) تشجيع التعاون الثقافي والاقتصادي بين البلدان العربية والأمريكية اللاتينية.

(٣) دعم تبادل الخبرات بين البلدان العربية والأمريكية اللاتينية من خلال برامج ثقافية وعلمية ورياضية وسياحية.

(٤) تسخير كُـلِّ وسائل الإعلام والاتصال الممكنة للدفاع عن القضايا التاريخية العادلة للبلدان العربية والأمريكية اللاتينية، ولشعوبها.

(٥) تشجيع تبادل البعثات الطلابية وتقديم منح خاصة للطلبة، والعمل من أجل توقيع مشاريع بين بلدان المنطقتين في المجال الثقافي والعلمي والمهني والفني والرياضي.

وبجانب سعيها إلى تحقيق هذه الأهداف، تعبّر «فياراب» عن مواقفها من النزاعات التي تعرفها البلدان العربية، وكذلك البلدان الأمريكية اللاتينية، من خلال إصدار بلاغات صحافية، وكذا من خلال المشاركة في التجمعات السياسية وفي التظاهرات، مثل تلك التي شهدتها الأرجنتين مؤخراً احتجاجاً على الحرب في العراق.

من جانب آخر، يدعم فرع «فياراب» الأرجنتين، التواصل بين أبناء وأحفاد المهاجرين العرب في هذا البلد، وقد قام من أجل ذلك بتنظيم المؤتمر الأول للشباب الأرجنتيني من أصل عربي والذي شارك فيه حوالي ٤٠٠ مؤتمراً جاءوا من مختلف ربوع الأرجنتين، وكانت الغاية من المؤتمر تقريب هؤلاء الشباب من جذورهم الثقافية.

ب - المؤسسات الإسلامية

تذهب بعض الدراسات، إلى أن أغلب المهاجرين العرب في الأرجنتين من المسيحيين، وأن المسلمين لم يشكلوا إلا نسبة قليلة من بين أوائل المهاجرين، وتستند في ذلك إلى كون العثمانيين مارسوا سياسة الإقصاء والحيث ولا سيما ضد المسيحيين، وهو ما جعلهم أكثر استعداداً للهجرة^(٢٦). غير أن هذا الجزم قابل للنقاش، لأنه ليس من السهل معرفة ما إذا كان جميع المسلمين صرحوا عند دخولهم الأرجنتين بديانتهم الحقيقية، أم كان هناك من صرح بغير ذلك لعلمهم المسبق أنهم

G. Dalmazzo y H. Francisco, «Los Credos de los «turcos»,» *Todo es historia*, vol. 35, no. 412 (٢٦) (noviembre 2001).

يهاجرون إلى بلد مسيحي، وأن المسيحيين تمنح لهم امتيازات قد لا تمنح للمسلمين. وقد قدر القنصل العام للإمبراطورية العثمانية في الأرجنتين عدد المسلمين في هذا البلد خلال العقد الثاني من القرن العشرين، بـ ١٥ في المئة من مجموع العرب، في حين قدرت البعثة المارونية عددهم خلال المرحلة نفسها بـ ٣٠ في المئة^(٢٧).

ولا زال التباين في التقديرات قائماً إلى الوقت الحاضر حول الثقل العددي الذي يشكله المسلمون داخل الجالية العربية^(٢٨)، بحيث تورد بعض المؤسسات الإسلامية أرقاماً ربما تتضمن بعض المبالغة، مثل تلك التي يقدمها المكتب الإسلامي لأمريكا اللاتينية الذي يجعل عدد المسلمين في الأرجنتين في الوقت الحاضر حوالى ٧٠٠,٠٠٠، منهم حوالى ١٦٠,٠٠٠ في بوينوس آيريس وضواحيها، هذا في وقت تجعل بعض الدراسات عدد المسلمين في الأرجنتين برمتها لا يتجاوز ١٥٠,٠٠٠. وتوجد بين هذين الرقمين اللذين يمثلان الحدين الأقصى والأدنى، أرقام أخرى مثل تلك التي يقدمها المركز الأعلى للدراسات الإسلامية الذي يحصر عددهم في حوالى ٤٥٠,٠٠٠، أو تلك الصادرة عن المركز الإسلامي لجمهورية الأرجنتين والذي يقدم المعلومات التالية بخصوص عدد المسلمين في ولاية بوينوس آيريس: ٥٠٠ عائلة سنية؛ و ٥٠٠ عائلة علوية؛ و ٢٠٠ عائلة شيعية؛ و ٥٠ عائلة درزية؛ و ٧٠ متصوفاً من الطريقة النقشبندية؛ و ٥٠ متصوفاً من الطريقة الجراحية. وبحسب هذه التقديرات، فإن عدد المسلمين في بوينوس آيريس لن يتجاوز خمسة آلاف. ويؤدي صلاة الجمعة في مسجد بوينوس آيريس الرئيسي عادة حوالى ٤٠٠ شخص، غير أن هذا الرقم لا يسمح بأخذ فكرة قريبة من الواقع عن عدد المسلمين في هذه المدينة، ذلك لأن العديد منهم يؤدون هذه الصلاة في بيوتهم.

وبغض النظر عن تضارب الأرقام حول عدد المسلمين في الأرجنتين في الوقت الحاضر، فالمؤكد هو تراجع عددهم مقارنة ببدايات عهد الهجرة، بسبب انصهارهم في الثقافة الأرجنتينية، وهو انصهار يعود إلى عدم توافر أغلبهم على المستوى الثقافي الذي يؤهلهم للحفاظ على ديانتهم، بحيث اعتنق البعض منهم المسيحية، وفشل البعض الآخر من الذين حافظوا على ديانتهم - وبخاصة من تزوج منهم أرجنتينيات - في نقل هذه الديانة إلى أبنائهم، كما فشلوا في نقل اللغة العربية إليهم. انطلاقاً من هنا نظن أن تواضع نسبة المسلمين في الأرجنتين مقارنة

(٢٧) نقلاً عن: P. Brieger y H. Herszkowich, «La Comunidad musulmana en Argentina», (mimeo, Buenos Aires, 2002).

(٢٨) الإشكالية نفسها تطرح بالنسبة إلى بقية الطوائف الدينية.

بالمسيحيين، لا يرجع إلى كون عدد من هاجر منهم كان محدوداً، وإنّما لأن عدداً كبيراً منهم إما صرح وقت تسجيلهم حين دخول البلاد أنّه مسيحي، وإما أنهم اعتنقوا ديانة المجتمع المضيف.

وبخصوص المؤسسات الدينية الإسلامية في الأرجنتين، تجدر الإشارة إلى أنّه وإضافة إلى تلك التي أنشأها الجيل الأول من المهاجرين، رأت النور خلال العقود الأخيرة، مؤسسات إسلامية أخرى، فقد سبق وأسس المسلمون العلويون الشيعة، وجلهم من أصل سوري، ثلاث مؤسسات مهمة في بوينوس آيريس لا زالوا يؤمنونها إلى اليوم، هي جمعية الاتحاد العلوي عام ١٩٣٦؛ والجمعية الإسلامية العلوية الخيرية عام ١٩٤٣؛ والجمعية العلوية الإسلامية بعد ذلك. وبجانب هذه المؤسسات القديمة، ظهرت في المدينة نفسها مؤسسات حديثة أغلبها مساجد، نذكر من بينها مسجد التوحيد الذي تأسس عام ١٩٨٣ وهو تابع للطائفة الشيعية، ومسجد الأحمّد الذي رأى النور سنة ١٩٨٦^(٢٩)، ومسجد الملك فهد الذي تأسس عام ٢٠٠١ وهو تابع لسفارة العربية السعودية، وكان تشييده على قطعة أرضية في ملكية بلدية بوينوس آيريس، وهبها سنة ١٩٩٥ رئيس الجمهورية كارلوس منعم للسفارة السعودية^(٣٠). ويشكل المسجد جزءاً من مركب ضخم وضع تصميمه مهندس عربي، ويضم مركزاً ثقافياً، ومكتبة، ومتحفاً، وقاعة محاضرات، ومدرستين، وجناحاً للضيافة خاصاً بإقامة الشخصيات الإسلامية التي تزور المركز، إضافة إلى ملاعب رياضية. ويشرف أساتذة سعوديون على تدريس الدين الإسلامي بالمدرستين، وهي دروس تلقى باللغة العربية مع ترجمة إلى اللغة الإسبانية. ويفتح المركب، وهو خاضع لحراسة مشددة، أبواب الزيارة لغير المسلمين برفقة دليل خاص، يجيب عن أسئلتهم المتعلقة بأنشطة المركز الثقافية، وبعض تعاليم الإسلام.

ومن بين المؤسسات الإسلامية الأخرى التي ظهرت في السنوات الأخيرة، هناك المكتب الإسلامي لأمريكا اللاتينية الذي تأسس سنة ١٩٩٢، بهدف تقوية الروابط بين مسلمي الأرجنتين، وإسماع صوتهم في هذا البلد وفي غيره من بلدان أمريكا اللاتينية. ويقيم المكتب من أجل ذلك، علاقات مع الحكومة الأرجنتينية، ومع منظمات وحكومات إسلامية، وقّع مع بعضها اتفاقات تعاون في المجال الثقافي

(٢٩) هذا المسجد تابع للمركز الإسلامي الذي يعود تاريخ إنشائه إلى المراحل الأولى من عهد الهجرة العربية.

(٣٠) أثارت هذه الهبة جدلاً، بسبب القيمة المالية للبقعة، الموجودة في حيّ «بالرمو» (Palermo) الراقي، والتي قدرت بـ ٢٠ مليون دولار.

والديني، سمحت بتنظيم أنشطة للجالية المسلمة، وبخاصة في شهر رمضان. وبجانب هذا يقيم المكتب علاقات متميزة مع البعثات الدبلوماسية الإسلامية في الأرجنتين، يتم من خلالها إثارة قضايا لها علاقة بحاجيات المسلمين ومطالبهم في هذا البلد.

ومن المهام الأخرى التي يطلع بها المكتب، نشر تعاليم الإسلام الصحيح كدليل اجتماعي وأخلاقي ينبذ العنف والطغيان والإبادة؛ وربط علاقات مع الأرجنتينيين الذين اعتنقوا الإسلام؛ والحفاظ على الهوية الدينية لمسلمي الأرجنتين بشكل عام؛ والحرص على مساهمتهم بشكل فعال في مختلف المؤسسات المهنية والسياسية للمجتمع الذي يعيشون فيه من برلمان، ومجالس بلدية، وهيئات حكومية وغيرها. كل هذا يجعل مهمة المكتب على درجة كبيرة من الأهمية، وبخاصة أنه يقوم بمهامه في وقت تعيش فيه الأمة الإسلامية وضعية حرجة، تجبر الجاليات المسلمة في الخارج على الانكماش على نفسها.

٣ - الصحافة العربية في الأرجنتين

بجانب المؤسسات ذات الطابع الاجتماعي والديني، أنشأ العرب في الأرجنتين منذ مرحلة مبكرة، مؤسسات صحافية، وقد ظهرت أول صحيفة عربية في الأرجنتين عام ١٨٩٧ وحملت اسم الصاعقة، وكانت من تأسيس المرسلين الموارنة. وفي السنة نفسها تأسست صدى الجنوب التي عمرت سنة واحدة تقريباً. وفي عام ١٩٠٢ أسس وديع شمعون السلام. وسوف يتزايد عدد الصحف العربية الصادرة في الأرجنتين منذ العقد الثاني من القرن العشرين بشكل كبير، وبدأت تصدر في الولايات الداخلية كذلك، بحيث ظهرت الحكيم في قرطبة، و اليقظة في توكومان. بعد ذلك، وفي سنة ١٩٢٩ تأسست الجريدة السورية اللبنانية^(٣١).

ومن الصحف العربية الأخرى التي كان لها ثقل كذلك، هناك الاستقلال التي أسسها الأمير أمين أرسلان^(*) المنبر التي أسسها بطرس زين ويعقوب غطاس،

(٣١) أصبحت من أهم الصحف العربية في الأرجنتين، وكان مجموع النسخ التي تصدرها من كل عدد ٣٠ ألف نسخة. وبسبب النجاح الذي حققته، نالت صدقية كبيرة لدرجة أن ١٦٩ مؤسسة عربية في الأرجنتين اعتمدها ناطقة باسمها.

(*) حل في الأرجنتين سنة ١٩١٠ كقنصل عام للإمبراطورية العثمانية، وقد عارض دخول الإمبراطورية الحرب العالمية الأولى بجانب دول المحور، لذا قدم استقالته ومكث في الأرجنتين حيث أقبل على العمل الثقافي، وقد ساهم من خلال المحاضرات التي كان يلقيها بجامعة «الابلاتا» (La Plata)، وكذا من خلال جريدة الاستقلال التي أسسها سنة ١٩٢٦، في تحسين صورة العرب بالأرجنتين (المترجم).

والمرسل التي أسسها المرسلون الموارنة، والكفاح التي أسسها جورج صوايا ويوسف عزيزة، والجريدة العربية التي أسسها إلياس عمّار، والوحدة اللبنانية التي أسسها يوسف أبو صندل.

ويتبين لنا من مسار الصحف العربية في الأرجنتين، أنها تطورت بشكل أسرع من ذلك الذي تطورت به الصحف العربية في بقية بلدان أمريكا اللاتينية. وبجانب الصحافة المكتوبة، أقبل العرب على إنتاج برامج إذاعية موجهة للجمالية، مثل «الساعة السورية» سنة ١٩٣٥، و«صوت العرب» سنة ١٩٤٠، و«العالم العربي» و«الوطن العربي» سنة ١٩٥٧. ولا زالت عدد من القنوات الإذاعية تبث حتى اليومم برامج خاصة بالجمالية العربية. وهنا نود الإشارة إلى أن الصحافة إلى جانب الموسيقى والمسرح والأدب، أدت دوراً فعالاً في نشر الثقافة العربية في الأرجنتين.

سادساً: العلاقات بين عرب ويهود الأرجنتين

١ - جذور الخلاف

بالعودة إلى بدايات الهجرة العربية إلى الأرجنتين، نكتشف كيف أثر النزاع العربي - الإسرائيلي، بشكل كبير في العلاقات بين اليهود من أصول عربية، وبين غيرهم من العرب. ويتحدث إيغنازيو كليش (Ignacio Klich) عن التعايش الذي كان قائماً بين المسلمين واليهود في الأرجنتين خلال النصف الأول من القرن العشرين^(٣٢)، وكيف وقع بعد ذلك ما يمكن أن نسميه بـ «التنافر المفروض». وتقدم دراسة كليش وثائق مهمة عن وجود جمعيات عربية في بداية القرن العشرين، تضم مهاجرين عرباً من مختلف الطوائف الدينية بمن فيهم اليهود.

كانت العلاقات بين اليهود وغيرهم من العرب وثيقة قبل بداية النزاع العربي - الإسرائيلي، سواء داخل الجمعيات التي كانت تضمهم بمختلف طوائفهم، أو من خلال العلاقات التجارية المثمرة التي كانت تجمعهم، أو من خلال الصحافة التي أصدرتها في الأرجنتين. عن ذلك يقول كليش: «على الرغم من الحدود الفاصلة بين السوريين واللبنانيين، المسيحيين والمسلمين واليهود والذين وبشكل عام كانوا ضد فكرة الزواج خارج مجموعتهم الدينية والعرقية، فإن الحدود بين هذه المجموعات الناطقة بالعربية في الأرجنتين، لم تكن قائمة بالحدة

Ignacio Klich, «Arab-Jewish Coexistence in the First Half of 1900s Argentina, » in: Ignacio (٣٢) Klich and Jeffrey Lesser, eds., *Arab and Jewish Immigrants in Latin America: Images and Realities* (London; Portland, OR: F. Cass, 1998).

نفسها التي كانت عليها في أوطانهم الأصلية، أو في بعض البلدان الأخرى التي هاجروا إليها»^(٣٣).

إن الغاية - بحسب كليش - من استحضار هذه المرحلة التاريخية التي يرغب كل طرف في نسيانها، ليس الادعاء بأنها عرفت تعايشاً مثالياً بين اليهود العرب وبين نظرائهم المسيحيين والمسلمين، وإنما إظهار النزاع العربي - الإسرائيلي، وكيف أثر في العلاقة بين جاليات، وإن كانت تنتمي إلى نفس الأصول الجغرافية، فهي تقيم في مناطق بعيدة جداً عن تلك التي وقع فيها النزاع. ويضيف كليش في هذا السياق: «لم يستطع ذلك التعاون وتلك الثقة المتبادلة، أن يصمدا أمام أول حرب عربية إسرائيلية، في وقت بدا فيه كل طرف يفتخر بجذوره العرقية، خصوصاً مع ظهور تيارات متضاربة، منها من يدعو إلى قومية عربية، ومنها من يدعو إلى قومية سورية، ومنها من يدعو إلى قومية إسلامية»^(٣٤).

لقد أصبح من الصعب منذ نهاية الأربعينيات، استمرار اليهود العرب كأعضاء في الجمعيات العربية في الأرجنتين والتي تضم أتباع ديانات أخرى. وسيساهم في تأجيج الخلاف بين اليهود العرب وبين غيرهم، أشخاص من الجاليات العربية من ديانات مختلفة. وإذا كانت بعض الصحف العربية الصادرة في الأرجنتين، مثل الجريدة السورية اللبنانية، قد آثرت عدم إبداء رأيها في إنشاء دولة إسرائيل، في محاولة منها للحفاظ على موقف الحياد، فإن بعض البارزين من الجالية العربية مسلمين ومسيحيين، لم يترددوا في التعبير عن موقفهم من القضية، شأنهم في ذلك شأن بعض البارزين من الجالية اليهودية. وهكذا نسجل بالنسبة إلى الحالة الأولى، ما قام به جواد نادر المدير السابق لد جريدة السورية اللبنانية الذي قاد حملة نشيطة سنتي ١٩٤٦ و١٩٤٧ يدعو فيها مواطنيه من المسلمين والمسيحيين إلى العمل على إقناع أصدقائهم اليهود العرب لدعم القضية الفلسطينية وجمع التبرعات لها، ونسجل بالنسبة إلى الحالة الثانية، ما قام به بعض الصهاينة، من خلال الجامعة اليهودية، بحيث سعوا إلى إقناع اليهود السوريين - اللبنانيين وكذا اليهود من أصل سفردى، بمعاودة دولة إسرائيل، وقد نجحوا في ذلك بالنسبة إلى الفئة الأولى، لكنهم فشلوا بالنسبة إلى الفئة الثانية، لأن اليهود السفرديين كانوا يعتبرون الصهيونية مجرد أيديولوجية علمانية.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢١.

وسوف تأخذ المواجهة منحىً تصاعدياً ابتداءً من سنة ١٩٤٧، إثر زيارة وفد جامعة الدول العربية وعلى رأسه أكرم زعيتر إلى الأرجنتين، للحصول على دعم الجاليات العربية. هذه الزيارة توجت بتأسيس اللجنة الأرجنتينية العربية للدفاع عن فلسطين والتي بدأت بجانب الجمعيات العربية في الأرجنتين، تضغط على الحكومة الأرجنتينية للتصويت في هيئة الأمم المتحدة ضد قيام دولة إسرائيل.

هكذا إذاً نجم عن اتخاذ موقف من الصراع العربي - الإسرائيلي، حدوث شرح في الجمعيات العربية التي كانت تضم من قبل العرب بدياناتهم المختلفة، بمن فيهم اليهود الذين انسحبوا من هذه الجمعيات، وأسسوا جمعيات خاصة لم تكن كلها ذات توجه صهيوني.

نخلص إلى القول إن النزاعات السياسية ذات الطابع الدولي، تؤثر إلى حد كبير في العلاقات بين مختلف مكونات الجاليات العربية في الأرجنتين، وهنا وبخصوص الحالة التي تمنا، تجب الإشارة إلى أنه إذا كان هناك من عنصر ساهم في تخفيف حدة الخلاف، أو على الأقل أجل حدوث القطيعة بين العرب اليهود، والعرب من طوائف أخرى، فهذا العنصر هو تداخل المصالح الاقتصادية وبخاصة التجارية بينهم^(٣٥).

هناك نقطة أخرى لها علاقة بالموضوع أوردها كليش، وتتعلق بمحاولة بعض التيارات الصهيونية إنشاء مستوطنة للاجئين الفلسطينيين في الأرجنتين. يتعلق الأمر بتجربة معروفة، أثارت جدلاً كبيراً في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، عندما سعى بعض الصهاينة وكذا بعض البريطانيين من أصحاب القرار في فلسطين، إلى نقل مجموعات سكانية فلسطينية إلى الأرجنتين، لتركوا أراضيهم في فلسطين لليهود أرجنتينيين. ويحصر كليش الأسباب التي شجعت على السعي إلى تطبيق هذا المشروع في ثلاثة:

أ - وعي من خطط له بأن الأرجنتين هي القبلة المفضلة لدى العديد من المهاجرين العرب خلال أربعينيات القرن العشرين.

ب - علاقة الصداقة التي كانت تربط حكومة الجنرال بيرون بالدول العربية، وبدولة إسرائيل بعد قيامها.

Ignacio Klich, «Arabes, judíos y árabes judíos en la Argentina de la primera mitad del (٣٥) novecientos,» *Estudios interdisciplinarios de América Latina y el Caribe (E.I.A.L.)*, vol. 6, no. 2 (julio-diciembre 1995).

ج - تعيين شخص متشعب بالثقافة العربية هو سانتياغو بيرالتا (Santiago Peralta)^(٣٦)، على رأس الإدارة العامة للهجرة منذُ وصول بيرون إلى الحكم سنة ١٩٤٦. وقد شجع بيرالتا هجرة «بدو» منطقة الشرق الأوسط إلى الأرجنتين.

وبحسب كليش دائماً، قام عدد من الساسة الإسرائيليين بتخطيط محكم لإنشاء المستوطنة المرتقبة في الأرجنتين، حيث بدأوا، ولإنجاح المشروع، بتشجيع الفلسطينيين على الهجرة إلى هذا البلد الذي انتقل إليه للغاية عام ١٩٤٨، وقد إسرائيلي كان من بين أعضائه إسحاق نافون (Yitzhk Navon) الذي سيصبح في ما بعد رئيساً لدولة إسرائيل. غير أن المشروع باء بالفشل، وبخاصة أن إسرائيل كانت ترغب في تكوين مستوطنة خاصة بالفلسطينيين المسلمين، في وقت كانت الأفضلية في الأرجنتين تمنح لهجرة المسيحيين.

٢ - تفجيراً بوينوس أيريس وتأزم العلاقة بين عرب ويهود الأرجنتين

في ١٧ آذار/ مارس ١٩٩٢ انفجرت عبوة ناسفة بمقر سفارة إسرائيل في بوينوس أيريس حولت البناية إلى ركام، وقد خلفت ٢٢ قتيلاً و ٢٠٠ جريح من بينهم عدد من أعضاء البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية، ولم يتم آنذاك الكشف عن مدبري العملية. وفي ١٨ تموز/ يوليو ١٩٩٤، تمّ تنفيذ عملية إرهابية ثانية ضدّ الجالية اليهودية في بوينوس أيريس، استهدفت هذه المرة مقر جمعية التعاضد الإسرائيلية. وقد خلفت هي الأخرى ٨٥ قتيلاً و ٢٠٠ جريح في حالة خطيرة. ولم تتم هذه المرة كذلك إمطة اللثام عن مصدر العملية، على الرغم أن الضغوطات التي مارستها الجالية اليهودية النافذة في الأرجنتين، كشفت وقوع عدة مخالفات في عمليات التحقيق، من بينها تقديم رشى لبعض الشهود. على ضوء ذلك ستوجه أصابع الاتهام، من طرف وسائل الإعلام وكذلك من طرف القضاة الذين يباشرون التحقيق، وبخاصة بالنسبة إلى التفجير الثاني، إلى حزب الله اللبناني، الذي تناقلت الصحافة أنه قام بالعملية بتواطؤ مع بعض موظفي السفارة الإيرانية في بوينوس أيريس، وعلى رأسهم الملحق الثقافي واسمه محسن رباني الذي كان في الوقت نفسه إمام مسجد التوحيد التابع للطائفة الشيعية المقيمة في المدينة.

(٣٦) مستشرق أرجنتيني برز اهتمامه بالثقافة العربية منذ أربعينيات القرن العشرين، عندما نشر كتاباً رائداً عن الحضارة العربية الإسلامية، يحمل عنوان أعمال الشعب العربي في الأرجنتين، تناول فيه تأثير هذه الحضارة في تكوين الهوية الأرجنتينية (المترجم). انظر: Santiago Peralta, *La Acción del pueblo arabe en Argentina* (Buenos Aires: Sociedad impresora americana, 1946).

وبما أن التحريات سارت في «الطريق اللبناني» ثم في «الطريق الإيراني»، فإن الرأي العام بدأ يضع علاقة بين العمليتين الإرهابيتين وبين المهاجرين العرب، وبخاصة المسلمين. وقد عبّرت الجاليات العربية، عن رفضها لهذه الاتهامات، في وقت غادر فيه الأرجنتين، الملحق الثقافي لسفارة إيران بعدما تراجع مستوى التمثيل الدبلوماسي بين البلدين إلى حدود دنيا. وسوف يُصدر بعد ذلك القاضي المكلف بالتحقيق، مذكرة دولية لإيقاف المتهم الرئيسي محسن رباني. ويدافع الإمام الحالي لمسجد التوحيد، وهو أرجنتيني اعتنق الإسلام، عن الإمام السابق، ويعتبر أن ما يروج ضده يدخل في إطار عملية ممنهجة تستهدف العرب والمسلمين.

وإذا ما تساءلنا هل مس هذان التفجيران بسمعة الجالية العربية والجالية المسلمة بشكل عام في الأرجنتين، وانعكسا سلباً على اندماجهما؟، فالجواب هو أنه بالفعل ظهر تيار معادٍ للعرب حاول تشويه سمعتهم وعرقلة مسلسل اندماجهم في المجتمع، غير أن هذا التيار سرعان ما تراجع، بحيث لم يتمكن من عرقلة التعايش بين الجالية المسلمة وغيرها من الجاليات الأخرى، وإن عاد ليطفو على السطح من جديد ويمس بالحياة السياسية الأرجنتينية، ذلك الخطاب القديم حول طبيعة العلاقة بين عرب ويهود الأرجنتين. وقد تجدد هذا الخطاب - كما كان الشأن في الماضي - من خلال الصحافة وبعض الكتب التي صدرت حول الموضوع والتي ربطت بين الخلاف بين عرب ويهود الأرجنتين، وبين القضية الفلسطينية. وسوف تطالب الصحف والمنشورات الصادرة عن الشبيبة الصهيونية في الأرجنتين، الجالية المسلمة بانتقاد وبشكل علني زعماءها الدينيين، على اعتبار أنهم متورطون في التفجيرين^(٣٧). وبطبيعة الحال، ردت الجالية المسلمة، بشجبها للتفجيرين، وتأكيداً أن من قام بهما هم قبل كل شيء «أعداء الإسلام». ومع ذلك تلقى عدد من الزعماء الدينيين للجالية المسلمة وكذا بعض مؤسساتهم، تهديدات بعضها من خلال مكالمات هاتفية، كما تم تفجير عبوة ناسفة في مسجد التوحيد في بوينوس أيريس سنة ٢٠٠١.

٣ - عرب الأرجنتين والموقف من القضية الفلسطينية

يوجد على رأس البعثة الدبلوماسية للسلطة الوطنية الفلسطينية في الأرجنتين سفير نشيط هو سهيل هاني ظاهر عقل الذي له حضور متميز في الحياة العامة الأرجنتينية، من خلال مشاركاته المستمرة في الأنشطة السياسية والثقافية والدينية

D. Malamed, «Exodo en democracia: El Sionismo y la tierra prometida.» *Magshimon* (٣٧) (Jerusalem), no. 21 (junio 2004).

التي تشهدها الأرجنتين والمتعلقة بالقضية الفلسطينية. وقد أثارت آراؤه في النزاع العربي - الإسرائيلي جدلاً مع بعض ممثلي الجالية اليهودية، من ذلك تصريحاته التي يعبر فيها عن شجبه لسياسة شارون في الشرق الأوسط، حيث يقول إنه لا يجب أن نفاجأ من هذه السياسة لأن واضعها «هو مجرم حرب معروف». وما تركز عليه تصريحاته كذلك، سعي الفلسطينيين إلى تحقيق السلم في المنطقة، إذ يرى أن التزامهم الوحيد هو الالتزام بالسلم، وإن لم يقابل ذلك بالمثل من الطرف الآخر، ويضيف أن ٦٠ في المئة من القتلى الفلسطينيين بأسلحة الإسرائيليين هم من الأطفال الذين لا يتجاوز عمرهم ١٥ سنة. ويوجه سهيل هاني انتقاداته إلى المجتمع الدولي، ويعتبر أن الضمير الدولي لم يحرك ساكناً أمام العنف السياسي والاقتصادي الذي يمارس على الشعب الفلسطيني الذي يقول عن نضاله: «سنواصل الانتفاضة التي لا يمكن اعتبارها أعمال عنف كما يدعي شارون، وإنما مقاومة ترمي إلى الدفاع عن حقوقنا المشروعة، والحصول على سيادتنا واستقلالنا، وإيقاف العنف الإسرائيلي»^(٣٨).

وقد دخل بعض أعضاء تنظيمات الجالية الإسرائيلية في الأرجنتين في سجل مفتوح مع السفير الفلسطيني، من خلال الصحافة الأرجنتينية، وكذا من خلال مجلة **هتيكفا** (*Hatikva*) الناطقة باسم الجالية اليهودية في الأرجنتين، حيث اتهموه بتزييف التاريخ.

ولتقييم نظرة الأرجنتين عن هذا النزاع، اعتمدنا رأي دبلوماسي أرجنتيني خبير في شؤون الوطن العربي هو أنطونيو إيسو (Antonio Isso)^(٣٩) الذي يرى أن سبب اهتمام الأرجنتين بالنزاع العربي - الإسرائيلي، مرده العلاقات التاريخية والاجتماعية والثقافية والدينية التي لهذا البلد بالموضوع. وقد اعتمدنا كذلك رأي الخبير نفسه بخصوص موقف عرب الأرجنتين من النزاع، حيث يرى إيسو أن مؤسساتهم لا تعبر بالضرورة عن موقف كل مكونات الجالية والتي تمثل ثقلاً عددياً مهماً جداً، إذ تعتبر الجالية الثالثة في الأرجنتين من الناحية العددية بعد الجاليتين الإيطالية والإسبانية. هذه الجالية تحلم بأن يتحقق سلم قريب ودائم في منطقة النزاع. ولا تعدو أن تكون الاختلافات في وجهات النظر بين مكوناتها ومؤسساتها حول قضية النزاع، شكلية تُهم مثلاً بخصوص تفجير بوينوس آيرس، مصطلح «إرهايين» المستعمل للإشارة

(٣٨) من الحوار الذي أجرته معه المجلة العربية. انظر: *Revista arabe*, vol. 3, no. 3 (2001), p. 16.

(٣٩) قضى ٢٤ سنة في قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأرجنتينية، وعمل كدبلوماسي في الأردن قبل أن يشغل منصب سفير الأرجنتين في العراق ثم في الكويت، إضافة إلى ذلك زار في مهام رسمية معظم البلدان العربية. من الحوار الذي أجريناه معه.

إلى من قام بها، إذ عبر بعض أفراد هذه الجالية وكذا بعض مؤسساتهم عن رفض المصطلح والذي اقتنع به الرأي العام الأرجنتيني، واعتبروا أن من يسمون بـ «إرهابيين» هم «مجموعات محاربة تقاوم بشكل مشروع الطغيان»، أو اعتبروهم ممثلي «حركات تحرير وطنية».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فدرالية المؤسسات العربية «فياراب» (فرع الأرجنتين)، تضطلع بدور مهم كناطق باسم الجالية بخصوص النزاع العربي - الإسرائيلي، إذ أصدرت عدة مرات بيانات تعبر عن دعم الجالية للشعب الفلسطيني، وتناشد المنظمات الدولية العمل من أجل جلاء القوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما في ذلك القدس الشرقية، وكذا من الأراضي السورية واللبنانية. وتحرص الفدرالية خطابها في المطالبة بتحقيق: «السلم والعدالة والكرامة لكل شعوب ودول المنطقة، وفي إقامة دولة فلسطينية حرة مستقلة ذات سيادة، عاصمتها القدس الشرقية».

يتبين لنا مما سلف ذكره، الاهتمام الخاص الذي توليه المؤسسات والهيئات العربية في الأرجنتين، بموضوع النزاع العربي - الإسرائيلي وبغيره من القضايا التي تهم الشعوب العربية. وهي بشكل عام تتعاطف مع هذه القضايا. وبالرغم من أن مواقفها تصطدم أحياناً بمواقف بعض المؤسسات اليهودية، فإنه لا يمكن الزعم أنه يوجد في الوقت الحاضر بسبب ذلك، نزاع بين عرب ويهود الأرجنتين. ويرى إيسو في تقييمه لهذه الوضعية، أن التعايش بين العرب واليهود في الأرجنتين كان ومنذ بداية عهد الهجرة تعايشاً نموذجياً، على الرغم من وجود مجموعات في هذا الطرف أو ذاك رافضة له.

٤ - العلاقات بين الأرجنتين والوطن العربي

اعتمدنا في تقييم هذه العلاقات سلسلة الحوارات التي أجريناها مع مجموعة من الدبلوماسيين الأرجنتينيين، وعلى رأسهم الخبير أنطونيو إيسو الذي صادفته حرب الخليج الأولى سفيراً في العراق، ثم بعد ذلك سفيراً في الكويت إثر انسحاب القوات العراقية من هذا البلد.

وقد بينت هذه الحوارات، أن العلاقات بين الأرجنتين والوطن العربي أخذت منحىً جديداً بعد حرب الخليج الأولى؛ فالأرجنتين شاركت في التحالف الدولي الذي قام بإرسال قوات إلى المنطقة على أثر الاجتياح العراقي للكويت، وهو ما ساهم في إعطاء دفعة جديدة للتعاون التجاري بين الأرجنتين والكويت. وعلى الرغم من وجود علاقات دبلوماسية سابقة بين البلدين، فإنها لم تكن ترقى إلى درجة تعيين

سفراء، وإنما كان يتم ذلك عبر سفارة الأرجنتين في السعودية، وسفارة الكويت في واشنطن. وعقب نهاية الحرب فتحت الأرجنتين سفارتها في الكويت وأقفلت في المقابل سفارتها في بغداد.

وبالإضافة إلى الكويت، تقيم الأرجنتين علاقات تجارية مع بلدان أخرى في الشرق الأوسط، وهي علاقات تسجل ميزاناً تجارياً مربحاً لفائدة الأرجنتين التي تصدر الحبوب بكميات هائلة إلى عدد من هذه البلدان. ويشمل التبادل التجاري مجالات أخرى مختلفة، إذ باعت الأرجنتين في المدة الأخيرة معدات نووية تستعمل لأغراض سلمية لكُل من مصر والجزائر. وتوجد في بعض بلدان الشرق الأوسط مثل السعودية والكويت والإمارات، مجموعة من الشركات الأرجنتينية. وفي ما يتعلق بالتعاون الثقافي، تم توقيع عدة اتفاقات بين جامعات أرجنتينية وجامعات عربية، وبخاصة مصرية، من بينها جامعة القاهرة.

من جانب آخر، ودائماً بحسب تقييم الدبلوماسيين الأرجنتينيين الذين استجوبناهم، تتفاوت المعرفة بالأرجنتين وبثقافتها بين بلد عربي وآخر، إذ إن الاهتمام بهذا البلد في مصر وسوريا ولبنان، يفوق الاهتمام به في بقية البلدان العربية. ويرجع الفضل في الاهتمام بالأرجنتين في البلدين الأخيرين، إلى الجالية العربية التي لمكوناتها من مهاجرين ومتحدرين، ارتباطات ومراسلات مع أقاربهم في البلدين.

خاتمة

مرّ قرن ونصف تقريباً على وصول أوائل المهاجرين العرب إلى الأرجنتين. ومنذ بداية الهجرة، سعت النخبة الحاكمة إلى أن تجعل من البلاد نقطة للقاء الأجناس وانصهارها. ويمكن القول اليوم إن هذا المشروع تحقق بنجاح، ذلك أن العرب كالأوروبيين، اندمجوا بشكل كامل في المجتمع الأرجنتيني. ومع انصهار المهاجرين العرب والمتحدرين منهم، اختفت العديد من عاداتهم ومن مظاهرهم الثقافية، لكنهم في المقابل حققوا ارتقاءً اجتماعياً واقتصادياً وحضورياً سياسياً، وكُل هذا جعلهم جزءاً لا يتجزأ من الواقع الأرجنتيني، ومن المعضلات والمشاكل السياسية التي يعرفها هذا البلد.

لقد دخلت في السنوات الأخيرة، المؤسسات الاجتماعية التي أنشأها أوائل المهاجرين العرب مرحلة الأفلول، والسبب هو أن الدافع وراء تأسيسها، والمتمثل في حاجة أبناء البلد الواحد إلى التكتل في مجتمع غريب عنهم، لم يعد موجوداً لدى المتحدرين وبعضهم من أبناء الجيل الثالث بل والرابع. وستقوم على أنقاضها

مؤسسات جديدة نشأت على أساس الانتماء القومي أو الهوية الدينية، وليس على أساس الانتماء القطري كما كان الأمر في بعض المؤسسات القديمة.

تشهد الجالية العربية في الأرجنتين اليوم ما يمكن أن نعتبره نوعاً من انبعاث الهوية العربية التي يتم ومن أجل إحيائها، اعتماد وسائل جديدة تسمح بالتواصل بين المتحدرين من أصل عربي، من بين هذه الوسائل تنظيم «مؤتمرات الشباب العربي في الأرجنتين» بشكل دوري. ومن العناصر التي ساهمت في هذا الانبعاث، تجدد النزاعات في منطقة الشرق الأوسط، ووقوع أحداث مرتبطة بهذه النزاعات في الأرجنتين، مثل تفجيري بوينوس آيريس سالفلي الذكر.

لكن لا يمكن الادعاء أن هذين التفجيرين، وبعض أحداث العنف التي كانت الأرجنتين مسرحاً لها بسبب النزاع العربي - الإسرائيلي، والتهم المتبادلة بين الجاليتين العربية واليهودية، عوامل حالت دون استمرار التعايش بين المجموعتين، وهو ما يعني أن ما وقع من إقصاء أو تشهير ليس أكثر من حالات معزولة ناجمة في العديد من الحالات عن جهل وعدم معرفة بالآخر، يقف وراءها أشخاص بعينهم وتروج لها الصحافة. وهنا يجب التذكير أن المؤسسات العربية الجديدة التي ظهرت في الأرجنتين، جعلت من بين أهدافها محو أحكام القيمة الجاهزة، وإزاحة أي حاجز قد يعرقل اندماج العرب في المجتمع الأرجنتيني.

مراجع إضافية

Book

Flores, María Alejandra. *La Integración social de los inmigrantes: los llamados turcos en la ciudad de Córdoba, 1890-1930*. Córdoba, RA: Centro de estudios históricos, 1996.

Periodicals

Bestene, Jorge O. «Dos imágenes del inmigrante árabe: Juan A. Alsina y Santiago M. Peralta.» *Estudios migratorios latinoamericanos*, vol. 12, no. 36, agosto 1997.

_____. «La Inmigración sirio-libanesa en la Argentina: Una aproximación.» *Estudios migratorios latinoamericanos*: vol. 3, no. 9, agosto 1988.

_____. «Realidades y estereotipos: Los «Turcos» en el teatro argentino.» *Estudios migratorios latinoamericanos*: vol. 9, no. 26, abril 1994.

Jozami, Gladys. «The Manifestation of Islam in Argentina.» *Americas*: vol. 53, no. 1, July 1996.

Klich, Ignacio. «The Chimera of Palestinian Resettlement in Argentina in the Early Aftermath of the First Arab-Israeli War and Other Similarly Fantastic Notions.» *Americas*: vol. 53, no. 1, July 1996.

Montenegro, Silvia María. «Los Laberintos de la identidad Viejos problemas y nuevas definiciones en teoría social.» *Culturas* (Santa Fe): no. 4, 2003.

Yobe, Alba. «Instituciones árabes.» *Revista orígenes e identidad de los santafesinos* (Santa Fe): no. 25, 2003.

_____. «Personalidades de ascendencia árabe.» *Revista orígenes e identidad de los santafesinos*: no. 26, 2003.

Conference

Jozami, Gladys. «El Retorno de los turcos en la argentina de los 90.» Papier présenté à: *Discriminación y racismo en América Latina*. Edición preparada por Ignacio Klich y Mario Rapoport. Buenos Aires: Grupo editor latinoamericano, 1997. (Nuevohacer. Colección estudios políticos y sociales)

فهرس

- أ -
- الأدب المهجري: ١٥، ٣١
- الأرثوذكس: ٣١، ٤٠-٤٢، ٩٦-
- ٩٨، ١٤١، ١٤٦، ١٦٧، ١٩٢-
- ١٩٣، ٢٠٠، ٢٤٩، ٢٥٦،
- ٢٧٦، ٢٨٥، ٣١٠، ٣١٨،
- ٣٢٣، ٣٢٦
- أرسلان، أمين: ٣٣١
- أرغيداس، خوسي ماريا: ٢٦٥
- الإرهاب: ٢٠٤-٢٠٥، ٢٦٤، ٢٩٣،
- ٢٩٧-٣٠٠، ٣٠٢، ٣٣٦
- الإرهاب الإسلامي: ٢٩٣
- الإرهاب الدولي: ٢٠٤، ٢٩٨
- الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩):
- ٢١، ٢٦، ١٠٠، ١٢٩، ٢٤٣
- الاستثمارات الصناعية في أمريكا
- اللاتينية: ٢٧
- الاستعمار الأوروبي: ١٦
- أستورياس، ميغيل أنخل: ٣٤
- الإسلام: ٣١، ٣٦-٣٧، ٤١-٤٣،
- ٩٨، ١٢٣، ١٤١، ١٨٩، ١٩٣،
- إبراهيم، رامون: ٦٠
- أبو ديب، أنطوان: ٧٠
- أبو صندل، يوسف: ٣٣٢
- أبو غصن، لاثرو: ٢٤٠
- أبو كرم، أسعد: ٥١
- أبو كرم، إليزا: ٥٢
- أبو كرم، عبد الله: ٥١
- الاتحاد الأخوي السرياني الأرثوذكسي
- (الأرجنتين): ٣١٨
- الاتحاد الثقافي اللبناني العالمي: ٤٠
- الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين
- (التشيلي): ٦٢
- الاتحاد المحر داوي (الأرجنتين): ٣٢١
- أحداث ١٩٥٨ (لبنان): ٣١٣
- أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١
- (الولايات المتحدة): ١١، ٣٦-
- ٣٨، ٤٢، ١١١، ٢٠٤، ٢١٠،
- ٢٦٣، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٢٥
- الأحكام المسبقة: ١١٩، ١٣٧

- الانتماء الأبوي: ١٥٠ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٥-٢١٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢-٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥-٢٨٦ ، ٢٩٢-٢٩٣ ، ٢٩٦-٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣١٦ ، ٣١٨-٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨-٣٣١ ، ٣٣٦
- الإسلام الأسود: ٢٠٦ ، ٢١٣
- أشقر، كميلو: ٤٩
- الإصلاح الزراعي: ١٦ ، ٩٢ ، ٢٥٩
- الإصلاحات الاجتماعية: ١٢٩
- الإصلاحات الاقتصادية: ١٢٩
- الإصلاحات السياسية: ١٢٩
- الأصولية الإسلامية: ٢٦٣
- الاقتصاد البرازيلي: ١٨٠
- الأقمة المذهبة (المكسيك): ١٠٠
- ألبيردي، خوان: ٢١٧
- أليندي، إيزابيل: ٣٤
- أليندي، سالفادور: ٥٨
- ألونسو، نيغرون: ٢٣٧
- الياس، صقالة: ٢٢٢-٢٢٣ ، ٢٤١
- أمدو، خورخي: ٣٤
- الإمبراطورية العثمانية: ٧٠-٧١ ، ٩٩ ، ١٢٢-١٢٣ ، ١٣٠-١٣١ ، ١٨٢ ، ٢١٨-٢١٩ ، ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٣١٢-٣١٣ ، ٣١٩
- الإمبريالية: ٣٥ ، ٧٠
- الأمم المتحدة: ٣٦ ، ٤١ ، ٢١٨ ، ٣٣٤
- الانتداب الفرنسي: ١٣٠ ، ١٨٢ ، ٢١٩ ، ٣١٣
- انتفاضة الأقصى (٢٠٠٠): ٤٢ ، ٣٣٧
- الانتماء الاجتماعي: ١٣٧ ، ١٥٦
- الانتماء الثقافي: ١٣٧ ، ٣٠٩
- الانتماء الجغرافي: ١٠ ، ٧٩ ، ٨٣-٨٥ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠١-٣٠٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٢-٣٢٧
- الانتماء الديني: ٢٨ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣٢٧
- الانتماء السياسي: ١٥٦
- الانتماء الطائفي: ١٥٦
- الانتماء العربي: ١٥٦
- الانتماء العرقي: ١٣٦
- الاندماج الاجتماعي: ٤٩-٥٠ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٦٦
- الاندماج الاقتصادي: ١٣٧ ، ٢٨٨
- اندماج العرب في المجتمع الأمريكي اللاتيني: ١١٨
- اندماج العرب في المجتمع التشيلي: ١١٨ ، ١٣٥ ، ١٥٨
- أنطونيو، خورخي: ٤٦ ، ٥٠
- أورتيجا، دانيل: ٥٧
- الأوليغارشية التجارية: ٢٤٥
- إيريغويين، هيبوليتو: ٣٢٥
- إيسو، أنطونيو: ٣٣٧-٣٣٨
- إيلي، صفا: ٢٢٣ ، ٢٤٠

- ب -

- بولس، بطرس (الأب): ٩٧
بيدرو، فرانيسكو: ٩٩
بيرالتا، سانتياغو: ٣٣٥
بيرون، خوان دومينغو (الجنرال):
٣٣٤، ٦٠، ٥٠
بيرون، ماريا إستيلا: ٦٠
بيطار، سيرجيو: ٥٨
بينر، رونالدو: ٣٠٠
بينوشيه، أوغوستو: ٥٨
بييو، خواكين إدوارد: ١٣٩

- ت -

- تابيا، خينة: ١٤٦
تاسو، ألبرتو: ٣٢١
تايلور، فرانسيس: ٢٩٩-٢٩٨
التباين الثقافي: ٣١٢-٣١١
التباين الديني: ٣١٢
التباين العرقي: ٣١٢
تبييض الأموال: ٢٩٩
التجار اليهود: ١٠٠
تجارة الرقيق: ٢٠٧
التجارة المتجولة: ٢٣، ٢٥، ٩٥،
١٠٠، ١٠٣، ١٠٥-١٠٦، ١٥٨-
١٦٠، ١٩٤، ٢١٧، ٢٢٧،
٢٤٠، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٨١،
٢٨٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٥،
٣٢٣، ٣١٨
تجارة النسيج: ١١٨، ١٨٨، ٢٣١،
٢٣٤، ٢٤٠، ٣٢٠
- باتيستا، فولخانسيو: ٥٥
باستيد، روجيه: ٢٠٧
باشليت، ميشيل: ٥٨
الباعة المتجولون: ٢٤-٢٥، ٢٨، ٩١،
٩٥، ١٠٥، ١٠٨، ١٥٩، ١٨٩،
١٩٤، ٢٢٤، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٣٠-
٢٣١، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٨٨،
٣٠١، ٣١٤، ٣٢١
الما، أرتورو أليسندي: ١٢٩
باليار، إيتيان: ٣٠٥
بردافي، خواكين: ١٠٢
برطيط، ليلي: ٣٣، ٣٥، ٢١٥
برغاس، غيتوليو: ١٨١، ١٩٠،
٢٠٣، ٢١٢
برقوش، بشارة: ١٤٣
البروتستانت: ٤٠، ٩٧، ١٨١،
١٩٣، ٢٠٠، ٣١٦
بزادر، خورخي: ٢٢٣
البدستاني، جرجي: ٣١٣
البطالة: ٩٣
بعقلاني، كميل: ٣٢٢
البنك الكاريبي (فنزويلا): ٤٥
بنك مراد (المكسيك): ٤٥
البنك الوطني المكسيكي: ٤٥، ١١٠
بورغا، مانويل: ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٣،
٢٤٥
بوش (الابن)، جورج: ٣٨

٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٤-٢٣٦، ٢٤٣-

٢٤٥، ٣١١-٣١٢، ٣١٨

تومة، الياس: ٥٩

تومة، نيكولاس: ٤٩

- ث -

الثقافة الأرجنتينية: ٣٠٩، ٣١١،

٣٢٩

الثقافة الإسلامية: ٢٦٣

الثقافة الأمريكية اللاتينية: ٣١، ٣٢٧

الثقافة البرازيلية: ١٨٩-١٩١، ٢٠٦،

٢١٢، ٢٦٥، ٢٧٤

الثقافة التشيلية: ١٥٦، ١٦٦

الثقافة العربية: ١٤٠، ١٨٩-١٩١،

١٩٦، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤،

٢١٠-٢١٢، ٢٤٣، ٢٧٤، ٣١٩،

٣٢١-٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٥

الثقافة الغربية: ١٩٩، ٢٥٦

الثنائية العرقية: ١٨٤

الثورة الصناعية في بريطانيا: ٢٣١

الثورة الكوبية: ٥٥، ٥٧، ٥٩

الثورة المكسيكية (١٩١٠-١٩٢٠):

٢٠، ٥٩، ٧٨، ٩١، ١٠٩،

٢٣٩-٢٤٠

- ج -

جابر، أحمد: ٢٥١

الجلاليات العربية في الأرجنتين: ٣٢٥،

٣٣٤، ٣٤٠

الجلالية العربية في التشيلي: ١٤٨

تحين، حسين: ٢٨٦، ٢٩٢

تحين، سعيد: ٢٨٦

تروزي، أوزوالدو: ٢٠٠

التزايد الديمغرافي: ٨٨، ٣١٣

التعدد الثقافي: ١٧٧، ٢٠٤، ٣٠٩

تفجير السفارة الإسرائيلية في بوينوس

أيريس (١٩٩٢): ٣٥-٣٦، ٢٩٥،

٣٣٥، ٣٤٠

تفجير مقر جمعية التعاضد الإسرائيلية

في بوينوس أيريس (١٩٩٤): ٣٥-

٣٦، ٢٩٥، ٣٣٥، ٣٤٠

التقاليد العربية: ١٤٢، ١٥١، ٢٥٠

التقدم التقني: ١٣٦

تقسيم فلسطين (١٩٤٨): ٢٢

التلوث البيئي: ١٧٩

التمييز العنصري: ٢٩٥

التنمية الاقتصادية: ٢٣، ٧٣، ١١٨،

١٢٥، ١٢٧، ١٥٧، ١٨٠-١٨١،

١٩٩، ٢٣٠، ٣٢٢

التنمية الاقتصادية للبرازيل: ١٩٩

التنمية الاقتصادية للتشيلي: ١١٨

التنمية الحضرية: ١٥٤

التنمية الصناعية: ١٥١، ١٦١

التنوع الثقافي: ١٨١

التنوع العرقي: ٣١٠

التوركوس: ١٨، ٢٩، ٤٤، ٧٥،

١٢٧-١٢٨، ١٣٨-١٣٩، ١٦٠،

١٨٣، ١٨٨، ٢٠٠-٢٠١، ٢١٨،

- الجمالية اللبنانية : ٨٧ ، ١١٢
الجمالية اليهودية : ١٠٢ ، ٢٩٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥
- الجمعية السورية اللبنانية للإسعاف
المتبادل (سان فرانسيسكو) : ٣١٩ ، ٣٢٣
- جامعة الدول العربية : ١٩٤ ، ٣٣٤
الجهة الشعبية لتحرير فلسطين : ٢٦٣
- جمعية السيدات الحمصيات (كامبوس
دي جوردون) : ٤٣
- جبور ، بطرس : ٢٥٥
الجمعية الإسلامية : ٢٩٧ ، ٢٩٩
- جمعية السيدات اللبنانيات (مونتيفيديو) :
٤٢
- الجماعة الإسلامية : ٢٩٧ ، ٢٩٩
جمعية الاتحاد السوري اللبناني للإسعاف
- جمعية السيدات المارونيات (المكسيك) :
١٠٢
- المتبادل (بوينوس أيريس) : ٤٣ ، ٣٢٢
- جمعية الشبيبة الحمصية (سانتياغو) :
٤٣ ، ٣٩
- جمعية الاتحاد السوري اللبناني للإسعاف
المتبادل (سانتا في) : ٤٣
- جمعية الصحافة اللبنانية (ريو دي
جانيرو) : ١٩٠
- جمعية الاتحاد العلوي (بوينوس أيريس) :
٣٣٠
- الجمعية العكارية (بوينوس أيريس) :
٣٩
- الجمعية الإسرائيلية الفردية : ٣١٨
الجمعية الإسرائيلية لسفر التلمود
(الأرجنتين) : ٣١٨
- جمعية العهد الوطني اللبناني
(مونتيفيديو) : ٤٢
- الجمعية الإسلامية العلوية الخيرية
(الأرجنتين) : ٢١٠ ، ٣٣٠
- الجمعية اللبنانية البيروفية : ٢٦١
الجمعية الإسلامية في ليما : ٢٦٢
- الجمعية اللبنانية في روساريو : ٤٢
جمعية جبل سيناء (المكسيك) : ١٠٠
- الجمعية اللبنانية للإسعاف المتبادل
(مونتيفيديو) : ٤٢
- جمعية حماية المهاجرين السورية اللبنانية
(الأرجنتين) : ٣٢٥
- جمعية معاضدة تأسيس المستشفى
السوري - اللبناني النسائية
(البرازيل) : ٤٣
- الجمعية اللبنانية للإسعاف المتبادل
(مونتيفيديو) : ٤٢
- جمعية الدعم الاجتماعي العربية
الإسلامية (قرطبة) : ٣١٨
- الجمعية السورية الأرثوذكسية
للإسعاف المتبادل في بوينوس
أيريس : ٤٢
- الجهاد الإسلامي (منطقة الحدود
الثلاثية) : ٢٩٦

- ح -

- حركة حماس: ٢٥٩، ٢٩٩
حركة عدم الانحياز: ٣٥
الحركة من أجل الهوية الوطنية
والاندماج الإيبيرو - أمريكي: ٦٠
الحركة اليسارية الثورية (فنزويلا): ٥٧
حرية المرأة: ٢٥٦
حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي
(الإكوادور): ٥٢
حزب الله (لبنان): ٢٩٧، ٢٩٩،
٣٣٥
الحزب الاجتماعي المسيحي (فنزويلا):
٥٢، ٥٧
حزب تجمع القوى الشعبية
(الإكوادور): ٥١
الحزب الثوري المؤسساتي (PRI)
(المكسيك): ١٠٩
حزب الحركة الوطنية الثورية (بوليفيا):
٥٤
الحزب الديمقراطي الاجتماعي
(البيرو): ٢٦٢
الحزب الرولدوسي الإكوادوري: ٥١
الحزب الشعبي لإعادة البناء (البيرو):
٦٠
الحزب الشيوعي الإكوادوري: ٥٦
حزب العمل الديمقراطي (فنزويلا):
٥٣، ٥٦
الحزب المحافظ الإكوادوري: ٥٢
الحزب الملون (الباراغواي): ٢٧٠-
٢٧١، ٢٩١، ٣٠٢
حاتم، خوسي فرانيسكو: ٥٣
حاتم، دوغلاس: ٥٣
حاتم، سليمة: ٥٢-٥٣
حامد، طالب: ٢٥١-٢٥٢
حايك، سلمى: ١١٠
حايك، نصيف: ٣٢٢
الحجار، حسين: ٢٥٤
الحرب الأمريكية - البريطانية على العراق
(٢٠٠٣): ٣٨
الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥): ٢٢،
١١١، ٢١٩
حرب الخليج (١٩٩٠ - ١٩٩١): ٣٥-
٣٦، ٣٣٨
الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨):
١٦، ٢٥، ٥٠، ٥٣، ٧١، ٧٩،
١٢٨-١٢٩، ١٨٢، ١٨٧، ٢٢١،
٢٢٦، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٧٥،
٢٧٧-٢٧٨، ٢٨٤، ٣١٥، ٣٢٣
الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥):
٢٢، ٢٧، ٤٩-٥٠، ٥٣، ١٢٩-
١٣٠، ٢١٩، ٢٤٠-٢٤١، ٢٤٨،
٢٦٢
الحرب العربية - الإسرائيلية (١٩٦٧):
٢٢
الحرب العربية - الإسرائيلية (١٩٧٣):
٣٥
حركة التبشير المسيحي: ١٨١
حركة تعدد الأديان (قرطبة): ٣١٩

الدروز: ٧١-٧٢، ٩٨، ٢٠٠، ٢٧٧،
٣١٣

دو تبخادا، ميغيل ليردو: ٧٣

دياز، بورفيريو: ٧٣، ١٠٤

دياز، سيمون: ٦٨

دياز، مانويل: ٦٨

ديب، أوسفالدو دومينغيز: ٢٩١

ديلفال، رايموند: ٤١

الديمقراطية: ٥٦، ٥٨، ١٧٧، ١٨١،
٢٠٤

الديمقراطية العرقية: ١٧٧، ٢٠٤

- ذ -

الذاكرة الجماعية التشيلية: ١١٨

- ر -

الرابطة الإسرائيلية العالمية: ٩٩

راسي، خليل: ١٩٣

راموس، أرتورو: ٢٠٧

راميريز، لويس ألفونسو: ١٠٣

الرأي العام الأرجنتيني: ٣٣٨

الرأي العام الباراغواتي: ٢٩١

الرأي العام المكسيكي: ١١١

رباني، محسن: ٢٩٥، ٣٣٥-٣٣٦

رحال، محمد: ٢٨٦

الرخاء الاقتصادي: ٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٨

رستم، جميل: ٦٠

رشيد، بدر: ٢٩١

رشيد، ليلي: ٢٩١

الحزب من أجل الديمقراطية (التشيلي):
٥٨

حزب اليسار الديمقراطي (الإكوادور):
٥٦

حسن، موسى: ٥٧

حسين، صدام: ٣٥

الحصن، دانييلا: ١٣٧

الحضارة العربية: ٣١، ٢٠١، ٢١٠-
٢٧٤، ٢١١

الحضارة العربية الإسلامية: ٢٠١،
٢١٠

الحضور العربي في الباراغواي: ٢٥

حقوق الإنسان: ٧٣، ٩٤، ٢٦٣

الخلو، ألفيردو هارب: ١١٠

حمد، مجيد عيسى: ٢٣٩

حمدان، فوزي: ١٠٩

حميدو الله، محمد: ٢٠٨

حننا الموصللي، الياس بن قسيس
(الراهب): ٦٨

- خ -

خزامي، غلاديس: ٣١٠

الخصوصيات الثقافية: ١٥٥

الخوري، أنطونيو: ٥٩

الخوري، غلاديس: ٥٢

خيمينيز، بيريز: ٥٦

- د -

دا كروز، جيرالدو ماخيلا: ٢٠٥

- رفول، بطرس (الراهب): ٧٠، ٩٥
الركود الاقتصادي: ٢٣٤
رودريغيز، أندريس: ٢٧١
رودريغيز، نينا: ١١٠، ٢٠٦-٢٠٧،
٢٧١
روزفلت، ثيودور: ٣٨
رياتيغي، ولسن: ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٣،
٢٤٥
رياس، فرانثيسكو: ٩٩
ريبويدو، أنتونيا: ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢
- ز -
زاباتا، إميليانو: ٥٩، ١٠٩
زبلخ، جيمس: ٥٧
زراوي، زيدان: ٧٥
زروق، كارلوس: ٥٧
زعيتر، أكرم: ٣٣٤
زهر، ليون رودريغيز: ١١٠
الزواج المختلط: ٩٤، ١٤٠، ١٤٤،
١٤٦-١٤٧، ١٧٠، ٢٩٣-٢٩٤،
٣١٠، ٣٢٢
زيدان، مريثيلا: ١٤٥
الزين، إبراهيم: ٢٨٧
زين، بطرس: ٣٣١
الزين، وحيد: ٢٩٣
زين الدين، محمد علي: ٦٠
- س -
ساحورية، سعيد: ٢٠، ٢٢١
ساسون، أنطونيو: ٢٣٩
- سالمون، خوسي: ٢٢٢، ٢٤٣
سالمون، سيسار: ٢٢٢
سانتياغو البيروتي: ١٢٧
سبلا، أحمد: ٢٥١
ستروسنير، ألفريدو: ٢٧٠، ٢٨٥
سرحان، خوسي: ١٠٩
سعادة، خايمي نبوت: ٥٢
سعد (الابن)، بيدرو: ٥٦
سعد، بيدرو: ٥١، ٥٦
سعيد، عيسى: ٢٢٢
سقوط غرناطة (١٤٩٢): ١٩
السكرية، منيف حسن: ٣١٩
سلامة، سانتياغو: ٦٩
سلامة، مونيكاس: ٦٩
سلسلة المنادة: ١٤-١٦، ٢٥، ١٣١-
١٣٢، ١٣٤، ١٤٢، ١٥٢،
١٨٨، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٤١،
٢٤٨-٢٤٩، ٢٥١-٢٥٣، ٢٥٥،
٢٥٩، ٢٧٨، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٤
سلفادور الدركي: ٦٩
سلمون، لويس: ٢٣٣
سلمون، يوسف: ٢٣٣
سليم، كارلوس: ١١٠
السنة: ٢٥، ٢٧، ٥٢، ٥٦-٥٧،
٧٥، ٧٧-٧٨، ٨٨، ١٢٧-١٢٨،
١٥٣-١٥٤، ١٦٣، ١٧٩، ١٨٣،
١٩٢-١٩٣، ٢٠٠، ٢٥٠، ٢٧٠-
٢٧١، ٢٧٩، ٢٩٧، ٣١١،
٣١٤، ٣٢١، ٣٢٦-٣٢٧، ٣٣١

- سوموزا، أناستاسيو: ٥٧
سيردا، سيزار: ١٢٩
سيمون، نجيب: ١٠٩
- ش -**
- شارون، آريل: ٣٣٧
الشامي، فيلمون (الأرشمندريت): ٩٧
الشامي، ماريو منصور: ٢٣٩
الشبيبة الصهيونية في الأرجنتين: ٣٣٦
شربل مخلوف (القديس): ٩٧
شركة مرسيدس الألمانية: ٥٠
شلان، سليمان: ٢٥١
شمعون، وديع: ٣٣١
شمور، إيميليو شويفات: ١٠٩
شهوان، إيوخينيو: ١٤١
شوقي، بنيدكتو: ١٤٩
الشيعة: ٢٠٠، ٢٠٩-٢١٠، ٢٧٦، ٣٣٠، ٢٩٥
الشيوعية: ٥٣-٥٤، ٥٧
- ص -**
- صالح، حسام: ٢٩٧
صالح، سعود: ٢٥١
الصحافة الأرجنتينية: ٢٩٦-٢٩٧، ٣٣٧، ٣٢٤
صحافة أمريكا اللاتينية: ٣٥
الصحافة الأمريكية: ٣٨، ٢٠٤
- الصحافة البرازيلية: ٢٠٤، ٢٠٦
الصحافة العربية في الأرجنتين: ٤٧، ٣٣١
الصحافة العربية في أمريكا اللاتينية: ٤٦
الصحافة العربية في البرازيل: ٤٧، ١٩٠-١٩١
الصراع الطائفي بين المهاجرين: ٤١
الصراع العربي - الإسرائيلي: ١١٠، ٣٣٢-٣٣٣، ٣٣٧-٣٣٨، ٣٤٠
الصفاء العرقي: ١٧، ٩٤
صفدي، جميل: ١٩٠-١٩١
صفي، إبراهيم: ١٢٧
الصناعة الفندقية: ٢٨
صناعة النسيج: ١١٨، ١٦٠، ٢٣١، ٢٨٩-٢٩٠
الصهيونية: ٦٢، ٣٣٣-٣٣٤، ٣٣٦
صوايا، جورج: ٣٣٢
- ض -**
- ضاحك، ألبيرتو: ٥٢
- ط -**
- الطائفة العلوية في البرازيل: ٢١٠
الطائفة الكلدانية: ٩٧
الطائفة اليهودية: ٨٥
طرييه، خوليو سيزار: ٥١
طرييه، رافائيل: ٥١
طنوس، عفيف: ١٥

- ظ -

- عزیز، ألفریڈو: ۱۰۹
عزیزة، یوسف: ۳۳۲، ۳۲۵
عطا الله، میگیل: ۲۵۱-۲۵۲، ۲۶۳
عکر، لورینزو: ۱۱۵
العلاقات بین عرب ویهود الأرجنتين:
۳۳۶-۳۳۵، ۳۳۲
العلویة: ۲۱۰، ۳۲۴، ۳۳۰
عمیش، أرتورو عولت: ۵۹
عوامل الجذب: ۱۳
عوامل الطرد: ۱۳
عیساوی، شارل: ۷۲
عیسی، سیمون: ۹۷
- ظاهر، الیاس: ۵۹
ظاهر، خورخی: ۵۶-۵۷، ۵۹
ظاهر، دوغلاس: ۵۷
ظاهر، ماریا ترینزا: ۱۳۷، ۱۳۹-
۱۴۰، ۱۴۲

- ع -

- العائلة الأبویة: ۱۳۴
عبد الباقي، إیفون: ۵۲
عبد الحمید الثاني (السلطان العثماني):
۱۵

عبد الناصر، جمال: ۳۵، ۱۹۶

عبود، سلیم: ۷۹

عبید، غوستابو: ۶۰

عرب الأرجنتين: ۹، ۱۶، ۳۶،
۳۰۹، ۳۲۱، ۳۳۲، ۳۳۵-۳۳۸

عرب باناما: ۳۶

العرب في الباراغواي: ۳۶، ۴۶،
۲۸۲-۲۸۳، ۲۸۵، ۲۹۶

العرب في البرازیل: ۳۶، ۱۷۵،
۱۸۳، ۱۸۶، ۱۸۹-۱۹۰، ۱۹۳-

۱۹۵، ۱۹۸، ۲۰۰، ۲۱۲

العرب في سانتياغو ديل إستيرو:
۳۲۰-۳۲۱

العرب في قرطبة: ۳۱۷-۳۱۸

العرب في منطقة لامابا: ۳۲۴

العروبة: ۳۵، ۳۷، ۴۷، ۱۵۵،
۱۹۱، ۲۰۱، ۲۱۱-۲۱۲، ۳۲۷

- غ -

- غارثيا، آلان: ۲۶۲، ۲۶۴
غارسيا مارکيز، غابریيل: ۳۴
غاسبار، خوسي: ۲۷۰
غاليندو، لوريس: ۲۲۲
الغرفة التجارية الأرجنتينية - العربية:
۴۶
الغرفة التجارية الباراغواتية - العربية:
۲۸۹، ۲۹۴، ۲۸۶
الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في
بوينوس آیريس: ۴۵، ۱۹۴
الغرفة التجارية السورية - اللبنانية في
ساو باولو: ۴۵، ۱۹۴
الغرفة التجارية العربية - البرازيلية:
۱۹۴
غطاس، یعقوب: ۳۳۱

٤١ ، ٦٢ ، ١٥٦ ، ١٧٢ ، ١٩٧ ،
٢١٣ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ -
٣٣٧

قلش ، ألبيرتو : ١١٠

القومية الإسلامية : ٣٣٣

القومية السورية : ٣٣٣

القومية العربية : ١٥ ، ٧١ ، ٣٣٣

- ك -

الكاثوليك : ٤١ ، ٩٥-٩٨ ، ١٤١ ،

١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٨١ ، ١٩٣-١٩٤ ،

٢٠٨ ، ٢٤٩-٢٥٠ ، ٢٨٧ ، ٣١٠ ،

٣١٥-٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١

كاردوزو ، فرناندو هنريكي : ٢٠٤ -

٢٠٥

كاسترو ، راوول : ٥٥

كاسترو ، فيديل : ٥٥

كالديرون ، فرانسيسكو غارثيا : ٢١٧

كايس ، بلوتاركو الياس : ١٠٩

الكتاني ، علي : ٢٠٨

الكثافة السكانية : ١٤ ، ١٢٠-١٢١ ،

١٧٩

كحاط ، إبراهيم : ٢٣٠ ، ٢٣٣

كحاط ، فريد : ٦٥

كحاط ، موسى : ٢٣٠ ، ٢٣٣

كرانزا ، فينوستيانوا : ١٠٩

كراوس ، كورين : ٩٩

كرم ، يوسف : ١٥

كليش ، إيغنازيو : ٣٣٢

غلام ، صبحي : ٣٢٣

غوستين ، دافيد : ٢٣٩

غوميز ، خوان فيشيني : ٥٩

- ف -

الفاشية : ٥٣

فدرالية الجمعيات الأمريكية - العربية

(FEARAB) : ٤٠ ، ١٩٥ ، ٢٨٥ ،

٢٨٩-٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٨

- (فرع الأرجنتين) : ٣٢٧

الفدرالية النقابية لعمال المناجم

(بوليفيا) : ٥٤

فرانكو ، حامد : ٢٧٤

فرج ، سعاد : ٥٧

فلوريس ، ألبيرتو : ٢٦٥

فوجيموري ، ألبرتو : ٢٦٤

فياض ، صالح : ٢٩٧

فياض ، فيليكس : ٥٩ ، ١٠٩

فيلاسكو ، خوان : ٢٥٩

فيلالوبوس ، سيرجيو : ١٢٤

- ق -

القانون العام للهجرة (قانون أبيانيدا)

(الأرجنتين) : ٢١٧

قانون منح الأراضي والدواجن

(١٨٤٨) (البازيل) : ٢١٧

قانون الهجرة (١٩٠٦) (الهندوراس) :

٩٣ ، ٢١٧

قصاب ، خوسي مراد : ١٠٩

القضية الفلسطينية : ٢٢ ، ٣٦ ، ٤٠ -

١٧١ ، ١٨٩-١٩٠ ، ١٩٥-١٩٧ ،
٢٤٣ ، ٢٦٣ ، ٢٨٥-٢٨٦ ، ٣٢١-
٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩-٣٣٠
اللوبي اليهودي : ٣٧
لوبيز ، فرانيسكو سولانو : ٢٧٠
لوبيز ، كارلوس أنطونيو : ٢٧٠
لويو ، جيلبيرتو : ٧٧ ، ٨٢
ليغيبيا ، أوغوستو : ٢١٨
- م -

مارتينيز ، كارلوس : ١٠٩
الماركسيون الجدد : ٣٨
الماسونية : ١٠٠
ماكينا ، فيكونيا : ١٢٥ ، ١٣٦ ، ٢١٧
المتحدرون من أصل عربي : ٣٠ ، ٣٢ ،
٣٤-٣٥ ، ٤٠ ، ٤٤-٤٥ ، ٥٠ ،
٥٤ ، ٥٦-٥٧ ، ٦٢-٦٣ ، ١٠٨ ،
١٣٨-١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٤-
١٦٥ ، ١٦٧-١٦٨ ، ١٧٠-١٧١ ،
١٧٧ ، ١٩٦ ، ٢٢٢ ، ٢٥٥ ،
٢٩١ ، ٣٢١ ، ٣٢٦-٣٢٧ ، ٣٤٠
المثاقفة : ١٠٤ ، ١٤٣ ، ٢٦٤
المجتمع الأرجنتيني : ٣٠٥ ، ٣١١ ،
٣٣٩-٣٤٠
المجتمع الباراغواتي : ٢٧٩ ، ٢٨٦ ،
٢٩٠-٢٩١ ، ٢٩٣-٢٩٤
المجتمع البرازيلي : ١٨٩ ، ١٩٤ ،
١٩٩-٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٢
المجتمع المدني : ٣٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤
المجتمع المدني الباراغواتي : ٢٩٢ ، ٢٩٤

الكنائس الأرثوذكسية : ٤١
الكنائس المارونية : ٤١
كوادروس ، جانيو : ١٩٦
كوش ، دونيز : ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ،
٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥
كوكزينسكي ، ماكسيمو : ٢٥٤
كولومبوس ، كريستوف : ٢٠١
الكونفدرالية العمالية البوليفية : ٥٤
كوهن ، سليم : ١٠٠
كوهن ، فرانسيسكو : ١٠٠
- ل -

لاشين ، خوان : ٥٤-٥٥
اللجنة الأرجنتينية العربية للدفاع عن
فلسطين : ٣٣٤
اللجنة العامة العربية لمعاوضة فلسطين
(الأرجنتين) : ٢٨٤
اللجنة المعاضدة للعرق (المكسيك) :
١٠٠-١٠١
لسير ، جيفراي : ١٨٣ ، ١٩٩
لطائف ، أنطونيو : ١٠٩
اللغة الآرامية : ٩٦-٩٧
اللغة الإسبانية : ٤٣ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
١٤٣-١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٧-١٥٨ ،
١٦١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥١ ،
٣٠٩ ، ٣٣٠
اللغة العبرية : ١٠٢
اللغة العربية : ٣١ ، ٣٤ ، ٤٣-٤٤ ،
١٠١ ، ١٠٣ ، ١٤٩ ، ١٦٨

المسلمون: ٤٤، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٦-
٢٠٨، ٢١٢-٢١٣، ٢٥١، ٢٦٢،
٢٧٧، ٢٨٦، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٢٩-
٣٣٠

مسوح، جبران: ٣٢

مسوح، فكتور: ٣١-٣٢

المسيحية: ١٩، ٧٠، ٩٥، ٩٧-٩٨،
١٠١، ١٣٠، ١٤٦، ١٩٢، ١٩٤،
٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٤٨، ٢٥٠،
٢٥٦، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٩

مطر، أحمد: ٢٥٤

معلوف، ألفريدو جبور: ٥٥

معلوف، جبور: ٥٥-٥٦

معلوف، سلفادور: ٢٢٦

معوض، جميل: ٥٢

مكنة الفلاحة: ١٦١

منصور، إبراهيم: ٢٤٩

منصور، سلمون: ٢٤٩

منصور، نجيب: ٢٤٩

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم
والثقافة (اليونسكو): ٩، ٢٧٤

منظمة التحرير الفلسطينية: ٢٦٢-
٢٦٣

منظمة الدول الأمريكية: ٢٧٣

منظمة المؤتمر الإسلامي: ٢٨٥

منعم، كارلوس: ٣١، ٦٠، ٦٣،
٣٣٠

المهاجرون المثاليون: ٣١١

مهري، علي خليل: ٢٩٧

مجتمع المقهى: ٣٨

مخلص، سيد حسن حسين: ٢٩٧

مخلوف، ميخائيل: ٢٥٤

مدرسة زهرة الإحسان (ريو دو
جانيرو): ٤٣

المدرسة السورية (بوينوس أيريس): ٤٣

مدرسة الفلاح (ريو دي جانيرو): ٤٣

مدرسة القديس مارون للتعليم الأساسي
والإعدادي (بوينوس أيريس): ٤٤

المدرسة اللبنانية (ساو باولو): ٤٣

مدرسة اللغة العربية (سانتياغو): ٤٣

المدرسة المجانية (سانتياغو): ٤٣

مدرسة نعيم البائس (بوينوس أيريس):
٤٣

المرأة العربية: ٥٢، ١٠٧، ١٣٥

المرأة العربية المهاجرة: ١٠٧

المركز الأرثوذكسي (الأرجنتين):
٣١٨

المركز الإسلامي الباراغواي: ٢٩٢

المركز الإسلامي لجمهورية الأرجنتين:
٣٢٦، ٣٢٩

المركز الحموي (الأرجنتين): ٣٢١

مركز دراسات الوحدة العربية: ٩

مركز نشر الإسلام في أمريكا اللاتينية:
٢٠٨-٢٠٩

المساجد: ٤١، ٢٠٩، ٢٧٩

مسالم، دوريس: ١١١

المستوطنات الريفية: ١٧٩

مسعد، كارلوس: ٥٠

- الموارنة: ١٤، ٣١، ٤٠، ٦٨، ٧٠،
٩٧-٩٥، ١٩٢-١٩٣، ١٩٥،
٢٠١-٢٠٠، ٢٧٦، ٣١٠، ٣١٣،
٣٣٢-٣٣١، ٣١٨
مؤتمرات المؤسسات العربية في أمريكا (٤):
١٩٧٩: كراكاس): ٤٠
مؤتمر وزراء دفاع القارة الأمريكية (٥):
٢٠٠٢: سانتياغو): ٢٠٥
مؤسسة السلام (الأرجنتين): ٢٥
مونتينيغرو، سيلفيا: ١٦، ٢٥، ٣٦،
٤١، ٤٦، ٤٨، ١٧٥، ٢٦٩،
٣٠٥
ميخائيل، بطرس: ٢٢٢
ميخائيل، خليل: ٢٢٢
- ن -
- نابوليون الثالث (الإمبراطور): ٧٠
نادر، جواد: ٣٣٣
نادي الاتحاد العربي الفلسطيني
(البيرو): ٢٦١-٢٦٢
النادي الاجتماعي الأرجنتيني السوري:
٣٢٣
النادي الثقافي الهندوراسي-العربي (سان
بيدرو سولا): ٤٠
النادي الرياضي السوري (ساو باولو):
٣٩
النادي الزحلي (ساو باولو): ٣٩
النادي السوري (أسونسيون): ٢٩٠
النادي السوري (الباراغواي): ٢٨٥
النادي العربي الإكوادوري (كيتو): ٤٠
- النادي العربي (سانتياغو): ٣٩
النادي اللبناني (سان خوان): ٣٩
ناصر، محمد: ٢٩٢
نافارو، غونزاليس: ٩٣
نافون، إسحاق: ٣٣٥
النيهان، نزهة نايف: ٢٢٤
ندرة، فرناندو: ٥٤
النشاط المهني: ١٠٥، ١٣٧، ٣١٤
نصر، جوليان: ٧٩
نصر، حلمي محمد إبراهيم: ١٩٦
نظام الرق: ١٨١، ٢٠٧
النظام الفيودالي: ١٢٥
نعمة، ميخائيل: ٢٥٤
نمط الإنتاج الفلاحي: ٨٥
النمو الاقتصادي: ٨٨، ١٦١، ٢٨٩
النمو الاقتصادي للتشيلي: ١٦١
النمو الديمغرافي: ٢٧١-٢٧٢،
٣١٣
نمو المدن: ١٢٠، ١٥١
نمو المدن في التشيلي: ١٥١
نويهض، خلدون: ٢١٩، ٢٢١
نيسان، روزا: ١٠٩
نيغيرا، هوغو: ٢٥٩
- ه -
- هاني، سهيل: ٣٣٦-٣٣٧
الهجرة الأوروبية: ٧٣-٧٤، ١٢٥-
١٢٦
الهجرة التلقائية: ١٨٢، ٣٠٧

٢٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٢-٢٤١

٢٥٨

الهجرة العربية إلى التشيلي : ١١٧ ،

١٢١ ، ١٢٦-١٢٨ ، ١٣١-١٣٢ ،

١٤٧ ، ١٦٥

الهجرة العربية إلى المكسيك : ٦٧-٦٨ ،

٧٠ ، ٧٦ ، ٧٩-٨٠ ، ٨٣ ، ١٠١ ،

١١٠ ، ١١٢

الهجرة العربية الحديثة : ١٩٢-١٩٣ ،

١٩٦

الهجرة العربية القديمة : ١٩٦ ، ١٩٨-

١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٧٥ ،

٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٥-٢٩١ ،

٣٠١-٣٠٢

الهجرة الفلسطينية إلى البيرو : ٢٢٥ ،

٢٦٢

الهوية البرازيلية : ٢٠٤

الهوية البيروفية : ٢٦٤-٢٦٥

الهوية الثقافية : ١٣٥ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ،

١٩٩

الهوية العربية : ٣٩ ، ١٥٦ ، ٢٠٦ ،

٢١١-٢١٢ ، ٣٤٠

هيريرا، ثينوريون : ٢٣٠ ، ٢٤٦

هيريرا، ميغيل : ٢٣٩

- و -

ونترز، كليد أحمد : ٢٠٨

- ي -

اليازجي، خليل : ٢٥٤

الهجرة الحديثة : ٤١ ، ٤٤ ، ١١٩ ،

١٩٧-١٩٨ ، ٢١٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ،

٢٨٣ ، ٢٨٦-٢٨٨ ، ٢٩٠-٢٩١ ،

٢٩٣-٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢

الهجرة السورية - اللبنانية إلى البيرو :

٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨

الهجرة السورية- اللبنانية- الفلسطينية

إلى أمريكا اللاتينية : ٢١٩ ، ٢٢٤ ،

٢٣٨

الهجرة العربية : ١٠-١١ ، ١٣ ، ١٦ ،

١٨-٢٠ ، ٢٢ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٦٧-

٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ،

٨٣ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

١١٧-١١٨ ، ١٢٠-١٢٢ ، ١٢٦-

١٢٩ ، ١٣١-١٣٢ ، ١٤٧-١٤٨ ،

١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٢-١٨٣ ،

١٨٦ ، ١٩٢-١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠١ ،

٢١٣ ، ٢١٩-٢٢١ ، ٢٤١-٢٤٢ ،

٢٤٧-٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦-٢٥٨ ،

٢٧٢-٢٧٧ ، ٢٧٩-٢٨٠ ، ٣٠١-

٣٠٢ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٣٢

الهجرة العربية إلى الأرجنتين : ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣٣٢

الهجرة العربية إلى أمريكا اللاتينية :

١٨-٢٠ ، ٧٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧

الهجرة العربية إلى الباراغواي : ٢٧٤-

٢٧٥ ، ٣٠١

الهجرة العربية إلى البرازيل : ١٧٧ ،

١٨٦

الهجرة العربية إلى البيرو : ٢١٩-٢٢١ ،

يهود الأرجنتين: ٣٣٢، ٣٣٥-٣٣٦،
٣٣٨

يهود دمشق: ٩٨-١٠٠

اليهود السفريين: ٩٩، ٣٣٣

اليهود السوريين- اللبنانيين: ٩٨، ٣٣٣

اليهودية: ٧٠، ٨٥، ٩٩، ١٠١-

١٠٢، ٢٩٥، ٣١٦، ٣٣٣،

٣٣٥، ٣٣٧-٣٣٨، ٣٤٠

ياسين، عبد الكريم: ٢٩٧

يافت، ريكاردو: ٤٩

اليهود: ١٩، ٢٩، ٣٥-٣٧، ٤١،

٥٠، ٦١، ٦٧، ٧٠، ٨٥، ٩٨-

١٠٢، ١١١-١١٢، ١٣٠، ١٣٩،

١٨١، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٩٥،

٣٠٠، ٣١٦، ٣١٨، ٣٣٢-٣٣٥،

٣٣٧-٣٣٨، ٣٤٠